

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة زيان عاشور، الجلفة



المترجم

دورية علمية دولية محكمة تعنى ببحوث اللغة و الأدب و التربية و الفكر

العدد الحادي عشر
المجلد الأول

ISSN 2335-1160

رقم الإيداع القانوني: 2013-6547

مدير المجلة رئيس التحرير

أ.د. محمد الأمين خويلد

نائب رئيس التحرير مسؤول النشر
محمد زعيتري

هيئة التحرير

د. الطيب لطرشي	د. محمد بومانة
د. نور الدين بن عبد الله	د. أسماء خويلد
د. لطيفة يوسفات	د. ميهوب العابد
د. عبد القادر كداوة	د. نسيمة هورة

هيئة القراءة العلمية الاستشارية

أ.د. محمد الأمين خويلد (الجزائر)
رئيس الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. محمد الأمين ولدأن (موريتانيا)	أ.د. محمد ضياء الدين إبراهيم الخليل (العراق)
أ.د. محمد الفران (المغرب).	د. مفتاح خلوف (الجزائر).
أ.د. أحمد بريسيول (المغرب)	أ.د. عبد القادر بليمان (الجزائر).
أ.د. الصديق حسن البشير (السودان).	أ.د. محمد العيد رتيمة (الجزائر).
أ.د. علي ملاح (الجزائر).	أ.د. عبد الله قلي (الجزائر).
أ.د. الطاهر الإبراهيمي (الجزائر).	أ.د. لعرج عبد العزيز (الجزائر).
د. بوعمامة زهير (الجزائر).	أ.د. معيرش موسى (الجزائر).
د. أسماء خويلد (الجزائر)	أ.د. نور الدين زمام (الجزائر).
د. سميرة ميسون (الجزائر).	أ.د. عمار ساسي (الجزائر)
د. محمد عبد الشافي محمد. (مصر)	د. ليلي بن عائشة (الجزائر)
د. نور الدين بن عبد الله (الجزائر).	د. ميهوب العابد (الجزائر)
محمد زعيتري (الجزائر).	د. يوسفات لطيفة (الجزائر).
د. إسماعيل سييوكر (الجزائر).	د. الطيب لطرشي (الجزائر).
د. لوصيف لخضر (الجزائر).	د. هورة نسيمة (الجزائر).
د. عايدة حوشي (الجزائر).	أ.د. عز الدين بوكربوط (الجزائر).
د. رشيد جلود (الجزائر).	د. أخصري عيسى (الجزائر).
	د. محمد بومانة (الجزائر)

شروط النشر

يسرّ مجلة (المداد) أن تستقبل البحوث و الدراسات العلمية المتخصصة في مختلف مجالات العلوم الإنسانية، مكتوبة باللغة العربية، الفرنسية، الانجليزية. وتخضع هذه البحوث لمعايير وشروط التحكيم في البحث العلمي الأكاديمي، و من المتخصصين، وتطبق فيها شروط المجالات العلمية المحكمة، و ترى أن تكون النصوص المرسلة وفق الشروط التالية :

❖ أن يكون النص المرسل جديدا لم يسبق نشره. وأن تتوفر فيه شروط البحث العلمي ومعايير.

❖ ألا يزيد حجم المقال على 20 صفحة كحد أقصى، و ألا يقل على 12 صفحة كحد أدنى على ورق (21 - 29)، (A4) بحجم الخط **Simplified Arabic 16**، وتكون الهوامش بحجم 11 و اعدادات الصفحة 2 سم من الأعلى و الأسفل ، و 3 سم من اليمين و 2 سم من اليسار ، و التنفيس بين الاسطر 01 سم . و للمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.

❖ أن يصحب المقال المكتوب باللغة الأجنبية بملخص باللغة العربية وآخر باللغة الأجنبية (الانجليزية أو الفرنسية) (150 إلى 200 كلمة). مرفقا بالكلمات المفتاحية باللغتين.

❖ يرجى من الكاتب إرسال نبذة عن سيرته الذاتية.

❖ تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة لجنة التحكيم، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إجازتها وإحالتها على النشر.

❖ المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، و تلتزم بإبلاغها بقبول النشر، أو عدم النشر.

❖ تحتفظ المجلة بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير و حسب الرزنامة الزمنية التي تحددها.

❖ لا تتبنى المجلة اتجاها إيديولوجيا محددًا ولا تخضع لقيود غير قيود العلم ومعايير الأخلاقية.

❖ تعبر النصوص التي تنشر في المجلة عن آراء أصحابها.

❖ يرجى إرسال جميع المشاركات إلى المنصة الوطنية الإلكترونية: www.asjp.cerist.dz

فهرس الموضوعات

تكنولوجيا التعليم ومصادرها

- 07..... د. شنان قويدر / جامعة محمد بوضياف المسيلة
- التشخيص الأدبي للغة في رواية "جسد الحرائق" لواسيني الأعرج.
- 18..... د. سامية عليوات / جامعة البويرة.
- المحلي في الرواية العربية . هل للمحلي أسوار ؟
- 30..... د. رضا الأبيض ...المعهد العالي للعلوم الإنسانية مدنين . جامعة قابس . تونس
- إضطراب المصطلح في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر
- 34..... لخضر بلقاق، طالب دكتوراه / جامعة الجلفة
- ثقافة الإجرام في المجتمعات العربية - دراسة سوسيوثقافية -
- 44..... د. ساسي سفيان جامعة الشاذلي بن جديد.الطارف
- البعد العجائبي في رواية "الغيث" لمحمد ساري
- 61..... د. حكيمة بوقرومة / جامعة المسيلة
- الحرمان الأسري وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس
- 80..... الباحثة بلخير فايزة / ا.د.ماحي ابراهيم / جامعة وهران 2
- الوظيفية في الدرس اللساني الحديث
- 102..... د:عبد القادر البار جامعة ورقلة- الجزائر-
- دلالة اللغة والهوية في الخطاب الروائي الجزائري
- رواية "الخلاص" لعبد الملك مرتاض نموذجا
- 113..... الطالبة:فاطمة الزهراء ناصر/د. محمد عدلان بن جيلاليجامعة الشلف
- الوظيفة البنائية والجمالية للعلامة غير اللغوية في مسرحية السلطان الحائر
- 120..... الطالب: بغدادي يوسف.....
- النخبة الإندماجية في الجزائر ومسألة التجنيد الإجباري
- (1912 - 1918 م) وهم الفرنسية وفشل التحديث
- 129..... د. سعودي أحمد جامعة عمار تليجي - الأغواط

دور التعليم عن بعد في تعزيز التعليم العالي لدى المرأة

140 د.ناجح مخلوف / د. سميرة ملاك / جامعة المسيلة / جامعة سطيف

المكوّن البلاغي في البحث اللساني الحديث

151 د. محمد كمال بلخوان المدرسة العليا للأساتذة مستغانم

أزمة المناهج النقدية الحديثة عند النقاد العرب المحدثين

-الجانب النفسي في دراسة شخصيات الشعراء عند عباس محمود العقاد-

161 أ/ مهديدا بايزيد- اشراف د. عبدالعزيز بوشاللق ... جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الأركان السبعة لنظرية الميكانيزمات الدفاعية

حسب فيبي كرامير Phebe Cramer

174 ا.د.كبداني خديجة / ديبون محمد/ طالب دكتوراه/ جامعة وهران 2

نظرية الرواية عند جورج لوكا تش (Georges Lukacs) من خلال كتابي :

1-نظرية الرواية La théorie du roman

2-كتابات موسكو les écrits de Moscou

189 أ.بيلي بن عرار جامعة الجزائر 2-

تعليمية اللغة في ظل ثنائية النحو والإعراب -باب الفاعل أنموذجا-

209 أ/ مهديدا خليف البلدية -2- RASYD

المناس في الأدب التفاعلي

رواية " شات الرقمية " لمحمد سناجلة أنموذجا.

219 أ - بوزيد مولود ... جامعة مولود معمري - تيزي وزو

الحركات الإسلامية في المغرب والمشاركة السياسية:

جماعة العدل والإحسان وحزب العدالة والتنمية نموذجا

232 أ.نادية لهديلي ... مركز دراسات الشرق الأوسط، جامعة سكاريا

نظرية الظروف الطارئة

245 بوبكر نسرین طالبة دكتوراه سنة -3- /جامعة: الجزائر 1

مقاربة بين التداولية والبلاغة

256 أ.خويلد عبد العزيز /أ.د. ناصر اسطيمبول/جامعة وهران 01 أحمد بن بلة

أسس تحليل الكفاءة التسويقية في المؤسسة الاقتصادية

د. خويلد عفاف ... جامعة قاصدي مرباح ورقلة_ الجزائر..... 268

الإحالة في التراث العربي

أ/ مصطفى زماش... جامعة محمد خيضر - بسكرة 276

مدى انعكاس أساليب تدريس النشاط الرياضي التربوي

على التعلم الحركي لدى تلاميذ التعليم الثانوي

د/ احمد يخلف ... جامعة زيان عاشور - الجلفة 285

الأبعاد التربوية للقيم بالأسرة الجزائرية في ظل التغير الاجتماعي -تحليل سوسيولوجي-

د /مهيري دليلة / جامعة غرداية 307

اللسانيات التطبيقية العربية- غياب الرؤية والأبعاد

د. صالح غيلوس ... جامعة محمد بوضياف المسيلة..... 318

مقالات باللغة الاجنبية :

Le rôle de l'armée en Algérie de 1954-1988

Dr. Younes BENMAHAMMED.....Université de M'sila..... 02

L'éthos politique du représentant du président sortant dans la pré-compagne présidentielle algérienne d'avril 2014

Saliha Khaldi, Doctorante ,Université de Mostaganem.....19

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين / أما بعد .

يتميز العدد الحادي عشر بإصدار حافل ومتميز، وقد تمحورت عديد الدراسات المقدمة في هذا العدد ضمن الدراسات التربوية والنفسية والدراسات اللغوية والأدبية

نجد من الأول الحديث عن الضغط المهني وعلاقته بأمراض الدور لدى الأساتذة الجامعين المؤقتين ، وتناول التربية النفسية والاجتماعية للطفل من خلال وسائل الإعلام الجماهيرية ، وكان الحديث -أيضا- عن الأبعاد التربوية للقيم بالأسرة الجزائرية ، حيث تعتبر القيم التربوية عنصرا أساسيا في تشكيل هوية الفرد و ثقافته. تحدّد بذلك السلوك الإنساني، حيث يتمسك الناس بهذه القيم لما تعطيه لوجودهم الإنساني من معنى. إذ لا يستطيع الإنسان العيش دون قيم توجه سلوكه بما يتوافق و القيم التي يقرها مجتمعه الذي ينتمي إليه.

ومن الدراسات اللغوية والأدبية نجد جملة من الأبحاث التي بينت أثر قنوات التواصل بين العرب ونظرائهم الغرب من بعثات علمية وترجمة في استثمار الدرسين اللسانيين العربي والغربي، فانكب مجموعة من الباحثين العرب على دراسة المناهج اللسانية، وكان لهم الفضل في التعريف باللسانيات والوقوف على أوجه التقاطع والاختلاف بينها وبين الدراسات العربية. ونجد في هذا النسق الحديث عن أثر الإعراب في توجيه معاني المفردات من قواعد النحو إلى الاستراتيجيات التلغوية ، ونجد عرض مقارنة بين التداولية والبلاغة، وتناول الوظيفية في الدرس اللساني الحديث ، أين صنع الفكر الحديث انطلاقة جديدة بمنظور يطل على فضاء أوسع في عملية التفسير و التأويل باستغلال العوامل الداخلية و الخارجية معا في تحقيق عملية التواصل من أجل جودة التبليغ، وقد أولت الوظيفية عناية فائقة للدور الوظيفي الذي تؤديه اللغة من أصغر وحدة دالة متمثلة في المورفيم إلى أكبر وحدة متمثلة في الجملة ، و الأداء بمختلف الملامح التي يمكن لبعض التراكيب تحقيقها متجاوزة المفاهيم التقليدية للدراسات القديمة.

إضافة إلى العديد من الدراسات المتنوعة بتنوع المجالات التي تناولها هذه الدورية العلمية. وتأمل الهيئة العلمية للمجلة أن يكون هذا الإصدار إضافة نوعية تخدم الباحث الجاد الذي يبذل الوسع من أجل الوصول إلى البحث المتخصص .

مدير المجلة رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد الأمين خويلد

تكنولوجيا التعليم ومصادرها

د. شنسان قويدر
جامعة محمد بوضياف المسيلة

ملخص البحث

يعاني المجتمع العربي عموما والجزائري خصوصا في هويته اللغوية نكسة حضارية حقيقية، فاللغة العربية قد تراجعت في الاستعمال والتوظيف تراجعاً مؤلماً، في مختلف الخطابات الاجتماعية عبر الوسائل التكنولوجية، أما التوظيف التداولي بين أفراد المجتمع فالطامة أعظم، ولعل مرجع ذلك هذا الانفجار المعرفي والتثاقف الإلزامي والإجباري، التي كرسته الوسائل التكنولوجية، وعولمة الثقافات والهويات تحت سلطاتها، الفكرية والتقنية والحضارية، وأصبح توظيف اللغة الفرنسية عند الكثير وخصوصاً المحور الشمالي من الوطن نوعاً من الترفع الثقافي والاجتماعي، وحتى كتابتها في الوسائل التواصلية الاجتماعية توظف لها الحروف اللاتينية، وإذا كان الأمر كذلك :

- كيف يمكن توظيف هذه التكنولوجيا في العملية التعليمية والتعلمية؟
- ما هي هذه الوسائل وما ميزاتها؟
- ما هي مصادر التعلم عبر هذه الوسائل التكنولوجية؟

abstract -

- The Arab society in general and Algeria in particular, in its linguistic identity, have suffered a real cultural setback. The Arabic language has regressed in use and in the various social discourse through technological means. In the pragmatic level the catastrophe is greater, all this is due to knowledge explosion, and inavoidble culteral interaction devoted by technological means and the globalization of cultures and identities under its intellectual, technical and civilizational powers. The use of the French language, especially the northern axis of the homeland, became a kind of cultural and social uplift and even in writting in Social medea they use Latin characters, so ,the problematic of this article is:
 - How can this technology be used in the educational and learning process?
 - What are these means and what are their advantages?
 - The sources of learning through these technological means?

الكلمات المفتاحية: التعليم؛ التعلمية؛ تكنولوجيا التعليم؛ مصادر التعلم التكنولوجي؛ الوسائل التقنية...

يعاني المجتمع العربي عموماً والجزائري خصوصاً في هويته اللغوية نكسة حضارية حقيقية، فاللغة العربية قد تراجعت في الاستعمال والتوظيف تراجعاً مؤلماً، في مختلف الخطابات الاجتماعية عبر الوسائل التكنولوجية، أما التوظيف التداولي بين أفراد المجتمع فالطامة أعظم، ولعل مرجع ذلك هذا الانفجار المعرفي والتثاقف الإلزامي والإجباري، الذي كرسته الوسائل التكنولوجية، وعولمة الثقافات والهويات تحت سلطاتها، الفكرية والتقنية والحضارية، وأصبح توظيف اللغة الفرنسية عند الكثير وخصوصاً المحور الشمالي من الوطن نوعاً من الترفع الثقافي والاجتماعي، وحتى كتابتها في الوسائل التواصلية الاجتماعية توظف لها الحروف اللاتينية. وحتى اللغة الأمازيغية من يسعى ورائها يسجلها باللغة الفرنسية خطأ وتفكيراً، وأمام هذه المنغصات التي تترا على اللغة العربية كان هذا المسعى.

إن التوجهات المعاصرة في فلسفة التعليم تتجه نحو مفهوم للتعليم يتمحور حول التلميذ ليجعل منه عنصراً ديناميكياً في عملية التعلم، ولأجل تحقيق ذلك كان الاهتمام بتطوير التعليم ونظراً لأهمية الوسيلة ودورها الفاعل وإسهامها الملحوظ في تحسين عملية التعليم والتعلم وانطلاقاً من التقصير الملاحظ على العاملين في التعليم في كل مستوياته في استخدام الوسيلة التعليمية وتوظيفها جاءت فكرة هذا البحث المتواضع لتذكير المعلم بأهمية الوسيلة وتوضيح نجاعتها في العملية التعليمية، وإذا كان الأمر كذلك :

- كيف يمكن توظيف هذه التكنولوجيا في العملية التعليمية والتعلمية؟
 - ما هي هذه الوسائل وما ميزاتها؟
 - ما هي مصادر التعلم عبر هذه الوسائل التكنولوجية؟
- وحدود عملنا هذا هي محاولة إبراز دور هذه الوسائل المغيبة في العملية التعليمية والتعلمية،

إن تكنولوجيا التعليم تهيئ للمتعلمين بيئة تعليمية تفاعلية تحتوي على أنواع متعددة من مصادر المعلومات، لإتاحة فرص اكتساب المهارات والخبرات وإثراء المعارف عن طريق التعلم الذاتي والجماعي. وبهذا الاعتبار ينبغي على مؤسسات التكوين إعداد المعلم / المتعلم القادر على اكتساب المعرفة التي يحتاجها وتزويده بالمهارات التي تمكنه من التوظيف الأمثل لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ومصادر المعرفة المختلفة. فالتكنولوجيا المعاصرة توفر بيئة تعليمية مناسبة تتيح للمتعلم الاستفادة من أنواع متعددة ومختلفة من مصادر التعلم، وتهيئ له فرص التعلم الذاتي وتعزز لديه مهارات البحث والاستكشاف. وفي الوقت ذاته تدعم المنهج الدراسي عن طريق توفير مصادر للتعلم ذات الارتباط بالمنهج، وذلك لبعث الفاعلية والنشاط والحيوية فيه.

لم يعد اعتماد أي نظام تعليمي على الوسائط التعليمية مجرد نوع من الترف بل أضحت ضرورة ملحة لأجل النجاعة الإجرائية للنظم التعليمية والتعلمية وقد تطورت هذه الوسائط والوسائل تطوراً مذهلاً في رهننا لارتباطها بنظريات الاتصال .

إن التعليم من أهم المنظومات التي تقوم عليها أسس أي دولة في العالم وترهن مستقبلها من خلال منظومتها التعليمية، فإن كانت تتهد نحو الرقي بإنسانيتها أولتها جل اهتمامها من خلال اندراجها في تكنولوجيا المعرفة المعاصرة وتطويعها والاستفادة من إمكانياتها في العملية التعليمية التعليمية فما هي تكنولوجيا التعليم؟

تعريف تكنولوجيا التعليم¹: هي منظومة متكاملة تعمل على إعداد وتقويم العملية التعليمية لتحقيق أهداف موضوعية باستخدام أحدث الأبحاث والإمكانات التعليمية والتكنولوجية للوصول إلى الأهداف والغايات المناطة بالعملية التعليمية. وقد شهد مجال التعليم في العالم نقلة نوعية في توفير الوسائل والأجهزة الفعالة لمساعدة المتعلم والمعلم على التعلم بسهولة كما توفر له القدرة على الإبداع بشكل فعال في الدراسة. وتشمل وسائل التعليم الحديث الوسائط الإلكترونية كالحاسوب والأقراص التعليمية المضغوطة والفيديو العادي والتفاعلي واللوحات والهواتف الذكية والوسائل السمعية البصرية كالتلفزيون والراديو والمسجلة.... الخ.

دور التكنولوجيا في التعليم²: للتكنولوجيا دوراً فعالاً في التعليم نخترله في النقاط التالية:

- 1- من خلال الطرق التقليدية في التعليم يستغرق المعلم أياماً في البحث عن موضوع ما، أما في رهننا فقد أصبحت التكنولوجيا مصدراً غزيراً من المعلومات كالموسوعات والقواميس والخرائط وغيرها من المصادر المعلوماتية، فيقطع الإنترنت في الولوج إلى قواعد البيانات والمعلومات بصورة أسهل وأسرع دون إجهاد.

- 2- تغيير التكنولوجيا بشكل جذري المستوى التعليمي الخاص بالمدرس وتنمي قدراته الشخصية في شرح المحتوى وإعطاء فرص أكبر وأسهل في فهم وتلقي المتعلم للمادة العلمية، فدور التكنولوجيا هو ترشيد جهد المعلم وتغيير طرائق الشرح والتعليم.
- 3- إن الحاسوب والوسائل المماثلة³ من هواتف ولوحات ذكية وغيرها ببرامجها ووظائفها المختلفة في مجال التعلم تحفز على اكتشاف المواهب الجديدة وتنمية القدرات العقلية في مختلف المواد إلى جانب أن الانترنت يمكن المتعلم من المشاركة في النشاطات الدراسية وتبادل المعلومات.
- 4- تكنولوجيا التعليم بمعناها الشامل تضم الطرق والأدوات والأجهزة والمواد والتنظيمات المستخدمة في نظام تعليمي معين بغرض تحقيق أهداف تعليمية محددة من قبل، والأخذ بأسلوب الأنظمة بإتباع منهج وأسلوب وطريقة في العمل تسير في خطوات منظمة باستخدام كل الإمكانيات التي توفرها التكنولوجيا من نظريات التعليم والتعلم.

أهميتها في التعليم والتعلم⁴

- أ/ تعمل تكنولوجيا التعليم على إدخال مفاهيم جديدة على عملية التعلم.
- ب/ تدخلها في كل الاستراتيجيات التعليمية وتعمل على إثرائها بالوسائل الحديثة.
- ج/ تعمل على تفعيل المشاركة الفعالة بين المعلم والمتعلم باستخدام الوسائل التكنولوجية.
- د/ تعمل على تقويم وتقييم عملية التعلم باستمرار.
- هـ/ يضمن استخدام الوسائل والوسائط التكنولوجية في العملية التعليمية إدخال تحديثات دائمة وبشكل مستمر وفعال بحيث يضمن فاعلية أكبر للعملية التعليمية.
- و/ استخدام الوسائل التكنولوجية يعمل على تزويد المتعلم بمعلومات غنية في كل مجالات العلوم والمعارف عن طريق توسيع قاعدة المعلومات والبيانات الخاصة بأي موضوع تعليمي.
- ز/ تعمل الوسائل التعليمية على الزيادة من الإدراك الحسي فقد تلعب الرسوم التوضيحية والأشكال البيانية دوراً هاماً في إيضاح الكلمات المكتوبة للمتعلم وتقرّب المحتوى المراد توصيله.
- ح/ تساعد وسائل تكنولوجيا التعليم في فهم المتعلمين وقدرتهم على التمييز بين الأشياء والتفرقة بينها.
- ط/ تمكن الوسائل التكنولوجية المتعلم من اكتساب مهارات معينة كالنطق الصحيح ومهارات رياضية معينة عن طريق الأفلام المتحركة مثلاً.
- ي/ تلعب الوسائل والوسائط التعليمية عمليات استفزاز للمتعلم مما يحدو به إلى تنشيط القدرة على التفكير وتدريبه على التفكير المنظم وحل المشكلات التي يواجهها.
- ك/ تنويع الخبرات حيث يمكننا عن طريق استخدام الوسائل التعليمية وتنويعها أن نقدم للمتعلم فرص للمشاهدة وأخرى للاستماع ثم الممارسة والتأمل فنرسخ لديه المفاهيم بإشراك جميع الحواس.
- ل/ زيادة الثروة اللغوية عن طريق تعدد الوسائل والوسائط التعليمية مما يكسب المتعلم ثروة لغوية من خلال ما يسمع ويشاهد من مواقف تحتوي على ألفاظ جديدة قد تكون ذات معنى له.
- م/ بناء المفاهيم، يمكن عن طريق تنوع الوسائل التعليمية أن نصل بالمتعلم إلى التعميمات والمفاهيم العامة.
- ن/ تنمية القدرة على التذوق من خلال عرض الأفلام والصور يمكن تعويد المتعلمين منذ الصغر على تذوق الجمال في الطبيعة وفي اللغة وفي الفنون.
- ص/ اختزال واختصار زمن العملية التعليمية التعليمية عن طريق الاستفادة واستعمال بعض الوسائل والوسائط التعليمية حيث تمكننا من عرض كثير من المعلومات في وقت قصير نسبياً.

ف/ تتنوع وسائل ووسائط تكنولوجيا التعليم ومن ثمة تتنوع أساليب التعليم وتتنوع الخبرات المتعلمة من أجل مواجهة الفروق الفردية بين المتعلمين.

ع/ إن تكنولوجيا التعليم تجعل من المحتويات المتعلمة باقية الأثر ومرسخة أكثر.

ش/ عن طريق تكنولوجيا التعليم يميل المتعلم للتعلم و بها تتحسن العملية التعليمية ككل. دورها في مواجهة المشكلات التربوية⁵: إن التغيرات المتلاحقة التي تمر بها حضارة الإنسان المعاصر على مختلف الصعد الصناعية والسياسية والاقتصادية حدا بالمنظومات الثقافية والنظم التعليمية لمواجهة هذه التغيرات الثابتة التغير والمشكلات والمفاهيم المتجددة التي أحدثتها هاته المتغيرات والتي من بينها:

1/ الانفجار المعرفي: إن رهننا المعرفي المتشضي يزداد بمعدلات كبيرة وهذا التراكم في حجم المعرفة وتضخمه بسرعة اكبر يمكن النظر إليه من خلال:

- أ- النمو المضاعف لحجم المعرفة وزيادة حجم المعلومات. بتضاعف جهود الأبحاث العلمية.
- ب- استحداث تعريفات وخوننة جديدة للمعارف الإنسانية وما تتفتق عنه عبقرية الإنسان.
- ج- ظهور ارمادة تقانية جديدة مثل التلفزيون والفيديو والأجهزة الذكية التي بدأ استخدامها في العملية التعليمية التعليمية.

2/ الانفجار السكاني: ازداد تعداد سكان العالم بفضل التقدم العلمي في صحة الإنسان وهذا الازدياد في العدد انعكس على هياكل التعليم وأدى ذلك إلى:

- الاستعانة بالوسائل الحديثة مثل الدائرة التلفزيونية المغلقة.
- طراً تحول في دور المعلم إلى تهيئة مجالات الخبرة للمتعلم وتوجيه عملية التعلم.
- ابتداء نظم جديدة تحقق أكبر قدر من التفاعل التعليمي باستخدام الوسائط والأجهزة، ولهذا يلجأ إلى استخدام البرمجيات في تأمين فرص التعلم وإتاحته لأكبر عدد ممكن من المتعلمين للتغلب على مشكلة الأعداد الكبيرة من المتعلمين.

3/ زيادة كفاءة المعلم: إن هذا التطور المذهل في ميدان التكنولوجيا التعليمية وتنوع وسائلها

ووسائلها على جانب ازدهام الفصول والمدرجات يحتاج الى كفاءات تعليمية ترتفع الى مستوى التحديات الراهنة نظراً لتطور فلسفة التعليم وتحديد دور المعلم في العملية التعليمية التعليمية.

4/ انخفاض مردود العملية التعليمية: نتيجة لازدهام الفصول والقاعات أصبحت محاولة رفع المستوى العلمي والمعرفي ورفع مستوى التعليم وتحسين أداء المتعلم في ظل هذا الازدهام وتعدد المناهج والمقررات والمساقات التي ينبغي أن يدرسها المتعلم وجب الاعتماد على الوسائل التكنولوجية المبرمجة للتعليم لإثارة الدوافع والميول لدى الدارسين ومراعاة عنصر الجذب والتشويق وتكوين المهارات السليمة.

5/ نقص المؤطرين: إن عمومية التعليم وانتشاره في جميع المستويات سواء أكان التعليم عاماً أم تقنياً أم جامعياً يحتاج إلى كثير من المعلمين والأساتذة ذوي الكفاءات الخاصة في جميع المجالات والذي يتعذر توفرهم بالأعداد اللازمة لسد احتياجات المدارس والمعاهد والجامعات ومعاهد البحوث التي يزداد عددها يومياً وهذا يستدعي عمل المؤسسات التعليمية على استقطاب الكفاءات ذوي الخبرات والتجارب العلمية مما يستدعي الاستفادة من هذه الطاقات على أوسع نطاق عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري كالتلفاز التعليمي وحتى استثمار الأقمار الصناعية.

مصادر التعلم في تكنولوجيا التعليم⁶

درج المربون في تسمية الوسائل التعليمية بأسماء شتى منها وسائل الإيضاح، الوسائل البصرية، الوسائل السمعية، الوسائل المعينة، الوسائل التعليمية، وأحدث تسمية لها هي تكنولوجيا

التعليم التي تعني علم تطبيق المعرفة في الأغراض العلمية بطريقة منظمة، وهي بمعناها الشامل تضم جميع الطرق والأدوات والأجهزة والتنظيمات المستخدمة في نظام تعليمي بغرض تحقيق أهداف تعليمية محددة.

المكونات: تتكون تكنولوجيا التعليم من نظريات وتطبيقات وعمليات ومصادر.

أ/ النظرية والتطبيق، لكل مجال أو نظام دراسي قاعدة معرفية تعتمد عليها الممارسة والتطبيق، وتنتج هذه المعرفة النظرية المكونة من المبادئ والمفاهيم والافتراضات من البحوث أو الممارسة التي تزودنا بمعلومات نتيجة لمرور الفرد بخبرات حياتية.

ب/ تتكون مصادر التعلم من العناصر التالية: (التصحيح، والتطوير، والاستخدام، والإدارة، والتقييم). وتشير هذه المصطلحات إلى خمسة مكونات أساسية في تكنولوجيا التعليم ولكل منها قاعدة معرفية تقوم على ممارسة وتطبيق أي وظيفة معينة.

ج/ العمليات: وهي سلسلة من الإجراءات الموجهة نحو تحقيق هدف مثل عملية التصميم وعملية نقل الرسالة.

د/ المصادر: تستخدم لكي تساند التعليم وتشمل الأفراد والتسهيلات المادية والميزانية والموارد والمواد والأجهزة وغير ذلك مما يدعم التعلم.

والهدف النهائي لتكنولوجيا التعلم هو إحداث التعلم⁷ والتأكيد على مخرجات التعلم لأنه هو الهدف والتعليم ما هو إلا وسيلة إليه.

هـ/ الأفراد: من مدرسين ومشرفين ومساعدتي المعلمين (مصادر تعلم بالتصميم)، كما يضاف إليهم المهنيون من البيئة مثل الأطباء، والمهندسين، والمحامين، والشرطيين، والعسكريين، وكل الذين يستخدمهم المدرس في تعريف دورهم للمتعلمين (مصادر تعلم بالاستخدام).

و/ المحتوى التعليمي: هو مجموعة من الأفكار والرموز والبيانات والمفاهيم والمبادئ والنظريات والميول النفس حركية والاتجاهات والقيم، وهذه تصاغ في صورة كلمات أو رسوم أو صور سينمائية متحركة أو فيديو أو أقراص مضغوطة حاسوبية.

ز/ المواد: هي الأشياء التي تحمل محتوى تعليمي فإذا كانت المواد قادرة على نقل التعلم فتسمى (وسيط)، مثل البرامج والأصوات والفيديوهات، أما إذا كانت لا تنقل التعليم كاملا إلى المتعلم فيطلق عليها مواد ولا تسمى وسائط.

ح/ الأماكن: المراد بها الأماكن والبيئات التي يتم فيها تفاعل المتعلم مع المصادر الأخرى للتعلم مثل المكتبة المدرسية والمختبر والمبنى المدرسي.

ط/ الأجهزة والتجهيزات: المراد بها الأجهزة والأدوات التي تستخدم في إنتاج المصادر الأخرى أو في عرضها من مثل: الكاميرات، وآلات التصوير، والحواسيب، والهواتف الذكية، واللوحات الذكية... الخ.

ي/ الأساليب: هي مجموعة الطرائق والاستراتيجيات وخطوات العمل التي يقوم بها الأفراد، أو تستخدم بها المواد التعليمية والأجهزة والوسائط التعليمية.

للسائل التعليمية رتب حسب أهميتها ووظيفتها وفعاليتها في عملية التعليم والتعلم كمايلي:

أ/ تعليم مجرد: الرموز اللفظية، الرموز البصرية، الوصف، ضرب الأمثال، القصص وسرد الأحداث التاريخية، التشبيه والقياس... الخ.

ب/ تعليم مصور: الصور الثابتة، والتسجيلات الصوتية، والراديو، والصور المتحركة، الأفلام، التلفزيون، والفيديو، المعارض والمتاحف، الزيارات والرحلات الميدانية، والتوضيحات العملية، وهذه الوسائل تساعد الحواس الخمس في تقوية المدركات وجعل المتعلم أكثر اتقانا.

ج/ تعليم مباشر: الخبرات الممارسة والممثلة، والخبرات المعدلة، والخبرات المباشرة الهادفة، وتتضمن الخرائط، والرسوم، والخطوط البيانية، ولوحات الإعلانات، وكذا المختبرات والتجارب العلمية، واستخدام الأجهزة، والأشياء، والنماذج من حيوانات ونباتات، وحبوب، وأحجار، ومعادن وغيرها....إلخ.

الأجهزة التكنولوجية⁸

أولا/ جهاز التلفزيون⁹: أصبح التلفزيون من أكثر الوسائل الاتصالية فاعلية في تثقيف الجماهير والتأثير في سلوكها على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم التعليمية سواء أكان ذلك داخل المؤسسات التعليمية أو خارجها، ويعد التلفزيون من أكبر المؤسسات الثقافية وأهمها في المجتمع لما له من أثر في تعديل السلوكيات وتغييرها وعلى هذا فالتلفزيون من أكبر المؤثرين في الثقافة الإنسانية بوجه عام.

منذ ظهور التلفزيون أدرك التربويون أهميته في العملية التعليمية فخطوا لاستثماره في هذه العملية فمذ ظهوره استجاب المربون لهذه التكنولوجيا على اعتبار أنها قوة تعليمية يختلف وقعها من جماعة إلى أخرى، فالأبحاث والدراسات التجريبية وخبرات المعلمين تؤكد الفوائد لمثل هذه الوسيلة في عمليات التعليم والتعلم. وننبه إلا أن التلفزيون التربوي المتخصص في التعليم ينبغي أن يحقق في أدنى تقدير بعض المهارات اللغوية.

المهارات اللغوية¹⁰: لا تنحصر قابلية التلفزيون لتعليم اللغة في مجال دون غيره ذلك أن جميع المهارات صالحة لان تعلم عن طريق التلفزيون وإن كان ذلك بنسب متفاوتة ونجمل هذه المهارات فيما يلي:

أ- الكتابة أي الرسم الكتابي.

ب- القراءة وتتضمن سلامة النطق واللفظ كلمة كان المقروء أم جملة.

ج- الصرف أو البناء الداخلي للمفردة وما يتفرع منه من اشتقاق وصيغ ومباني.

د- النحو والتركيب حيث يستطيع المشاهد أن يقف على اثر كلمة في النص و في التي تليها وعلامة ذلك الأثر.

ومن خصائص التلفزيون:

1/ التثقيف والتعليم: للتلفزيون أهمية خاصة في هاذين المجالين، وذلك يعود لقدرات التلفزيون

الكبيرة ففيه الصورة المسموعة والمعروف أن هذه الصورة لها أثرها التعليمي، فهي تزيد من وضوح الكلمة مما يؤدي إلى زيادة في فهم معناها، والكلمة نفسها توضح ما تتضمنه الصورة من أفكار ودلالات ومعاني ومفاهيم وهذا كله يسهم في فهم الموضوع واستيعابه، كما يتيح نقل أحداث ووقائع ومعلومات علمية دقيقة تعجز بقية الإمكانيات الأخرى عن الوصول إليها.

2/ التربية: لم يقف التلفزيون عند حد التعليم بل تعدى إلى التربية و صار له دور هام في تربية الجمهور و بخاصة الأطفال كما له تأثير في ترسيخ منظومات القيم والمبادئ والأخلاق والسلوك كما يقوم بوظيفة التربية الفنية و الجمالية.

3/ ينطوي التلفزيون على خصائص جامعة¹¹ من حوار وحدث وتمثيل وشاشة وعرض حيث يقدم الواقع كما هو مصورا.

4/ إشراك حاسة السمع والبصر في عملية التلقي، وهي ميزة من أهم خصائص التلفزيون، فالصورة الحية المرئية لها أهميتها وفعاليتها في جذب المشاهد، كما تشكل قدرة على التأثير على عواطفه، فالصورة الحية أحسن الوسائل إقناعا، فالرؤية أو البصر أكثر استخداما في اكتساب المعلومات، ويعتبر التلفزيون من أكثر وسائل الإعلام إيضاحا، وقدرة على التفسير والتوضيح، فهو يحيل المعلومات والأفكار المجردة إلى صور حية قابلة للفهم والإدراك.

ثانياً/ جهاز الفيديو العادي والتفاعلي¹²:

هو وسيلة من الوسائل التكنولوجية الحديثة المستخدمة في مجال الاتصال، حيث قام بقفزة نوعية كبيرة في سلسلة التطور، والتقدم التكنولوجي التواصلي، فهو طريقة هامة وفعالة من طرق الاتصال لما له من ميزات وخصائص تؤكد على دوره في العملية التعليمية، فهو وسيط تعليمي كأداة فعالة في عملية التعلم ونقل المعارف، والمعلومات والمهارات والاتجاهات وكذا قواعد التفكير والسلوك العلمي السليم إلى المتعلمين.

ومما تقدم يتم مراعاة شروط ومقومات محددة لاستخدامه، حيث إن الفيلم التعليمي للفيديو له مكونات فنية وتعليمية لا بد من تكاملها عن طريق مشاركة كافة المتخصصين العلميين لتقديم المادة التعليمية العلمية في مجال ما، والتي ينبغي أن تساير العمر الزمني والعقلي للجمهور المستهدف ثم مراجعتها ومعالجتها فنياً وعلمياً من قبل متخصصين وصياغتها في صورة أهداف معرفية ومهارية ووجدانية لتحقيق أقصى استفادة.

خصائص الفيديو هي:

- أ- تقديم المعلومات والأفكار الجديدة في صورة سهلة وبسيطة ومفهومة.
 - ب- إطالة فترة تذكر المعلومات والأفكار الجديدة لدى المتلقي لمدة أطول.
 - ج- المساهمة في تنمية القدرات الذهنية لحل المشكلات بطريقة علمية.
 - د- قصر الوقت المستخدم لتعليم الأفراد ونقل الخبرات المستهدفة إليهم.
 - هـ- القدرة على عرض استمرارية الحركة في صورتها الطبيعية كما تحدث في الواقع.
 - و- سهولة تقديم ما يحدث من اختراعات واكتشافات علمية في شتى المجالات.
 - ز- إمكانية إعادة عرض الأجزاء التي يراها المتعلم ضرورية أو إيقاف الشريط حسب الرغبة.
- الفيديو التفاعلي:** هو نظام بني على أساس الخصائص التفاعلية للحاسوب، ويربط بين نظامي الكمبيوتر والفيديو دسك، حيث تكون برامج الفيديو وبرامج الحاسوب تحت تحكم المتعلم، ويمكن تشغيله بقلم ضوئي أو الفأرة أو لوحة المفاتيح للحصول على مصادر متعددة للتعلم في وقت قليل، واختيار التتابعات المطلوبة من صور الفيديو والصوت والنصوص ورسوم الكمبيوتر أو الصور الثابتة.

الإمكانيات التعليمية للفيديو التفاعلي¹³:

- 1/ يتمتع الفيديو التفاعلي بتكنولوجيا تتيح للمتعلم مشاهدة تتابعات الفيديو ثم طرح أسئلة بواسطة الحاسوب، وهنا يستقبل الحاسوب ويدخل استجابات المتعلم ويعمل على تقسيمها ثم يدخل تغذية راجعة وتعزيزاً فورياً مع الاحتفاظ باستجابته للمتعلم.
- 2/ يتيح للطلاب التعلم تبعاً لقدراتهم الخاصة ويسمح للإعادة والتعديل والمراجعة طبقاً للرغبة.
- 3/ عند استخدامه كوسيلة للشرح فإنه يستطيع حث المعلم على العمل بدرجة أكثر قرباً من المتعلمين.
- 4/ قادر على تحفيز الطلاب الذين يظهرون شغفاً باستخدام هذه الآلة المستحدثة فهي ممتعة ومسلية يستفيد منها المتعلمين أكثر من استفادتهم من الكتب.
- 5/ يزيد القدرة على فهم المفاهيم الصعبة كما يوفر قاعدة بيانات حية لتعزيز أي مشروع ومناقشته، فهو يمتلك مزايا تتجاوز الموارد التقليدية بسبب سرعته في استرجاع المعلومات وحجم قواعد البيانات.
- 6/ يوفر الفيديو التفاعلي مرونة السيطرة حيث يمكن استخدام الدليل من أجل الاستجابة للاتجاه الذي تتحرك فيه المناقشة أو المشروع بدلاً من توجيهه.
- 7/ تعطي الطريقة التفاعلية للمتعلمين فرصة السيطرة والمشاركة الإيجابية.

8/ يوفر فرصة التعلم البناء لأنه يدعم بعض العمليات المعرفية الضرورية للتعلم كذلك الجوانب الفعالة للحفز والمتعة.

9/ تشجع التكنولوجيا التفاعلية المتعلمين على الملاحظة المشتركة والتحليل الوثيق.

ثالثاً/ جهاز العرض الإسقاطي¹⁴:

يعتبر جهاز الإسقاط الضوئي من أهم وسائل الاتصال البصرية وأكثرها انتشاراً وهو جهاز عرض قادر على إسقاط صورة كبيرة ثابتة وساطعة على شاشة. وهي صورة لمادة تعليمية موضوعة على منصة على الجهاز وهذه المادة التعليمية عبارة عن كتابة أو رسوم على صفحة من البلاستيك الشفاف ندعوها شفافة وقد تكون المادة التعليمية أجساماً وأشكالاً صغيرة معتمدة أو شفافة ملونة وغير ملونة. ويوجد جهاز العرض الإسقاطي قبولاً لدى جميع مستويات التعليم ومجالات الاتصال الأخرى. ويتميز بميزتين هما:

- يمكن عرض الشفافيات (المادة التعليمية) في ضوء الغرفة العادية دون حاجة لإظلامها، إلا إذا كانت الشاشة معرضة لضوء الشمس المباشر.

- تعتبر الشفافيات من أكثر الوسائل التعليمية الحديثة استخداماً في المدارس، ولا تخلو مدرسة في الدول المتقدمة من عدد وفير من أجهزة عرض هذه الشفافيات، وتكتسب هذه الوسيلة أهميتها وسرعة واتساع انتشارها من عوامل عدة تعتبر من مميزات طريقة التدريس بها، تلك المميزات التي يعرفها ويشعر بها كل من المعلم والتلاميذ.

ماهية الشفافية: هي وسيط من البلاستيك الشفاف تسجل عليها مادة تعليمية، كما أنها عبارة عن شرائح كبيرة لأنها تعرض صوراً كبيرة واضحة، كما يمكن للشفافيات تقديم مفاهيم وعمليات وحقائق مصورة لمجموعة صغيرة أو كبيرة داخل القسم التعليمي.

رابعاً/ أجهزة عرض الشرائح¹⁵:

1/ جهاز عرض الشرائح: يعد هذا الجهاز من أجهزة الإسقاط الضوئي ذات الفعالية الجيدة في إثارة اهتمام المتعلمين وله عدة مسميات منها الميكرو فيلم والميكرو فيش والدياسكوب.

2/ الميكرو فيلم: هو عبارة عن شريط فيلمي ملفوف حول بكره فيلمية عرضه إما 16مم أو 35مم، أما من ناحية الطول فهو حسب انتهاء المادة، يصور عليه كمية هائلة من الوثائق مثل المخطوطات والدوريات والرسائل العلمية والمستخلصات والبيولوجرافيات، وتكون حوافه خالية من الثقوب الفيلمية لكي تستغل المساحة كلها للتصوير.

3/ جهاز عرض الشرائح الناطق ذو شاشة عرض ذاتية ويتميز باحتوائه على شاشة مثل التلفاز بالإضافة إلى التسجيل الصوتي المتزامن مع العرض .

خامساً/ الحاسوب¹⁶: يعد الحاسوب ناتج من نواتج التقدم العلمي والتقني المعاصر، كما يعد في

الوقت ذاته أحد الدعائم التي تقود هذا التقدم وهو محور اهتمام المعلمين والمهتمين بالعملية التعليمية التعلمية . وينبغي علينا أن نستثمر الحاسوب في تحديث التعليم والتعلم، ولكن هذا العمل سيتطلب منا جهداً كبيراً، إذ لا بد -دائماً- من أخذ الحيطة والحذر، ثم إن حسن استعمال الحاسوب في عمليتي التعليم والتعلم سيجلب للمتعلم والمعلم فوائد جمّة، أقلها توفير الوقت وتقريب البعيد والحصول على كل المعلومات التي يبحث عنها كل من المتعلم والمعلم؛ فعلى عاتق المعلم يجب أن يكون متقناً لاستعمال الحاسوب ومن جانب المتعلم فعليه أن يحترم توجيهات معلمه، ولا عيب في أن يضيف المتعلم معارف جديدة إلى معارفه المكتسبة، إذ المعلم في عصر التكنولوجيا هذا ليس له دور غير التوجيه والتنبيه والإشراف.

إن هذا العمل الجبار يحتاج إلى الدعم المادي الذي تقدمه الدولة لكل المؤسسات التعليمية بدءاً من المدارس إلى الجامعات، والدعم المعنوي المتمثل في الصبر على التعلم في العملية التعليمية، بالإضافة إلى التنويه بأهمية الكتاب في حياة الناس كلهم وخاصة طلبة العلم؛ تجنباً لأخطار المكوث أمام الحاسوب فترة طويلة، واتقاءً كذلك للقطيعة التي قد تحدث بين الباحثين والكتاب والمكتبات، لذلك يجب تحفيز المتعلمين ببيئة معززة تكنولوجياً في كل قسم من أقسام المدرسة أو بعض الأقسام، على أن يتناوب الطلبة على تلك البيئة مرة أو مرتين في الأسبوع كي يتفاعلون على هذا الوافد الجديد الذي يفرض نفسه كونه من مقتضيات العصر.

سادساً/ **الهواتف واللوحات الذكية في التعليم**¹⁷ : الألواح الذكية هي حالة وسطى بين الحاسوب والهاتف فهي حل وسط بينهما وهي جهاز مصمم لمحاكاة الدفتر حيث يتيح استخدام الكتابة بالقلم ويمكن ملاحظة الخصائص التالية له:

- شاشة حساسة للقلم.
- شاشة تفاعلية للمس.
- الاتصال اللاسلكي بالشبكات المحلية أو بواسطة تقنية البلوتوث.
- ميكروفون ومكبرات صوت مدمجة .
- لوحة مفاتيح مدمجة من خلال اللمس كما يمكن استعمال لوحة مفاتيح منفصلة.

مزايا استعمال الألواح الذكية في التعليم¹⁸ :

- غزت الأجهزة اللوحية والهواتف الذكية الأسواق والمنازل وحتى المدارس وبات من الضروري استغلال هذه التقنيات لما يفيد المتعلم في تحصيله الدراسي ولعل أهم مزايا هذه العملية هو:
- 1- الفعالية: أثبتت الدراسات أن الطلاب يحققون نسب اكبر من التعلم عند استخدام الأجهزة الذكية، فالحافزية، وحب كل ما هو تكنولوجي، يسهل عملية استجابتهم للدروس، ويرسخ المواد التعليمية لديهم على المدى البعيد.
 - 2- الانتشار: أغلب المتعلمين يتوفرون على أجهزة ذكية أو هواتف محمولة متطورة، وهذا يشكل ميزة مهمة ينفرد بها التعلم بواسطة هذه الوسائل.
 - 3- المرونة: يمكن للشخص أن يتعلم بالوتيرة التي تناسبه، ويختار ما يحبه من المواد التعليمية حسب ميولاته، وقدراته، وأوقات فراغه.
 - 4- الاستمرارية: إن التعلم باستعمال الهواتف واللوحات الذكية يضمن استمرارية عملية التعلم و اكتساب المعارف والمهارات من الصغر حتى سن متأخرة، وفي أي وقت من الليل أو النهار. و بالإضافة إلى ما سبق يمكننا ملاحظة الميزات الجانبية التالية :
- سهولة الاستخدام .
 - التواصل والتفاعل المستمر.
 - خفة الوزن وسهولة الحمل .
 - التطبيقات الحديثة والتفاعلية.
- * إن الأجهزة اللوحية والهواتف الذكية ونظراً للوظائف الكثيرة التي يمكن إنجازها عن طريقها بكفاءة عالية وربما كان من اكبر هذه الوظائف أهمية هي استخدامها كأداة تعليمية بدل عن الدفاتر و الكراسات وحتى الكتب المدرسية والحقائب.
- * ستحول الأجهزة اللوحية المهمة التعليمية إلى وظيفة دائمة لا ترتبط بالزمان والمكان .
- * العملية التعليمية حينما تمارس عن طريق الأجهزة اللوحية في تواصل المتعلمين مع معلمهم لا شك أن هذا التطور سيمثل نقلة نوعية للعملية التربوية برمتها نحو العصر الرقمي.
- * يمكن أن تحتوي الأجهزة الرقمية على الكتب المدرسية بشكل الكتروني ويسهل الوصول إلى أي كتاب بلمسة واحدة على الجهاز.

* أصبح الجهاز اللوحي من الأدوات اللازمة لدخول مرحلة التعليم التكنولوجي المتطور دائما.
* توفير الحل الأوسع للمتعلم للتعلم السريع والذاتي.
سابعا/التعليم عن طرائق الوسائل المسموعة¹⁹ :

1/ التسجيلات الصوتية التعليمية: هي مواد تعليمية تؤثر في إدراك الفرد للمعرفة من خلال حاسة السمع، ويمكن نقلها من خلال وسائط عديدة منها أشرطة الكاسيت، اسطوانات الاوديو.....الخ.
فوائد التسجيلات الصوتية:

- أ- رخيصة الثمن ومتوافرة بكثرة وسهلة الاستعمال.
 - ب- يمكننا محو ما هو على الشريط والتسجيل عليه من جديد في أي لحظة نشاء.
 - ج- يمكن لهذه الوسائل أن تقدم وسائل لفظية أكثر إثارة مما تقدمه المواد المطبوعة .
 - د- يمكن عمل نسخ كثيرة من تسجيلات الكاسيت العادي.
- مقاييس تعتمد عند اختيار المواد السمعية:
- * الدقة في المعلومات التي تعرضها الوسيلة.
 - * وضوح الصوت.
 - * أن تسمح بالمشاركة الفعلية للمتعلمين.
 - * أن تثير اهتمام المتعلمين وتشوقهم لموضوع الدرس.

2/الإذاعة المسموعة: برامج الراديو التعليمية المبنوثة على الهواء غالبا ما يستند لها المعلم بأشرطة الكاسيت لأنها أكثر مرونة واقتصادا مع انه يمكن الاستماع للبرنامج الإذاعي مباشرة على الهواء

ولكن يتطلب جهدا من المعلم في متابعة البرامج الإذاعية التعليمية التي تناسب مادته الدراسية وخصائص المتعلمين كما يساعد استعمال الراديو التعليمي في إيصال الدروس إلى المتعلمين بأقل التكلفة

3/الراديو التعليمي التفاعلي²⁰: عندما يستعمل الراديو في تزويد المتعلمين بدروس فعالة حيث يعرض قليل من المعلومات في قضية ما. أما الأسئلة فيجيب عنها المتعلمين جماعيا عن طريق الهاتف أو الرسائل القصيرة.

بعض الوسائل التعليمية الأخرى²¹

1/ الرسوم التعليمية: هي إحدى أنواع الوسائل التعليمية وأكثرها استخداما لسهولة الحصول عليها و توافرها من حولنا وسهولة التعامل معها وإعدادها، فهي عبارة عن مواد مرسومة أو رموز خطية بصرية تصمم من أجل تلخيص المعلومات وتفسيرها والتعبير عنها بأسلوب علمي وعلى هذا فهي تستخدم في العملية التعليمية. كما يمكن حصرها في ما يلي:

- أ- رسوم تعليمية متحركة كأفلام الكرتون التعليمية.
- ب- رسوم تعليمية ثابتة ويمكن تصنيفها حسب نفاذيتها للضوء :
* رسوم تعليمية ثابتة شفافة . * رسوم تعليمية ثابتة معتمة .
ويشتمل هذان النوعان على خمسة أنواع هي:
- * الرسوم البيانية و منها (الأعمدة البيانية، والخطوط البيانية، الصور البيانية، الدوائر البيانية، المساحات البيانية).

- * الرسوم التوضيحية وهي تلك الرسوم التي توجد على أسطح بلاستيكية أو ورقية أو حديدية و القصد منها توضيح تركيب الشيء أو كيفية عمله أو وصف طريقة تشغيله.
- ج- الملصقات: الملصق التعليمي نوعان، فهو إما أن يدعو ويحث على سلوك معين كالمحافظة على النظام أو النظافة وإما أن يحذر من موضوع معين .

د- المصورات: المصور التعليمي يضم رسوماً أو بيانات أو أرقاماً أو تعليقات لفظية أو جداولاً... الخ.

هـ- الخرائط التعليمية: طبيعية، جيولوجية، مناخية، سياسية، اقتصادية، سياحية، سكانية... الخ. و من معايير إنتاج الرسوم التعليمية ما يلي:

1- تحديد الأهداف و صياغتها صياغة سلوكية.

2- تحديد المحتوى واختيار الموضوع.

و قد صنفت الوسائل التعليمية إما على حسب الهدف منها أو الحاسة التي تتأثر بها أو الخبرة التي تقدمها.

الإحالات:

- 1 - ينظر، جمال عبد الرحيم: تصميم وانتهاج الوسائل التعليمية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الاردن، عمان، 2008، ص7.
- 2 - ينظر، السابق، ص 8 وما بعدها.
- 3 - ينظر، جمال الشرهان: الوسائل التعليمية ومستجدات تكنولوجيا التعليم، ط1، الرياض، 2000، ص92.
- 4 - ينظر، احمد سالم: وسائل وتكنولوجيا التعليم، مكتبة الرشد، الرياض، 2004، ص 35.
- 5 - ينظر، جمال عبد الرحيم: تصميم وانتهاج الوسائل التعليمية، ص 8.
- 6 - ينظر، عواطف عبد المجيد: إنتاج الوسائل التعليمية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر، 2010، ص8.
- 7 - ينظر، احمد سالم: وسائل وتكنولوجيا التعليم، ص46 وما بعدها.
- 8 - ينظر، جمال عبد الرحيم: تصميم وانتهاج الوسائل التعليمية، ص16.
- 9 - ماهر صبري: من الوسائل التعليمية الى تكنولوجيا التعليم، مكتبة الشقري، ط1، الرياض، 2010، ص48.
- 10 - السابق، ص62-65.
- 11 - زكي عليان ومحمد الدبس: وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1999 ص316.
- 12 - احمد سالم: وسائل وتكنولوجيا التعليم، ص64.
- 13 - السابق، ص39-40. وينظر كذلك، زكي البغدادي: تعليم العربية عن بعد الواقع والمأمول، ص145.
- 14 - عواطف عبد المجيد: إنتاج الوسائل التعليمية، ص9 وما بعدها.
- 15 - احمد سالم: وسائل وتكنولوجيا التعليم، ص37.
- 16 - ينظر، إبراهيم الفار: تربيوات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الواحد والعشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ص54-55. وينظر كذلك، جمال عبد الرحيم: تصميم وانتهاج الوسائل التعليمية، ص16 وما بعدها.
- 17 - ينظر، ميساء أبو شنب: تكنولوجيا تعلم اللغة العربية، رسالة ماجستير، مجلس كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، 2007، ص108.
- 18 - زكي البغدادي: تعليم العربية عن بعد الواقع والمأمول، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، 2015، ص156-157.
- 19 - ميساء أبو شنب: تكنولوجيا تعلم اللغة العربية، ص110-111.
- 20 - إبراهيم الفار: تربيوات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الواحد والعشرين، ص55. وما بعدها.
- 21 - زكي البغدادي: تعليم العربية عن بعد الواقع والمأمول، ص156-157.

مراجع ومصادر البحث:

- احمد سالم: وسائل وتكنولوجيا التعليم، مكتبة الرشد، الرياض، 2004.
- إبراهيم الفار: تربيوات الحاسوب وتحديات مطلع القرن الواحد والعشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004.
- جمال الشرهان: الوسائل التعليمية ومستجدات تكنولوجيا التعليم، ط1، الرياض، 2000.
- جمال عبد الرحيم: تصميم وانتهاج الوسائل التعليمية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الاردن، عمان، 2008.
- زكي عليان ومحمد الدبس: وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1999.
- زكي البغدادي: تعليم العربية عن بعد الواقع والمأمول، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، 2015.
- ماهر صبري: من الوسائل التعليمية الى تكنولوجيا التعليم، مكتبة الشقري، ط1، الرياض، 2010.
- ميساء أبو شنب: تكنولوجيا تعلم اللغة العربية، رسالة ماجستير، مجلس كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية المفتوحة، الدنمارك، 2007.
- عواطف عبد المجيد: إنتاج الوسائل التعليمية، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، مصر، 2010.

التشخيص الأدبي للغة في رواية "جسد الحرائق" لواسيني الأعرج.

د. سامية عليوات.

جامعة البويرة.

ملخص المقال: يقرّ المفهوم الاجتماعي للرواية بأنّها نسق من اللّغات، وأنّ أسلوبها تجميع لأساليب تبعا لطبيعة المتكلمين فيها ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية وانتماءاتهم الإيديولوجية ممّا يجعل الرواية حسب هذا التصوّر جنسا منفتحا على اللّغات الاجتماعية بما هي تعبير عن اتجاهات إيديولوجية تتبادل الجدل والحوار، يتحقّق ذلك بفضل وعي الكاتب باللّغات المتفاعلة داخل اللّغة الواحدة المتجاور والمتصارعة عبر مواقف وقيم لها ارتباطها الوثيق بالسياق الملموس للكلام.

- هذا المقال يبسط القول في مظاهر تشخيص لغات المتكلمين في رواية "جسد الحرائق" من خلال صورة اللّغة: التهجين، تعالق اللّغات القائم على الحوار (الأسلبة، التنويع، الباروديا) والحوارات الخالصة.

الكلمات المفتاحية: الأعرج واسيني، جسد الحرائق، صورة اللّغة، ميخائيل باختين، التعدّد اللّغوي.

The literary personalization of the language in the novel "The Body of Fire" of Ouassini Laredj.

Abstract : The social concept of the novel recognizes that its language and range of languages, and the compilation of style of the methods according to the nature of the speakers and their social and cultural levels and their ideological belonging, which makes the novel a genre open to social languages as the expression of the ideological tendencies that are disputed and dialogued, this is achieved thanks to the awareness of the writer of languages interacting in a single contiguous and conflictual language in through attitudes and values closely related to the concrete context of speech.

- This article simplifies the saying in the aspects of the diagnosis of the languages of the speakers in the novel "The body of the fire" through the image of the language: the hybridization, the correlation of the languages based on the dialogue (stylisation, diversification, Parody) and pure dialogues.

Keywords: Laredj Ouassini, Body of fire, image of language, Mikhail Bakhtin, multilingualism.

1- مقدمة: بديهي أنّ النصّ الروائي لا يتحقّق إلاّ من خلال اللّغة وعبرها، لذلك فهو يوصف بأنه ظاهرة لسانية تتحقّق عبر العلاقات والرموز المحيية بواسطة التلقّف في الرواية.

- يأخذ التشخيص الأدبي للّغة أشكالاً مختلفة تجسّد الملفوظات من خلالها شكلها التعبيري المسحوبة منه أو طبيعة المتلقّفين بها ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية وسياقات تلقّفاتهم.

يسمح منظور التعدّد اللغوي باعتبار اللّغة وعيا وليس تركيبا نحويا، أي أنّه يرى إلى اللّغة، بالإضافة إلى بعدها التواصلية، بوصفها نظاما رمزيا يشكل رؤية الإنسان إلى العالم، وهذا ما تكشفه قراءة هذه الرواية.

2- صورة اللّغة في "جسد الحرائق": يحدث في الكلام العادي أن يلتقي أكثر من وعي لغوي بشكل تلقائي وغير منقطع في ملفوظات المتكلّم الواحد، لكنّه لا يفضي إلى أي بعد جمالي، على عكس ما تقيمه إرادة الكاتب في عمل أدبي، وذلك بإخضاع لغة ووعي إلى لغة ووعي آخرين يتقاسمان الجوار، ويأخذ هذا الفعل أشكالاً متعدّدة على غرار التهجين، تعالق اللّغات القائم على الحوار بما فيه من الأسلبة والتنويع والمحاكاة الساخرة، وأخيرا الحوارات الخالصة بوصفها المكوّن الثالث لصورة اللّغة.

1-2- التهجين (L'hybridisation): يعرف الناقد الروسي "ميخائيل باختين" التهجين بأنّه "التقاء وعين لسانيين مفصولين بحقبة زمنية، أو بفارق اجتماعي، أو بهما معاً".⁽¹⁾ وهو يميّز بين نوعين من التهجين: التهجين الإرادي والتهجين غير الإرادي، فالروائي يوظّف التهجين بشكل إرادي ومقصود، أمّا التهجين الذي يقع عادة بين اللّغات في كلام الناس فهو تهجين غير إرادي لأنّه يدخل في سياق تبادل التأثير المألوف بين اللّهجات واللّغات التي تتعكس في حقل اجتماعي واحد، وهو ليس ذا بعد فني جمالي، لأنّ اللّغات لا تتجاوز بطريقة إبداعية جمالية إلاّ داخل الفن الروائي، الذي يكون فيه التهجين إراديا، مع ملاحظة أنّ الهجنة الروائية ليست ثنائية الصوت والنبرة فحسب، بل هي مزدوجة اللسان، وهي لا تشمل فقط على وعين فرديين بل أيضا على وعين اجتماعيين لسانيين وعلى حقبتين ليستا في الحقيقة مختلطتين، بوعي مقصود، ومن شأن التهجين القصدي إذا وظف بشكل جيد في الرواية أن يضمن لها تعدّدا لغويا وبنائيا بها عن مزلق الأحادية اللغوية⁽²⁾.

تخبر قراءة رواية "جسد الحرائق" واسيني الأعرج عن توفرها على مقاطع سردية كثيرة، امتزجت فيها لغتان اجتماعيتان داخل ملفوظ واحد، وقد استقطب نصّها مختلف اللّغات الاجتماعية التي تثير سمات لسانية تعكس الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها أصحاب هذه اللّغات، وشكل وعيها وتعبيرها عن العالم الذي تعيش فيه، هكذا يقول "كريمو": "تفو تفو على كلّ تليفونات العالم، لا تحمل إلاّ أخبار الشرّ والموت"⁽³⁾ حيث يجمع ملفوظه بين مزيج من اللّهجة العامية واللّغة العربية الفصحى، في سبيل التعبير عن غضبه وشدّة سخطه من هذه "التليفونات" التي أصبحت برأيه، نذير شؤم لأنها كانت في كلّ مرة تحمل له خبر

وفاة أحد أصدقائه. "العالم بخير، والله قالوها"⁽⁴⁾ حيث يخبر هذا الملفوظ عن وجود رأيين مختلفين في ملفوظ واحد، الرأي الأول يمثل البلاد التي ليست على خير كما يراها كريم، والرأي الثاني هو رأي بعض الناس في أنّ الدنيا لا تزال على خير.

وفي ملفوظ آخر، يقول رشيد: "الحياة يا كريمو هي ما نعيشه الآن ونقتسمه مع الذين ينامون بعيدا عنّا، نشاركهم كلّ يوم فراش الحلم والخوف من الخديعة المفاجئة، إيه ما الفرق... ما الفرق بين قطار يجرك إلى غربة بلا اسم، وقطار يعود بك أصداء خبر"⁽⁵⁾.

يكشف هذا الملفوظ عن رأيين أو رؤيتين: رؤية رشيد لحياة الغربة والتهيه والخوف من المستقبل ومن الخديعة المفاجئة التي يحيها في باريس بعيدا عن الأهل ما جعله يعتقد أنّ لا فرق بين قدمه إلى باريس وعودته إلى الوطن في صندوق نعوش، بخلاف ما يراه كريمو الذي يضع حدودا بين مدلولي القطارين، وهي رؤية يتضمّن ملفوظ رشيد: "ما الفرق بين قطار يجرك إلى غربة بلا اسم، وقطار يعود بك أصداء خبر".

2-2- تعالق اللغات القائم على الحوار: يتشكّل هذا المكون لصورة اللّغة في الرواية من ثلاثة عناصر متداخلة، الفصل بينها منهجي أكثر منه معرفي بحكم أنّ مدار اشتغالها هو وجود علائق بين لغة الرواية ولغات أخرى تمارس إضاءة متبادلة وتحافظ على وجود اللّغتين في الملفوظ الواحد⁽⁶⁾، لكننا سنتناول عنصرين فقط هما: الأسلبة والمحاكاة الساخرة.

2-2-1- الأسلبة: (La Stylistique): تعرف الأسلبة بأنّها تشخيص وانعكاس أدبيين للأسلوب اللّساني لدى الآخرين، وفيها يقمّ إلزاميا وعيان لسانيان مفردان: وعي من يشخص (الوعي اللّساني للمؤسلب)، ووعي من هو موضوع التشخيص والأسلبة، و"هذا الوعي اللّساني للمؤسلب ولمعاصريه، يباشر عمله اعتمادا على المادة الأولية للغة المؤسلبة ولا يتحدث المؤسلب عن موضوعه إلاّ من خلال تلك اللغة التي سيؤسلبها والتي هي "أجنبية" بالنسبة إليه، لكن هذه اللغة الأخيرة هي نفسها مقدمة في ضوء الوعي اللّساني المعاصر للمؤسلب، فاللّغة المعاصرة تلقي ضوءا خاصا على لغة موضوع الأسلبة، أنها تستخلص منها بعض العناصر وتترك بعضها الآخر في الظل، وباختصار، إنّها تخلق صورة حرّة للغة الآخرين، لا تترجم إرادة ما يؤسلب فحسب، بل أيضا الإرادة اللّسانية والأدبية المؤسلبة"⁽⁷⁾.

تعتبر الأسلبة فهو مدخلا آخرًا للتّنوع اللّغوي في رواية "جسد الحرائق" إذ يؤسلب المتكلمون لغات الآخرين، على غرار هذا الملفوظ حيث يقول "جاك": "في الفقر سواسية، والزيت في أيدينا شهادة"⁽⁸⁾، تخبر قراءتنا لهذا الملفوظ، عن أسلوب ولغة غيريين يتواريان داخله، فالتكلم هنا يؤسلب حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "الناس سواسية كأسنان المشط" وقد مزج كلامه بالحديث النبوي الشريف لخدمة نواياه الخاصة والتي تعارضت مع قصدية الحديث النبوي الشريف، الذي يحثّ فيه الرسول "صلى الله عليه وسلم" على التساوي بين الناس في كلّ شيء، أما قصدية "جاك" فهي تختلف عن قصدية "الرسول صلى الله عليه وسلم" فبديل التساوي في كلّ شيء، فإنّ المساواة موجودة في الفقر فقط، وهو يشير هنا إلى أنه يجب أن يعيش الرأسمالي، عيشة الفقير حتى يحسّ بمعاناته.

وفي ملفوظ آخر: "... كلّ الأبواب كانت تصفع في وجهها، يوم جاءها الطلق، انتبذت مكانا قصيا ثمّ أغمضت عينيها..."⁽⁹⁾. هنا نقف على أسلبة للآية القرآنية الكريمة من سورة مريم: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا)⁽¹⁰⁾

فقد أسلب المتكلم الآية الكريمة بإخراجها من سياقها في النص القرآني ليوظفها في سياق كلامي فردي، في سبيل أن ينقل لنا صورة "أم مريم" التي خافت من القتل فظلت تبحث عن مكان يستتر عارها ويبعدها عن أذى القبيلة وقوانينها الصارمة.

2-2-2- المحاكاة الساخرة (الباروديا) (La Parodie): المحاكاة الساخرة تقليد لكلام الآخر كما نطق به استخفاً واستهزاء به، وهي نوع من أنواع الأسلبة، لكن في المحاكاة الساخرة يدخل المؤسلب في كلام الآخرين " اتجاها دلاليا يتعارض تماما مع النزعة الغيرية، إنّ الصوت الثاني الذي استقرّ في الكلمة الغيرية يتصادم هنا بضراوة مع سيد الدار الأصلي ويجبره على خدمة أهداف تتعارض مع الأهداف الأصلية تماما"⁽¹¹⁾، أي أنّ المتكلم يتلفظ بكلام الآخرين ويحمله دلالات تتصادم مع النزعة القبلية (قبل المحاكاة الساخرة) للمتكلم، فيصبح الكلام خادما لأهداف تتعارض مع تلك الأهداف التي وضع لها في الأصل، وفي هذه الحال يتعذر امتزاج الصوتين: صوت المؤسلب وصوت المؤسلب، كما في الأسلبة العادية وتتعدّد أنواع المحاكاة الساخرة، فيما يرى باختين، إذ تتجاوز كلام الغير ونبراته والتنغيم إلى محاكاة الأسلوب، السلوك الاجتماعي، طريقة في الرؤية أو التفكير وكلّها أنواع تسهم في تشييد صورة اللّغة و حوارية اللّغات داخل الرواية، وباختصار: تنتج الباروديا في لغة الخطاب الروائي حين لا تتوافق نوايا اللّغة المشخّصة "مطلقا مع نوايا اللّغة المشخّصة، فتقاومها، وتصور العالم الغيري الحقيقي لا بمساعدة اللّغة المشخّصة باعتبارها وجهة نظر منتجة، وإنما عن طريق فضحها وتحطيمها."⁽¹²⁾

إن الباروديا شكل من أشكال التبادل الكلامي المشحونة بحوارية اللّغات والنبرات الاجتماعية، ففيها يتحدث المتكلم بواسطة الآخرين مستعملا كلامهم بأن يدخل فيه اتجاها دلاليا يتعارض كليا مع نزعة الكلام الغيري، ما ينتج عنه خلق تصادم مع صاحب الكلام الأصلي فيجبره على خدمة أهداف تتعارض تماما مع الأهداف التي قصدها الكلام (المتكلم) قبل المحاكاة، وهذا هو قانون هذا الشكل في التصوّر الباختيني.

تزر رواية "جسد الحرائق" بأمثلة المحاكاة الساخرة، ومعظم الملفوظات التي وردت فيها تتعلّق بنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تعيشها الشخصيات في الرواية، أو السخرية من تركية الذات أو تركية الآخرين، على غرار هذا الملفوظ:

"سمعت ورائي صوت خديجة التي يسميها الجميع أم المؤمنين:

- يا لطيف... الحلال يحاور الحرام؟

لا أدري إذا كانت قد سمعتهما ولكنها التفتت نحوها.

- صباح الخير يا أم المؤمن...م...نين..

قالتها وهي تمطمط طويلا الكلمة الأخيرة.

يحمر وجه خديجة، ثم ترمي بصرها بعيدا تجاه الصورة لكي تتفادى عيني مريم
الملتصقتين بها." (13)

تظهر المحاكاة الساخرة في ملفوظ تحية مريم لخديجة الذي يكشف أنها لا تعتدّ بلغة الآخرين بسبب تناقض مدلولاتها أو بسبب موقف شخصي من خديجة، تبيين ذلك طريقة تلفظها بلقب "خديجة":

- صباح الخير يا أم المؤ... م... نين.. الذي يشدّد السارد على طريقة نطقها بوصف طريقة التلفظ: " قالتها وهي تمطمط طويلا الكلمة الأخيرة " حيث تظهر طريقة تلفظ الكلمة سخرية مبطنّة من الاسم والمسمى تجاه لغة من يسمون خديجة بـ "أم المؤمنين": " سمعت ورائي صوت خديجة التي يسميها الجميع أم المؤمنين " إنّ ملفوظ التحية يبدو ساخرا من لغة فئة اجتماعية كبيرة، إنه بمثابة موقف معاد لرأي عام واسع الانتشار، وذلك من خلال وصف خديجة بصفات لها دلالة تتعارض مع ما وضعت له في الأصل، وذلك باعتباره أن موقفها هو موقف المحافظة العارفة بقوانين التشريع وأسسها، وذلك بخلاف ما ترى مريم في هذا الموضوع.

3- لغات مجتمع الرواية: يتحقق التعدّد اللغوي بصفة واضحة على مستوى الشخصيات حيث تتجسد لغاتهم من خلال " تنوع طبقات الأسلوب الذي حيّك به السرد، ويأتي هذا التنوع الأسلوبي، استجابة للتفاوت بين الشخصيات أو تعبيراً عن الفوارق الاجتماعية التي تعكسها اللغة" (14).

يكشف تحليل أصوات المجتمع في "جسد الحرائق" عن تعدّدية اجتماعية تخبر عنها تعدّدية لغوية تكشفها ملفوظات متغايرة تعبّر عن أصوات متضادة إيديولوجيا إلى حدّ الصراع.

يستثير التعدّد اللغوي في "جسد الحرائق" الانتباه بما يخلق من " تخييل يقفز على الواقعية المتوهمة والأحادية المتكلسة لغويا وصوتيا ليشكّل نصّا متعدّدا ومتداخلا وهجينا، وخطابا مشخّصا بلغة تبنى داخله بوصفها جزءا من التجربة التي تعيشها الشخوص وتنقلها كلماتهم في عالم الرواية لكنّها في الأصل تمتحّ من خارجه، أي من المجتمع الواقعي." (15)

لذلك فإنّ مستوى اللّغة يكون وفق ما يناسب مستويات الشخصيات الاجتماعية المتكلمة وهي بلا ريب متباينة فكريا وثقافيا، بحسب الفئة الاجتماعية التي تنتمي إليها الشخصية، أو بحسب المهنة التي تمارسها، وبحسب المعتقد الديني أو الإيديولوجي، وإلا لن يكون للتعدّد اللغوي أي تأثير على صعيد تعدّد الأصوات إذا لم يكشف عن تباينات على هذه الأصعدة، وسيكون مجرد تنويع على أحادية لغوية وصوتية، وهذا في الحقيقة ما يؤدي إلى كسر نوايا الكاتب بأن يمنح كلّ إيديولوجيا الحق في الظهور والتعبير عن نفسها، ويمنح الشخصية أيضا

حرية واستقلالاً من سلطة الكاتب، فتعبر عن موقفها بلغتها الخاصة وبأسلوبها الخاص، ما يعكس انتمائها الاجتماعي، ومستواها الثقافي والفكري، لذلك، فإنّ "كلّ كلمة تفوح برائحة مهنة، نوع واتجاه، وحزب، وعمل معين وجيل، وعصر، ويوم، وساعة. كل كلمة تفوح برائحة السياق والسياقات التي عاشت فيها حياتها الاجتماعية بحدة وكثافة، إنّ الكلمات والأشكال جميعها مسكونة بالنيّات⁽¹⁶⁾.

يتشكّل النسيج اللّغوي الاجتماعي لرواية "جسد الحرائق" من عدّة لغات اجتماعية وهذه اللّعبة المتعددة الأشكال لحدود الخطاب واللّغات والمنظورات هي أحد الملامح الجوهرية لخطاب الرواية. كما تميزت لغة السرد بالتنوّع في اللّغات الطبيعية وهذا راجع إلى تعدّد ثقافات الشخصيات وأصولهم الاجتماعية، فبالإضافة إلى اللّغة العربية الفصحى نقرأ مقاطعاً وردوداً باللّغة الفرنسية إضافة إلى لهجات من العربية مثل العامية الجزائرية واللّهجة المصرية.

على أننا نقصد بالعربية الفصحى لغة المتون التراثية الأقرب إلى المستوى الشعري وليس المستوى النثري المتداول في الخطابات الروائية، من ذلك مثلاً هذا الملفوظ الذي يلامس مستوى لغة الشعر بما يكشف المستوى الثقافي العالي لصاحبه: "ينسحب البخار الذي كان يملأ جوانب المرأة تتسع مساحتها لاحتواء وجه رشيد بكامله. قذفتني ابتسامته نحو سفرتنا الأولى عندما أطلت الدنيا في عيوننا"⁽¹⁷⁾

بينما تتكلم شخصية أخرى باللّغة الفرنسية كما في هذا الملفوظ:

Directe, ni à droite ni à gauche, c'est claire?⁽¹⁸⁾

وإذا كان الملفوظ لا يخبر عن تعدّد صوتي بما أنّه لا يكشف أي تعارض مع فكرة أخرى بقدر ما يشير إلى ضرورة السير في خط مستقيم، إلا أنّه ملفوظ يشي بتعددية لسانية في المجتمع هي من الضرورة بمكان في سبيل بناء مجتمع روائي متعدّد على الأقل على الصعيد اللّساني.

بينما تتكلم شخصية أخرى بما يكشف فنتها الاجتماعية، صورة صوتية لمهاجر لا يأمن غدر الزمن ويتوقّع طرده من فرنسا في أي لحظة:

- "يا رجل واش بيك؟ أحمد ربك أنّ باريس تمنحنا دفنها وحبها بلا مقابل"⁽¹⁹⁾.

ويكشف الحوار بين شخصية مريم وأستاذها المصري بلهجته المحلية البعد الجغرافي للمتكلم (الأستاذ) من جهة وتمثيل اللّجة لصاحبها من جهة ثانية، إذ مالذي يجعل هذا الأستاذ مصرياً لو أنّه تكلم باللّهجة الجزائرية أو حتى العربية الفصحى:

- عيب يا بنت، ما يصحش تحكي كده؟

- ما ليش دعوة، أنت تودينا في طريق الكفر⁽²⁰⁾.

ويمكن تمييز مستويات لغوية اجتماعية في الرواية بحسب بعض الشخصيات الممثلة لفئات بعينها: ف"كريم" شاب متعلم، واع، يعرف ما يريد ويسعى إليه في خط مستقيم، وتكشف لغته عن وعي مغاير وغير موارب، ويظهر ذلك من خلال ردّه على رشيد في

ملفوظ يكشف درجة اليأس التي وصل إليها المتعلمون من إمكانية أن تتغير أوضاعهم نحو الأحسن، يقول: "باريس، مليحة لأصحابها، فقراء عشنا، وفقراء سيسحبنا الزمن القاسي نحو حفرة واش راح تقدر دير يا ولد الناس؟ لقد أغلق ورثة الثورة كل الأبواب"⁽²¹⁾.

تظهر لغة هذا الملفوظ مدى عقلانية صاحبه سداد فكره، وبدرجة أقل درجة يأسه، إنها لغة تعكس وعي صاحبها، وإدراكه لحقيقة واقعه المعيش.

وفي ملفوظ آخر يخاطب كريم مريم بنبرة العاشق المحب ولغة الشاعر المثقف الذي يرثي لأوضاع الآخرين وينسى حاله، مشكلته ليست من طبيعة مشكلاتهم، يبحثون عن أنفسهم ويبحث عن أصل مشكلاتهم: "مريم يا عمري الهارب، الخائف من الظلال المبهمة. روعي المرتبكة وهي تواجه طفولتها. الحب المقهور الذي لم يشبع من حليب الأمومة، كل العيون تخدشك لأنك، في غمرة همومك، لن تتعودي إلا على قول الصدق، في مدينة أصبح النفاق فيها هو العملة المتداولة بين الناس..."⁽²²⁾

أما لغة "رشيد" في الرواية فتخبر عن شاب تفوق طموحاته وإمكاناته، مع ذلك فهي لغة تخفي حزنا كبيرا وحلما أكبر يختزل في "باريس" التي طعنته فيغدر الخائنين، كما تخبر لغته على أنه إنسان بسيط من العوام، يرجو الكثير من هجرته ويحمد الله على كل يوم يقضيه في باريس في سبيل تحقيق مشروعه "يا رجل واش بيك؟ أحمد ربك أن باريس تمنحنا دفنها وحبها بلا مقابل"⁽²³⁾. وهو ملفوظ يكشف أيضا توجسه من السلطات الفرنسية وعدم ثقته فيها، كأنه ينتظر اللحظة التي يتم فيها طرده، لذلك فهو يقول لكريمو بما يؤكد محتوى الملفوظ السابق: "الحياة يا كريمو هو ما نعيشه الآن ونقتسمه مع الذين ينامون بعينين عنا نشاركهم كل ليلة فراش الحلم والخوف من الخديعة المفاجئة، إيه.. ما الفرق بين قطار يجرك إلى غربة بلا اسم، وقطار يعود بك أصداء خبر". قبل أن يصل يأسه إلى مداه فيما يكشفه هذا الملفوظ: "يا لله يا خويا في باريس تختبي أحلامنا"⁽²⁴⁾.

وتكشف لغة "مريم" عن وعي فتاة مثقفة، وواعية وهي طالبة جامعية، نلتمس ذلك من خلال حوارها مع "كريمو" حول الأستاذ والدرس، فهي تقول: "تخيل كل ما عرفناه مع الدكتور عبد الرحمن حوله هذا الأستاذ إلى كذبة يسارية؟ الصعاليك، يعتبرهم قطاع الطرق، وسراقين ولا علاقة لهم بالشعر أبداً؟"⁽²⁵⁾.

تحاكي لغة هذا الملفوظ بشكل ساخر لغة "الأستاذ" الناقد لمعتقدات أستاذا عبد الرحمن والذي سعى بحسب ما يفهم من ملفوظه المتضمن في ملفوظ مريم إلى التقليل من قيمة ما تعلموه من أستاذهم عبد الرحمن وأنه لا يعدو أن يكون مجرد تخاريف يسارية لا صلة لها بحقيقة الأشياء في واقع الناس، مادام هؤلاء اليساريون يرون في الشعراء الصعاليك قيمة إبداعية وبذرة المجتمع الاشتراكي، بينما يراهم "هو" قطاع طرق، وسراقين ولا علاقة لهم بالشعر فيما يكشفه ملفوظه المتضمن في ملفوظ مريم.

والحقيقة أن هذا الملفوظ يصلح تمثيلا للمحاكاة الساخرة للغة "الأستاذ" من منطلق قول مريم: "تخيل، كل ما عرفناه... كذبة يسارية.. تماما مثلما يصلح تهجينا وأسلبة، لأنه يجمع

وعيين لسانيين في ملفوظ واحد: وعي مريم الذي شكّله أستاذها السابق، وتكشفه لغة ساخرة من الأستاذ الجديد، ووعي الأستاذ الجديد الذي يكشفه ملفوظ متضمّن في ملفوظ مريم ومفاده أن كلّ ما تعلّمتموه من قبل ليس إلاّ كذبة يسارية، وأن الشعراء الصعاليك قطاع طرق وأنهم سراقين ولا علا علاقة لهم بالشعر.

وعلى العموم فالأسلبة البارودية لخطاب "الأستاذ" في ملفوظ "مريم" واضحة في صلب ملفوظها إن في لغتها المشخّصة أو في اللّغة المشخّصة "تخيّل، الصعاليك يعتبرهم قطاع طرق، وسراقين، ولا علاقة لهم بالشعر" تكمن الباروديا في مفارقة حدود الملفوظ الفاصلة بين اللّغتين، حيث تسعى اللّغة المشخّصة إلى تحطيم نوايا اللّغة المشخّصة، فتنبعث من لغة الخطاب المشخّص علامات تخبر عن عدم إمكانية تحقّق مراد الخطاب المشخّص في تصديق ادّعاءه، واستخفاف بوعي ذلك الخطاب يصل إلى حدّ السخرية: "تخيّل كلّ ما عرفناه مع الدكتور عبد الرحمن حوّله هذا الأستاذ إلى كذبة يسارية؟" لغة مريم في الحقيقة تمثّل صريح للتعدّد اللّغوي في الرواية الذي يكشف عن تعدّد أشكال الوعي في مجتمع "جسد الحرائق".

وتخبر لغة "جاك" بدورها عن إنسان مثقف يحمل في فكره بعدا إنسانيا ووعيا بالقوانين وحقوق العمال، فرغم كونه فرنسي الجنسية إلاّ أنّه لم يتعامل مع المغتربين بعنصرية، وكان يسعى للحقيقية فقط.

نقرأ هذا الملفوظ: "لك في هذه الأرض حق أيضا مثل أي مواطن فرنسي، الكثير ممّا تراه اليوم من جسور وبنائيات شامخة وقطارات ومطارات ومعالم عظيمة، مرّ على ظهر الذين سبقوكم إلى هذا المكان، فيه من عرقهم وصراخهم ودمهم."⁽²⁶⁾ إنه ملفوظ يناقض في مضمونه الموقف اليميني من المهاجرين في فرنسا، رغم أن صاحبه فرنسي فحتى في المجتمع الفرنسي تتعدّد المواقف اتجاه المهاجرين، ينقل ملفوظ "جاك" وجهة نظر شريحة واسعة من الفرنسيين الذين يعترفون بفضل المهاجرين في بناء فرنسا الحديثة.

4 - الأجناس المتخلّلة (les Genres intercalaires): يتخلّل النص الروائي أجناس أدبية صغرى، وأخرى كبرى، كالحكاية الشعبية، الخرافة، الأسطورة، الأمثال، الشعر، الرحلة، الرسالة، الخطبة، قصاصات الصحافة والإعلام... الخ، وقد صار ذلك مألّوفا منذ تمّ التعرّف على الرواية بوصفها جنسا أدبيا هجينا يفتح على مجموعة من الأجناس التعبيرية التي تكسبها خصائص شكلية ومضمونية متعدّدة تسهم في تشكيل بنية النص وتنويع أساليبه ولغاته وخطاباته، وهي تستهدف ذلك باستثمار الإمكانيات التعبيرية لهذه الأجناس في خلق أشكال حكاية مختلفة ومنفتحة بما يشكّل خصوصية نصيّة في الرواية التي تتمتع بقدرة فريدة على استيعاب "جميع الأجناس التعبيرية، سواء كانت أدبية (قصص، أشعار مقاطع كوميدية...) أو خارج- أدبية (دراسة عن السلوكات، نصوص دينية، علمية...)"⁽²⁷⁾

وقد وظّف "واسيني الأعرج" مجموعة من الأشكال التعبيرية الأدبية وغير الأدبية في سبيل كسر الأحادية اللغوية والخطابية وتشييد نص روائي تتخلّله أجناس تعبيرية تنأى عن أن تكون مجرد مظاهر منعزلة عن السياق التركيبي للحكاية، بل إنها تضيء عليها شحنات دلالية من جهة، وتؤصل البعد الإخباري المستند على قوالب تشخيصية ذات مظاهر بنائية تعين حدود الإيهام المرجعي من جهة أخرى، ويسعى هذا التوظيف أيضا، بقصدية دالة، إلى الإشارة إلى طرائق اشتغالها وجدوى تواجدها.

4-1 - الأمثال الشعبية: تشكّل الأمثال الشعبية رصيذا لغويا يخبر عن مستوى توظيف البلاغة العامية في صلب لغة السرد الفصيحة، من ذلك ما جاء على لسان العرافة "خالتي خيرية": "جاء يسعي ودرّ تسعة"⁽²⁸⁾. حيث يستعمل هذا المثل الجزائري للدلالة على الخسارة وفقدان شيّ ثمين بعد جهد كبير لكسب ما هو أقلّ منه قيمة، بينما يستخدم "عمي حمو" أو كما يسميه البعض "حمو السوكارجي" مثلا شعبيا يقول: "يا المزوقة من برا واش حالك من الداخل"⁽²⁹⁾، وهو كذلك مثل جزائري يطلق للدلالة على الأحوال الداخلية أو على حالة التباين بين ما في الباطن وما في الظاهر، بمعنى أن "حمو" أراد بهذا المثل أن ينقل حالته، لأنّ ضبط هندامه من الخارج لن يبدل ما في قلبه من أوجاع ومآسي، وهذا عندما طلب منه الحاج "ميكي" حلق لحيته، فردّ عليه قائلاً: "يا المزوقة من برا واش حالك من الداخل"، وهذا ما يبين أن المظاهر خداعة.

4-2- الشعر الغنائي: تنفتح رواية "جسد الحرائق" في سبيل إبطاء حركة السرد على أجناس غير سردية في صورة الشعر الذي يتميز بلغته السكونية التي لا تمضي بالأحداث في تناميها وتطوّرها عبر الزمان والمكان، فهي توقف الأحداث لتفسح المجال للخيال بهدف خلق صور ساكنة، كما أنّها تتيح للتعددية اللغوية أن تدخل إلى متن النصّ الروائي.

وبما أن التعددية هي سمة الرواية نظرا لهجنتها وطبيعتها الامتصاصية للغات الاجتماعية والأشكال التعبيرية، فإنّ لغة الشعر تصبح واحدا من مستويات لغة الرواية. ويرى "باختين" أنّ الأجناس الشعرية المتخلّلة في نصّ الرواية يمكن أن تنكشف شعريا وقصديا بشكل مباشر ودون سابق فكرة، فلغة الشعر مؤشّر تكويني على الجنس النثري، حيث تتعدّد المقاطع المدمجة خدمة لمقاصد المؤلّف في تفسير أحادية لغة الأجناس النثرية، هكذا يظهر الشعر في الرواية منذ بدايتها في الصفحة العشرين من خلال أغنية لـ"سلفادور أدامو" تقول عن الهجرة وعن الوطن:

L'océan pose ses coquillages

Au Hasard des rivages

Comme la vie

Moi, la vie m'a posé ici...

ويترجم السارد هذا المقطع هكذا:

ينثر البحر أصدافه

مثلما تشتهي الأمواج،

كما تفعل الحياة،

وأنا رمتني صدفة الحياة هنا... (30)

لقد استحضر "كريمو" هذا المقطع، وهو عبارة عن "بقايا" الأغنية التي تناهت إلى رأسه، في سياق التعبير عن استيائه ممّا آل إليه وضعه في هذه الغربة التي رمت به الحياة إليها مثلما رمى البحر أصدافه على الشاطئ. إنّ ملفوظ المقطع يتوافق مع وضع "كريمو" وهو يختزل مقاطع سردية كان يمكن بواسطتها التعبير عن هذا الوضع.

كما يختزل مقطع من أغنية لـ"فيروز" وضع "مريم" فتردده كاشفة ما يعتريها من الآلام والمعاناة:

- "يا طير يا طير على أطراف الدنيا

فو فيك تحكي للحبايب شو بيني... يا طير...

ورقة الأصفر، شهر أيلول فتحت الشبابيك... (31)

4-3- الرسائل: تتضمّن الرواية مقطعا من رسالة قد كتبها "كريم" إلى زوجته "مريم" يخبرها فيها عن حزنه واشتياقه لها و ينصحها بأن تعتني بصحتها، وقد حافظت الرسالة على خصوصيتها فهي لم ترد مدمجة في خطاب السارد تشير إلى ذلك لغتها الشعرية التي أغنت لغة الرواية:

"أتذكر.. أحلم بضمك، وأحزن فأنت لست معي.. لكن سأظل أفتح أبواب أجفاني النورانية لك ولكل المردومين تحت التراب وفوقه.. فالיום قد زادت قائمة الشهداء شهيداً سقط.. يقال أن القطار طحنه وأتلف وجهه والشيء الوحيد الذي خرج سالماً من هذا الحادث، صورة الوطن التي كان يحملها في جيبه الداخلي..

سأتيك مع الريح، فالغد الواعد حمامات دم، حافظي على صحتك فأنت الآن حبلى والمخاض عسير، فبعد غد ستكون هدية الموسم طفلة عيونها بحر قلبها دفء نلقتها أسرار العصر ونعلمها كيف تنشد مع المقهورين أممية خارا.. عندها ستملآن خواني بحضوركما المطلق... (32).

لاشك أن لغة هذه الرسالة ليست نثرية مبتذلة من مستوى لغة شخصيات مجتمع الرواية، بل هي إلى الشعرية أقرب وذلك لأن صاحبها شخص متعلم ومتقف وكان من باب المحافظة على مصداقيته كشخصية تنتمي إلى المجتمع المثقف والراقي أن تتناسب لغته مع مستواه التعليمي، وهذا ما يكشف أحد مستويات لغة الرواية.

5- خاتمة ونتائج: يأخذ التشخيص الأدبي للغة في "جسد الحرائق" صورة نسيج من اللغات تتحاور فيما بينها متجاوزة من خلال الأسلبة والمحاكاة الساخرة والأجناس التعبيرية المتخللة في نصّ الرواية، وهو ما مكّن الروائي من استيعاب اللغات المتداولة في الحياة اليومية لشخص مجتمع الرواية.

- وقد أنجزت "جسد الحرائق" على أسس فارقة من حيث البناء اللغوي جعلت منها رواية غير متجانسة تتطلب قارئاً متعدداً يمكنه أن يفكّكها على أنّها خطابات مرموزة.

الهوامش:

¹ - M. Bakhtine, esthétique et théorie du roman, Ed. Tel. Gallimard, Paris2004, P175-1176

- 2- عبد المجيد الحسيب، حوارية الفن الروائي، ط1، منشورات كلية الآداب بمكناس، المغرب 2007 ص 36-37.
- 3 - واسيني الأعرج، جسد الحرائق، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر 2015، ص16.
- 4 - المصدر نفسه، ص 17.
- 5 - المصدر نفسه، ص 19.
- 6 - ينظر: سامية عليوات، التعدّد اللغوي والصوتي في رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني، مخطوط أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2015/2016، ص104.
- 7 - ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، ط1، دار الفكر، القاهرة 1987، ص122.
- 8- واسيني الأعرج، جسد الحرائق، مصدر سابق، ص 84.
- 9 - المصدر نفسه، ص 31.
- 10 - القرآن الكريم، سورة مريم، الآية 16.
- 11 - ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، تر: نصيف التكريتي، ط، دار توبقال، المغرب 1986، ص 282.
- 12 - ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص123.
- 13- واسيني الأعرج، جسد الحرائق، مصدر سابق، ص 25.
- 14 - القاضي عبد المنعم زكريا، البنية السردية في الرواية، دراسة في ثلاثية خيرى شلبي، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2009، ص 181.
- 15 - سامية عليوات، التعدّد اللغوي والصوتي في رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني، مرجع سابق، ص174.
- 16 - تزفيطان تودوروف، ميخائيل باختين المبدأ الحوارى، تر: فخري صالح صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن 1996، ص 115.
- 17 واسيني الأعرج، جسد الحرائق، مصدر سابق، ص 51.
- 18 - المصدر نفسه، ص 47.
- 19 - المصدر نفسه، ص 19.
- 20 - المصدر نفسه، ص 30.
- 21 - المصدر نفسه، ص 22.
- 22- المصدر نفسه، ص 29.
- 23- المصدر نفسه، ص 19.
- 24- المصدر نفسه، ص 22.
- 25- المصدر نفسه، ص 28.
- 26- المصدر نفسه، ص 84.
- 27- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 88.

28- واسيني الأعرج، جسد الحرائق، مصدر سابق، ص 65.

29- المصدر نفسه، ص 68.

30- المصدر نفسه، ص 20.

31- المصدر نفسه، ص 24.

32- المصدر نفسه، ص 110.

المصادر والمراجع:

- 1- الأعرج واسيني، جسد الحرائق، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر 2015.
- 2- القاضي عبد المنعم زكريا، البنية السردية في الرواية، دراسة في ثلاثية خيرى شلبي، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2009.
- 3- تزفيطان تودوروف، ميخائيل باختين: المبدأ الحوارى، تر: فخري صالح صالح، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن 1996.
- 4- سامية عليوات، التعدّد اللغوي والصوتي في رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني، مخطوط أطروحة دكتوراه، إشراف الدكتور رشيد كوراد، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2015/2016.
- 5- عبد المجيد الحسيب، حوارية الفن الروائي، ط1، منشورات كلية الآداب بمكناس، المغرب 2007.
- 6- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، ط1، دار الفكر، القاهرة 1987.
- 7- ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، تر: نصيف التكريتي، ط، دار توبقال، المغرب 1986.
- 8- Mikhaïl Bakhtine, Esthétique et Théorie du roman, Ed. Tel. Gallimard, Paris 2004.

المحلي في الرواية العربية. هل للمحلي أسوارٌ ؟

د. رضا الأبيض

المعهد العالي للعلوم الإنسانية مدنين . جامعة قابس . تونس

Résumé

Quelle est la définition du "local"? Faut-il penser le local comme quelque chose qui siège en dehors de nous, ou bien est-ce qu'il faut le concevoir comme présent en nous, et comme une chose qui nous accompagne partout où on se déplace ? Quelle est la nature de la relation entre local et global dans le roman arabe aujourd'hui ?

Dans les années 1950 et 1960, le roman arabe décrivait l'occupation de la patrie et l'émigration des intellectuels vers les pays occidentaux «coloniaux».

Les murs du "local" tombent de nouveau dans le " *Parfum parisien*" (2009). Nous y voyons qu'une belle photo d'une dame française a changé la vie quotidienne du village et a profondément influencé les habitudes du héros. Ce roman donc pose de nouveaux la question du local : ce local peut-il refuser d'être affecté? Peut-il résister à ce changement douloureux, surtout à l'époque de la mondialisation et du développement des moyens de communication?

Nous tentons d'examiner dans ce travail certains aspects de ce problème tel qu'il se pose dans "*Parfum parisien*" d'Amir Taj Al-sir.

Mots-clés: Local ; roman ; Amir Taj Al-sir

الملخص:

ما " المحلي " ؟ هل المحلي فضاءً جغرافياً ضيق مثل الحارة والقرية أم هو أكبر من ذلك ، كأن يكون عالم الشرق مقارنة بالعالم الغربي ؟ وهل يقع المحلي خارجنا أم هو فينا نحمله حيثما ذهبنا ؟ وبعبارة أخرى: هل المحلي وعاء موضوعي ثابت حيث هو موضوعياً أم أنه تمثّل نحمله بداخلنا ؟ ثم كيف تبدو العلاقة بين المحلي والعالمي في الرواية العربية اليوم؟ في خمسينات وستينات القرن العشرين رسمت لنا الرواية العربية شخصيات مهاجرة ومنبهة بالعالم الآخر الذي كان محتلاً للأرض. ولكن في رواية اليوم ، " العطر الباريسي " نموذجاً ، تسقط جدران المحلي أمام مجرد صورة حسنة فرنسية تصل عبر الإنترنت. لذلك كان السؤال: إلى أي مدى يصمد هذا المحلي في زمن العولمة وتطور وسائل التواصل ؟ في هذه الورقة نحاول أن نتيين جوانب من هذه الإشكالية بالعودة إلى رواية " العطر الباريسي " (2009) لأمير تاج السر.

كلمات مفاتيح : المحلي ، الرواية ، أمير تاج السر

1- المحلي أو "دمية الماتريوشكا" :

ما المحلي؟

لغة " المحلي " نسبة إلى المحلّ. والمحلّ: اسمُ مكان من الجذر (ح،ل،ل). والفعل هو: حلّ.

وجاء في لسان ابن منظور: حلّ بالمكان يحلّ حلولا وحلاً وحللاً... وذلك نزول القوم بمحلّة وهو نقيض الارتحال..

أما اصطلاحاً فيعني أيضاً "محلّ الإقامة".

وفي أدبيات علم الاجتماع والسياسة نجد مصطلحات مثل: الإدارة المحليّة، والمجتمع المحليّ والتنمية المحليّة..

بناءً على هذا المدخل اللغوي : هل يمكن أن نصنّف الرواية إلى: محليّة وغير محليّة. وما معنى أن تكون محليّة أو ألا تكون؟

هكذا نصبح مدعوين إلى أن نبحث في ما يقابل المحليّ. فهل هو الوطنيّ أم هو العالميّ والكونيّ؟

ولكن: إلى أي مدى يصحّ القول بوجود تقابل بين المحليّ وما قد نعتقده أنه مقابل أو ضد له كالعالمي والكوني ؟ أليس المحليّ جزءاً من الوطني والعالميّ ؟ وهل يمكن الحديث فعلاً عن عالميّ في ظل غياب المحليّ؟

إن دائرة المحليّ وحدوده ليست صلبة أو ثابتة. فالحيّ محليّ مقارنة بالبلدة، والبلدة محليّة مقارنة بالوطن والوطن محليّ مقارنة بالعالم .. ثم إن العالم بالنسبة إلينا نحن البشر، هو محلّنا جميعاً مقارنة بالكواكب والفضاءات الأخرى ..

وإذا كان "المحلّ" الذي منه نصوص "المحليّ" مكاناً ننزل فيه، فهل إذا ارتحلنا عنه لم يعد محلّنا أم إنه لم يعد محللاً لنا ؟

ذلك ما يجب أن ننظن إليه، في دراستنا علاقة الرواية بالمحليّ، فلا نعتبره مقام إقامة الراوي أو الشخصية. إنه ليس " الهنا " فحسب الذي ننزل فيه ، بل قد يكون بعيداً، غائباً يستدعيه الراوي ذكرى وقد نأى عنه. فالمحلّ ليس مكاناً نقيم فيه فحسب، وإنما هو أيضاً مكانٌ نقيم فينا فيذهب معنا حيث ذهبنا..

إنّ المحلّ إذا، بقدر ما يتسع قد يضيق. ومثلما يمكن أن يكون حاضراً، تقيم فيه الشخصية يمكن أن يكون بعيداً. وهو وإن كان بعيداً مادياً فهو يظل ماثلاً في النفس حاضراً في الخاطر، تذكره الشخصية وتستدعيه إما احتفاءً وحنيناً، أو سبباً في الحزن ورمزا للظلم ..

وبهذا المعنى يكون المحلّ مرادفاً للمكان الخصوصيّ ذي الطابع المميّز، بغض النظر عن الاتساع والضيّق والقرب والبعّد .. إذ ليس كلّ مكانٍ محلّاً.

إنّ المحلّ منزل وليس مكاناً. وقد جاء في اللسان: المحلّة منزل القوم. والمنزل مكانٌ، وعلاقة أو شعور، ينشأ بفعل النزول والإقامة. وبالتالي فإنّ كلّ منزل مكانٌ وليس كلّ مكان منزلًا أو محلّاً.

إنّ المحلّ هو المكان الذي ننسب إليه والذي تربطنا به علاقة "ملكيّة". فهو يملكنا أيّ يحتضننا في نشأتنا، ويساهم في تكوين شخصيتنا .. ونحن نملكه إذ نضفي عليه بعداً إنسانياً، وهويّة بها يختلّف عن سائر الأماكن والمحلّات الأخرى. وفي ضوء ذلك نفهم التشارك المعنويّ بين فعليّ حلّ واحتلّ. فاحتلّ المكان (ليس بالمعنى السياسيّ أو العسكريّ) يعني: حلّ به فصار ملكاً له، أي محله ..

وإنّ فعل الإقامة أو النزول والحلول، هو ما يجعل مكاناً ما محلّاً. والإقامة أو النزول ليست فعلاً أو حدثاً عابراً، وإن قصرت المدّة الزمانيّة، بل تترك في المكان أثراً، به يميّز محلّ عن آخر. ولذلك فإنّ المهاجر وإن طالت إقامته في "بلاد الهجرة" فإنه لا يعدّها محلّاً له. يظلّ وافداً. هكذا يرى نفسه وهكذا يراه الأخر، رغم الإقامة القانونيّة وما يترتّب عنها من حقوق ومساواة مع السكّان الأصليين، فلا يُعتبر مكاناً إقامته هذا محلّاً، إلا على سبيل الاتساع في المعنى. وبالاستتباع فإنّ صفة المحليّة، لا تُلحق إلا بما نشأ، أو صنّع وأبدع في المحلّ الخصوصيّ. فمثلما أنّ المحليّة صفة للمكان، هي صفة للأشياء والممارسات كالمأكولات واللّهجات والطّوقس والمنتجات والأغاني ..

ولذلك غالباً ما تكون المحليّة قرينة الأصيل والتقليديّ والقديم والتراثيّ، والمميّز. ووثيقة الصلة بالأنا هويّة مختلفة عن "الأخر". ولعلّ ما يحتاج إلى تدقيق من جهة المصطلح، بيان الفرق بين المحليّ والواقعيّ والتراثيّ والتاريخيّ بسبب ما بين معاني هذه المصطلحات ودلالاتها من تداخل وتشابه ..

ويمكننا القول إنّ المحليّة في الدراسات النّقديّة الأدبيّة، غالباً ما تكون أحدَ عناصر ثنائيّة "المحليّ والعالميّ". بعدان كثيراً ما يُنظر إليهما مختلفين بل متضادين. والحقيقة أنّهما مختلفان، ولكنها متفاعلان متداخلان، وغير متناقضين بالضرورة.

ولقد اعتبرت العودة إلى المحليّ والتجدر فيه طريقاً إلى العالميّة. وهو ما أنجزه، في رأي الكثيرين، روائيون أمثال نجيب محفوظ في روايات "المرحلة الواقعيّة" وحنّا مينة والطيّب صالح، والبشير خريّف في روايته "الذقّة في عراجينها" التي تمثل أنموذجاً بليغاً كما يقول محمد الباردي، لإنشائيّة الخطاب الواقعيّ الوصفيّ، سواء من حيث الجمل التقريرية أو الإخباريّة أو الصورة الحسيّة، أو أسماء الشخصيات ذات المضمون المجتمعيّ والتي يحيل بعضها إلى "معنى الانتماء الجهويّ (منطقة الجريد)¹.

ومن الروايات العربيّة التي اهتمت بالمحليّ أيضاً روايات البداية، والرواية الفلسطينيّة التي ركّزت، في منحى شعريّ وفكريّ فلسفيّ (كفانّي، جبراً، حبيبي..)، على الأرض واهتمت بمحنة التهجير و"سجّلت" بلغة وصفية تفصيل الحياة في القرى والأحياء، وأثر التوطن. ولقد اهتمّ عبد الرّحيم حمدان بالحضور اللافت للانتباه لقرية "بيت حانون" مثلاً في المتن الرّوائي الفلسطينيّ (روايات علي عودة، محمد نصّار، يوسف نعيم، غريب عسقلاني ..) وأكد المكانة المميّزة التي يحتلّها تصوير الفضاء الجغرافيّ في الأدب الفلسطينيّ عامّة².

ويظلّ للمحلي حضور واضح خاصّة في الروايات التي تكتب ضمن أفق التّقاليد والوعي المابعد كولونيالي، بسبب قوّة الصراع حول رموز الهويّة وحول من يحتلّ المحلّ ..

هل يمكن القول إنّ الاشتغال على المحليّ كان أحد سمات الرواية عامّة، أم هو أحد سمات نشأتها ومنعطفاتها ؟

لا شكّ أنّ الإجابة تحتاج إلى إعادة قراءة للمدونة الرّوائية. وهو ما لا يقدر عليه شخصٌ بمفرده لآتساع هذه المدونة كمياً. وبسبب امتدادها زمنياً ومكانيّاً. فإذا اكتفينا ببعض النماذج لم يطمئن الباحث إلى النتائج. تلك هي إحدى مظاهر حيرة الباحث إذا أراد أن يشتغل على تيمة "المحليّ في الرواية العربيّة" ..

إنّ مصطلح المحليّ مثلما ذكرنا ذلك في فقرة سابقة، استخدم مرادفاً للمجتمع. وكثيراً ما كان صفة له، فيقال: مجتمع محليّ. وأستخدم أيضاً صفة للنسق أو التنظيم.. وأشير من خلاله إلى فكرة الوحدة والتكامل والانتماء في فضاء جغرافيّ بقدر ما يضيق يتسع (الشرق/ العالم العربيّ/ القرية / المقهى الشعبيّ ..) ويقدر ما يبدو متماسكاً ومنعزلاً لا يبدو بنية ديناميكيّة متغيّرة وغير مستقلة كلّ الاستقلال عن محيطها الأوسع منها. إنّه محصّلة تفاعل وتراكم ثقافيّ وتاريخيّ طويل ..

ونحن إذا ما شننا التوضيح أمكن لنا الاستعانة بصورة الدوائر أو لعبة الدّمية الرّوسية المتداخلة: الماتريوشكا Matрёшка، لتمثيل علاقة فضاء محليّ كالحبيّ مثلاً بفضاء أوسع كالبلدة، أو البلدة مقارنة بالوطن ..

يقول ر.م ماكيقر وشارلز بيج: " إنّ بعض الجماعات المحليّة تحتوي على كلّ ما تحتاج إليه ومستقلة عن غيرها. ونحن نجد أحياناً بين الشعوب البدائيّة جماعات محليّة لا يزيد عدد أفرادها عن مائة نفس، مثل قبائل يوروك في كاليفورنيا التي تعتبر منعزلة تقريباً انعزالاً تاماً. ولكنّ الجماعات المحليّة الحديثة بما في ذلك الجماعات الكبيرة أقلّ استكفاء بذاتها بكثير. ومن الخصائص الكبرى لجماعتنا المحليّة الحديثة والكبيرة الحجم، أنها تقوم على التبادل الاقتصاديّ من جهة، وعلى الارتباط السياسيّ المتبادل مع غيرها، والأخذ في الازدياد من جهة أخرى.

وقد نعيش في عاصمة كبيرة، ومع ذلك نظلّ أعضاء في جماعة محليّة صغيرة جداً، لأنّ مصالحنا محدّدة بحدود مساحة ضيقة. أو قد نحيا في قرية ومع ذلك ننتمي إلى جماعة محليّة من الاتساع بحيث تشمل المنطقة المتأثرة بحضارتنا أو بحضارة أكثر اتساعاً. وليس لجماعة محليّة متمدنة حوائط حولها لتفصل بينها وبين غيرها فصلاً تاماً، مهما حاول حكّام أية أمة أن يقيموا "ستارا

حديدياً" حولها. والمشاهد أنّ الجماعات المحليّة موجودة في داخل جماعات محليّة أكبر منها. فالمدينة تقوم في داخل إقليم، والإقليم في داخل أمة، والأمة في داخل الجماعة العالميّة التي ربما كانت أخذة في النموّ في الوقت الحاضر³. إنّ سمات المحليّ بالعودة إلى الشاهد السّابق: الحاجة والانفتاح والتداخل. الأمر الذي يكاد يفقد المحليّ كلّ ميزة أو خصوصية خاصّة في الزمن الحديث، زمن العولمة وتقنيات التواصل والاتّصال.. إنّ من أبرز سمات العولمة الترابطات والتّبادلات وسرعة تدفق المال والبشر والمعرفة والصّور وانتشارها عابرة كلّ الحدود في جميع أنحاء العالم ..

ولذلك فإنّ ما نعتقد أنّه محلّ خاصّ وبعيد، صار في القلب من هذا العالم الشاسع والمفتوح.. يقول: ج. تمليسون: "إنّ الحديث عن العولمة مفعم بالمجازات المتعلّقة بالتقارب العالميّ، و"بعالم منكمش": من "القرية العالميّة" لمارشال ماك لوهان إلى صياغة الأمم المتّحدة مؤخراً لتعبير "جوارنا العالميّ"، لوصف السياق السّياسي العالميّ المتنامي. يستمدّ كل من هذه الاستعارات المجازية والصّور إحساسه بالتقارب المتزايد/ الحميميّة..⁴ فالعولمة لم تلغ مسافة الألف وخمسمائة كلم بين تونس وباريس، أو الخمسة آلاف كلم بين السودان ولندن، ولكنها جعلتنا نخبر تلك المسافة الآن بطرق مختلفة.

2- "عطر باريس" الافتراضيّ

في ضوء ما تقدّم يمكن نقرأ رواية السّوداني أمير تاج السر "العطر الفرنسي"⁵، التي استهلّها الرّايوي بـ: "لم يكن خبراً عادياً، ذلك الذي التقطه علي جرجار مصادفةً، وأسرع به راكضاً إلى حيّ غائب الشّعبيّ في أطراف المدينة حيث يعيش. وبالرغم من أنّ الخبر في حد ذاته كان مقتضياً وغامضاً وبلا أيّ علامات إرشادية، إلاّ أنّ خيالات جرجار كانت حاضرة دائماً، ومستعدّة لتطوره في أيّ وقت، إلى خبر ذي جدوى وتأثير" (ص7).

ما هو هذا الخبر الذي التقطه علي جرجار والذي سوف يصبح ذا جدوى وتأثير؟ وهل أنّ خيالات جرجار فحسب هي التي ستطوّر هذا الخبر، أم إنّ خيالات أهل الحيّ كلّهم ستطوّر الخبر، فيصبح ذا تأثير و جدوى في إيقاع الحياة في هذا الحيّ الشّعبيّ؟ وكيف سيتفاعل "المحليّ" مع هذا الخبر؟ لقد كانت الرّوايات العربيّة ما قبل "العطر الباريسيّ" تصف نزول المحتلّ عدّة وعتادا في أرض الوطن، فيحتلّ ويشردّ ويغيّر نسق الحياة اليوميّة: عادات النّاس، ولغتهم ومشاعرهم وأنشطتهم.. أمّا في "العطر الباريسيّ" فلا يصل حيّ غريب الشّعبيّ غير خبر قرب وصول الفرنسيّة كاتيا كادوليي.

قال المسؤول الحكوميّ مبروك حين التقى علي جرجار في مبنى محافظة المدينة: "ستأتي الفرنسيّة كاتيا كادوليي في الأيام القادمة للإقامة معكم في الحيّ فترة من الوقت ضمن دراسة عالميّة .. استضيفوها في أيّ مكان بينكم، وعيشوا حياتكم كما هي" (ص7).

ولكن كاتيا لن تأتي، والحياة في حيّ غريب لن تبقى "كما هي". ستتقلّب رأساً على عقب. ستقلب الحياة مثلما قلبتها حقائب "شمعة تاجر" التي أغرقت السوق المحليّ بالسلع الصّينيّة الرخيصة.

صار الحيّ يستيقظ يوميا على سؤال: هل وصلت كاتيا؟ وفي انتظار وصولها عقدت الاجتماعات، وكنبت اللّافتات، واستيقظت الشّهوات، وحيكت الدّسائس، واتّسع باب الخيالات. وتعدّدت السيناريوهات، وارتيدت محلّات الانترنت، لتتعرّف على الفاتنة القادمة على سيرتها وصورتها ..

يقول جرجار: "شهران كئيبان مرّاً، ولم يظهر أيّ خيط جديد يصلح لتتبّعه في موضوع أرّقني وأرّق سگان الحيّ كلّهم. وأخبرني أيمن داوود الحضاريّ في أحد الأيام، إنه لم يعد يملك أيّة إضافة مبدعة بخصوص ذلك الموضوع، وقد بدأت الباحثات الإلكترونيّة في الانترنت تنذّر بمجرد أن يقرر على اسم كاتيا في إحداهن. والحقيقة أنّ الصبيّ لم يقصّر، زوّدي حتّى بعدد مقادير الملح وصلصة الطّماطم والبهارات التي تضيفها لكلّ طبخة، وموعد تجديد جواز سفرها، ورخصة قيادتها والتأمين على الحياة. اخترق ملقّها في عيادات الأسنان والباطنية وأمراض النّساء والتوليد بمعاونة هاكر محترف، واكتشف أنها أزلت وربما ليفيا من الرّحم منذ عدّة سنوات، وعولجت من الإرهاق مرّتين، ونصحها طبيب الأسنان ببيع ابتسامتها للصحف والمجلّات باعتبارها أرقى ابتسامه في أوروبا.." (ص82)

والحقيقة إنّ صورة كاتيا هي التي اخترقت هذا الحيّ الشّعبيّ، فكشفت لنا هشاشته وعقده التّاريخية والحضاريّة. ذلك ما قالته هذه الرّواية التي أنهت زمناً من هجرة العربيّ إلى أوروبا (سهيل إدريس، الطيب صالح ..) لتفتح تاريخاً جديداً لهجرة من نوع آخر، هجرة الآخر صورة إلينا نكتشف فيها ذواتنا ومحليّتنا الهشة والقابلة للاختراق السّريع والتراجيدي.

ولقد تجلّى ذلك كأحسن ما يكون في اقتناع بطل الرواية بأن كاتيا جاءت فعلاً، بعد أن ملأ بيته بصورها، وبأنه تزوّجها وصار يغار عليها(ص134، وما بعدها..)، ويخرج معها إلى السّوق ويوسّع لها الطريق ويتحدّث إليها ويفتعل العراك مع من ينظر إليها أو يشاكها، ويضع في رحمها جنيناً.. وهي لا وجود لها إلاّ في خياله المريض.

لقد جاء الخبر فعلاً، ولكن كاتيا لم تصل إلاّ صورة وخيالاً، بعد أن كان "الآخر" يأتي فعلاً وواقعا استعماراً وسياحة وبعثات دراسيّة. فقلبت حياة الشّخصيات وإيقاع الحياة اليوميّ في الحيّ رأساً على عقب.

غير أنّ الرواية، هكذا اختار مؤلّفها في نهايتها، تختار أن تتأثر من هذا "العقل المريض" بما يمكن اعتباره "عودة وعي" حين يخرس علي سكينه في أحشاء كاتيا معلناً رمزياً عن قتلها.

على هذا النحو يتحرّر المحليّ من وهم هذا الفردوس الأسطوريّ، ويفتح باباً على إمكانات كثيرة يرسمها القارئ. ولكن، إذا كانت كاتيا صورة جاءت عبر الانترنت إلى هذا الحيّ، تمكّن علي جرجار من أن يستيقظ من سحرها في آخر الرواية، فهل بإمكان عليّ وسكان الحيّ من أن يغلقوا أبواب حيّهم أمام السلع الصّينيّة الرخيصة، التي ستبدّل وجه الحياة المحليّة البسيط إن أجلا أو عاجلاً؟ إنها العولمة في بعدها الاقتصاديّ التي تقاوم كلّ خصوصيّة وتهدم كلّ جدار. ذلك ما تنبهنا إليه "العطر الباريسي" ، وليس من مسؤوليّة الأدب أن يقترح علينا الحلّ. حسبه أن يصرخ.

المصدر:

أمير تاج السرّ: العطر الفرنسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009.

المراجع:

- الباردي(محمد): إنشائيّة في الرّواية العربيّة الحديثة، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق 2000.

- توملينسون (جون): العولمة والثّقافة ، ترجمة إيهاب محمد.

https://marefa.org/images/1/16/AM_354.pdf

- حمدان (عبد الرحيم):جماليّات القرية في الرّواية الفلسطينيّة قرية بيت حانون أنموذجاً، مجلة كلية فلسطين التقنية ، ع1، كانون الأول 2014.

- ماكيفر(روبارت) وبيج(شارلز): المجتمع، تر، علي أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، 2000.

-
- ¹ - محمد الباردي : إنشائيّة في الرّواية العربيّة الحديثة، منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق 2000، ص 30
- ² - عبد الرحيم حمدان:جماليّات القرية في الرّواية الفلسطينيّة قرية بيت حانون أنموذجاً، مجلة كلية فلسطين التقنية ، ع1، كانون الأول 2014.
- ³ - روبرت ماكيفر وشارلز بيج : المجتمع، تر علي أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، 2000، صص 23-24.
- ⁴ - جون توملينسون: العولمة والثّقافة ، تر إيهاب محمد، ص 11.
- https://marefa.org/images/1/16/AM_354.pdf
- ⁵ - أمير تاج السرّ : العطر الفرنسي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2009.

إضطراب المصطلح في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر

لخضر بلقاق، سنة ثالثة دكتوراه، تخصص نقد جزائري معاصر
جامعة زيان عاشور – الجلفة

الملخص :

وجد النقد الجزائري المعاصر وسط سيل من المصطلحات النقدية التي حملتها معها المناهج والمفاهيم والنظريات النقدية الغربية مما جعل النقد العربي يتخبط في أزمة مصطلحية نتيجة التجاذب بين التراث النقدي العربي وما يزر به وثقافة غربية مستعارة أمام الانبهار بكل ما هو غربي بما يشهده من تطور علمي ومعرفي وفي كل المجالات.

وأمام هذه الوضعية التي يعيشها نقدنا العربي نادى بعض النقاد بضرورة التصدي لهذه الأزمة في كتاباتهم النقدية من خلال بعض المؤتمرات الأدبية، من أمثال أحمد مطلوب وفاضل ثامر ومن الجزائر نشير إلى جهود كل من رشيد بن مالك ويوسف وغليسي، لكن رغم ذلك تظل هذه الجهود فردية وغير كافية لتخرج بالنقد الجزائري والعربي من الأزمة الراهنة.

الكلمات الدالة: المصطلح؛ اضطراب؛ النقد الأدبي؛ المعاصر؛ الخطاب النقدي؛ النقد الجزائري.

Résumé

La critique arabe moderne fait face à un déferlement torrentiel sans précédent de terminologies critiques que l'Occident apporte avec ses méthodologies, concepts et théories critiques différents et diversifiés. Ce qui fait patauger la critique arabe dans une crise terminologique résultant d'un état de tiraillement entre le patrimoine critique arabe foisonnant et une culture occidentale qui lui est étrangère, et tout ce que l'accompagne d'admiration et de fascination sans bornes à tout ce qui s'apparente à l'Occident et son essor scientifique et culturel dans tous les domaines.

Devant cette situation que notre critique arabe vit, certains critiques prônent l'importance de contrecarrer cette crise et d'y remédier dans leurs écrits critiques à travers quelques conférences littéraires, tels que Ahmed METLOUB et Fadel THAMEUR, et en Algérie, on cite, à titre illustratif, les efforts fournis par Rachid BENMALEK, Youssef OUAGHLISSI, mais tous ces efforts restent des tentatives individuelles et incapables de faire sortir la critique arabe de sa crise actuelle.

المصطلح ثمرة الجهد الفكري وأيقونة التطور العلمي، وأساس التواصل المعرفي، كما أن المصطلحات هي سبيل تفاعل الحضارات والثقافات العالمية المختلفة، أو هي اتحاد اللغات العالمية المتباعدة، أو كما قال الناقد " يوسف وغليسي " في كتابه " إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد " أن المصطلح هو لغة العولمة .

وقد وجد نقدنا الأدبي الجزائري المعاصر نفسه أمام إشكالية كبيرة جراء انفتاحه على المناهج النقدية الغربية المعاصرة ومحاولته ركوب تيار الحداثة، ليجد نفسه أمام كم هائل من المصطلحات التي

حملتها المفاهيم النقدية الطارئة على نقدنا المعاصر وقيل التطرق إلى هذه الإشكالية لا بد من أخذ فكرة ولو موجزة عن مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالمصطلح التعريف اللغوي والاصطلاحي وآليات صياغة المصطلح ثم التطرق إلى وظائف المصطلح أو وظائف الفعل الاصطلاحي كما قال الناقد يوسف وغليسي ثم أسباب هذه الأزمة و أهم جهود الباحثين العرب للحد منها.

أولا - مفهوم المصطلح لغة واصطلاحاً :

-المصطلح لغة : كلمة "مصطلح" مأخوذة من المادة اللغوية صلح الدالة على صلاح الشيء وصلوحه أي أنه نافع ، ففي المعجم الوسيط « صلح ، صلاحاً ، وصلوحاً " زال عنه الفساد ... ، واصطلح القوم زال ما بينهم من خلاف ، وعلى الأمر تعارفوا عليه واتفقوا...»¹ .

و في لسان العرب : « الصلح تصالح القوم بينهم ، و الصلح : السلم ، وقد اصطلحوا وصلحوا و أصلحوا وتصلحوا و أصلحوا...»² .

و قد ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن الصاد واللام و الحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد³ .

كما ذهب يوسف وغليسي إلى أن دلالة الكلمة لا تتعدى معنى الاتفاق و التوافق و المصالحة و التعارف⁴ .

-المصطلح اصطلاحاً :

يعرف الجرجاني المصطلح بقوله : « الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر ، لمناسبة بينهما ، وقيل : الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد ، و قيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين »⁵ .

يفهم من تعريف الجرجاني للمصطلح بأنه تسمية لشيء ما يتفق عليها وهو تغيير المعنى اللغوي للشيء أو إخرجه عن معناه الأول .

أما " عبد السلام المسدي " فيعرف المصطلحات كالاتي : « المصطلحات هي مجموعة الألفاظ التي يصطلح بها أهل علم من العلوم على متصوراتهم الذهنية الخاصة بالحقل المعرفي الذي يشتغلون فيه وينهضون بأعبائه ، ويأتمنهم الناس عليه ، ولا يحق لأحد أن يتداولها بمجرد إضمار النية بأنها مصطلحات في ذلك الفن إلا إذا طابق بين ما ينشده من دلالة لها وما حدده أهل ذلك الاختصاص لها من مقاصد تطابقاً تاماً »⁶ .

وهنا يقدم لنا عبد السلام المسدي إضافة جديدة لمفهوم المصطلح بأنه لا يكفي حضور النية اتجاه مصطلحات فن ما لتداولها بدون وجود تطابق تام بين دلالة المصطلح الموضوع وبين ما حدده أهل الاختصاص من مقاصد له .

وقد أورد " عمر عيلان " تعريفاً للمصطلح في كتاب له بأنه : « كلمة أو مجموع كلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية ، وتسميتها في إطار معين ، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها »⁷ .

أشار عمر عيلان في مفهومه للمصطلح أن هذا الأخير قد يكون أكثر من كلمة تخرج من دلالتها اللفظية والمعجمية لتشمل تصورات فكرية بإطلاق اسم عليها وتضبط مفهومها .

كما ورد تعريف المصطلح في كتاب لـ : " عبد الغني بارة " بأنه «تسمية فنية تقوم على دقتها و وضوحها معرفة الأشياء و الظواهر ، بسيطها و مركبها ، ثابتها و متغيرها »⁸ .

و لفظة مصطلح في اللغات الأوروبية المختلفة كلمات متقاربة النطق و الرسم ، من طراز Terme في الفرنسية و Term في الإنجليزية ، و Termine في الإيطالية و Termino في الإسبانية و Termo في البرتغالية ، و كلها مشتقة من الكلمة اللاتينية Terminus بمعنى الحد أو المدى أو النهاية⁹.

يتضح من جملة المفاهيم السابقة للمصطلح أنه يمثل :

- ✓ تسمية يتفق عليها لشيء ما.
- ✓ يتجاوز المصطلح الدلالة اللفظية و المعجمية لتأطير تصورات ذهنية.
- ✓ التطابق التام بين المصطلح الموضوع و ما حدده أهل الاختصاص من دلالة.
- ✓ قد يتجاوز المصطلح الكلمة الواحدة.
- ✓ اتسام المصطلح بالدقة و الوضوح.

أما عن المصطلح النقدي فهو يمثل أساس الخطاب النقدي ، وهو رمز لغوي مفرد أو مركب أحادي الدلالة منزاح نسبيا عن دلالاته المعجمية الأولى يعبر عن مفهوم نقدي محدد وواضح ، متفق عليه بين أهل هذا الحقل المعرفي ، أو يرجى منه ذلك¹⁰.

كما أن المصطلح النقدي جزء من المصطلح العام وهو « اللفظ الذي يسمى مفهوما نقديا لدى اتجاه نقدي ما ويعتبر من ألفاظ هذا الاتجاه أو من مصطلحاته » ، أو هو « مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصص النقد »¹¹.

وهو أيضا « النسق الفكري المترابط الذي يبحث من خلاله عملية الإبداع الفني ونختبر على ضوئه طبيعة الأعمال الفنية وسيكولوجية مبدعها ، و العناصر التي شكلت ذوقه »¹².

ومن خلال هذا المفهوم نخلص إلى أن المصطلح النقدي هو الذي يؤطر التصورات الفكرية التي ينتجها فعل الممارسة العلمية النقدية وفق ضوابط منهجية من شأنها توضيح دلالاته.

ولقد تبلورت المصطلحات النقدية العربية من مزيج من التصورات ، فأستمد بعضها من عالم الأعراب وخيامهم كالبيت والعمود ، ومن عالم الثياب كحسن الديباجة ، رقيق الحواشي ، مهلهل ومن عالم الحروب والشجاعة كمتين الأسر .

وأیضا قد استمدت مصطلحات من عالم الطبيعة مثل – هذا شعر فيه ماء رونق- ، و من الحياة الاجتماعية كالطبع والصناعة ومن تجارب العرب في الترجمة كاللفظ والمعنى .

وهكذا نجد أن البواكير الأولى للمصطلحات النقدية تحمل معطيات الحياة العربية من الجاهلية على غرار المعلفات و القصائد إلى صدر الإسلام – النقائض- إلى عصور الانحطاط المعارضات و الموشحات .

وفي ظل ما يعرفه الغرب من تطور حضاري وفي جميع النواحي بما في ذلك العلمية والمعرفية مما أدى إلى ظهور كم هائل من المصطلحات لمواكبة هذا التطور، فما إن تظهر نظرية من النظريات الجديدة إلا وصحبها سيل من المصطلحات التي تمثل لتلك المفاهيم الحديثة وتقدمها للمتلقي لاسيما في مجال النقد الأدبي، ولمواكبة هذا الركب ومسيرة هذا الزخم وجد العرب أنفسهم مجبرين على صياغة ما يناسب هذه المصطلحات، وهذه المفاهيم باللغة العربية حسب خصوصيات هذه اللغة ، ولصياغة هذه المصطلحات أو إعادة صياغة هذه المصطلحات هناك عدة طرائق من أهمها الاشتقاق والنحت و المجاز و التعريب و الترجمة .

* الاشتقاق : وهو استخراج لفظ عن آخر متفق معه في المعنى و الحروف الأصلية¹³ ، أو هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى ، وهو نوعان اشتقاق صغير وآخر كبير.

* النحت : النحت في الاصطلاح أن ينتزع من كلمتين أو أكثر، كلمة جديدة تدل على معنى ما انتزعت منه ، فهو بذلك جنس من الاختصار يلجأ إليه لمعالجة الكلمات الأوربية المتكونة من عنصرين، يفيد الأول معنى والثاني معنى آخر فيتكون منهما معنى ثالث جديد ، يفهم من هذا التعريف أن اللجوء إلى النحت يتم في حالة كون المصطلحات الأوربية مركبة ، فالنحت بهذه الطريقة يقابله التركيب في اللغات الأوربية ، والكلمات المنحوتة لا تقبل إلا إذا كان ذوقها سليما، و لتحقيق هذا الأخير يجب أن تكون الحروف المكونة لها منسجمة و خاضعة لأحكام العربية ، وزيادة على ذلك لابد من صياغتها على وزن عربي، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن عبد المالك مرتاض لا يأخذ بعين الاعتبار هذه الشروط ولاسيما عند نحته مثلا من " التحليل النفسي " مصطلح " التحلّسي" وقد عبر عن ذلك قائلا : « يعاب على استعمالنا هذا أنه خرج عن البناء العربي القائم ونحن نجيب عن هذا أن اللغة العلمية هي غير الأدبية»¹⁴.

و رغم الخلاف القائم بخصوص قضية اعتبار النحت من الوسائل المعتمدة في صياغة المصطلحات إلا أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة وافق على النحت عند الضرورة، ونص القرار على أنه يجوز النحت عندما تلجأ إليه الضرورة العلمية ، ونظرا لقرار المجمع القائل بجواز النحت عند الضرورة فإن النحت سيظل وسيلة من وسائل وضع المصطلحات في اللغة العربية لكنه ليس أفضل من الاشتقاق الذي يعتبر أفضل الطرق لتكوين كلمات جديدة دالة على معان جديدة، لذلك كان محقا من قال : « يجب أن لا نلجأ إلى النحت إلا إذا أعيانا الاشتقاق»¹⁵.

* المجاز : المجاز هو انتقال اللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازي، وهذا ما قد يعبر عنه في موضع آخر بالاستعارة، والمجاز وسيلة تستعين بها اللغة لكي تطور نفسها بالمحافظة على الوحدات المعجمية نفسها والتي تتسع دلاليا لتستوعب دلالات جديدة

* التعريب : يعرف التعريب بأنه « صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية وقد استعملت كلمة المعرب بمعنى اللفظ الأجنبي الذي غيره العرب ليكون على منهاج كلامهم»¹⁶، وهو عند البعض إدخال اللفظ الأجنبي بذاته ————— و بمادته إلى اللغة العربية، و يصطلح على تعميم استعماله ضمن مفردات اللغة العربية .

* الترجمة : تعد الترجمة من الوسائل الهامة للرقى اللغوي، وخاصة في وقتنا هذا أين كثرت المنشورات باللغات الأجنبية، فالاطلاع على هذه الأخيرة يتطلب ترجمتها إلى اللغة العربية، ونظرا لأهمية الترجمة الكبيرة فقد تصدى لدراستها كثير من الباحثين ومن هؤلاء نذكر جورج موانان الذي عرفها بقوله : « الترجمة عملية اتصال غايتها نقل رسالة من مرسل إلى متلق أو مستقبل»¹⁷.

ولما كانت الترجمة وسيلة من وسائل الاتصال، فهي تستوجب نقل المعنى والمبنى معا، هذا يعني أن هذه العملية تقتضي نقل المحتوى الدلالي للنص من لغة الأصل إلى لغة النقل، حيث يتغير شكل الدلالة و ينتقل معه المعنى بوصفه عاملا سابقا على الكتابة واللغة فالشكل والمعنى مرتبطان ارتباطا شديدا حيث كل تغيير في نقل الشكل يصاحبه تغيير في نقل المعنى والعكس صحيح.

وينبغي للمترجم أن يحرص على ملائمة المصطلح المنقول للغة المنقول إليها، يقول المسدي: « إن المصطلح النقدي تزداد حظوظ مقبوليته في التداخل والتأثير ، كلما توفرت فيه مقومات الموائمة الإبداعية»¹⁸، ويشترط في ترجمة المصطلح كذلك الأمانة و الدقة .

ثانيا — وظائف المصطلح : تكلم الناقد يوسف وغليسي على خمس وظائف للمصطلح¹⁹ نوجزها كما يلي :

1-الوظيفة اللسانية :

يثبت المصطلح مدى قدرة اللغة على استيعاب المفاهيم مهما كانت حداتها، وكذلك مرونتها وقدرتها على مواكبة التطور بما تتسم به من اتساع جذورها المعجمية.

2- الوظيفة المعرفية :

يمثل المصطلح لغة العلم والمعرفة فلا وجود لعلم دون مصطلحية " مجموعة مصطلحات " لذا فقد أحسن علماءنا القدامى صنعا حين جعلوا من المصطلحات " مفاتيح العلم " و " أوائل الصناعات " .

فلا عجب -إذن- أن يمثل أحد الباحثين منزلة المصطلح من العلم بمنزلة " الجهاز العصبي من الكائن الحي عليه يقوم وجوده و به يتيسر بقاؤه ، إذ أن المصطلح تراكم مقولي يكتنز وحده نظريات العلم وأطروحاته .

3- الوظيفة التواصلية : المصطلح وسيلة تواصل من الدرجة الأولى في عالم العلم والمعرفة وبدونه يصبح النص مجرد سرد متسلسل لأفكار و جمع مرتب لها.

4- الوظيفة الاقتصادية : بقدرة النص على اختزان كم هائل من التصورات الذهنية والأفكار واختزالها بدقة ووضوح تجعله يقوم بوظيفة اقتصادية مهمة في عالم العلم والمعرفة.

5- الوظيفة الحضارية : لا شك أن اللغة الاصطلاحية لغة عالمية بامتياز ، إنها ملتقى الثقافات الإنسانية وهي الجسر الحضاري الذي يربط لغات العالم بعضها ببعض وتتجلى هذه الوظيفة خصوصا في آلية " الاقتراض " التي لا غنى لأية لغة عنها، حيث تقترض اللغات بعضها من بعض صفات صوتية تظل شاهدا على حضور لغة ما، حضورا تاريخيا ومعرفيا وحضاريا في نسيج لغة أخرى، وتتحول هذه المصطلحات بفعل الاقتراض إلى كلمات دولية من الصعب أن تحتكرها لغة معينة، ومن الصعب أن تنسب إلى لغة بذاتها، فيتحول المصطلح إلى وسيلة لغوية وثقافية للتقارب الحضاري بين الأمم المختلفة فالمصطلح حسب الناقد يوسف و غليسي هو " لغة العولمة " .

البديهي أن العقل البشري جهاز فعال في التقاط الدلالات الكامنة وراء الأفعال السلوكية أو المواقف الثقافية أو المفاهيم والتصورات المعرفية ، وحين يتم استيعاب هذه الدلالات والمفاهيم بمعانيها العميقة عند ذلك يمكنه بأي شكل من الأشكال أن يتفاعل معها، وعن طريق هذا التفاعل يستطيع اكتساب الخبرات والمعارف الثقافية واللغوية والإنسانية ، وبالتالي فإن كل تصور معرفي خال من الدلالة لا يؤثر في العقل ، ولا يتم التفاعل الحقيقي معه وبالتالي لا يمكن أن يقدم لنا إضافة جديدة ذات قيمة معرفية وعلمية لذلك فإن الناقد إذا نقل تصورا معرفيا من لغة أجنبية عن لغة ثقافته الأصلية خاصة إذا كان هذا المفهوم غامض أو غير محدد الدلالة، فإن عملية النقل تكون حرفية للشيء المنقول، ومن ثم لا تكون هناك فرصة للعقل للتفاعل معه لغويا أو ثقافيا أو حضاريا، وفي غياب مثل هذا التفاعل لا يضيف هذا المفهوم المنقول أي شيء في مجال المعرفة أو الثقافة، وبذلك يكون العقل قد اغترب عن ذلك المفهوم أو ذلك التصور .

هذا ما فعله ناقدنا الجديد وما زال يفعله ومفاهيم ومناهج النقد الغربي المعاصر ، فالناقد قد استخدم عقله وإطاره الثقافي والمعرفي أداة صماء في نقل هذه المفاهيم من لغتها الأصلية إلى لغته العربية دون تفاعل فكري أو نفسي أو ثقافي أو حضاري.

فحين نقل لنا مثلا مفهوم البنيوية التداولية Structuralisme Génétique أو مفهوم Vision du Monde رؤية العالم أو مفهوم Structure Poétique بنية شعرية، أو غيرها من المفاهيم التي شاع استخدامها في نصوص النقد الجديد، نلاحظ أن هذه المفاهيم ترجمت ترجمة حرفية ونلاحظ أيضا أنها لم تحدد مدلولاتها اللغة والثقافة العربية فالناقد قد نقل المفاهيم دون تكوّن لها في بنائه الذهني .

وهذا ما يجعلنا نذهب إلى القول أن الناقد قد نقسـل المفاهيم النقدية الحديثة دون تفاعل فكري أو ثقافي، ونقصد بالتفاعل الفكري بأنه تلك العمليات الفكرية التي يقوم بها الناقد عندما يقوم بتحليل تلك المفاهيم المنقولة، وذلك انطلاقاً من مرجعيته الفكرية والثقافية، بالإضافة إلى بيئته الثقافية التي لها خصوصيتها ولا يمكن بأي حال من الأحوال ملائمة هذه المفاهيم النقدية لبيئات مختلفة ولم ينجح ذلك إلا بعد محاولات عديدة للتطبيع ، وقد يظن البعض أن ركوب درب قطار الحداثة إنما يكون بنقل المفاهيم النقد الغربي المعاصرة دون وعي واستيعاب وتحليل وكأننا بعد ذلك النقل نكون قد أصبحنا من النقاد المحدثين لأن الكثير من هؤلاء اعتبر أن حداثة الفكر النقدي تتمثل في تقمص الاصطلاحات والمفاهيم النقدية الغربية البراقة التي تسيطر على المناخ النقدي الغربي ، رغم عدم وضوحها وتداخل معانيها بالنسبة إلينا على الأقل.

ويمكن القول أن المصطلحات المتداولة في الساحة النقدية العربية لم تعرف الاستقرار بعد فهي في مرحلة التجريب كما تعاني من كثير من الاضطراب و الفوضى.

كما هناك ظاهرة أخرى أدت إلى تداخل الحقول المصطلحية في الخطاب النقدي العربي الجديد ألا وهي التركيب المنهجي و الذي ظهر بأشكال مختلفة كالمنهج المركب لدى "عبد المالك مرتاض" والذي يعد رائده الأول في النقد العربي في كتاباته العديدة أين حاول التوفيق بين المناهج المختلفة بجمعها في دراسة واحدة.

ومن البديهي التساؤل عن ظاهرة تعدد الترجمات العربية لمصطلح أجنبي واحد تعدداً يفوق التوقع ، ومثلاً على ذلك قد ترجم مصطلح Paradignatique و Syntagnatique بأكثر من أربعين مصطلحاً عربياً ، كما ترجم مصطلح Ecart / Déviation بما يتجاوز الأربعون ترجمة ، و ترجم مصطلح Sémiologie و Sémiotique بست و ثلاثين مصطلحاً ، كما ترجم مصطلح Poétique بإثنيــــــــــــــن و ثلاثين مصطلحاً ، و أيضاً مصطلح Linguistique بأربعة و عشرين مصطلحاً و مصطلحي Connotation و Dénotation بخمس و عشرين و أربعة و عشرين ترجمة على التوالي . و قد تأسف الناقد يوسف و غليسي في كتابه " إشكالية المصطلح " على الاختلاف الاصطلاحي العربي الكبير رغم أن الدلالة اللغوية للاصطلاح هي الاتفاق و ضرب مثلاً على ترجمة كتاب دوسوسير على مدى أربع سنوات خمس ترجمات كاملة في خمس أقطار عربية متجاوزة لا علاقة لأي منها بالأخرى لا في العنوان و لا في الكتابة الموجودة لاسم المؤلف و أضاف معلقاً أن هذا الصنيع موصول حتماً بالمقولة العامية الساخرة "اتفق العرب ألا يتفقوا" .

و أضاف الناقد على أنه يتوجب على الناقد العربي المعاصر قبل التفكير في التنسيق الاصطلاحي مع غيره هو أحوج ما يكون إلى التصالح مع ذاته لأننا رأينا بعضهم يقترح مصطلحاً ثم ينبذه ويأتي بغيره غداً ، مما يؤجل حلم توحيد الاصطلاح إلى الآتي الذي قد لا يأتي، ويجعل توحيد المصطلحات سراباً هارباً وطموحاً ميؤوساً منه .

أزمة المصطلح النقدي نتجت من الفوضى التي يعيشها التأليف و الترجمة و مما زادها خلا و

اضطراباً :

أ- اختلاف ثقافة المؤلفين أو الباحثين و هم ثلاثة أنواع :²⁰

الأول : ذو ثقافة أجنبية يقرأ الأدب و نقده باللغة الأجنبية.

الثاني : ذو ثقافة مضطربة يقرأ الأدب الأجنبي و نقده بالعربية .

الثالث : ذو ثقافة عربية يأخذ من كل فن بطرف .

لقد أدى هذا الاختلاف في لون الثقافة وطريق تحصيلها إلى أن يأخذ من يقرأ باللغة الأجنبية مصطلحاته عن اللغة التي يعرفها فيقع الاختلاف والتفاوت كما يحدث بين المغرب العربي والمشرق العربي ، أما ذو الثقافة المضطربة والمعتمد على الترجمات فأمره أكثر اضطرابا ومثله ذو الثقافة العربية الذي لم تتضح أمامه الرؤية ولم يستطع أن يوازن بين ماضيه وبين ما يفرضه الواقع الجديد.

ب-اختلاف الأوربيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم إليه من خلال ثقافتهم الخاصة أو مذهبهم الأدبي والنقدي ومثال ذلك مصطلح " الصورة " فهي عند العرب غيرها عند الغربيين، وهي عند الرومانسيين تمثل المشاعر والأفكار الذاتية ، وعند البرناسيين تعرض الموضوعية ، وعند الرمزيين تنقل المحسوس إلى عالم الوعي الباطني ، وعند السرياليين تعني بالدلالة النفسية²¹.

وهي عند غيرهم " رسم قوامه الكلمات " وهي « إعادة إنتاج عقلية ، ذكرى لتجربة عاطفية أو إدراكية غابرة ليست بالضرورة بصرية »²².

إذن كيف يفهم الباحث هذا التفاوت إن لم يفهم الروح الأدبية التي كانت سائدة حين ظهرت ألوان تلك الصور ؟ وكيف يحدد مصطلحها ويستعمله ويديره في كتاباته وهو يجهل دلالاته الدقيقة ؟.

ج- الاشتراك اللفظي في اللغة المنقول عنها واختلاف المترجمين عن اللغات المختلفة.

د- الاشتراك اللفظي في اللغة العربية ودلالة المصطلح الواحد على عدة أشياء.

وقد لاحظ الدكتور "يوسف وجليسي" بأن جلّ الدراسات والبحوث متففة على وصف المصطلحات اللسانية والسميائية التي هي المعين الأساس للقاموس النقدي الجديد بالمشكلة، فالدكتور " محمد حلمي خليل" يقرر أن المصطلحات اللسانية « أصبحت تشكل عبئا كبيرا على المدارس الأكاديمية المبتدئ و المتقدم »²³، أما عبد القادر الفاسي يعتقد أن أهم ما يتسم به وضع المصطلح هو طابعه العفوي، وهي عفوية لا تقتزن بمبادئ منهجية دقيقة ولا بالاكتراث بالأبعاد النظرية للمشكل المصطلحي، وقد قادت هذه العفوية إلى كثير من النتائج السلبية، وفي مقدمتها الاضطراب والفوضى في وضع المصطلحات وعدم تناسق المقابلات المقترحة للمفردات الأجنبية²⁴.

بينما يرى الدكتور رشيد بن مالك أن « ترجمة المصطلح في الخطاب السيميائي المعاصر تتسم بالاضطراب الذي يحول دون بث وتلقي الرسالة العلمية ويؤدي في جميع الحالات إلى نسف الأسس التي ينبغي أن يبنى عليها التواصل العلمي »²⁵.

كما يرى أيضا أن « فحفا دقيقا للمصطلحية المسخرة في الدراسات النقدية يكشف إلى أي حد هي عميقة حالة الفوضى والتذبذب لأن هذا الاضطراب المصطلحي الذي يعد السمة الغالبة في البحوث النقدية صادر عن التسرع في تبني هذا التيار أو ذاك ، وعن غياب رغبة حقيقية في تمثّل وفهم جوهر السؤال »²⁶.

و كان قد رأى سابقا توفيق الزبيدي أن « المصطلح النقدي اللساني ومسألة نقله إلى العربية يشكل عقبة كبرى أمام هذا البحث ، إذ هو يمر بفترة تأرجح و غموض أدت إلى عملية ترادف و خلط كبيرين »²⁷.

و أيضا لاحظ الدكتور وهب رومية هذه الظاهرة المرضية للنقد العربي الجديد ، ومن التوظيف الاصطلاحي المضطرب حيث غدا « الاضطراب في استخدام المصطلح النقدي أفة فاشية يعاني منها النقد العربي المعاصر معاناة قاسية »²⁸.

ولتوضيح حجم وإشكالية اضطراب المصطلح في النقد الجزائري المعاصر، سنحاول التطرق إلى مصطلح " التناص " عند عبد الملك مرتاض، هذا الأخير الذي يشهد له بالتضلع في حقل النقد، حيث كان سابقا لتجريب مناهج النقد الحديثة والمعاصرة وتطبيقها على نصوص عربية حديثة وأخرى من التراث،

لكن عرفت المقاربات النقدية لمرتااض تذبذبا واضطرابا للمصطلح، وإذا عدنا إلى الكلام عن مصطلح التناسل لدى مرتااض، فإنّ هذا الأخير يقرّ أنّ هذا المفهوم موجود وحاضر بشكل بارز في النقد العربي القديم ولكنه اشتهر بمصطلح (السرقات الشعرية)، وفحوى هذا الأخير هو الاقتباس الخفي أو الظاهر للألفاظ أو الجمل من سياق وإعادة صياغتها في سياق آخر²⁹، ولكن مرتااض لم يستسقي هذا المصطلح بل كره استعماله، لأنه يحمل في ثناياه إهانة وإدانة للشعراء بالسرقة، ولكنه يقع في نفس الخطأ الذي لم يتقبله في مصطلح السرقات الشعرية، فهو يصف الكاتب حين يتناص مع كاتب آخر بـ (الناهب) بقوله: « فمن الكتاب يزعم أن ما يكتبه لم يخطر بخلد أحد قبله ولا فكّر فيه ولا التفت إليه... إنّ كل كاتب ناهب من حيث لا يشعر ولا يريد»³⁰، أما المصطلح التراثي الثاني (الاقتباس) فقد فضلّ عليه مرتااض مصطلح التناسل الذي قال عنه أنّه أدقّ³¹.

وبالنسبة لجذور مصطلح التناسل لدى الغرب فإنّ مرتااض يرى أنّه ابتداء مع " جان جيرودو" بمصطلح السرقات الأدبية لكن الفضل حسب مرتااض يعود إلى باختين الذي أعطى للمصطلح أبعاده، وقولبه في شكل نظرية، لكن مصطلح التناسل لم يظهر معه، بل استعمل (البنى الحوارية للنص) ، (كرنفالية النص)، (تعددية أصوات اللغة)، ثم أنّ الفضل يعود لجوليا كرسيفا وجهودها في التععيد لهذه النظرية.

ومن التعريفات التي اقترحتها مرتااض للتناسل أنّه « استبدال نصوص سابقة بنص حاضر دون قصد»³²، وهو أيضا حسبه « الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمن ألفاظا وأفكارا كان التهمها في وقت سابق ما دون وعي صراح بهذا الأخذ الواقع عليه من مجاهل ذاكرته وخفايا وعيه فمفهوم التناسل يعني ضرورة الإقرار بنسبية الإبداع»³³، ولم يرضى مرتااض بمصطلح التناسل بل ذهب يبحث له عن بديل أكثر دقة، فاقترح مصطلح (التكتاب)، وبرر تفضيله لهذا المصطلح عن مصطلح التناسل بأنّ التناسل عام يشمل اللغة والأسلوب والأفكار، أما التكتاب فإنه يخص تأثر الكاتب بكتابات أخرى بصرف النظر عن جنس هذه الكتابة.

كما اضطرب مرتااض في ترجمة مصطلح "Intertextualité" فهو يترجمه تارة بالتناسل وتارة أخرى بالتناسلية، معا في نص واحد، « لقد سبق لنا في كتاباتنا الأخيرة أن تناولنا الحديث عن التناسل أو التناسلية على أصح ما ينبغي أن يقابل المفهوم الغربي Intertextualité إمّا تنظيرا أو تطبيقا»³⁴، وفي موضع آخر يقول: « والمسألة برمتها أي ما يتمخض للتناسل والمتناسل معا يطلق عليها كما نأتي ذلك فعلا في النقد المعاصر (التناسل) فإذا انزلنا إلى البحث عن ماهية والمفهوم والعلاقات أي في صميم النظرية فذلك هو Intertextualité »³⁵.

أما المصطلح الأخير رشحه مرتااض لأن يكون بديلا عن التناسل هو مصطلح المقراءة، حيث قال: « القراءة سلوك حضاري فكري ذهني روحي جمالي ثقافي هي عادة متحضرة في دأب متأصل هي مثاقفة داعية، هي ما يمكن أن نطلق عليه في لغتنا الخاصة (مقراءة) أو هي كما يعبر عنه بعض الغربيين (تناسل)»³⁶.

إنّ هذا الاضطراب المصطلحي لدى عبد الملك مرتااض لمصطلح التناسل، ما هو إلا نموذج عن حجم الإشكالية التي يتخبط فيها النقد الجزائري المعاصر، والنقد العربي عموما، وللحد من هذه الأزمة الحادة التي يعيشها النقد العربي المعاصر وما يترتب عنها من آثار سلبية حاول بعض الباحثين العرب التصدي لها بوضع مقترحات تحد من تأثيرات الأزمة الراهنة، نذكر منها رؤية كل من أحمد مطلوب وفاضل ثامر، فقد قدمت مقترحاتهما خلال مؤتمر نظم بجامعة اليرموك في الأردن عام ألف وتسعمائة وأربعة وتسعون وقد كان محور هذا المؤتمر المصطلح اللغوي و النقدي.

وقد قدم أحمد مطلوب جملة من الاقتراحات للحد من هذه الأزمة نذكر منها:³⁷

أولا : رصد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالتها وتغييرها في العهود المختلفة وذلك من أجل تدوين المصطلحات التي تزال شائعة في الدراسات الأدبية النقدية الحديثة، والاستعانة بها في وضع المصطلحات الجديدة لما لم يوضع له، أو وضع له مصطلح ولم يشع، أو لم يتفق عليه الأدباء والباحثون والنقاد، ونقل المصطلحات القديمة عند الضرورة من معانيها القديمة إلى المعاني الجديدة بطريقة التوليد.

ثانيا : جرد أهم الكتب الأدبية والنقدية الحديثة، واستخلاص المصطلحات النقدية التي استعملت في هذا القرن والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد.

ثالثا : جرد أهم كتب مصطلحات الأدب و النقد الحديثة و المعاصرة.

رابعا : جرد أهم كتب الفلسفة و علم النفس و علم الاجتماع و الفنون، واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الأدبي.

خامسا : جرد أهم كتب اللسانيات، لما بينها وبين الأدب ونقده من وشائج وصلات ظهرت في التيارات الحديثة والمناهج الجديدة.

سادسا : جرد أهم كتب الأدب و النقد و اللسانيات المترجمة .

سابعا : الاطلاع على بعض موسوعات الأدب الأجنبي ونقده وبلغتها الأصلية.

ثامنا : الاستعانة ببعض المعاجم اللغوية الأجنبية لتحديد معنى الاصطلاح اللغوي، والوقوف على دلالاته كما تصورها تلك المعاجم، والصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، وطريقة انتقال دلالاته.

أما فاضل ثامر فيقدم المقترحات التالية:³⁸

- العمل على وضع معجم اصطلاحي خاص بمصطلحات النقد الأدبي، يوحد الجهود الفردية والجماعية ويضع قواسم مشتركة ومقبولة من قبل المترجمين والباحثين والنقاد العرب.

- السعي لتأسيس مصرف للمصطلحات النقدية.

- إعادة فحص المصطلح النقدي و اللساني و البلاغي الموروث، والعمل على إمكانية إعادة تشغيل وتداول بعض مفرداته، تجنباً للقطيعة الحاصلة في الوقت الحاضر بين المصطلح الموروث و المصطلح الحديث.

- العمل على تأصيل المصطلح النقدي وتجديره، و تحريره من الارتباط المباشر بعلوم اجتماعية مجاورة مثل علم النفس و علم الاجتماع و علم الاناسة .

- إعادة النظر في الكثير من المصطلحات النقدية المتداولة ، والتي استخدمت بطريقة اعتباطية ولم تكن دقيقة ، مثل مصطلحات " الشعر المنثور " و " الشعر الحر " ، و " الشعر المنطلق " .

- إعادة فحص الرصيد الاصطلاحي عند مختلف النقاد ، وملاحظة سيرورة تداولية المصطلحات المختلفة.

- السعي لنشر الثقافة المعجمية و المصطلحية، والوقوف ضد محاولة تجاهل العقد المصطلحي، أو التصرف الاعتباطي والعشوائي بالمصطلح النقدي .

- تأكيد أن مهمة الباحث العربي الحديث لا تقتصر على عملية ترجمة المصطلح الأجنبي، وإنما تنتعدى ذلك إلى عملية وضع المصطلح الجديد.

- تأكيد أن المصطلح ليس مجرد وحدة معجمية اعتيادية، وإنما هو مسألة معرفية ومفهومية قبل كل شيء.

- السعي لحل الإشكال الناتج أحيانا عن ترجمة المصطلح من عدد من اللغات الأجنبية الأصلية وذلك عن طريق عمل جماعي مشترك، يعتمد على دلالة المصطلح المعرفية لحل أي لبس أو اختلال محتمل.

- تشجيع المؤسسات الثقافية و الجامعية ، و المجمع العلمية العربية و هيئات التعريب في الوطن العربي على مواصلة العمل على نشر المعاجم الاصطلاحية، وعقد المزيد من الندوات و الحلقات الدراسية

الخاصة بالمصطلح النقدي العربي، و القديم منه خاصة.

ثقافة الإجرام في المجتمعات العربية - دراسة سوسيوثقافية -

د. ساسي سفيان
جامعة الشاذلي بن جديد.الطارف

الملخص

إن هذه الدراسة ستقوم بعرض المقاربات السوسيو-تاريخية لانتشار ثقافة الإجرام في المجتمعات العربية وذلك بتبني الاتجاه المابين فرعي في المقاربات المعرفية (السوسولوجية والتاريخية) التي تدرس أسباب تنامي هذه الثقافة السلبية، فهذه المقاربات تقتضي فهم الواقع الاجتماعي الراهن للمجتمعات العربية والبحث في تراكيبه الثقافية، من أجل فهم الظاهرة بشكل علمي دقيق.
الكلمات المفتاحية: سوسولوجيا الإجرام، الثقافة، القيم الانساق، المجتمع، الدولة.

Abstract

This article attempts to show that it would be wise to approach the study of crime as part of a cultural approach taking into consideration the cultural and historical aspects often overlooked speak sociological studies concerned with this topic.

He has seen, in fact, that researchers have variously examined the review of the criminal act often in sociological and criminological optic considered only legitimate approaches and able to elucidate this difficult and complex problem and thus eliminating the opportunity to study in a sociocultural vision. The absence of the latter seems to result both from some methodological obstacles and also the sensitivities generated by the nature of the phenomenon of crime itself.

Without wishing to minimize the importance of cultural and criminological visions, we propose to study this phenomenon, to favor a socio-cultural approach that will take into account all aspects of the social reality that precisely the cultural aspects and that in order to be the clearest and most complete idea possible.

It is understood that this study does not pretend to preset recipes on what could be the theoretical and empirical study of criminal behavior but rather to offer a way to address some of its aspects.

Key words: crime, culture words, society, the conflict, the State.

المقدمة

تهدف هذه المداخلة إلى توضيح أنه يستحب دراسة ظاهرة الجريمة في المجتمع الجزائري في ظل مقارنة ما بين فرعية، بأخذ الأبعاد السوسيو-ثقافية لتنامي الجريمة في الحسبان، علما بأن التحليل الثقافي للجريمة لم يحظ باهتمام الدراسات السوسولوجية لظاهرة الجريمة والتي تمت في الجزائر.

الإشكالية

تقع بحوث الجريمة غالبا إما في مجال الدراسات السوسولوجية، علم الإجرام أو السيكولوجية، وهي مداخل رئيسية ولكن هنالك غياب للدراسات السوسيو-ثقافية للظاهرة بسبب الصعوبات

الميدانية وقلة الإحصائيات، فهي تقتضي قراءة عميقة للواقع الاجتماعي الجزائري والبحث في مساره التاريخي والتغيرات التي أدت به إلى هذا الوضع.

ولا نسعى من هذه الدراسة وضع وصفات جاهزة لهذه لتنامي الجريمة، بقدر ما نسعى إلى إيجاد مقاربة تجمع النظريات البحثية في هذا الجانب والواقع الاجتماعي، في محاولة منا لوضع دراسة نظرية وتحليلية.

أولاً. مصطلحات الدراسة

1. الجريمة

للجريمة مفاهيم عدة تتنوع بتنوع مصادرها، هذه المفاهيم والتعريفات التي تنظر للجريمة من زوايا مختلفة وفيما يلي نستعرض أهمها:

الجريمة اصطلاحاً هي خروج وجماع وحنوح يغلب به المرء الأثرة على الإيثار مضحياً في سبيل كيانه الذاتي بما يتطلبه الكيان الاجتماعي⁽¹⁾، فهي ظاهرة اجتماعية سلبية تعبر عن خلل وارتباك وبعثرة العلاقات الاجتماعية وبالسلوك الاجتماعي وتجسد طبيعة التناقضات في المتغيرات الموضوعية والذاتية المؤثرة في بيئة الإنسان وحياته الاجتماعية وتشخص ماهية المشكلات الإنسانية التي يعاني منها الفرد والجماعة على حد سواء⁽²⁾، ومن وجهة النظر النفسية فهي سلوك متعمد وغير مشروع يصدر عن مصادر نفسية وهي الكبت والاضطراب الداخلي لإشباع احتياجات تدفع الفاعل نحو السلوك المنحرف وتماديه في ارتكاب الجريمة.

أما في العلوم الاجتماعية فقد برزت اتجاهات عديدة في تفسير الجريمة فبعضها يرى أن الجريمة هي جمع أنماط السلوك المضاد للمجتمع أي الضرر بالمصلحة الاجتماعية، أما الثاني فيركز على الضبط الاجتماعي وما يتضمنه من معايير تحكم السلوك، أما الثالث فيتمثل في محاولة إيجاد صياغة تعريف الجريمة ويشمل جمع الأفعال الإجرامية والأفعال الخارجة عن المعايير الاجتماعية التي تخضع للعقاب⁽³⁾.

أما من وجهة نظر العلماء فلهم تعريفات أخرى فعالم الاجتماع الفرنسي (إميل دور كهاريم) يعرف الجريمة على أنها ظاهرة طبيعية تمثل الضريبة التي يدفعها المجتمع ويتحمل الفرد آثارها. ويعتقد ادوين سذرلاند (1883-1950) Edwin Hardin Sutherland أن الجريمة سلوك تخرمه الدولة لضرره بها ويمكن أن ترد عليه بعقوبة، أما العالم الهولندي وليام ادريان بونجيه (1876-1940) Willem Adriaan فيرى أن الجريمة هي فعل يقترب داخل جماعة من الأفراد تشكل وحدة اجتماعية وتضر بمصلحة المجتمع ويعاقب عليه بعقوبة أشد قسوة من مجرد رفضها القانوني⁽⁴⁾، في حين نجد أن غابريال تارد (1834-1904) Gabriel Tarde فيقول أنها تتكون من الظواهر الاجتماعية الأخرى وتتأصل في المجتمع عن طريق (التقليد والمحاكاة) ولهذين العاملين أهمية كبرى في المجتمعات من حيث ممارسة العادات والتقاليد عن طريق عاملين (التقليد والمحاكاة).

ومن الناحية القانونية "هي كل عمل مخالف لأحكام قانون العقوبات، فهي عمل لا أخلاقي تنفر منه النفوس"⁽⁵⁾، وليأخذ الفعل الإنساني الصفة الإجرامية من الناحية القانونية، لا بد أن يتضمن بعض الخصائص كأن يُحدث السلوك ضرر للمصالح العام وبصورة فعلية لكن التفكير في ارتكاب الضرر لا يكفي وحده لأن يشكل جريمة فالنية في ارتكاب الجريمة والتفكير بها عن دون ارتكاب الفعل الحقيقي لا يؤخذ به قانونياً، أما الخاصية الثانية فهي يجب أن يكون هذا الضرر محرماً قانونياً ومعرفاً في قانون العقوبات ووجوب توافر القصد الجنائي أي الشخص الذي يرتكب الفعل

الضار حرمة القانون وهو ممتلك حرية الإرادة، فيجب هنا أن يتوافق القصد الجنائي والتصرف الإجرامي، ومن خواصها أيضا أن تتوفر العلاقة السببية في الضرر المحرم قانونا وسوء التصرف ويجب أن يحدد العقاب في الجريمة وينص عليها قانونا وتفصل، هذه الخصائص المختلفة للجريمة ترتبط جميعا بطبيعة السلوك الذي يمكن أن يطلق عليه اسم (الجريمة) أما العقوبات المفروضة فالقاضي هو الذي يحددها بموجب القانون اخذ بنظر الاعتبار ظروف الجريمة وطريقة ارتكابها⁽⁶⁾.

2. علم ثقافة الإجرام

علم ثقافة الإجرام هي "دراسة نظرية منهجية تداخلية للجريمة تسعى إلى فهم الجريمة في سياقها الثقافي"⁽⁷⁾، فهي تنظر إلى الجريمة ومؤسسات مكافحة الجريمة على أنها منتجات ثقافية، وتسعى ثقافة علم الجريمة إلى تسليط الضوء على كيفية تأثير النفوذ على بناء الجريمة مثل وضع القوانين وانتهاكها والتفاعل مع روح المبادرة الأخلاقية والابتكار والعدوان، ويُعتقد أن الجريمة ومكافحتها تتشكل عن طريق وسائل تحددتها الثقافة.

يرجع تاريخ ثقافة علم الجريمة إلى منتصف تسعينيات القرن العشرين⁽⁸⁾، وتعتمد بشكل كبير على مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع وكذلك على علم الجريمة الماركسي (وليم أدريان بونجير (1876-1940) WILLIAM ADRIAN. BONGER) الذي نشأ في السبعينيات من القرن العشرين.

1/ **التطرف**: في الأدبيات السيكولوجية والاجتماعية يعرف "التطرف بأنه خط الاعتدال وثورة ورفض الواقع المحيط بالفرد بما يحمله هذا الواقع من نظام قيمي ومعيارى"⁽⁹⁾ فالتطرف إذن هو الغلو في الاعتقاد بالسلوك العنفي ضد الواقع، إذا لم يكن مقنعا أو كافيا أو ضعيفا أو دكتاتوريا.

2/ **العدوان**: "يشير إلى استخدام القوة بغرض تدمير الآخر أو ممتلكاته، نتيجة الشعور بالإحباط والفتل في تحقيق إشباع الحاجات"⁽¹⁰⁾.

3. في سوسيولوجيا الإجرام. الأشكال والفاعلين

أ- الإجرام الاجتماعي: ومن أسبابه (أشكال القهر الاجتماعي وأنواع من الدوافع النفسية، البيئة والاجتماعية).

ب- الإجرام الثقافي والفكري: أما أسبابه فهي (أساليب التنشئة الاجتماعية (التربية)، الأنظمة والقوانين (النظام السياسي)، الايدولوجيا والأعراف والتقاليد (الثقافة).

ج- الإجرام القيمي: هو نمط ثقافي شأنه شأن الأنماط الأخرى للانحراف الاجتماعي، ينشأ عبر عملية تنشئة اجتماعية مستمرة من التعليم والتدريب، وينتج عبر نظم ومؤسسات تربوية وتعليمية وعلاقات وتفاعلات اجتماعية وثقافية، يتم إنتاجها وإعادة إنتاجها عبر الوحدات والمؤسسات الاجتماعية نفسها (الأسرة، جماعة الرفاق، المدرسة، الجامعة...).

د- الإجرام السياسي: وهو استخدام القوة المادية أو التهديد باستخدام قوات الأمن لتحقيق أهداف سياسية⁽¹¹⁾، ذاتية أو شخصية بمعنى توظيف كافة أعمال الشغب وممارسة الأذى والتدمير بغرض تحقيق أهداف سياسية، وتتعدد القوى التي قد تمارس الإجرام السياسي على النحو:

- الإجرام الموجه من النظام إلى المواطنين أو إلى جماعات وعناصر معينة وذلك لضمان استمرار وتقليص دور القوى المعارضة والمناوئة له.

- الإجرام الموجه من المواطنين أو فئات معينة (أفراد أو جماعات) إلى النظام نفسه.

- الإجرام الموجه من بعض عناصر أو أجنحة النخبة الحاكمة إلى بعض عناصرها أو أجنحتها الأخرى، ويدخل هذا النموذج في إطار الصراعات داخل النخبة ذاتها ضمن أشكال التصنيفات الجسدية، الاعتقالات والانقلابات.

ثانياً. المقاربات السوسيو-تاريخية

1. المقاربات السوسيو-ثقافية

إن المقاربات السوسيو-ثقافية في دراسة ثقافة الإجرام انطلقت من التفسير الثقافي والاجتماعي للظاهرة الإجرامية - الذي يبنى على فكرة رئيسية مؤداها أن السلوك الإجرامي يخضع لنفس القواعد التي تخضع لها كافة الظواهر الاجتماعية الأخرى في السلوك الإنساني.

1/ السلوك الإجرامي

هناك العديد من النظريات التي تناولت تفسير هذا السلوك المعقد والحقيقة تشير أن غالبية علماء الإجرام لا ينكرون أن علم الإجرام لا زال قاصراً عن تقديم نظرية علمية كاملة في مجال السياسة وظل مطلب السياسة شغل العلماء الشاغل، وما زال علماء الجريمة المعاصرون يحاولون العثور على تفسير نظري كامل لسبب السلوك الإجرامي⁽¹²⁾.

فهو سلوك بشري يشترك مع السلوك الغير إجرامي في كثير من الأشياء وعلى هذا فيجب أن يفسر ضمن الإطار العام الذي يستخدم في تفسير السلوك البشري العام، فقد ظهر كثير من الالتباس فيما يخص السلوك الإجرامي ويرجع ذلك إلى فشل الباحثين بتعريف وتحديد وضبط مستويات أو درجات التفسير، وهنا يشمل هذا التحليل أنه يمكن نقد علماء الإجرام في تفسير السلوك الإجرامي في مستوى من مستوياته بعيداً عن سبب حدوثه فالفقر مثلاً ظرف من الظروف التي تساعد على تطور السلوك الإجرامي بسرعة ولكن ذلك درجة من درجات التفسير المتعلق في تطور السلوك الإجرامي ولكنه ليس العامل المسبب لحدوث السلوك الإجرامي، فمن المستطاع وضع نظرية اجتماعية للسلوك الإجرامي من وجهة نظر الجماعة المحلية المجتمع أو أي جماعة أخرى⁽¹³⁾.

فنتيجة للبحوث والدراسات العلمية الخاصة بالجريمة والمجرمين والتي استندت على السلوك الإجرامي فقد توصل العلماء في بحوثهم في هذا المجال إلى أن هناك عوامل عديدة لها دور في إحداث السلوك الإجرامي سوف نتطرق في هذا المجال إلى ثلاثة من هذه العوامل:

أ- دور التربية والتعليم في السلوك الإجرامي (التحصيل العلمي): لا تنحصر الجرائم التي يعاقب عليها قانون العقوبات بالأفراد الذين تكون مستوياتهم الثقافية والعلمية متدنية ومنخفضة بل تتجاوز هؤلاء إلى المثقفين والمؤهلين ثقافياً وعلمياً، والجرائم التي يرتكبها المعنيون والمثقفون تسمى بجرائم (ذوي الياقات البيض) التي لا تظهر في كل مكان، حيث تعتبر من اشد الجرائم وأخطرها وتعتبر اخطر من الجرائم الاعتيادية، التي يعاقب عليها القانون لأنها ترتكب بطريقة ذكية ومدروسة وتجلب الضرر لعدد كبير من المواطنين وتعرض سلامة وامن المجتمع للخطر وتزعزع ثقة المواطنين بأصحاب الوظائف والمهن.

ب- دور العوامل الاقتصادية في السلوك الإجرامي: تعتبر العوامل الاقتصادية من أهم العوامل المسؤولة عن السلوك الإجرامي في المجتمع ذلك أن ظاهرة الجريمة لا يمكن فصلها بأي حال من الأحوال عن الظروف الاقتصادية التي يمر بها المجتمع فالجرائم ما هي إلا ردود فعل للأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعيشها الأفراد والجماعات، وكما أن دور الجريمة تزداد في فترات الهبوط والكساد الاقتصادي وفي فترات التحولات الاقتصادية السريعة التي يشهدها المجتمع⁽¹⁴⁾.

ج- دور التحضر والتصنيع في السلوك الإجرامي: حيث تكثر الجرائم في البيئات الحضرية والصناعية وتقل أو تنعدم في البيئات الريفية والقروية، نظراً لتعدد الحياة في المجتمع الحضري والصناعي وبساطتها في المجتمع الريفي والقروي، لهذا يعتقد الإجرام بان الوسط الاجتماعي المعقد والمركب كالوسط الصناعي مثلاً الذي يعتبر سبباً من أسباب الجريمة والجوح، فالمجتمع الحضري الصناعي قد يخلق الشخصية الإجرامية ويوفر الظروف الموضوعية والذاتية التي تنمو وتترعرع فيها الشخصية الإجرامية ويعطي التفسيرات العلمية والمبررات العقلانية لظهور الجريمة وانتشارها وبلورتها في المجتمع الصناعي⁽¹⁵⁾.

2/ التنازع الثقافي

ركز العالم الأمريكي سوريستن سيلين (1896 – 1994) Johan Thorsten Sellin على ضرورة تحليل الجريمة في ضوء التنازع الثقافي (Conflit culturel)⁽¹⁶⁾، الناشئ عن التضارب بين قواعد السلوك (Normes)، فالفرد يجد نفسه داخل المجتمع الواحد- مشدوداً بين ثقافتين متعارضتين لكل منهما نمط سلوكي مخالف، الأمر الذي يجعل من فعله، في بعض الأحيان، مشكلاً لجريمة في نظر إحدى الثقافتين، ويرى سيلين (1994-1896) Johan Thorsten Sellin أن قواعد السلوك تتحدد من خلال الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، والتي قد يشوب قيمها التنازع والتضارب مع قيم جماعات أخرى تتواجد في محيط الفرد الاجتماعي.

ويأخذ التنازع الثقافي لدى سيلين إحدى صورتين: إما صورة التنازع الأصلي أو الخارجي، وذلك حينما يقع التصادم بين ثقافتين مختلفتين في مجتمعين مختلفين، وقد يأخذ صورة التنازع الثانوي أو الداخلي حينما يقع التصادم في إطار ثقافة عامة واحدة.

وقد ينشأ النوع الأول من التنازع بفعل الهجرة حيث ينتقل المهاجر محملاً بثقافة ومقيم تتنافر أحياناً مع قيم ومبادئ المجتمع الذي هاجر إليه، ومثال ذلك حالة المهاجر الذي يدفع إلى ارتكاب القتل دفاعاً عن عرض ابنته، متوقعاً أن ينال هذا الفعل استحساناً من يعيشون في المجتمع الذي هاجر إليه، وذلك وفقاً لتكوينه الثقافي الذي استمده من موطنه الأصلي، الذي تسود فيه عادة الأخذ بالثأر دفاعاً عن الشرف وحيث يلقي القتل لهذا الهدف ترحاباً اجتماعياً يزهو به المرء، ومن أنماط هذا الصراع أيضاً التنازع بين ثقافة الدولة المستعمرة وثقافة الدولة المستعمرة، ومنه أيضاً الصراع بين ثقافة دولتين تتلاصق حدودهما الإقليمية ويندمج رعاياهما معاً.

أما التنازع الثانوي –الذي يصلح في رأيه لتفسير الجريمة في الولايات المتحدة، وذلك لأن معدل جرائم المواطنين الأصليين أعلى من نظيره لدى الأجانب– فقد أشار سيلين إلى أنه ينشأ نتاج تنافر وعدم تجانس الثقافات داخل المجتمع الواحد، والذي يدفع إليه وجود نوع من التمييز الاجتماعي (Différentiation Sociale) بين المجموعات أو التكتلات السكانية، التي بمرور الوقت تكون قد شكلت لنفسها مجموعة من القيم الخاصة، التي تتنافر بدورها مع القيم السائدة لدى التكتلات الأخرى في ذات المجتمع، الأمر الذي يولد مزيداً من الصراع الاجتماعي بين تلك الكيانات المستقلة ثقافياً، ويكون مدعاة لظهور الجريمة في هذا المحيط الاجتماعي، ومن أشكال هذا التنازع الثقافي تضارب قيم الجماعات الأسرية، والجماعات المدرسية، وداخل الأندية، وجماعات العمال، ومثاله تعارض عادة الأخذ بالثأر مع الثقافة العامة في المجتمع المصري رغم أنها تتوافق من الناحية السلوكية مع القيم والعادات السائدة في المجتمعات الصغيرة في مصر العليا.

وقد كشف سيلين عن أن جانب من الأسباب الذي يقف وراء الظاهرة الإجرامية يعود إلى ما أسماه "التفكك الاجتماعي (Désorganisation Sociale)" الذي أصاب المجتمع المعاصر، يدل على

ذلك قلة معدل الجريمة حينما كانت تسود نزعة الريفية والبدواة في غالب المجتمعات، ففي المجتمع الريفي والبدائي كانت تسود روح التعاون والإخاء وتتوحد مصالح وغايات الجماعة، مما يسهل على الفرد أن يوافق بين سلوكه وبين تقاليد المجتمع الذي يعيش بين جنباته، أما في المجتمعات المتحضرة والمعقدة اجتماعياً وثقافياً فينعدم الأمان وتطغى الماديات وتتضارب الأهواء والمصالح، الأمر الذي يكشف رويداً رويداً عن قدر من التفكك الاجتماعي والثقافي، يكون بدوره عاملاً وسبباً من أسباب تكون الظاهرة الإجرامية داخل هذه المجتمعات.

وإذا كانت نظرية سيلين قد أصابت جزءاً من الحقيقة حينما أرجعت الظاهرة الإجرامية إلى تنازع وتضارب الثقافات، إلا أنها قد تعرضت للنقد من عدة أوجه :

- فقد عيب على نظرية سيلين اتخاذها لعامل الصراع الثقافي كسبب وحيد للظاهرة الإجرامية متغافلة عن جملة العوامل الفردية والخارجية الأخرى التي قد تقف وراء هذه الظاهرة.
فضلاً عن أن هذا التحليل لا يصلح لتفسير كافة صور الجرائم، فإذا كانت تلك النظرية تصلح لتفسير جرائم العصابات وجرائم الأجانب، لاشتمالهما على تعارض واضح بين نوعين من قواعد السلوك ناشئ عن اختلاف التكوين الثقافي لكل منهما عن الثقافة العامة للمجتمع، فإنها لا تقوم بنفس المهمة إزاء الأنماط الإجرامية الأخرى.

3/ الثقافة الفرعية

لقد تنوعت الدراسات التي ارتبطت بفكرة الثقافة الفرعية (Sous culture) بحيث يمكننا أن نجعلها تحت لواء نظرية واحدة، يدور محورها حول التكوين الثقافي لكل طبقة اجتماعية داخل المجتمع ومحاولة تفسير السلوك الإجرامي عبر هذا التكوين الثقافي الخاص بالطائفة التي ينتمي إليها المجرم، وأهم الدراسات التي أجريت في هذا الصدد ما قام به البرت كوهين (1918-2014) Albert K. Cohen ، وكذا العالمان رينشارد كلاوارد (1926-2001) Richard Andrew Cloward وليود أوهلين (1918-2008) Lloyd Edgar Ohlin.

أ - نظرية كوهين

انصب اهتمام العالم الأمريكي ألبرت كوهين على إجرام الأحداث ممن ينتمون إلى الطبقات الدنيا في المجتمع، وقد أشار في أبحاثه التي نشرها عام 1956⁽¹⁷⁾، إلى أن هناك صراع ينشأ بين معايير السلوك الاجتماعي لدى الطبقة الدنيا وتلك المتبناة من أفراد الطبقة الوسطى، وأشار إلى أن الغلبة دائماً تكون لمعايير تقدير السلوك التي تعارفت عليها الطبقة الوسطى، بحيث أن الفرد الذي تفرزه الطبقات الدنيا يتم تقدير مكانته في المجتمع على ضوء معايير كونها أفراد ينتمون إلى الطبقة المتوسطة، الأمر الذي يجبره على تقبل أهداف وقيم الطبقة الوسطى، خاصة وأن هناك عوامل متعددة تدفعه إلى هذا القبول : كطلب والديه ضرورة الوصول إلى مركز مرموق وأفضل مما هما عليه، ودعوة وسائل الإعلام المتكررة بضرورة الارتقاء بالقيم وضرورة الوصول لمراتب أفضل في السلم الاجتماعي.⁽¹⁸⁾

غير أن الفرد يظل غير قادر على التكيف مع أهداف الطبقة الوسطى أو تحقيقها بالوسائل الاجتماعية المقبولة، فالفرد من بين الطبقات الدنيا ينشأ من الناحية الاجتماعية في ظل نظام يجعله يعيش يومه دون التفكير في مستقبله، ولا يعرف من الطموح عادة إلا قدراً ضئيلاً، ويستسهل الاعتداءات البدنية واللفظية، وهو ما يجعله يعيش في مركز اجتماعي أدنى من نظيره في الطبقة الوسطى، ويجد نفسه في إطار نظم يديرها أفراد الطبقة الوسطى ويحكمون عليه وفقاً لمعاييرهم، ويصبح غير مؤهل اجتماعياً للتوافق مع قيمهم وأهدافهم.

ولما كان طفل الطبقة الدنيا قد تيقن أن ارتفاع شأنه في الحياة الاجتماعية لابد أن يمر من خلال تبني القيم السائدة في الطبقة الوسطى، كما تيقن من أن ظروفه تحول دون تطبيقها، فإن احترامه لنفسه يهبط ويصادف مشكلات شائكة في التكيف مع المجتمع، ولمواجهة تلك المشكلات، فإن الطفل يبدأ في تكوين أفكار خاصة به أو ثقافة فرعية (Subculture) تتميز بخصائص معينة وحيث يسعى إلى تحقيق مركز له فيها فيدفعه ذلك إلى ارتكاب الجرائم، وبتراكم هذه الجزئيات تتشكل في العادة ما يسمى بعصابات الأحداث الإجرامية.

لا شك أن كوهين قد أصاب بعض الحقيقة في مجال تفسير الظاهرة الإجرامية في مجال جرائم الأحداث التي تأخذ النمط الجماعي، غير أن أبحاث كوهين قد انتقدت من أكثر من زاوية:
- فقد قيل أن خصائص الثقافة الفرعية التي يكونها الحدث لنفسه ليست مقصورة على طبقته وحده، والدليل على ذلك أن من ينتمون إلى الطبقة الوسطى قد يرتكبون ذات الجرائم الخاصة بالطبقة الدنيا على الرغم من عدم تكون ثقافة فرعية تخصهم.
- كما عيب على تلك النظرية أنها اعتمدت على منهج تاريخي في البحث، أي أنها تبحث في السبب الذي من أجله تكونت الثقافة الفرعية، الأمر الذي يستوجب البحث في الدوافع النفسية التي تقف وراء تشكل تلك الثقافة لدى الأجيال السابقة، وهي مهمة يصعب - إن لم يكن من المستحيل - إجرائها.

ب. نظرية كلاورد وأوهلين :

ذهب العالمان ريتشارد كلاورد وأوهلين⁽¹⁹⁾ إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من الثقافات الفرعية (Subcultures)، ترتبط جميعها بالتركيب الاجتماعي: الثقافة الفرعية الإجرامية (Criminel subculture)، الثقافة الفرعية التنازعية (subculture des conflits)، وأخيراً الثقافة الفرعية التراجعية (subculture Retreatist).

أما الثقافة الفرعية الإجرامية فتتواجد على وجه الخصوص في الطبقات الدنيا حيث يبدو المجرمون أكثر استعداداً للاندماج مع الأحداث الذي يعيشون في هذا الوسط، فهؤلاء المجرمون لا يختلطون بالنماذج البشرية التقليدية التي حققت نجاحاً من خلال القنوات الشرعية في المجتمع وإنما يجدون أمامهم نماذج إجرامية ناجحة يتمثلون سلوكها، بينما تبرز الثقافة الفرعية التنازعية في الأوساط الصغيرة المفككة اجتماعياً، والتي لا يتضح فيها الفارق بين الوسائل المشروعة والوسائل غير المشروعة، وإزاء هذا الغموض يختار الحدث العنف كوسيلة لإثبات مكانته في المجتمع ليس فقط لأن في ذلك تنفيساً عن الغضب والإحباط المكفوفين ولكن لأن طريق العنف ميسور، أما الثقافة الفرعية التراجعية فتتعلق بالحدث الذي يخفق في تكوين ثقافة فرعية إجرامية أو تنازعية والذي يميل عندئذ إلى الانسحاب أو التراجع عن المجتمع بإدمان الكحوليات والعقاقير المخدرة.

ويرى كلاورد وأوهلين أن سلوك الفرد يختلف حسب مشروعية أو عدم مشروعية الوسائل التي توجد تحت تصرفه والتي يتيحها له التركيب الاجتماعي والطبقي الذي ينتمي إليه بثقافته، وعلى ذلك، إذا كان التركيب الاجتماعي يستسهل الاعتداءات البدنية والسرقات المصحوبة بعنف، ويشجع على استعمال المواد والعقاقير المخدرة، فإنه سوف يتوالد الحدث الذي تتكون لديه ثقافة فرعية خاصة تتوافق مع قيم هذا التركيب الاجتماعي، أما حينما يحول التركيب الاجتماعي بين الحدث وبين الوسائل غير المشروعة بمختلف أنواعها فإنه لا مجال لأن تتشكل عقلية أو ثقافة فرعية تحبذ الجريمة وتشجع عليها.

وقد عيب على هذه النظرية عدم إمكان خضوع بعض فروضها للتجربة العملية، مما يشكك في صدق النتائج التي توصلت إليها، وربما يعود ذلك إلى غموض بعض الاصطلاحات التي استخدمتها مثل: مصطلح الفرص النسبية (Opportunités Différentielles)، الفشل المزدوج (Double échec)، استبعاد الذنب (Elimination de la culpabilité)، فضلاً عن أن بعض النتائج التي خلصت إليها هذه النظرية لا تتفق مع الواقع، ومن ذلك أنها ربطت بين كل نوع من أنواع الثقافة الفرعية ونوع آخر يقابله من التركيب الاجتماعي، ومع ذلك فقد أثبتت الدراسات التي أجريت في بعض المناطق التي تسود فيها معدلات إجرامية مرتفعة أنه تسود بهذه المناطق أكثر من ثقافة فرعية، كما أثبتت أبحاث أخرى أجريت على الجمهور خارج السجن بطريق الاستبيانات غير المسماة (Anonomous questionnaires) إلى أن معظم أفراد الجمهور من كافة الطبقات يرتكبون أفعالاً تعد جرائم وأن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الشخص لا تؤثر كثيراً على تلك النتيجة.

1. المقاربات التاريخية

1/ شرعية الأمر الواقع، منظومة إحباطات أدت إلى منظومة تعنفات/ في تاريخ المجتمعات العربية.

ملاحظة الواقع واستقراء التاريخ يكشف أن المجتمع العربي، خاض كل التجارب والأقطاعات وواجه مختلف التوعكات والتعثرات عبر تاريخه الطويل (منذ صدور الإسلام – إلى يومنا هذا) إنه كتلة تاريخية محببة بامتياز، حيث كانت ولا تزال تحوم على البيت العربي حروباً طائفية ورجعية، تخلفية وتبعية وانغلاقية وأهلية، حروب الحديد والنار التي فتكت به منذ فشل الخلافتين (الأموية والعباسية) في استيعاب عرش الخلافة التي كان صلبها الإسلام إلى الغزوات الأجنبية (الصليبية من الغرب) و(المغولية من الشرق) التي سال لعابها واشتهت طعم ألمازة العربية فأعلنت الغزو والتعنف، وبحكم صلة المغول الذين هم أبناء عمومه للأتراك، رأوا فيهم القلب الروحي للمسلمين فسلموا ألمازة العربية حملاً وديعاً إلى أحضان السلطنة العثمانية منذ القرن الخامس عشر.

2/ مشروع الإحباط الماقبل كولونيالي، زمن العثمنة (الحمائية المهزومة)

كانت الخلافة العثمانية منذ تغلغلها في البلاد العربية، قد سلبت عقول المسلمين بما أسمته "دار الإسلام" وأمنتهم بكثير من الأمنيات، عاش معها الاجتماع العربي أسيراً لهذا المعبد (دار الإسلام) يسقيه الولاء بالملاعق الكبيرة لا الصغيرة باحثاً عن سند معنوي يرفع حالة – اليتيم – التي جاراها بعد سقوط الخلافتين الأموية والعباسية على التوالي، إلى هنا يدخل الاجتماع العربي دائرة المناورة الحقيقية مع نفسه، تجسدت في الامتثال إلى قائمة من الواجبات،* التي أملتتها الإمبراطورية العثمانية دعماً وتعزيزاً لمكانتها الإستراتيجية، ومثلاً الاثنين على مسرح التاريخ، تمثيلية ذلك الطفل البار - المقموع – بتعليمات وتوصيات الأم القامعة – الصلبة – إنها تجربة حياتية، تتوفر على انطباعات الحب والدفء ولكن تنعدم فيها شروط الراحة النفسية والعقلية، هي حالة النكروفيليا التي يسميها علماء النفس (الحب الذي يفضي إلى التجميد ثم الشغف المفرط في القتل)،⁽²⁰⁾ فقد دلت التجربة التاريخية، أن المجتمع العربي تحنط وتيبس وتجمد ولم يخرج عن إطار ما هو محدد له من تعليمات (مجتمع مغلف) فكانت العثمنة تجربة تاريخية قاسية، مشروع إحباط منظم يضرب برأسين (حب وقتل)، (سعادة وقلق)، (أمن وخوف) منعت البنين الاجتماع العربي من النظر إلى نفسه (مقموعا) والنظر إلى الآخر المقابل له (الغرب) الذي استوعب درس التنوير (القرن 18) وخبر الحداثة وروع وضعه القائم في انقلابات وطفرات بنيوية متعددة الأوجه (الوثبة الصناعية، العقائدية، السياسية،

الاقتصادية)، أما نحن المجتمعات العربية، فقد تيبسنا وتجمدنا في خطاب سكوني، صوفي مترمتم مفعم بالسذاجة والتقاليد السلبيّة واللاوعي، وعضواً أن تدفع العثمانيّة البيت العربي (دار الإسلام) وأهله نحو الاستنارة والتجديد والتذوق والمثاقفة والحوار واليقظة، زجت به إلى حقل عكر (طرقيات، غيبيات، تهويمات سفسطائيات، صوفيات شعوبية، خرافات وسحر وشعوذة).

ثم ما لبث أن امتد سرطان التصدع "النسق الفكري والعقائدي" السائد إلى النسق الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والعسكري، خاصة في عهد السلطان سليم (سنة 1517)،⁽²¹⁾ حيث انهارت سيطرة الجيوش الانكشارية على قنوات التجارة البحرية وانتشر الفساد في الإدارة العامة وانتهى الهم التاريخي الأعظم الذي حمّله البنيان العربي بهذه النهاية المحزنة (إحباط عميق ووصمة عار) لحب مهزوم وحمائية مأزومة من داخلها وتجسدت بذلك أكبر محاكمة تاريخية للإمبراطورية المترهلة باسم ما أنعته الأوربيون (الرجل المريض) الذي إن لم يمته فلنستحث موته بالسّم (القتل المستعجل)، لأن الإنسان والمجتمع الغربي لم يعد قادر على الانتظار كثيراً، إن وراءه مشاريع وأفكار وبرامج ولا بد أن يكسب الوقت أما نحن فماذا جنينا؟ إلا شقاءاً تاريخياً وبدلاً من أن نأمل ونطمح قمعنا وتعتزنا، فكانت صدمة الإحباط الأولى في تاريخنا.

3/ نحو النموذج الإصلاحي وإعادة ترتيب البيت (مشروع الحداثة المجهضة).

بعد حالة من الغياب التاريخي (الانطواء والجمود) في أحضان حمائية مهزومة (أزمة روحية عميقة) تشكلت معجزة الانبعاث للأمة العربية الإسلامية: مع محمد بن عبد الوهاب (1703-1792) كانت الحركة الوهابية، ردة إصلاح قوية استهدفت الطرقيات الصوفية والشعبوية والسحرية السائدة فأعادت الحياة إلى الفكر الشرعي الكلاسيكي وجددت الدعوة إلى التوحيد وتفقيه مفهوم الألوهة من أي تجسيد أو تشبيه بالرمز والصورة الذي تعرض له زمن العثمانيين، فدعت إلى الإصلاح الشامل وضرورته، القائم على الصرامة وإحياء مفاهيم التنزيه وسلطة الشريعة ومبدأ الجهاد⁽²²⁾، كانت الحركة الوهابية المسمار الأخير الذي يدق في نعش الفكر الصوفي الشعبي الذي عمر منذ قرون، وعكست في الواقع رد فعل الإسلام العربي "أي الدعوة إلى إعادة الخلافة إلى العرب كشرط لا بد منه لنجاح الإصلاح"⁽²³⁾.

فقد أعلن (خير الدين) تطبيق ما أسماه "عهد الأمان" في تونس، (حكمت باشا وسليمان باشا) في سوريا والعراق، (محمد علي السنوسي) وحركته الإصلاحية في ليبيا، (الأمير عبد القادر) في الجزائر، (محمد علي) في مصر لقد أعلن هؤلاء بأقصى ما يمكن من الاستعراضية "قدوم النظام الاجتماعي الجديد" باسم ما أنعته "الدولة الحديثة".

لكن يبدو أن الدولة التحديثية سوف تكون تغريبية بامتياز، فلقد كانت تجربة محمد علي (مصر) بعد أن وصل سدة الحكم أكبر مغامرة تاريخية تلحق الهزيمة بجيوش المملوكية العثمانية وتطمح إلى التفكير بالحلول محل السلطنة الإمبراطورية لينهي برنامج الإصلاح بقمع الأخطبوط الوهابي (النموذج العتيق) في الأراضي المصرية 1819، وأوجد البديل في مساندة حكمه وهم حفنة العلماء والمهندسين الموالين للفكر السيموني (Saint Simon) والمتأثرين بالثورة النابليونية، فأرسل البعثات الطلابية إلى أوروبا من أجل اكتشاف صورة العالم الجديد والتفتح على منجزاته، حتى حفظ أحفاد محمد علي هذا الدرس التاريخي جيداً وأصبحوا يعتبرون مصر قطعة من أوروبا وليس بلداً عربياً إسلامياً، إنها بدايات الانغماس في البحيرة الغربية.

بإمكان المرء أن يلاحظ أن تجربة "الغطس" في البحيرة الغربية - أملاً في التحديث، تمثل أكبر عملية جراحية فاشلة في التاريخ الأجنبي للاجتماع العربي، إنه قدر الجرح والتعديل قدر الموت

لمجتمع أراد أن ينهض جينيا بعكاز الآخر (الغرب) فكان الموت عارضا ومستعجلا عندما وضعت الملبسات التاريخية في أول سؤال تاريخي له: كيف يمكن إيجاد حل بين "الأصيل والمستورد" وأعني بذلك التكافؤ بين البنى العربية الإسلامية (الخصوصية) وبين الدولة الحديثة (البنى المستأجرة) إن فلسفة "الاستئجار" و"الكراء"، "الاستئصال" و"الزرع"، "الإكراميات" و"الصدقات" هي المسؤولة على إقامة الحسابات العكسية في زمن ليس ببعيد في تاريخ الاجتماع العربي.

كانت إنجازات وانتصارات محمد علي (العسكرية والاقتصادية والسياسية) التي كادت أن تضع مصير الإمبراطورية العظمى بين كفيها قد أثارت حفيظة للدول الغربية تجاه القوى الإسلامية، وكانت النتيجة التحالف الغربي من أجل إجهاض المشروع التحديثي (الجهاز الاقتصادي والسياسي) وتصفيته في مصر خاصة، وتحولت ملحمة الدولة التحديثية " إلى مغامرة تعسة كان من نتائجها دفع مصر الحديثة نحو الاستسلام الكامل، ثم فرض الوصاية والانتداب على بقية الأقطار العربية التي راحت هي الأخرى رهينة للكولونيالية الغربية، لينتهي المشروع التحديثي، بالاتفاق على تجميد الرجل المريض والهيمنة على أطرافه بتوزيع أو تقسيم ارثه، ومن ثم إلغاء الخلافة العثمانية 1924، وإعلان الجمهورية التركية مكانها لينتصر مشروع الإحباط مرة أخرى حين تعلق وأمل الاجتماع العربي كثيرا بالمسألة الحداثية وانتهت آماله وتطلعاته، بهذه النهاية المحزنة تشوش وفوضى في البيت الداخلي العربي أفضت إلى إجهاض مشروعه الحداثي المستأجر بامتياز.

4/ الانبعاث اليانيس في الزمن الكولونيالي (محنة الدولة ضد الأمة).

لقد أفاق المجتمع العربي فجأة على هول الصدام والقلق، بين القديم والجديد والتقليدي والمستحدث (والعربي والأجنبي) فبينما راهن البعض على تعبئة القوى الدينية والقبلية للخلاص من خطر الغرب، واستمر معارضا للخروج عن الدولة العثمانية أملا أن يشكل تجمع المسلمين عنصر قوة في إستراتيجية المواجهة للغزو الأجنبي (الاستعمار الحديث) راهن النصف الآخر على الغرب الحديث (عالم التمدن والتحديث)، بكل ما لديه للخلاص من النير العثماني ليخرج هؤلاء وهؤلاء محبطين ويائسين إذ بعد فترة النشوة الأولى والأمل بالاستقلال، جاءت مرحلة الشك والانقسام والضغينة والتساؤل عما إذا كانت الثورة ضد الأتراك صحيحة وصالبة؟

5/ التحديث وتمظهراته اللامحتملة في المجتمعات العربية

بعد الأيام الأولى من الاستقلال يدخل المجتمعات العربية عالم جديد اسمه "الدولة التحديثية" التي ورثت عن النظام الاستعماري، مشاكل صعبة وفي مقدمتها ولادة سلطة محلية، ضعيفة وغير مجربة، بليدة وغير مبتكرة للحلول التي تطفئ حمأة الجماهير العربية، وحاجتها إلى السيادة والتحرر الشامل والعدالة، إذن لا زال مفعول "استئجار" الدولة التحديثية قائما والسير والنهوض بعكاز الآخر (الغرب)، كانت مصر الساداتية (1970) مرة أخرى مبادرا بهذه المغامرة التاريخية التي توافد عليها العرب دون وعي، حيث اللجوء إلى صندوق النقد الدولي والبنك العالمي للإنشاء والتعمير، وظنوا أنه خير ألوهي كان بانتظار الكيانات العربية – المتحررة – لبعث مشروعها التنموي – التحديثي وتحول هذا الحلم إلى رهان صعب "النفط مقابل الغذاء"، إذن يبدو أن المجتمعات العربية لم يأخذ الدرس من تاريخه الطويل حتى أصبح وضعه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي مفعولا به من طرف الدول الصناعية، إنه ليس بمأمن، خاصة وأن وحالة المساومة،

القلق، الخيبة تحيط به من كل جانب، حالة إحباط منظم كانت من صنيع القادة العرب دون سواهم دفع ثمنها الجماهير العربية العريضة التي أملت كثيرا وأحبطت كثيرا.

6/ تداعيات الدولة التحديثية البولييسية – المستبدة – في المجتمع العربي

ترى ماذا خلفت الدولة التحديثية الأبوية -الوحيدة الحزب- في المجتمعات العربية؟ تقادم معدل المديونية، ارتفاع التضخم والأسعار، تدمير الصناعة والزراعة، نقل التكنولوجيا، انتشار البطالة، تقهقر الإدارة العامة، الفقر، رداءة الخدمات العمومية بشكل واسع، حرمان الأغلبية من الثروة الوطنية، اقتصاديات تابعة بامتياز، إفلاس الشركات وغلقها، تجميد الأجور، ليقع المجتمعات العربية من أقصاه إلى أقصاه في سديم اليأس والإحباط والصمت وتكميم الأفواه، فليس هناك من يستطيع أن يشير بكلمة أو حركة إلى السبيل الممكن لقراءة هذا الوضع، وفهم ما يحدث؟ لأن أسئلة المجتمع المدني مزعجة، مقلقة ومشوشة تهدد العرش الحصين، (نعم حدث هذا عندنا) وإذا المجتمع سئل بأي ذنب سكت عن الوضع الرث – فإن جوابه كان أخرسا ومحاصرا ومقيدا أو ممنوعا، أسيرا لأفيون الناصرية في مصر، الفذافية في ليبيا، البورقبيية في تونس، الشاذلية في الجزائر، الشاهنشاهية في إيران، نعم إنها محنة (الدولة الأبوية- المستبدة- ضد المجتمع) هذه المرة طارحة نفسها كما البارحة أو اليوم بشكل عارض وبائن ومؤسس من طرف القادة الرموز هم ورعيلهم الجديد أو من أعدوا أنفسهم رموز"، فصادقوا بأختامهم على أكثر من ملف -موت الدولة التحديثية- العربية، الدولة المثقوبة" من جدها إلى أبيها".

7/ التعددية الحزبية: "ديكورا" ومحنة الديمقراطيات العربية

بعد مضي أكثر من عشرا أو عشرين سنة من تراجع الممارسة الأبوية للدولة البولييسية الواحدية، الحزب "التي سلبت إرادات الأفراد والجماعات"، وبعد أن ثبت أن ديمقراطية الأسود (الرجل الواحد، الحزب الواحد، الرأي الواحد) في عديد من الأقطار العربية"، لم ترحم الإنسان والمجتمعات العربية على حد سواء؟ إنه عهد أقول الحكومات، زمن الخيارات الصعبة الذي يقول عن نفسه عصر التنوير العربي الجديد، عصر التعددية الحزبية السياسية والصرح المؤسساتي لكن ظهر أن النوايا ليست صافية ونقية مرة أخرى، فبدلا من أن تسير الأمور والأوضاع باتجاه الثقافة والفعل المثقف – الحكيم، الرشيد والعقلاني- حدث العكس: الفعل المضاد والثقافة المواطنية المتعنتة من تفجيرات، عمليات انتحارية، اشتباكات مسلحة، حرب أهلية، اغتيالات، سطو وقرصنة، إذن إن ديمقراطية الثعالب ليست إلا ديكورا (ديمقراطية شكلها مزخرف ولكن مضمونها متجدد) وهي إذن ليست أرحم من ديمقراطية الأسود لربما كانت إحدى سلالاتها المستنسخة بامتياز، ليقع المجتمعات العربية مقموعا ومحبطا، مرة أخرى، ولربما الجرح اليوم أصبح عميقا بكثير (كما سبق أن نوهنا)، لقد أصبحنا أمام ديمقراطيات متعددة ومتشظية ومشرذمة سلخت جسم الدولة سلخا غير بريء من التأويل، فهناك من لجأ إلى الدين وصنع تحفته (لعبته) السياسية بالعلامة الدينية (الحزب الإسلامي) وهناك من افتتن بالغرب وصنع حزبا له بالعلامة التقدمية (حزب التجديد) وهناك من اعتصم بالعروى التاريخية (الثورة والكفاح والوطني) ووصم حربه بهذه العلامة التاريخية وتحولت التجربة الديمقراطية بين هؤلاء وهؤلاء، إلى حلبة صراع يتغذى بامتياز على جملة المصالح والمنافع في عديد من الأقطار العربية (مثل: لبنان، مصر، الجزائر، تونس، اليمن)، ورضا هؤلاء أثار سخط أولئك ورضا أولئك أثار سخط هؤلاء، وكأنها حالة من الطبيعة الأولى "حرب الجميع ضد الجميع"، ليقع الجميع في قارب واحد، شريكا في البناء المنظم لمجتمع متفرقع من داخله، قابل للعنف والتعنف في أي لحظة تاريخية لاحقة.

ثالثا. الدولة الجزائرية الحديثة أنموذجا

1. الجزائر الحديثة وثقافة الإجماع

هل أصبحت الدولة الجزائرية اليوم، دولة مشبعة بالجريمة، يتنامى فيها الإجماع بشكل متسارع؟ وما تجليات ذلك في الفعل المجتمعي الجزائري؟

1/ المواطنة والإجماع

في مجتمع يلتزم فيه الفرد (المواطن) مستقبله ورزقه، بل ويلتمس فيه حل مشكلات الزواج، السكن، العلاج، العمل، خارج حدود هذا الوطن، وفي وطن يصبح الخروج منه هو الحلم والأمل (ظاهرة الحرق في الجزائر- الهجرة غير الشرعية) حتى لو كان على متن قشة من خشب، في وطن يرى شبابه أن أصحاب العمل الأجنبي (في المهجر) هو التجسيد الحي للعدالة والغنى وكل شيء إيجابي، في وطن تسيطر فيه قيم الوساطة والوصولية والسمسرة والشطارة على قيم العمل والضمير والإنتاج واحترام الوقت، في وطن تتراجع فيه المشاركة السياسية للجماهير (التصويت) تراجعاً مخيفاً، في وطن يتحول فيه الحقل الديمقراطي إلى لعبة شطرنج (الامتيازات والحظوظ)، في وطن تحولت فيه الشبكة الحزبية إلى ديكور ديمقراطي والجسم الداخلي متجدد وفساد، في وطن استأثر حكامه بالسلطة لعهدتين وثلاث عهديات، فجرحوا وعدلوا الدستور كيفما شاءوا، وأعدوا أنفسهم القادة الأنبياء، أصحاب الرسالة، أمناء وحراس الوطن والوطنية، حتى أصبحت مسألة تداول السلطة ثقيلة ومقلقة جداً بالنسبة لهم، فماذا تبقى إلا أن تدفع هذه المنظومة من الإحباط إلى اغتيال الانتماء إلى الوطن وانتحار الوطنية في عقر دارها، إلى العنف، لأنه شرعية هذا الواقع، لاشك أن وضع مقدرات البشر في أيديهم وتداول السلطة هو البداية الحقيقية لأي إصلاح ونحن لا ندعو إلى ثورة أو عنف، إذ لا يستطيع عاقل أن يدعو إلى العنف لأن فيه تدمير شامل للبنى الفوقية والتحتية للوطن والوطنية ولكننا نرى أن المدخل هو تنمية المشاركة السياسية وتنشيطها وتغذية الاتجاهات الإيجابية لقادة الأحزاب والقوى النافذة في السلطة، نحو العمل السياسي المداولاتي وفي هذا المجال تستطيع المواطنة أن تسترد أنفاسها بعد خروجها من قاعة الإنعاش التي عليها الآن.

2/ الدين والجريمة

إن الإحساس بالقهر السياسي والضغط الاقتصادي لا بد وأن يقود إلى التأثير بشكل خطير ومؤسف على دور الدين في تنمية المجتمع وترقيته والنهوض به، فإذا كان الدين هو أم القيم والمثل الأعلى، فإننا نرى أجنحة دينية وتيارات مختلفة تحوم على المجتمع الجزائري، فإذا أخذنا دراسة الإرهاب كشكل من أشكال الجريمة المنظمة يمثل خطوة في فهم واستيعاب هذه الظاهرة موضوعياً. ثمة عدة دراسات عالجت ظاهرة الإرهاب في الجزائر من زوايا مختلفة نذكر منها دراسة المؤسسة العسكرية الجزائرية ودراسة لمصالح الأمن وبحث حول الخلفية الاجتماعية والسيكولوجية للجماعات الإرهابية في الجزائر، ودراسة حول نشأة الإسلاموية الجزائرية وخلفيتها التاريخية، فلنحاول عرض أهم الأفكار التي خلصت إليها.

3/ الفساد التنظيمي (المؤسساتي) والإجماع

الفساد من تراث النظم الشمولية في مجتمعاتنا العربية، ترعرع في ظلها وانكشف وتعرى في نظمنا الديمقراطية المفتوحة اليوم، فقد عانت مختلف المجتمعات العربية ومن بينها الجزائر من حكم شمولي طويل، أهداها بؤراً عديدة للفساد، أخطرها ذلك الذي تعشش وترتع في دوائر الحكومة والقطاع العام حيث "المال السايب"، ليس الفساد سرقة أموال فحسب، ولكنه أسلوب في الحكم وفي الاستخلاف والتسيير (اختيار الوكلاء والنواب الذين يمكن أن يكونوا قريبين من المسؤول في

الموقع، قربا يسمح لهم بالتأثير عليه، وفي تعيين الأفراد وترقيتهم يعتمد هذا المرض المؤسساتاتي على الوساطة والمحسوبية، وهي واسطة (الدفع المسبق) أو واسطة القرابة والنسلة، ولا نريد أن نستطرد في حديث الفساد في نظمنا العربية، ولكننا ننبه إلى أن "الإخفاق الديمقراطي"، هو الذي أدى أليا إلى انتعاش الفساد وازدهاره وتدمير مصفوفة طويلة من القيم والمثل، قيم الإنجاز والعمل والولاء للوطن وللمؤسسة وليس للشخص.

4/ البطالة والجريمة

حقيقة تلمسها كل أسرة جزائرية، لديها عضو أو أكثر لا يجد العمل الذي يكفل له الشرف والأمان وتحقيق وجوده الاجتماعي والإنساني ولا جدوى من أن نسوق الإحصائيات، فالأرقام في الجزائر، تعاني كما يعاني كل شيء من ضعف الانضباط، وهذا ما عبر عنه مطاع صفيدي: "إن مجتمعاتنا العربية بدون علم للاجتماع العربي، بدون علم للنفس البشرية العربية، بدون علم اقتصادي لثرواتنا وخساراتنا، بدون علم للإحصاء حول مختلف أرقامنا السرية"، ولننظر إلى عصابات الحرقه والانتحار والحرق البدني، التي اختارت إبادة النفس والأخرين، هؤلاء أينما كانوا وحيثما وجدوا ليسوا سوى أقوى تجسيد لقوى بشرية عاطلة عن العمل لم تكن معهودة بالعناية والرعاية الكافية.

2. التمثلات الاجتماعية للجريمة

إن الإسهام الحقيقي للمنظور السوسيو-ثقافي للجريمة هو تطوير فهم الجريمة بوصفه ظاهرة اجتماعية-ثقافية، فالدراسة البنوية الثقافية للمجتمع الجزائري، تركيبتها، اختلافاتها وتناقضاتها يمثل المدخل الأساسي في هذا النوع من الدراسات الذي يعتمد كذلك على المقاربات النظرية للظاهرة وعلى تحليل البيانات الرقمية، يبدو إذن أن الاستعانة بهذه المقاربة في دراسة تنامي الجريمة في المجتمع الجزائري، فلقد شهد بدوره بعد الاستقلال تغيرات اجتماعية والتي تمثلت في هجرة جماعية كبيرة حيث تم تسجيل أكثر من (100.000) شخص يهاجرون كل سنة إلى المدن بحثا عن العمل وحياء أفضل عن طريق إيجاد فرص العمل والسكن⁽²⁴⁾، غير أن هذه الهجرة وقعت دون توفير الشغل، السكن، الخدمات الاجتماعية وقد نتج عن هذا التضخم ضغوطات كبيرة على المصالح العامة في المدن الكبرى.

وغالبا ما تبدأ هذه الهجرة بالفرد منعزلا وتنتهي بالهجرة موفقة بالعائلة كلها، إن المشكلة الأساسية التي واجهها المهاجرون هي عدم تكيفهم مع حياة المدينة حيث وجدوا في هذه الحياة قيما جديدة لم تكن معروفة في حياة الريف، وتمركز هؤلاء المهاجرون في الأحياء القصديرية والتي يتعشعش فيها أنماط عديدة من السلوكات العديدة، وتقع هذه الأحياء القصديرية في ضواحي المدينة، وفي شرحه لأسباب الهجرة الريفية في المجتمع الجزائري والتفكك الاجتماعي²⁵ كتب غراند غيلوم Gilbert Grandguillaume (1932) ما يلي: "يلتقي بطالين الريف مع الجماهير العاطلين في المدينة وهذا من أجل الحصول على عمل والتمتع بنوع من الحياة فيها"⁽²⁶⁾، وقد نتج عن هذا التخلل الاجتماعي ارتفاع الجرائم بشتى أنواعها كالسرقة، جنوح الأحداث، استهلاك المخدرات والانتحار بسبب اليأس نتيجة صعوبة الحصول على فرص الحياة كالعامل، السكن، ومتطلبات الحياة المختلفة. وفي دراسة للأحياء الغير المخططة وانعكاساتها النفسية، الاجتماعية على الشباب يعرف الباحث علي بو عناق الأحياء المخططة هو "ذلك الوسط السكني الذي أقيم في مكان غير معد وغير صالح للسكن ولا يرتبط بمركز المدينة عن طريق وسائل النقل المباشرة ولا تمتد إليه يد النظافة، كما أن الماء الصالح للشرب لا يصله باستمرار ولا تتوفر فيه المرافق الأولية كمجاري صرف المياه، وجمع القاذورات، صنعت بيوته في الغالب من الطوب والقصدير وأحيانا بالاسمنت، ضيقة،

متداخلة، متزاحمة، غير مهواة تقريبا، أغلب مساكنه عبارة عن غرفة واحدة مخصصة لكل الحاجات، ليعيش فيها بين (8-12) فردا⁽²⁷⁾.

وقد تبين من هذه الدراسة أنه يوجد في الأحياء الغير المخططة مجموعة من الظواهر الاجتماعية منها الانحراف المبكر والجريمة، وأن الأفراد الذين يسكنون هذه الأحياء غالبا ما يلجئون إلى التدخين بنسبة (98%) وإلى تناول الخمر وذلك بنسبة (33%)⁽²⁸⁾، وعن سبب لجوء هؤلاء الأفراد إلى السلوك المنحرف وعدم تكيفهم مع حياة المدينة التي تتميز بظهور النزعة الفردية فصفة التعاون والتآزر التي كانت تتميز بها الحياة الريفية حلت محلها الأناية في المدينة، فالهدف الرئيسي في العلاقات الاجتماعية لسكان المدينة هو مصالحهم الخاصة، وعليه فالنزعة الفردية الحادة والتنافس في المناطق الحضرية تفسران إلى درجة كبيرة ارتفاع الجريمة مثل تناول المخدرات واللجوء إلى الانتحار وانتشار الأمراض العقلية في هذه المناطق⁽²⁹⁾.

يتميز الحياة الحضرية في المجتمع الجزائري بالتغير الاجتماعي والثقافي والذي ترتب عن ظهور حركة التصنيع، التعليم وتطور وسائل الاتصال والإعلام كما أن صيغة حجم العائلة العصرية ومفهوم المساواة للزواج أحدثا صراعا مع المفهوم التقليدي للأسرة، وصراع الأفكار والقيم هذا يكون عادة في المدينة بين الأجيال والذي أدى إلى إضعاف عملية الضبط الاجتماعي وبالتالي ساهم في أنماط مختلفة للسلوكيات الإجرامية مثل: السرقة، الاختطاف، جنوح الأحداث والانتحار وغيرها من السلوكيات الإجرامية.

ويعتبر التعليم من أهم عوامل التغير الاجتماعي وإحدى القوى المحررة للأفراد والمجتمع، فكان له الفضل في زيادة طموحات الأفراد في مواصلة التعليم، ومكنه من الإحساس بالمسؤولية في اتخاذ القرارات الهامة التي يرونها تتوافق ومصالحهم من جهة ومن جهة أخرى استطاعوا أن يفرضوا وجودهم من خلال مستواهم التعليمي مما سمح لهم من الاطلاع على مختلف الثقافات ومقارنة ما اكتسبوه واستخلاص قيمهم الخاصة فأدى بهم إلى تخليهم عن بعض القيم التي وجدوها لا تتماشى ومتطلبات الحياة العصرية.

وأهم ما يميز المجتمع الجزائري هو الاختلال الحادث في سلم القيم والمعايير التي تحكم وجود المجتمع وتنظيمه وسيره بما هو مجموعة علاقات ذات طابع مؤسسي تخضع لقواعد تحظى بالاتفاق النسبي للأفراد والجماعات، ويتجلى ذلك الاختلال القيمي "بحدة في غياب إطار مرجعي يمثل قاعدة مقبولة لبلورة نماذج الفعل وأنماط السلوك والعلاقات، وفي الوقت ذاته معيارا لتقويم تلك النماذج والأنماط الفعلية، مقابل نموذج قيمي مثالي"⁽³⁰⁾، ففي هذه الوضعية يعيش الأفراد نوع من الضياع الاجتماعي في مجتمع عجز عن تحقيق الانتقال من وضعية تقليدية متميزة بسيطرة بني اجتماعية قائمة على روابط الدم والعرق والانتماء إلى مجموعات تضامنية محدودة في الزمان والمكان، وفي عزلة عن التفاعل مع المحيط ومواجهة التحديات والضغوطات التي يفرضها وسط ثقافي متنوع ومتجدد في بناءه، تعابيره، دلالاته القيمية والمعيارية⁽³¹⁾.

ومن أنماط الجرائم المنتشرة في المجتمع الجزائري ظاهرة الانتحار حيث نجد أن فئة الشباب هي الأكثر إقبالا على هذا السلوك وخاصة عند الذين تتراوح أعمارهم بين (19-25) سنة و(26-32) سنة، لكون فئة الشباب الفئة الأكثر عرضة لآثار الانقلابات الاجتماعية، فالشباب المنتحر يعبر ضمنا عن حالة انسداد أفقي لتربيته الأسرية نتيجة عدم فعالية ما كان ينتظره من دور حقوقي ينزله منزلة وفقا لصورة هذا النموذج وعليه فهو بانتحاره يعبر عن موقف فردي يعكس رفضا ومواجهة مع قيم اجتماعية يراها غير قادرة عن استيعابه كعضو فاعل ومفيد ضمن تجليات هذا النموذج

الإنساني (المواطن الصالح)، فالفرد يصاب بالاحباطات نتيجة عدم فعالية القيم التي اكتسبها من خلال التنشئة الاجتماعية، بحيث لا تحقق هذه القيم للفرد المكانة التي يستحقها داخل بعض المؤسسات الاجتماعية والتي تمارس ضغطا وتوجيها على الأفراد وفقا للصورة العامة للإنسان النموذج في المجتمع وليس وفقا للصورة التي رسمتها إياه التنشئة الأسرية، ففي حالة التغير القيمي تصبح القيم المبجلة غير معروفة ويفقد الانتظام لمدة من الزمن وتصبح الحدود بين الممكن والمستحيل وبين العدل والظلم، كما تضع الحدود بين المطالب والآمال المشروعة وغير المشروعة، وهنا يصبح الأفراد يعيشون في حالة اللامعيارية على حسب تعبير إميل دوركايم.

ويرى الباحث بن سمايل بلقاسم أن كون الشباب ينتحرون أكثر لكونهم الأكثر عرضة لأثار الانقلابات الاجتماعية والتي تؤثر على البناء الهوياتي لديهم⁽³²⁾، ففئة الشباب التي تعاني من تفاقم مشكل البطالة وأزمة السكن، وتأخر سن الزواج تحتاج إلى رعاية أسرية خاصة لما لهذه المرحلة من خصوصية في بناء شخصية الفرد وتوجيهها من خلال بناء هوية واضحة المعالم تمكن الشباب من تلمس طريق المستقبل بثقة وثبات، لكن في ظل محيط اجتماعي هو يبحث عن ذاته وعن هويته، فهذا يبدو صعب التحقيق، ولقد كشفت الدراسات عن تأثير التغير الاجتماعي على النسق القيمي في المجتمع الجزائري خلال أكثر من ثلاثة عقود، "حيث كان لها أعمق الأثر على النسق القيمي وتغيره وبخاصة في المجال الأسري والتعليمي والاقتصادي والديني والسياسي"⁽³³⁾ وهي عبارة عن أنساق فرعية متفاعلة ومتبادلة التأثير مع بقية الأنساق الاجتماعية الأخرى.

قد لوحظ في السنوات الأخيرة حدوث تحولات بنيوية حادة وسريعة ومتلاحقة أثرت وبشدة على مكونات البنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المجتمع الجزائري، كما أثرت في الفرد الجزائري لدرجة جعلت النسق القيمي يتعرض إلى الخطر وأن الانتماء بوصفه قيمة ايجابية بدأت جدوته تتقلص لدى البعض، ويتمثل ذلك في العديد من المظاهر والمواقف ولعل أبرز هذه المظاهر ما يلي:⁽³⁴⁾

- اللامبالاة: وتتمثل في عدم اهتمام الفرد بغيره من الأفراد الآخرين.
- الاغتراب: ويتمثل في شعور الفرد بأن المجتمع لا يعطيه أهمية وأنه لا قيمة له في المجتمع، ويؤدي ذلك إلى تقليل الفرد من أهدافه وطموحاته وفقدان الدافعية نحو المشاركة الفعالة والتفاعل في المجتمع.
- ارتفاع معدل الجريمة: زيادة درجة العدوانية والعنف واللجوء إلى السلوك الإجرامي في مختلف الوضعيات وظهور أنماط جديدة من السلوك المرضي والرغبة في الربح السريع.
- غلبة القيم المادية في المجتمع: حيث أصبح النظر إلى المال على أنه الآلية التي تمكن الفرد من إشباع حاجاته وطموحاته بغض النظر عن مصدر هذا المال، حيث انهارت القيم الأصيلة مثل المحبة بين أعضاء الأسرة الواحدة وتحول كل فرد منها إلى شيء مادي بالنسبة للآخر.

الخاتمة

وفي الأخير يمكن القول أن المنظومة الثقافية - سواء كانت من الإرث الاستعماري أو نتيجة التحولات الجذرية في البنية الاجتماعية- في المجتمعات العربية ساهمت في تفشي وانتشار ظاهرة الإجرام بشتى أشكاله وأنماطه، فالقيم الثقافية التي كانت تضبط السلوكيات أصبحت غير فعالة، وحتى الأفراد الذين بقوا متمسكين بهذه القيم أصبحوا مهمشين في مجتمعاتهم بسبب ظهور قيم جديدة تحكم علاقات الأفراد وتمنحهم المكانات العليا داخل المجتمع ومن بين هذه القيم، نجد القيم المادية وقيم الربح السريع والسهل وتهميش قيمة العمل وبذل الجهود، هذا التصدع للقيم الثقافية والاجتماعية الأصيلة أدى إلى انتشار السلوكيات الإجرامية بين أفراد المجتمعات.

* الهوامش:

- 1 - رمسيس بهنام، المجرم تكويننا وتقويمنا، دار المعارف، الإسكندرية، 1983، ص30
- 2 - الحسن، إحسان محمد، علم الإجرام، بغداد، 2001، ص266.
- 3 - السيد علي الشنا، علم الاجتماع الجنائي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص22-23.
- 4 - السيد رمضان، الجريمة والانحراف من المنظور الاجتماعي، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ص152.
- 5 - عبد الجبار عريم، نظريات علم الإجرام، دار المعارف، بغداد، 1970، ص16.
- 6 - فتحية عبد الغني الجميلي، الجريمة والمجتمع ومرتكب الجريمة، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2001، ص39.
- 7 - محمود نجيب حسني، أبحاث في علم الإجرام، دروس لطلبة الدكتوراه، جامعة القاهرة، 1970، ص25.
- 8 - حسن المرصفاوي ومحمود السباعي، مبادئ علم الإجرام، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968.
- 9 - حسن المرصفاوي ومحمود السباعي، المرجع السابق، ص46.
- 10 - المرجع السابق، ص49.
- 11 - هربرت ماركوز، المرجع السابق، ص47.
- 12 - عدنان الدوري، أصول علم الإجرام، أسباب الجريمة السلوك الإجرامي، مطبعة جامعة الكويت، الكويت، 1976، ص11.
- 13 - عبد الجبار عريم، المرجع السابق، ص240-249.
- 14 - إحسان محمد الحسن، علم الإجرام، بغداد، 2001، ص- ص193-214.
- 15 - إحسان محمد الحسن، المرجع السابق، ص237.
- 16 - يمكن العودة إلى المراجع التالية :
- فوزية عبد الستار، مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1985، ص51.
- عبد العظيم وزير، علم الإجرام وعلم العقاب - الجزء الأول : علم الإجرام، دار النهضة العربية 1992، ص105 .
- 17- Albert Kircidel Cohen, Delinquent boys: The culture of the gang, Taylor et Francis, 1956
- 18 - عبد العظيم وزير، المرجع السابق، ص107-108 .
- 19 - أحمد عوض بلال، المرجع السابق، ص111-112.
- 20- فضيل دليو، علم الاجتماع المعاصر - ثنائياته النظرية والمنهجية - مخبر علم الاجتماع الاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2004، ص24.
- 21 - برهان غليون، المحنة العربية الدولة ضد الأمة، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 1993، ص43.
- 22 - برهان غليون، المرجع السابق، ص45.
- 23 - عبد الرحمن الكواكبي، الأعمال الكاملة، تحقيق محمد اعمارة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ص83.
- 24 - علي مانع، جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، دراسة في علم الإجرام المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص37.
- 25 -Grandguillaume Gilbert. Nedroma: L'évolution D'une Medina. Brill, Paris, 1976.
- 26 - علي مانع، المرجع السابق، ص38.
- 27 - علي بو عناقفة، الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية والاجتماعية على الشباب-دراسة ميدانية مقارنة في مدينة جزائرية في علي الكنز وآخرون، الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1996، ص317.
- 28 - علي بو عناقفة، المرجع السابق، ص320.
- 29 - علي مانع: المرجع السابق، ص38.
- 30 - عنصر العياشي، سوسولوجيا الأزمة الراهنة في الجزائر في علي الكنز وآخرون المجتمع والدولة في الوطن العربي، مكتبة مديولي، القاهرة، 1998، ص183.
- 31 - عنصر العياشي، المرجع السابق، ص184.
- 32 - Bel Kassem Bensmail : Suicide et culture au Maghreb, L'harmattan, Paris, France, 1999, P18.

- 33 - طاهر محمد بوشلوش، التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثارها على القيم في المجتمع الجزائري (1967-1999)، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي، دار بن مرابط للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 495.
- 34 - طاهر محمد بوشلوش، المرجع السابق، ص 510.

المراجع والمصادر

أولا. المراجع باللغة العربية

- 1) السيد علي الشتا، علم الاجتماع الجنائي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987.
- 2) إحسان محمد الحسن، علم الإجرام، مطبعة الحضارة، بغداد، 2001.
- 3) برهان غليون، المحنة العربية الدولة ضد الأمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1993.
- 4) حسن المرصفاوي واللواء محمود السباعي، مبادئ علم الإجرام، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1968.
- 5) رمسيس بهنام، المجرم تكويناً وتقويماً، دار المعارف، الإسكندرية، 1983.
- 6) طاهر محمد بوشلوش، التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثارها على القيم في المجتمع الجزائري (1967-1999)، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي، دار بن مرابط للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008.
- 7) عبد الجبار عريم، نظريات علم الإجرام، دار المعارف، بغداد، 1970.
- 8) عبد الرحمن الكواكبي، الأعمال الكاملة، تحقيق محمد اعمارة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.
- 9) عبد العظيم وزير، علم الإجرام وعلم العقاب - الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1992.
- 10) عدنان الدوري، أصول علم الإجرام، أسباب الجريمة السلوك الإجرامي، مطبعة جامعة الكويت، الكويت، 1976.
- 11) علي بوعنقة، الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية والاجتماعية على الشباب-دراسة ميدانية مقارنة في مدينة جزائرية في علي الكنز وآخرون، الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1996.
- 12) علي مانع، جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، دراسة في علم الإجرام المقارن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.
- 13) عنصر العياشي، سوسيولوجيا الأزمة الراهنة في الجزائر في علي الكنز وآخرون المجتمع والدولة في الوطن العربي، مكتبة مديولي، القاهرة، 1998.
- 14) فتحية عبد الغني الجميلي، الجريمة والمجتمع ومرتكب الجريمة، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، الأردن، 2001.
- 15) فضيل دليو، علم الاجتماع المعاصر - ثنائياته النظرية والمنهجية - مخبر علم الاجتماع والاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2004.
- 16) فوزية عبد الستار، مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1985.
- 17) محمود نجيب حسني، أبحاث في علم الإجرام، دروس لطلبة الدكتوراه، جامعة القاهرة، 1970.

ثانيا. المراجع باللغات الأجنبية

- 1) Albert Ducros, « Phrénologie, Criminologie, Anthropologie : une interrogation continue sur anatomie et comportement », Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris, vol. 10, no 3-4, 1998.
- 2) Albert Kircidel Cohen, Delinquent boys: The culture of the gang, Taylor et Francis, 1956.
- 3) Alvaro P. Pirès, « La Criminologie d'hier et d'aujourd'hui », dans Christian Debuyst, Françoise Digneffe, Jean-Michel Labadie et Alvaro P. Pires, Histoire des savoirs sur le crime et la peine : Tome 1. Des savoirs diffus à la notion de criminel-né, Éditions Larcier, coll. « Crimen », 1998.
- 4) Bel Kassem Bensmail, Suicide et culture au Maghreb, L'harmattan, Paris, France, 1999.
- 5) Debuyst Christian, « Les Savoirs psychiatriques sur le crime : De Pinel (1801) à Morel (1857) », dans Christian Debuyst, Françoise Digneffe, Jean-Michel Labadie et Alvaro P. Pires, Histoire des savoirs sur le crime et la peine : Tome 1. Des savoirs diffus à la notion de criminel-né, Éditions Larcier, coll. « Crimen », 1998.
- 6) Jean-Pierre Bouchard La criminologie est-elle une discipline à part entière ? Can criminology be considered as a discipline in its own right ? L'Evolution Psychiatrique 78 (2013).
- 7) Laurent Mucchielli, Histoire de la criminologie française, L'Harmattan, coll. « Histoire des sciences humaines », 1995.
- 8) Robert Cario, Introduction aux sciences criminelles : Pour une approche globale et intégrée du phénomène criminel, L'Harmattan, coll. « Traité de sciences Criminelles », octobre 2008, 6e éd.,
- 9) Tyler, Gus, Organi 3ed Grime in America, A book of Reading, the University of Michigan press, U.A.S., 1962.

البعد العجائبي في رواية "الغيث" لمحمد ساري

د. حكيمة بوقرومة
جامعة المسيلة

الملخص:

تعد رواية "الغيث" واحدة من الروايات الجزائرية التي غاصت في أعماق المجهول، تغري القارئ بالدخول إلى عوالمها السردية لكشف المخبوء و المسكوت عنه فيها، تتصارع فيها القوى غير الطبيعية و اللامعقولة مع الواقع الإنساني، و قد تجلى الجانب العجائبي في شخصيات الرواية بعالمها الغريب، و أماكنها المتنوعة التي لم تعد جافة فحسب، بل تنبع منها الحيوية و ترتبط بالشخصيات التي تتحرك فيها، و قد صورها الكاتب بطريقة عجائبية. و الرواية تدعو القارئ إلى بذل جهد كبير لفهم انزياحاتها و فك رموزها و شفراتها، بلغة تدعوه إلى تجاوز المؤلف و الواقع و التمييز بينه و بين الخارق العجيب، فكانت لغة عجائبية تثير الدهشة و التوتر لدى القارئ، مما يعني قدرة الكاتب على استحضار الجانب الخيالي العجائبي الذي تميز بالخروج عن النمط المؤلف.

Summary :

The novel "Ghaith" One of the Algerian novels that sank into the depths of the unknown, entice the reader to enter the worlds of narrative to reveal something hidden and silent in, which powers the abnormal and irrational grappling with the human reality, and has demonstrated the miraculous aspect of the characters of the novel Avalmha strange, and various places that not only is dry, but derive them vital and linked to the personalities that are moving in, and has portrayed the writer miraculous manner. And the novel invites the reader to make a great effort to understand Anziahatha and decipher and blades, in a language invites him to transcend the ordinary and reality and distinguish between them and strange Ripper, was the miraculous language of surprising and tension the reader, which means the writer's ability to evoke the fantasy side miraculous which was marked out for style Fashionable.

اهتمّ الروائيون و خاصة في الآونة الأخيرة بالقيمة الفنية للشكل الروائي، مما أدى إلى ظهور أشكال متباينة من هذا الفن، لها سماتها الخاصة، ترتبط بتشكيلها، و برزت أشكال متعددة للرواية، من بينها: الرواية الشعرية، الرواية المتعددة الأصوات، الرواية العجائبية، هذا التباين يشير إلى انفتاح الشكل الروائي على تشكيلات متعددة من السرد، ما جعل الرواية تتميز عن غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى. و لعلّ تركيزنا في هذا البحث على أحد الأشكال الروائية، ألا و هو الرواية العجائبية، سيفتح المجال للحديث عن سرديّة التعجيب التي تعد واحدة من أبرز الأشكال الجديدة للتعبير، يتجاوز بها الروائي الإطار التقليدي للحبكة السردية، وانطلاقاً من ذلك ينشأ مظهر من مظاهر التغيير في الشكل الروائي، و إن كانت مكونات هذا النوع من السرد هي نفس المكونات البنائية للخطاب الروائي عامة، من أحداث و شخصيات و زمان و مكان و غير ذلك، لذلك لم تكن الرواية العجائبية جنساً أدبياً مستقلاً عن الرواية، و إنما هي نوع من أنواع الرواية الحديثة، إلا أن العجائبي يتضمّن اختلافاً و شكلاً جديداً من السرد، و يشكل حضوراً قوياً في العديد من النصوص الروائية إلى جانب الواقعي.

و إذا كانت الرواية الواقعية تحاكي الواقع، فإن الرواية العجائبية تتجاوز هذا الواقع إلى اللواقح و اللامنتطق، من خلال خاصيتي التعجيب و التغريب، و قد تباينت وجهات النظر في النقد العربي حول وضعية العجائبي من حيث ضبط المفهوم الخاص به.

1- مفهوم العجائبي و تجلّيه في الأعمال الروائية:

تأرجح مفهوم العجائبية بين مصطلحات مختلفة، من أهمها: الفنتاستيك، الفنتازيا، الأدب الاستيهامي، الغرائبي، السحري، و على الرغم من الفروقات الواضحة بين هذه المصطلحات إلا أنها تشترك كلها في كونها تدل على الخارق و اللامألوف و العجيب. (1)

كما أن العجائبية ترتبط بمفاهيم أخرى، كونها لا تقتصر على الأدب فحسب، بل تتعداه إلى بقية المعارف الإنسانية الأخرى، و لها « مسارات متعددة تستقطب كل ما يثير و يخلق الإدهاش و الحيرة في المألوف و اللامألوف ». (2)

وردت في لسان العرب مادة (ع.ج.ب)، فالعُجْب و العَجَب، إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده، و جمع العَجَب، أعجاب، و التعجيب: الأمر يتعجب منه، و العجب هو النظر إلى شيء غير مألوف و لا معتاد. (3)

و في القواميس التاريخية للغة الفرنسية ورد أنّ أصل كلمة العجائبية (Fantastique) يعود إلى المفردة اللاتينية (Phantasticus) المأخوذة بدورها عن الإغريقية (Fantastikos) التي تخص المخيلة، و تعني في القرن السادس عشر كلّ ما هو شارد الذهن، و أخرق و خارق ثم خيالي. (4) و في قاموس لغة القرن السابع عشر تعني العجائبية كلّ ما يقع خارج الواقع، و كلّ ما هو مستبعد و شاذ و خارق. (5)

و قد أشار "جميل حمداوي" إلى عدم وجود مقابل في المعاجم العربية لمصطلح Fantastique / Fantastic المعروف في النقد الغربي، لذلك فضّل استعمال مصطلح "العجائبي" لقربه منه واشتراك المصطلحين في دلالات عدّة، كالرّوعة و العظمة و العجب و الاندهاش و الخيال الوهمي و الخارق غير الواقعي. كما ميّز بين مصطلحين قريبين منه، و هما: حكاية الخوارق و الحكاية الغريبة، لما لهما من خصوصيات دلالية و بنيوية و تداولية. (6)

و من جهة أخرى يستند الأدب العجائبي إلى تداخل الواقع و الخيال، و تجاوز السببية و توظيف الامتساخ و التحويل و التشويه و لعبة المرئي و اللامرئي، و حيرة القارئ بين عالمين متناقضين: عالم

الحقيقة الحسيّة و عالم التصور و الوهم و التخيل، ممّا يوقعه بين حالتي التوقع المنطقي و الاستغراب غير الطبيعي أمام حادث خارق للعادة، لا يخضع لمنطق العقل و الطبيعة و قوانينها. (7) و قريب من هذا، التعريف، نجد التعريف الذي أورده "تودوروف" عندما عرّف الأدب العجائبي، أو ما يسمى بالفانتاستيك، قائلاً بأنه التردد الذي يصيب المتلقي الذي لا يعرف غير القوانين الطبيعية، و يجد نفسه أمام وضع فوق طبيعي حسب الظاهر. فعندما نجد أنفسنا أمام ظاهرة غريبة يمكننا تفسيرها إما من خلال المسببات الطبيعية أو فوق الطبيعية، لكن التردد بين هذه المسببات هو الذي يخلق هذا التأثير العجائبي. (8)

و قد ضبط "تودوروف" الشروط الأساسية التي تحدّد شعرية النصّ العجائبي، و تتمثل في إرباك التشخيص التقليدي (الواقعي) في علاقة السارد بمتلقي النصّ عندما يجبر النصّ متلقيه على اعتبار عالم الشخوص عالم أشخاص أحياء. و على التردد بين التفسير الطبيعي للأحداث و التفسير الخارق للطبيعة، أي إنّ المتلقي يشكك في صحة الخبر عن العالم، و لكنّه في الوقت نفسه يظلّ غير قادر على تفسيره. (9) أمّا "روجييه كايوا" (Roger Caillois)، فيعرّف العجائبي بأنه اقتحام الممنوع الذي لا يمكن أن يحدث، و لكنّه رغم ذلك يحدث في نقطة و في لحظة دقيقة، و في عالم متجدّد بامتياز، حيث يعدّ وليد استقرار فظّ لما فوق الواقع في عالم مادي. (10)

أمّا "أبتر" (Apter) فيفضل مصطلح "الفتنازيا"، حيث يرى أنه ثمة شك بخصوص العالم الذي ينتمي إليه أدب "الفتنازيا"، هل هو هذا العالم، أم هو عالم مختلف عن ذلك تماماً. (11) و بهذا يمكن القول إنّ العجائبي يشكّل قطيعة مع العالم الذي ينتمي إليه و بروزاً مفاجئاً لما هو معروف في الحياة اليومية التي لا تتغير.

و إذا تأملنا في أغلب التعاريف الواردة في هذا الشأن، سنلاحظ أنّ أغلبها مستقاة من تعريف "تودوروف" سواء في سياق التنظير أو التطبيق. فالعجائبي في نظر "تودوروف" يتجلى في حدوث أحداث طبيعية و بروز ظواهر غير طبيعية خارقة تنتهي بتفسير فوق طبيعي (12)، و يتجلى العجائبي في المتخيلات السردية على أشكال عديدة من بينها: (13) أ- ارتباطه بالماضي و الغيبي و الكرامات و المعجزات. ب- يعمل على تبيير الإنسان و المكان و الزّمان. ج- اتّخاذه الأحلام و الرؤى سبيلاً للبناء الفني. د- اعتماده على خلق المفارقة و السّخرية من المألوف الواقعي عبر المكاشفة و الخارق و المسخ و التحول و التّضخيم.

و تعدّ الرواية العجائبية واحدة من هذه المتخيلات السردية التي ارتبطت بالشروط السّابقة، و نقصد بالرواية العجائبية تلك الرواية التي يبتعد فيها التشخيص عمّا هو حقيقي و تضعف صلّتها بالواقع لتصبح هي مرجع ذاتها وفق ما يسمى بالتشخيص الذاتي وفق قوانين فوق طبيعيّة. (14) يزخر كلّ من الأدبين الغربي و العربي بالروايات ذات الطابع العجائبي، بداية من النصوص اليونانية إلى الروايات الغربية الحديثة، « و هناك من يربط ظهور الخطاب العجائبي بسنة 1970 م، لأنّ الفانتاستيك جاء كرد فعل على الخطاب التنويري العقلاني الذي يمجدّ العقل و المنطق و العلم و الطبيعة» (15)، و بعد ذلك تطور الأدب العجائبي في إنجلترا ثم في ألمانيا، و ظهر في فرنسا الكثير منه، و في روسيا.

أمّا في الأدب العربي، فنجد أولى بدايات السرد العجائبي تتجلى في القصة القرآنية، كنوم فتية "أهل الكهف" لمدة ثلاث مائة و تسع سنين واستقاظهم من رقدتهم تلك الطويلة، و تسرّب الحوت المطبوخ إلى

البحر في قصة "موسى مع العبد الصالح"، و غير ذلك من القصص القرآنية التي تحمل طابعا عجائبا. ثم قصص ألف ليلة و ليلة و ما تحمله من حكايات عجيبة خارقة للنظام البشري، و كليلة و دمنة و السير الشعبية، كسيرة فارس اليمين سيف بن ذي يزن، و سيرة الزير سالم و عنتر بن شداد، و غير ذلك. و مع ظهور الرواية العربية الجديدة، حاولت هذه الأخيرة التجريب لكسر النمط السردى و تأصيل الرواية العربية و ربطها بالتراث العربي القديم، قصد ارتياد آفاق العالمية عن طريق تمويه الواقع و السمو بالخيال. و لعل العوامل السياسة و الواقع التاريخي ساهمت في ظهور الرواية العجائبية و إثرائها، فحاولت التعبير عن ظواهره بطرق مختلفة و متنوعة، استندت إلى المفارقة و السخرية و التحول و المسخ و غير ذلك.

و رواية "الغيث" التي نحن بصدد دراستها واحدة من الروايات العربية التي تسعى إلى التجريب و التحديث من أجل تأصيل الرواية العجائبية. و يعدّ الروائي الجزائري "محمد ساري" واحد من الروائيين الجزائريين الذين استحضروا الجانب العجائبي في كتاباتهم الروائية رغبة منه في التجريب و التنوع، كخطاب فني لرؤية العالم و الجمع بين الواقعي و العجيب لجعل المتلقي في حيرة من أمره و في تردّد دائم.

2- لمحة عن العجائبي في رواية الغيث:

إذا بحثنا في مقومات الأدب العجائبي الذي يتميز بالانزياح و الخروج عن المألوف، و الذي يتجاوز الواقع إلى المتخيل، ليكتب نصا مترددا بين عوالم الحقيقة و المجاز، و الذي يندعش أمامه المتلقي، و يقف حائرا، و إذا علمنا أن "تودوروف" اعتبر الأدب العجائبي وسطا بين جنسين أدبيين، هما: الغريب و العجيب، فإنّ رواية "الغيث" وظفت العجيب بشكل مكثف، و كان التعجيب سمة بارزة فيها تشكيلا و دلالة و وظيفة.

و عند تأمل مميزات الإبداع الروائي العجائبي المتمثلة في: الخيال و الوهم و الخارق، و القوانين فوق الطبيعية، و التخيل، و المحتمل، و التردد و الشك و انتمائها إلى زمن متعال باعتبارها أفعالا عجيبة و غريبة، و لجونها إلى ما هو غير مرئي مع التصور و الافتراض (16)، فإنّ رواية "الغيث" تتمثل فيها كلّ هذه المميزات، و تتفاوت فيها من موضوع لآخر، على حسب تعدد الموضوعات التي تناولتها الرواية و التي تتراوح بين العجيب و الغريب، و بين الوهم و الواقع، و بين المنطق و اللامعقول، و بين الانسجام و اللانسجام، تعتمد أحيانا غريبة و مدهشة تحدث التردد و الحيرة عند القارئ الذي يحاول أن يجد لها تفسيرا طبيعيا أو غير طبيعي.

تصور رواية "الغيث" جملة من المتناقضات التي يعيشها المجتمع الجزائري قديما حديثا، تجمع بين الحقيقة و الأسطورة، تسبح في فضاءات عجيبة وسط كائنات غريبة. و الرواية واحدة من الروايات الجزائرية التي غاصت في أعماق المجهول، تغري القارئ بالدخول إلى عوالمها السردية لكشف المخبوء و المسكوت عنه فيها، تتصارع فيها القوى غير الطبيعية و اللامعقولة مع الواقع الإنساني، و تدعو القارئ إلى بذل جهد كبير لفهم انزياحاتها و فك رموزها و شفراتها، بلغة تدعوه إلى تجاوز المألوف و الواقع و التمييز بينه و بين الخارق العجيب، فكانت لغة عجائبية تثير الدهشة و التوتر لدى القارئ، مما يعني قدرة الكاتب على استحضار الجانب الخيالي العجائبي الذي تميز بالخروج عن النمط المألوف.

تغوص رواية "الغيث" في أعماق المجتمع الجزائري قديما وحديثا، حكايات عديدة لشخصيات متنوعة، تتداخل الأحداث فيما بينها، نصّب "المهدي" نفسه إماما للمسجد و أميرا لجماعة أصحاب الناقة التي تريد تغيير الحياة رأسا على عقب، يظلّ "المهدي" ينتظر أن تنزل عليه المعجزات و تتحقق فيه كرامات الأولياء الصالحين، و قد اتخذ من قصة "إبراهيم عبد الله" و "محمد بن تومرت" قوته و مثله الأعلى،

كمعجزة كلام الأموات، و غير ذلك. و حكاية والده "الشيخ امبارك"، شيخ زاوية في أعالي جبال الونشريس، عاش حالات عجيبة جدا، كونه أراد امتلاك سرّ إحياء الموتى و إخصاب النساء العواقر، إلى أن اكتشف الناس حقيقته، ففرّ هاربا واستطاع النجاة بطريقة عجيبة، و يقال إنه كان يتأمر مع المستعمر الفرنسي و ينقل إليه أخبار المجاهدين. أما المجاهد "اعمر حلموش"، فقد كان مجاهدا صنيديا أثناء الثورة، محاربا للاستعمار بثتى الطرق، و بعد الاستقلال جاء إلى المدينة يبحث عن الغنائم، و صناعة أسطوره الخاصة. بالإضافة إلى شخصيات أخرى، كسليمان صديق المهدي الذي يتصرف هو الآخر تصرفات غريبة، و الصديقين المنحرفين: عبد القادر و موسى. و "نايلة" زوجة "الشيخ امبارك" و أم "المهدي"، وابنتها غير الشرعية "ليلي"، يعيش الجميع في مدينة "عين الكرملة"، تتصارع الشخصيات فيما بينها و تختلف مصالحهم في ضوء حياة غاصة بالتناقضات.

3- الرّاوي و عجائبية السرد:

إنّ الراوي يمثل القوة المنشئة للخطاب إلى جانب الكاتب، فهو الروح الثانية لكاتب الرواية، و هو الذي ينهض بفعل السرد، و الحلقة الرابطة بين المروي و المروي له، يحضر في كلّ نص بشكل مميز، و له خصائصه في كلّ شكل سردي (قصة، رواية،...)، و له كذلك حضور في الرواية العجائبية. و رواية "الغيث" تميل إل تشخيص العجيب الذي لا يفارق الواقع إلا لكونه يشذ عنه، و قد ورد بأشكال متعددة في الرّواية، تتجسد انطلاقا من العلاقات المضطربة بين الشخصيات، حيث تعود بنا الرواية إلى أزمنة غابرة لتقارنها مع الحياة المعاصرة.

يتماهى صوت الراوي في بداية الرواية مع الكاتب و يتطابق معه، قبل أن يحيل الكلمة لشخصيات الرواية لتحكي بنفسها ما حدث لها أو ما حدث لشخصية أخرى، حيث يلفت السارد انتباه المتلقي منذ البداية إلى أنّ ما سيحكيه سيكون عجيبا و غريبا، و لهذا تواترت اللفظتان في الرواية بشكل مكثف، نجدهما بين ثنايا الأحداث، لجعل القارئ في حيرة دائمة و تشوق مستمر لمعرفة وجه العجب و الغرابة التي تسيطر على هذه الرواية. و الروائي "محمد ساري" معروف في رواياته السابقة بتشخيص العجيب، مخترقا آفاق الواقع، بفعل امتلاك شخصيات رواياته قوى خرافية عجيبة تسمح لهم بالإتيان بما تعجز عنه القوى البشرية العادية.

و بداية رواية "الغيث" تشير إلى لحظة إقلاع و بداية العجائب التي سيحكيها لنا الراوي، حيث يقول: «الحكاية طويلة و دروبها متشعبة، وقودها الصّبر و نفاذ البصيرة» (17)، فيخاطب القارئ مباشرة، و يجعل منه حكما على بعض الأحداث و شاهدا عليها، لجعله يعاصر الأحداث التي سيرويها، «تعرفون و لا شك أن السماع و الاستماع يستوجبان الجلوس المريح استعدادا للسفر مع فعل القصّ النبيل، إذ أنني سأقص عليكم أحسن القصص و أمتعها. بدءا أطلب منكم أن تبحثوا عن أمكنة تلائم المقام، لتزيدكم شوقا و توجج فضولكم. هيا اسرعوا واجلسوا حيث يحلو لكم، على التراب، فوق الأحجار، تشبثوا بالأحراش و جذور الشجر، إنها كثيرة و مظلمة. أعطوني أذانكم فقط، لا أطلب غيرها. و أنا أعطيك صوتي» (18).

كان لبداية الرواية اهتمام واضح بمتلقيها الذي ما إن يسمع هذه العبارات حتى يتهيأ للتفاعل معها جسدا و روحا، بل و تسمع دقات قلبه و هو يتهيأ لسماع أحداث تنسم بالعجب و الغرابة، فيقول: «يمكنكم التمدد، و غمض الجفون، و سيجملكم صوتي بعيدا، إلى أبعد مما يرغب خيالكم، و ستسبحون في الفضاءات العجيبة، وسط الكائنات الغريبة، ستتوغلون بداخل غابات و أدغال تخجل أشعة الشمس من الولوج إليها. سأمتحن أعصابكم عبر الوهاد و الشعاب و الجبال الشامخات» (19).

ثم يواصل كلامه فيقول: « سادتي المستمعين، أنا في خدمتكم، حددوا طلباتكم بالحجم و اللون، و هيئوا أنفسكم للإقلاع. سأضع أحلامكم الأكثر جنونا على السكة الآمنة، سأظهر أحشاءكم من المخاوف الكامنة بها منذ دهور خلت، سأدفن تردداتكم و ترهاتكم تحت ركام من عجائب القرن الجديد». (20)

يهيئ السارد متلقي الرواية لتقبل هذا الحكى العجيب، بمخاطبته مباشرة لاخترق الطبقات الزمنية و الإفلات من سلطة الخوف و الحيرة مما قد يسمعه من أحداث غير طبيعية تفوق التصور، ليحكي ركاما من عجائب القرن الجديد، فيقول: « بما سأخط حكاياتي العجيبة الغريبة؟ أبقلم من القصب و على قرطاس متعصن... لا تستعجلوا النتائج. سأمطركم بوابل من المفاجآت» (21)، « اصبروا علي قليلا من الوقت و لا تتعجلوا. إن العجلة من الشيطان. حكايتي غاصّة بالعجب العجاب، لا تندهشوا لخوارق الأحداث التي ستقرأون تفاصيلها و إن كانت قسوتها ترجف ذوي القلوب الهشة». (22)

كانت هذه العبارات بمثابة تهيئة المتلقي لإسماع عجائب الحكى، تدعوه لاخترق المكان الذي يتواجد فيه، لينتقل إلى مكان آخر حيث تجري أحداث تلك الرواية العجيبة، لمساعدته على النهوض بأفعال لا يتسنّى للواقعي أن يتحملها أو أن يقوم بها، و هكذا تنحو الرواية في منحائها نحو وقائع غريبة جرت في مدينة "عين الكرمة"، حيث يركز الراوي على تشخيص الأحداث الخارقة لقوانين الواقع. و يكون الراوي في هذه الحالة بمثابة راوٍ خارج حكايتي، يظلّ غريبا عن الأحداث التي يرويها و لا يشارك فيها، و هذا ما أطلق عليه (Narrateur Hétérodiégétique)، و هو ذلك الراوي المستقل عن الحكاية التي يسرد أحداثها (23)، ذلك أنّ السارد في هذه الحالة يحكي لنا أحداثا عجيبة و خارقة للنظام البشري المألوف، و لكنّه لا يسند أي فعل أو حدث لنفسه، بل يبقى طيلة العملية السردية بعيدا عن الأحداث، فيظلّ السرد هنا سردا ابتدائيا من الدرجة الأولى، إلى أن يحيل الكلمة للشخصيات لكي تحكي عن نفسها.

إنّ السارد من الدرجة الأولى، يحاول أن يأخذ بيد المروري له، و يتوسّط بينه و بين العالم الذي يرويها، و من حين لآخر كان يتنازل عن السرد ليفسح المجال لشخصيات الرواية لكي تحكي، فاعمر حلموش يحكي و نايلة تحكي و لالة فطومة تحكي و لالة حليلة تحكي، إلى آخر ذلك من الأصوات التي ستظهر في الرواية لتحكي ما حدث لها من حكايات تنسّم بالعجب و الغرابة، مما يوحي بتعدّد الأصوات الساردة في الرواية، و أنّ السرد في عمومها قد تجاوز الدرجة الأولى لينتقل إلى السرد من الدرجة الثانية، حيث يكون كلّ هؤلاء الساردون بمثابة سارد داخل حكايتي أو سارد من الدرجة الثانية، و ينتقل السرد من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، و الأمثلة على ذلك كثيرة، ففي المقطع التالي تحكي "نايلة" ما حدث لها، « من أين أبدأ حديثي يا مضيفتي العزيزة؟ كيف أحكي لك ما حدث لي في ذلك اليوم المشؤوم، و الأيام التي تلتها، و أنا مختبئة مرعبة، أحمل في أحشائي جرحا ننتا، مشيت تائهة في البراري أياما و ليالٍ، كالعمياء، و جسدي يتأوه ألما و جوعا و خوفا... أجد صعوبة في نطق الكلمات. أعذريني أختاه. يصعب علي مواصلة الحكى...». (24)

و هكذا تواصل "نايلة" حكايتها بهذه المقدمة المطولة لتحكي عن مأساتها كيف داهم عساكر فرنسا الأكوخ باحثين عن المجاهدين الذين هم في الحقيقة يغادرون الديار قبل الفجر بقليل، بينما لا يصل العساكر إلا بعد طلوع الفجر، فبينما كانت "نايلة" تطحن الشعير سمعت صراخ الأطفال عند رؤية العساكر مع العرب الحركة يأمرهم الجميع بمغادرة المنازل التي سيحرقونها، غير أنها لم تلتحق بأهل الدشرة الذين تجمعوا تحت أشجار اللوز في الهواء الطلق قرب العين، بل دخلت إلى زريبة الأغنام، واختفت تحت كومة تبن، و لمّا وصلها لهيب النار، خرجت فمرّ عسكري أمامها و أوقفها بسلاحه، ثم ظهر عسكري آخر، و هكذا تعرضت للاغتصاب من قبل العسكريين، و بقيت تواجه آلامها لوحدها، إلى أن تزوجها "الشيخ امبارك" الذي أذاقها مرارة الحياة و قسوتها مع الفقر المدقع، مما اضطرها لكي تخرج

للعمل في بيت إحدى العائلات الثرية، و قد كان ذلك سببا ليطلقها زوجها و ينتزع منها ابنها الوحيد "المهدي".

و هنا تحكي حكاية أخرى من حكاياتها العجيبة، فتقول: «حينما وطىء لأول مرة نعليّ البالي الأرضية المبلطة لذلك الرّواق الطويل العريض، بقيت مشدوهة فاغرة فمي من العجب العجاب الذي يمتد أمام بصري المرتبك. ما أجمل البيت؟ الغرف واسعة، مضيئة، مؤثثة بأفخر الخرائن و الطاولات و الكراسي» (25)، و تقول: «قضيت شهورا كي أتمكن من نطق تلك الألفاظ الغريبة و أتمكن من التّفريق بينها». (26)

تحكي "نايلة" دخولها إلى بيت الأغنياء كخادمة و تصف بيتهم و هي متعجبة كلّ العجب من جمال البيت واتساعه و أثاثه الفاخر، و إضاءته، هي أمور عادية لا يمكن عدّها من العجب، و لكن "نايلة" بما أنها ترى ذلك لأول مرّة، فإنها تتعجب و تصف البيت بأوصاف خارقة أصبغت عليها الكثير من العجب، و لكن بعد مدّة اضطرها صاحب البيت (الجيلالي) لمغادرة هذا البيت العجيب كما وصفته، و ذلك عندما حملت منه، فخاف أن يكشف أمره، دفع لها مبلغا من المال و أرسلها إلى وهران عند امرأة لتساعدها على الإجهاض، و لكنها لم تجهض، بل أنجبت ابنتها "إيلي"، و تعرّفت على "لالة حلّيمة" و ابنتها "زليخة"، و الغريب أنّ "لالة حلّيمة" كان لها نفس وضع "نايلة" كون "زليخة" هي ابنة غير شرعية.

و ها هي "لالة فطومة" ساردة أخرى تدخل إلى ساحة الحكى لتروي لجارتها ما رأته من العلاقة المشبوهة بين "نايلة" و "اعمر حلموش" عندما أقفلت عائدة من بيت أختها وقت الظّهيرة، « إنّ ما أرويه لك يا جارتى العزيزة، سرّ يندفن هنا، لا أريد أن يصل مسامع سي اعمر... تصوري بمن التقيت؟ سي اعمر و ما أدراك، دائما بسترتة العسكرية، و لكنه بلا سلاح. مرق كالمارد أمامي، يسرع الخطى، أظن و الله أعلم أنه خرج من مخبأ وراء الأحرار، كان منشغلا بقفل حزامه و تسوية عمامته... الظاهر أنه انزعج من مصادفة شخص في طريقه، و في تلك اللّحظة بالذات. بعد فترة وجيزة عرفت السبب. و إذا عرف السبب، بطل العجب. في اللّحظة التي وصلت إلى مدخل المنحدر، المحاط بحشائش و أغصان و ارفة الأوراق، تسلّلت منه امرأة. وقفت واجمة، أتفحص ملامحها... إنّ جمالها ليوّظ الشّيخ من قبره. امرأة كالقمر في ريعان الشّباب... كانت تسوي محرمتها بيد، و بالأخرى تنفض الغبار عن فستانها المدعوك... لا أخفي عنك بأنّ الرّعب قد تملكها حينما رفعت رأسها و وجدتي أمامها... أوصلتك بعض التّفاصيل عن علاقتها بالمجاهد؟... رمقتني بنظرة تحدّ، ثمّ خفضت عينيها و قالت بصوت لطيف فيه كثير من التوسّل، يا خالتي أستري ما ستر الله... من ستر مؤمنا ستره الله في الدّنيا و الآخرة». (27)

و كان السارد من الدّرجة الأولى قد روى هذه الأحداث قبل أن يسلم زمام السرد إلى "لالة فطومة" لتحكي هذه الأحداث بطريقتها الخاصة و من منظورها هي، و لتكون شاهد عيان على الأحداث و تمنحها المصادقية.

أمّا "عبد القادر كروش"، فقد كان معروفا بالسّكر و العريضة، و بعد توبته من ذلك صار يلازم المسجد مع أصحاب النّاقة الذين يتزعمهم "المهدي"، و لكنه صار يحنّ إلى الخمر، مما جعله يعود إليها، و لكن "المهدي" كان له بالمرصاد، عرف أمره فعاقبه عقابا شديدا.

تراوح السرد هنا بين "عبد القادر" و بين الراوي الخارجي، كلّ واحد منهما حكاها بطريقته الخاصّة. هؤلاء الرواة - ما عدا الكاتب - مشاركون في الأحداث التي يروونها، و يحكونها بضمير المتكلّم، أي أنهم بمثابة سارد داخل حكاية أو سارد من الدّرجة الثانية (Narrateur Homodiégétique)، و هو الراوي الحاضر كشخصية في الحكاية التي يروي أحداثها مستعملا ضمير المتكلّم. (28)

و هذا يدلّ على أنّ طبقات السرد و مستوياته قد تعدّدت في هذه الرواية، إذ نجد أن الراوي الخارجي (الكاتب) يتنازل لشخصيات الرواية حتى تروي قصتها بنفسها، هي شخصيات واقعية، و لكن طبيعة الأحداث أصبغت على بعضها طابعا عجائبيا، ففي الحالات التي لا يروي أحداث الحكاية الراوي الخارجي، تتولى الشخصيات روايتها بنفسها، و كأن منطق الإيهام يقتضي مثل هذا الدور، « ذلك أن الشخصية العادية لا تستطيع أن تنتهك قوانين الواقع و تتابع غيرها من الشخصيات الخارقة المتجاوزة أصلا حدود هذا الواقع أو المشاكل لهذا الواقع». (29)

كما أنّ الراوي الخارجي في هذه الرواية هو راوٍ مؤطر للحكاية الأساس، و يبدو أنّه عالم بأدق التفاصيل، حتى أنّه يعلم عن الشخصيات ما لا تعرفه هي عن نفسها و لا تدركه، فتكون الرؤية في هذه الحالة رؤية من الخلف (Vision par derrière).

و هنا يكون الراوي أكبر من الشخصية الحكائية، و يكون عارفا أكثر مما تعرفه الشخصية الحكائية، إذ يستطيع أن يصل إلى كلّ المشاهد عبر جدران المنازل، و أنه بإمكانه أن يدرك ما يدور بذهن الأبطال، كما أنه يستطيع إدراك رغباتهم الخفية، و التي لا يدركونها هم أنفسهم. (30)

و السارد الخارجي يعرف أسرار الشخصيات و نواياهم و أفكارهم، و مثال ذلك، فهو يعلم بأسرار كثيرة عن "المهدي" لا يعرفها هو عن نفسه، كونه يجهل أنّه ابن غير شرعي لـ "امر حلموش" من خلال ما يتم التلميح إليه بين فقرات الرواية، كما أنّه يجهل أن تكون "ليلي" أخته من أمه، لذلك أعجب بها و حاول كسب ودها، غير أنها لم تلتفت إليه، ثمّ أنّه أحرق بيتها و احترق معه رضيعها، هي أمور لا يعلمها إلا السارد المؤطر لأحداث الرواية، و الذي يفهم جيّدا حركات الشخصيات و يبرر أفعالها، و له قدرة على ترجمة أصواتها و إشاراتها إلى لغة مفهومة.

و الملاحظ أن في مفتتح الرواية تمّ الجمع بين ضمير المخاطب و الغائب، مما يعني حضور المؤلف و المخاطب في المقدمة حضورا صريحا دون المشاركة في أحداث الرواية، و قد اتّخذ هذا الحضور أشكالا متعدّدة، تتمثل في مخاطبة القارئ مباشرة، منها « تعرفون و لا شك... إذ أنّي سأقص عليكم أحسن القصص و أمتعها... أطلب منكم أن تبحثوا عن أمكنة... هيّا اسرعوا واجلسوا... تشبّبوا بالأحراش... سادتي المستمعين أنا في خدمتكم... حدّدوا طلباتكم... هيّئوا أنفسكم للإقلاع... وسّعوا... اصبروا عليّ قليلا...» (31)، فهذا النوع من الخطاب موجه إلى القارئ مباشرة، و يسعى به المؤلف (السارد) الخارجي إلى الإقناع و التأثير لتحقيق غايات يرمي إليها هو نفسه بما يخدم استراتيجياته في كتابته الروائية.

كما حفلت الرواية بالعناوين الفرعية الدّاخلية لتمنحها بعدا توثيقيا أو تضيي عليها نوعا من المشروعية و تخفف من الطابع اللاّعقلاني لبعض شخصياتها و لأحداثها، و هذا التوخي في الإخراج يؤكّد سمة الإدراك الكلي للراوي، مما يجعل معرفته غير مساوية بمعرفة الشخصيات، بل أكثر معرفة منهم، و يجعل التّبئير غالبا في درجة الصّف. « و التّبئير هو اختيار الراوي مركزا محددًا موقعه، يدرك من خلاله ذاته، أو العالم الذي تتضمّنه الحكاية، و هذا الإدراك يتمّ عبر قناة ناقلة مما تشمله حواس هذا الراوي». (32)، و التّبئير ثلاثة أنواع: داخلي، خارجي، تبئير صفر (33)، و المعوّل عليه في التّميز بين هذه الأنواع هو مقدار معرفة الراوي بالحكاية مقارنة بمعرفة الشخصية بها، و الرواية العجائبية العربية يكون التّبئير في أغلبها صفر.

إنّ بداية الرواية و العبارات الواردة فيها، و التي تخاطب المتلقّي مباشرة تدلّ على أنّ الراوي يأخذ بيده شيئا فشيئا و يستدرجه ليدخل به إلى عالم الحكاية في هذه الرواية.

4- عجائبية الشخصيات:

إن الشخصية الروائية بكلّ تجلياتها ليست سوى عنصر تخيلي يتواشج أو يتقاطع مع مفهوم الشخصية الواقعية وفق رؤية فنية تتحكم في النصّ السردى، « و الشخصية العجائبية ما هي إلا مساحة مشتركة يجتمع فيها الواقعي و اللاواقعي و إن طغى الأخير عليها، و هي تقنية فنية استخدمتها العجائبية الحديثة لتعبّر عن أزمة الإنسان المعاصر، لذلك جاء البناء الفني لهذه الشخصية على وفق رؤية جديدة لا تحتمي بالأبعاد الداخلية و الخارجية فحسب، إنّما تعمل على تقويض الصورة الثابتة للشخصية و العمل على هدم مرجعياتها الواضحة، و من ثم إعادة تشكيلها بصورة غرائبية تتجاوز قوانين الواقع و الطبيّعة». (34)

و يتمّ في الرواية العجائبية وصف مخلوقات غير مرئية، أو تحويل الشخصيات المرئية إلى شخصيات غير مرئية، و تعمل هذه الشخصيات على خرق العرف الطبيّعي و خلق قوانين جديدة، تسعى بعض الروايات العجائبية إلى إحياء الكائنات غير الحية لخلق مشهد عجائبي يثير الدهشة، و يسري الوصف فيها على الإنسان و الحيوان و النباتات. (35)

إذا تأملنا في رواية "الغيث" سنلاحظ أنّها حافلة بالشخصيات العجائبية، حيث أخرجها الكاتب من طابعها الواقعي ليلبسها بعدا عجائبا غريبا عن الواقع الذي نعرفه، و من أمثلة ذلك، شخصية "الشيخ امبارك"، بدأ السارد الحديث عنها بإظهار الجانب العجائبي فيها، فيقول: « حكايات عجيبة غريبة تُروى عن الشيخ امبارك، قيم زاوية سيدي المخفي. إنّهُ مقرئ قرآن و مطبّب بالأعشاب، يصنع التّمام بخطّ آيات بينات على قطع أوراق... كما يقدّم مجموعة أعشاب و جذور نباتات نادرة، يقتلعها بنفسه من الأحرش المجاورة...». (36)

استقرّ "الشيخ امبارك" في مزار سيدي المخفي، فأخذ مكان هذا الأخير قيّما و سيّدا للمزار، اشتهر بإخصاب النّساء العواقر بطريقة عجيبة، انتشر هذا الخبر عبر السّهول و الروابي، و تكاثرت العواقر و تدافعت إليه، إلى أن اكتشف أمره ذات مرّة، بينما أتى زوج بزوجته من قرية قصية، يطلب الذرية، و بعد حوالي نصف ساعة من دخولها، « فجأة ارتفعت صيحة بداخل المزار، ماذا يحدث؟ ارتعش جسمه تحت وخزة أشبه بالرّصاصة... انفتح الباب بعنف و خرجت زوجته نصف عارية، تسوّي جبتّها، و الشيخ يمسكها من الدّراع ليعيدها إلى الدّاخل، صعق الرّجل من الفضيحة، و أدرك في تلك اللّحظة مكر الدرويش الذي يخصب بنفسه الزّائرات العواقر...» (37)، أمسك الزّوج عصاه و تبع الشيخ و أراد قتله، و لكن هذا الأخير كشخصية عجيبة كان أسرع منه فأغلق الباب من الدّاخل، لم يفلح الرّجل مع الحاضرين في كسر الباب، ثم أمرهم الشيخ بالتوقف و أنّه سوف يخرج، طلب منهم كأس ماء لكي يتوضأ ليصلي، آخر ركعة، لعلّ الله يغفر له زلاته، فقدّموا له ما طلب، و انتظروا خروجه، فلم يحدث ذلك إلاّ « في لحظة ما، انتبه أحد الرّجال إلى تسرّب الماء من تحت الباب، مياه سوداء، وسخة، ثمّ لاشيء. ارتفعت أصوات تطلب من الشيخ الخروج بسرعة، و إلّا... لا مجيب... قرّر كسر الباب. و لكن البناية كانت فارغة، بحثوا بداخلها جيدا. لا أحد. لا أدنى أثر للجاني» (38)، اختفى الدرويش مخصب العواقر، « دُهل الحاضرون الذين صمّموا على حرق الشيخ حيا، فانتابهم خوف ميتافيزيقي، لا تفسير له و هم يكتشفون اختفاءه، شلّت حركاتهم و جمدوا في أماكنهم، أين يكون الدرويش قد اختفى؟ يروى الكثير عن قدراته الخارقة. من يدري لعله استعان بالجن الأحمر؟ إن هؤلاء الدراويش يملكون علاقات مريبة مع العفاريت و الجنّة. لاحظ أحدهم أنّ الماء قد تبخّر... ألا يكون الشيخ هو الذي مُسَخ إلى ماء كي يسهل عليه الإفلات من قبضة الغاضبين...» (39). و كان "الشيخ امبارك" قد تعلّم كلّ ما يفعله عن جدّته التي « تمتهن الدّروشة و التّطبيب بالأعشاب، كما تقرأ الغيب في الكفوف و تبطل السّحر في بيض الثّعابين...». (40)

حدث أن التقى صدفة بالشيخ "إدريس"، و هو درويش مغربي، امتدّت شهرته إلى آفاق واسعة من السّاحل الصّحراوي، و علّمه الكثير أيضا من أمور الدّروشة.

كان "الشيخ امبارك" يحكي لابنه "المهدي" الكثير من الحكايات العجيبة والغريبة، لذلك تأثر به، و بعد وفاة والده بسبب مرض السرطان، هجر المنزل العائلي متّجها إلى ضريح "سيدي المخفي"، و قد ظهرت عليه هو الآخر علامات الجنون، حاول "اعمر حلموش" مساعدته، فلم يتمكن من ذلك لأنّه اختفى دون سابق إنذار.

بقي "المهدي" يعيش الهواجس و هو داخل الضريح، و بقي يحلم مثلما حدّثه والده عن رغبة "سيدي المخفي" في إيجاد ذلك النفق السري الذي يساعده على قطع المسافة الشاسعة بين مكة المكرمة و المغرب، « احتفظ بذلك الحلم الهائج بداخل أوصاله في أن يتمكن من الولوج ذات فجر، قبل أن تغرق قمة الرايية في نور الشمس، بداخل الممرّ الدّيماس الذي سيوصله دون ريب إلى الكعبة الشريفة» (41)، إلى أن اكتشف "المهدي" « مخطوطا قديما، مغطى بالغبار: عشرات الصّفحات كتابتها متناسقة...» (42)، قرأها بشره لا مثيل له، اكتشف حكايات عجيبة عن عالم الأولياء العجيب أهل الكرامات و الأفعال المستحيلة، تتجاوز تلك التي رواها له أبوه "الشيخ امبارك" و "اعمر حلموش"، لفتت انتباهه حكاية الصّوفي "إبراهيم عبد الله"، الذي قرّر أن يحج ماشيا على رجليه راکعا ساجدا زهدا في ملذات الدّنيا و خضوعا للإرادة الإلهية، اكتسب بعد تلك الحجة كرامات جليلة، كانتقاله بين ضفتي نهر الفرات دون معبر و مشيه فوق سطح الماء، و قدرته الخارقة على إحضار شخص ما في لمح البصر من بلاد بعيدة،...

قرر "المهدي" أن يفعل مثل "إبراهيم عبد الله"، انطلق من "عين الكرمة" دون أن ينزود بزاد يتفوّت به في طريقه، متيقنا أنّ الله سيكرمه و ينزل عليه الكرامات. و لكن الشرط لم تسمح له بمواصلة السّير لأنّه لا يملك جواز السّفرة، فعاد خائبا إلى بلدته، حيث تعرّف على صديقه "سليمان" ليبدأ معا مشوارا جديدا.

يركّز الكاتب كثيرا على شخصيّة "المهدي" واصفا إيّاه بأبعاد كثيرة بداية من المظهر الخارجي إلى المظهر السلوكي و النّفسي و الاجتماعي، فقارئ الرواية لا شك سينهمه بالجنون المؤكد و جهله بالكثير من الأمور التي تغيّرت و اختلفت عن عهد "إبراهيم عبد الله"، فقد وصفه وصفا جسديا ليعبّر عن التناقض الصّارخ بين هذا الشاب و رغباته، « شاب نحيف، ملابسه مغبرة، أشعث الشّعر، بلحية حديثة العهد، و تلك النظرة الهادئة، على شفى حفرة من البله» (43).

و بعد محاولته الفاشلة للوصول إلى مكة، و عودته إلى "عين الكرمة"، اكتسب سلوكات جديدة، « بدءا تخلص من ملابسه الأوروبية، مستبدلا إياها بلباس إسلامي: قميص على شكل جلابية و على رأسه شاشية بيضاء. كما أطلق العنان للحيته، فانتشرت بفوضوية نحو كلّ الجهات مثل النّبنة البرية في أرض جدباء» (44).

أصبح "المهدي" يتردد مع صديقه "سليمان" على مسجد "سيدي عبد الرّحمن"، و يؤديان الصّلوات الخمس في أوقاتها، انشغل "المهدي" بقراءة القرآن الكريم و الكتابات الفقهية، فالتحق به فتیان آخرون و صاروا جماعة، فطلب منهم عدم الصّلاة خلف الإمام لأنّه في رأيه: « موظف عند الدّولة الشيوعية التي تملي عليه خطبه» (45).

و من خلال ذلك نصّب "المهدي" نفسه إماما، و راح يبحث عن مكان لبناء مسجد، مع أصدقائه الذين تجمعوا عند مدخل المدينة في أول النّهار، يرتدون ملابس متنوعة، « أقمصه، جلابيب، سترات و معاطف، بألوان باهتة، لا تخرج عن الأبيض و الرّمادي و البني، على الرؤوس شواشي بيضاء، مستديرة الشّكل أو مسنّنة قليلا، أو طاقيات غريبة استقدمت توا من آسيا الصّغرى القروسطية، و في الأقدام أحذية جلدية خشنة أو مطاطية رياضية. أما الوجوه، فتخفيها لحي كثة، سوداء، و في الأيدي مسابح...» (46) هذا، و قد اعتنى الكاتب بوصف الملامح الجسدية حتى للشخصيات الأخرى، كما حدث مع وصف "نايلة" أم "المهدي"، وابتها ليلي كذلك، يقول في وصف "نايلة" عندما رآها "اعمر حلموش" المجاهد

الصنديد لأول مرة عندما طلبت منه إنقاذ زوجها من الرّجلين اللّذين أخرجاه من بيته إلى الغابة لقتله، لأنّه تواطأ مع المستعمر الفرنسي أثناء الثّورة: « قامّة رشيفة، جيد ممشوق، عينان لوزيتان، وجنتان بارزتان، صحيح أنّها نحيفة، و لكن ملامح وجهها جذابة، طافحة بالأنوثة»(47).

و كذلك وصف "ليلي" الابنة غير الشرعية لـ "نايلة" وصفا مثيرا، فقال: « تمدّدت السّنوات بسرعة و في غفلة عن ليلي، كادت لا تنتبه إلى تحوّل جسدها، انتفخ صدرها بسخاء ملحوظ، نبتت قامتها كما البرعم في أرض خصبة مسقية، كانت تتجول في جسد فتاة بالغة، كالثمرة اليانعة، المغربية، المثيرة للشهية، في حين لازالت تظهر سلوكا و مواقف طفلة بريئة، غير مدركة للكمان المنصبة في طريقها»(48).

غير أنّ شخصية "المهدي" تتجلى في الرواية بوصفها من أهمّ الشخصيات، لما تحملها في تركيبها من تناقضات و صفات تتسم بالعبثية، و سوء فهم للدين، ساعيا إلى تقويض أخلاقيات المجتمع، فكانت عمليّة بناء هذه الشخصية تتوخى أن تجعل منه رمزا عبر المعطيات العجائبية و الواقعية، لمرحلة كامنة في تاريخ الجزائر المعاصر، خاصة العشرية السّوداء، و التي عبّر عنها بالعمليات التّخريبية التي قام بها المهدي الذي يتزعم أصحاب النّاقة.

تأتي عمليّة بناء الشخصية في الرواية على مراحل، تؤكد كل مرحلة على تيمة معيّنة، ترتبط بسابقتها لتتظافر هذه التيمات فيما بعد في رسم معالم الشخصيات العجائبية (المهدي، الشّيخ امبارك، سليمان، أصحاب النّاقة،...).

و من جهة أخرى يعطي الكاتب للشخصيات بعدا آخر، و هو البعد الأخلاقي، و يتمثل ذلك في شخصية "أمر حلموش"، الذي يقيم علاقة غير شرعية مع "نايلة" أم "المهدي"، تناقضا مع شخصيّة المجاهد المدافع عن الوطن و أبناؤه و كرامته، و إقامة علاقة أخرى لـ "نايلة" مع ربّ البيت الذي عملت به كخادمة، ثمّ العلاقات المشبوهة لابنتها "ليلي". ذلك أنّ الملامح الجسدية لا تكفي وحدها لرسم الشخصية، و لذلك نجد الكاتب يسبغ على شخصياته أوصافا كثيرة، و من أمثلة ذلك السلوكات المشينة التي يقوم بها أصحاب النّاقة سواء عن جهل أو تجاهل، حيث تتناص الحادثة مع حادثة النّاقة في عهد الرّسول -صلى الله عليه و سلّم- عندما هاجر إلى المدينة المنورة، و الذي اهتدى إلى فكرة الانسحاق خلف ناقته لترشده الرّشاد المبين، كونها مأمورة، فتجوب النّاقة شوارع المدينة، ثمّ تتوقف في مكان ما حيث يجب أن يُرفع مسجد الإسلام.

استحضر "المهدي" تلك الحادثة، و قال لأصحابه: « اليوم، و بعد مرور خمسة عشر قرنا، نحن أتباعه الأوفياء، سنقتفي أثره، كلكم يعلم أنّنا بحاجة إلى مسجد، و هذه فرصة من ذهب، سيكون لنا مسجد، و في أقرب وقت ممكن، هذا المساء قبل غروب الشّمس، إن شاء الله تعالى، النّاقة هي التي سترشدنا إلى مبتغانا، بمباركة الله و رسوله الكريم»(49)، إلى أن توقفت النّاقة عند سوق الفلاح، فقرّر "المهدي" و أصحابه بناء مسجد هناك.

إنّ تصرفات "المهدي" و أصحابه مع النّاقة توحى بخلل في عقولهم، و التي أتقن الكاتب وصفها بطريقة تجعل منهم أضحوكة و مسخرة و شخصيات عجيبية، وصولا إلى كل التصرفات السيئة التي قام بها هؤلاء من تعذيب الناس و تخريب الممتلكات و قتل الأبرياء، و غير ذلك. هي تصرفات مركبة و معقدة جدا، بداية من تقليد "المهدي" لإبراهيم عبد الله، ثم حادثة النّاقة، ثم ما تلاها من أفعال أخرى تفسّر كلها بتفسيرات أبعد ما تكون عن المنطق و الواقع، بل هي تصرفات لا منطقية و لا مبرر لها.

إنّ "المهدي" بأفعاله العجائبية اللّامعقولة يوحي بأنّه شخصية مريضة نفسيا، تعاني من اضطهاد روحي، و انحطاط في السلوك، فيحدث الصّراع في الرواية و تتناقض المصالح.

و في خطّ سردي مغاير تتجلى شخصية "نايلة" التي كانت ضحية اغتصاب من طرف المستعمر الفرنسي، ثمّ زواجها من "الشيخ امبارك" ذلك الدرويش العجيب الذي كان يصب النساء العواقر بطريقة الخاصة، ثمّ علاقتها مع "اعمر حلموش" المجاهد، و علاقتها مع صاحب البيت الذي عملت فيه كخادمة، و إنجاب ليلي التي كانت لها قصص أخرى، و هذا ما شكل تجاوزا للقيم الإنسانية و الأخلاقية و الدينية.

أمّا الجانب العجائبي الأكثر ترويعا في هذه الرواية، هو حينما قرأ "المهدي" في ذلك المخطوط عن معجزة "محمد ابن تومرت" الذي سمي في الأخير بـ "المهدي بن تومرت"، و الذي تكلم مع الأموات، أو مع "إبراهيم عبد الله" الذي تحرّكت الكعبة الشريفة لاستقباله، و لذلك ظلّ "المهدي" مهووسا طول حياته بأن يكلمه الأموات، و تحدث له المعجزة، و انطلقا من ذلك ذهب به خياله بعيدا، فتمنى لو يعيش لحظة أشبه بتلك التي عاشها "محمد ابن تومرت". إلى أن حدثت تلك المعجزة و الحدث العجيب، فصارت واقعة عجيبة يرويها الناس في مقاهي "عين الكرمة"، و« في نظرات السامعين قلق غريب، قلق أقرب إلى الخوف، ذلك الخوف الميافيزيقي الغامض الذي لا يشعرون به إلا عند حدوث الكوارث الطبيعية العظمى، كالزلازل و الفيضانات... يروى أنّ طفلة في السابعة من العمر، مصابة بمرض الصرع منذ شهورها الأولى كما تعاني من تخلف ذهني، توقّت دون سبب ظاهر مع أولى تباشير الفجر. و في اللحظة التي وضعت بداخل القبر، طفقت تتحرك و تغمغم، ذهل المشيِّعون و سارع رجل إلى فك رباط الكفن، نظرت إلى الوجوه المشرئبة، و قالت بصوت رقيق أشبه بالدعاء: -المهدي، أين المهدي، أريد رؤية المهدي... ثمّ سكنت و أغمضت عينيها».(50)

و لما سمع "المهدي" ذلك فكر أنّ هذه الحادثة العجيبة ليست سوى علامة من علامات العناية الإلهية تتجسد أمامه. وصل إلى المقبرة، لكن الطفلة كانت قد ماتت، انصرف الجميع و بقي "المهدي" هناك غارقا في تأويلات مضللة، يقارن نفسه بالرسول و الأنبياء.

أما أسماء الشخصيات، فالكثير منها يتصل بقصدية معينة، مثل تسمية "الشيخ امبارك" و "المهدي" التي فيها جانب من السخرية، فـ "الشيخ امبارك" الذي يصب النساء العواقر بطريقة مريبة جعل له الكاتب اسما مباركا إمعانا في السخرية من هذا الشخص المتهور، و كذا اسم "المهدي" الذي هو إشارة إلى اسم المهدي المنتظر الذي سيأتي في آخر الزمان ليملا الأرض عدلا، ذلك أنّ السخرية من أهم الميكانزمات التي يعتمد عليها الخطاب العجائبي، و هذا ما يطلق عليه اسم الباروديا أو المحاكاة الساخرة، و بالتالي لا يمكن فنيا و إيديولوجيا فصل العجائبي عن فن السخرية الذي يدل على الانقسام الذي يشعر به البطل و هو يواجه تحديات الواقع. (51)

و عندما يتداخل الأدب العجائبي و أدب السخرية، فإنه ينبغي أن يوظف هذا التداخل بطريقة فنية لخدمة مضمون النصّ و إضافة صفة الواقعية عليه، و هي تتضافر لنقد الواقع و تأسيس عالم فني تسهم في بنائه عدّة عناصر: سرد، شخصيات، أحداث، ضمائر، فضاء زماني و مكاني، لكنها لا تخلو في كثير من الأحيان من عنصر ذاتي يعكس ذات الفرد المبدع و بعض خصائصه الشخصية. (52)

انتظمت أسماء الرواية في نظام صارم أدّى إلى تعميق الدلالة بوجود عالمين متصارعين و متناقضين، هما الواقعي و العجائبي يكمل أحدهما الآخر، هذا النظام يتأسس على حركتين، الأولى حركة تناسب و تطابق تؤدي إلى مفارقة لوضع شخصيّة "المهدي" مع محيطها مولدة بذلك أجواء عجائبية، و الثانية حركة تنافر و تعارض بين اسم الشخصية و صفاتها، مثلما حدث مع "الشيخ امبارك".

هذه الأسماء يُفترض أن تحمل الخير و الأمل، فالمبارك من البركة و "المهدي" يهدي الناس إلى الحق و الصواب، و لكنّها كانت رمزا للشرّ و اللارحمة، و جفاف العلاقات الإنسانية و الخراب، مما جعل من هذه الأسماء مفارقة لمرجعياتها، و هذا ما ساعد على بروز الأحداث العجائبية في هذه الرواية، و ما

عنوان الرواية (الغيث) إلا رمزا لقطع القلوب و جفافها، كأنّ عقاب الله ينزل عليهم لمنع الأمطار من السقوط رغم صلاة الاستسقاء التي ظلوا يكرّرونها دون جدوى.

إنّ رواية "الغيث" قدّمت أوصافا خارجية و نفسية و اجتماعية لشخصياتها، غير أنّ الاهتمام الأكبر انصبّ على مسألة في غاية الأهمية في النصّ العجائبي، و هي تجاوز المؤلف و العادي و النواميس الطبيعية للحياة و الجمع بين الأشياء و الموجودات المتناقضة و التأكيد على الفعل الخارق و الغيبي للشخصية الروائية، مما أضفى عليها أبعادا عجائبية تآزرت مع باقي مكونات الحكى في تشكيل الصورة الكلية للنصّ الروائي.

5- عجائبية الفضاء و تحولاته:

إنّ مفهوم الفضاء يتّسع ليشمل الزمان و المكان، و وجهة النظر، فالفضاء هو الحيّز الزمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات و الأشياء متلبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدّة تتصل بالرؤية الفلسفية و بنوعية الجنس الأدبي و بحساسية الكاتب». (53)

تجري أحداث رواية "الغيث" في مدينة "عين الكرمة"، و «في السهل الممتدّ إلى ما لا نهاية، تقبع عين الكرمة وسط البساتين المهملّة، منطوية على خدرتها المستفحلة، منتظرة أن تُزف عروسا للأسياح الجدد»، و قد ارتبطت الأماكن بالشخصيات التي تتحرّك فيها، و التي تسبح في فضاءات عجبية وسط كائنات غريبة، في الغابات و الأدغال، و الوهاد، و الشّعاب و الجبال الشّامخات، و من جهة أخرى يكتسي المزار و الزاوية و المسجد و غيرها، فاعلية ساهمت في تعميق أبعاد الحادثة، و لقد اجتهد الكاتب في وصف هذه الأمكنة لخلق ديمومة إحساس تربط الأماكن بالشخصيات، و وظفها بطريقة تجعلها ترتقي جماليا وفق انفعالات و تصورات تلك الشّخصيات، مما يعني أن الأماكن عند الكاتب لا تعني ذلك البعد الهندسي الجاف بقدر ما تحمل من دلالات و إيهامات في ظلّ تواجد الشخصيات بها، و قد كانت معظم الأماكن مشحونة بدلالات العنف، و القوة و الرّعب و التمرد، اتّسمت فيها حركية الأحداث بالجانب العجائبي الغريب في كثير من الأحيان.

تحمل أماكن الرواية في أغلب الأحيان أبعادا عجائبية يشير إليها الكاتب في بداية الرواية، حيث يقول: « سيحملكم صوتي بعيدا، إلى أبعد ممّا يرغبه خيالكم، و ستسبحون في الفضاءات العجبية، وسط الكائنات الغريبة، ستتوغلون بداخل غابات و أدغال تخجل أشعة الشّمس من الولوج إليها. سأمتحن أعصابكم عبر الوهاد و الشّعاب و الجبال الشّامخات، و إن أردتم حلّقت بكم عبر السموات السّبع، و أنتم مسترخون على السّجاد الطّائر، أو معلّقون بمخالب طائر الرّخ العملاق». (55)

توقف "المهدي" عند أسفل غابة الصّنوبر، مشى خطوات، فحص المكان باحثا عن الدّرب الذي تعود أن يسلكه، الدّروب كانت ستؤدي حتما إلى مزار سيدي المخفي المنتصب بشموخه على قمة الرابية، تمنى لو يصل بسرعة إلى الضّريح، و بعد مقاومة كبيرة وصل إلى هناك، « براحة يد مرتعشة دفع الباب، فارتفع صرير أشبه بأنين الأشباح، شعر بوخز في أحشائه فتوقف واجما، سوّطته روائح المقفول و البخور، لتوقظ في نفسه تلك الأجواء الغريبة، حيث تتلاشى فيها الفوارق بين الواقع و الخيال، بين الطّبيعي و السّحري، و تقربه من عوالم الكائنات اللّامرئية». (56)

و بقرب مدخل المزار، في زاوية ما، ذكرت عجوز أنّه كانت هناك بئر قرب نخلة، ماؤها فيه بركة و يصلح للعلاج لأنّه يأتي من بئر زمزم، « سمعت الخبر من جدّتي رحمها الله. قالت بأنّ أمّ الولي الصّالح فقدت طاسها بداخل بئر زمزم أثناء حجها إلى البقاع المقدسة، و عند عودتها وجدته عائنا على سطح ماء هذه البئر، لهذا الماء منافع جمّة، له قدرات علاجية عجبية. كان سيدي المخفي يستخدمه للرقية. و كان يزيل الأمراض من الأجساد في لمح البصر، فيعود المرضى إلى ديارهم معافين» (57)، حكّت تلك

العجوز عن هذا المكان العجيب و عن تلك البئر العجيبة و لكن الأغرب من ذلك هو اختفاء العجوز بعد تصريحها بهذا الكلام.

بقي المزار مهملاً بعد اختفاء الدرويش (الشيخ امبارك) الذي مُسَخ إلى مياه سوداء و سخة ثم تبخر و اختفى الدرويش.

تعود "المهدي" أن يجلس بداخل الضريح، تتقاذفه أحلام متموجة، إلى أن عثر على ذلك المخطوط الذي قلب حياته رأساً على عقب، حيث تأثر بقصة "إبراهيم عبد الله" و قصة "محمد ابن تومرت"، و من ذلك اليوم و هو مهووس بتقليده إلى درجة الجنون، « إن ما اكتشفه يتجاوز كل الحكايات العجيبة التي رواها له أبوه و "اعمر حلموش" مجتمعة». (58)

تتشكل الأمكنة العجائبية في رواية "الغيث" وفق رؤية واضحة لدى مؤلفها، تشتغل على ثنائية فكرية دينية (المسجد، الكعبة الشريفة،...) ترتبط بالعلوي الذي هو الجنة و أرضية تتمثل في الواقعي.

و المكان الأرضي يتقاطع و يتماهى بإشاراته الجغرافية و التاريخية و مرجعياته الواقعية في مدينة "عين الكرمة". أما العلوي فيستثمر المعطيات الدينية و الثقافية. و يأتي رسم هذه الأماكن على شكل عجائبي/ واقعي، و من خلال ذلك يبرز الحدّ الفاصل بين العالمين المؤطرين للرواية، هما الأرضي و العلوي.

و يبرز كذلك الحدّ الفاصل بين عالم المدينة و عالم الرّيف، و كانت "نايلة" كساردة من الدّرجة الثّانية قد عبّرت عن هذا الفرق الواضح بين العالمين، بمجرد دخولها إلى بيت في المدينة متعجبة من ذلك، فالبيت موجود بشكل ما في الواقع، و لكنّها جعلت منه مكاناً عجيباً، كونها لم تر مثله من قبل، فتقول: « حينما وطىء لأول مرة نعلي البالي الأرضية المبلطة لذلك الرّواق الطويل العريض، بقيت مشدوهة، فاعرة فمي من العجب العجاب الذي يمتد أمام بصري المرتبك. ما أجمل البيت؟ الغرف واسعة، مضيئة، مؤثثة بأفخر الخزائن و الطاولات و السّقوف عالية مزينة، النّوافذ و الأبواب متّسعة...» (59)، تواصل كلامها، فتقول: « و أنا الفخورة بكوخي الواطيء، اللّاصق بجنب الهضبة كحلزون جاف، في خوف دائم من أن يصدم رأسي سقّف الدّيس و التّبن». (60)

تقارن "نايلة" بين عالم المدينة و عالم الرّيف و الغابات حيث كانت تعيش، فتمّة فرق واضح بينهما، ترتكز في وصفها على عالم اللامعقول الذي وصفته بالعجب العجاب في توصيف عالم واقعي معقول، تهدف من خلاله إلى الكشف عن الصورة الجميلة لهذا البيت (الفيلا) في المدينة و الصورة البشعة لكوخها. إنّ المكان الواقعي المقدم بصورة عجائبية لم يأت منفصلاً عن باقي مكونات البنية السردية، و لا سيما الشخصيات، ذلك أنّ المكان الروائي يعمّق الإحساس و التعجب من أماكن يراها الإنسان لأول مرّة و يكشف عن قسوة المكان الذي كان يعيش فيه.

أمّا المكان العلوي فإنّه يتعالق نصياً مع المكان الدّيني (الجنة/ النار،...)، هذا المكان لا يعبر عن حدود جغرافية واضحة المعالم، بقدر ما يمثل رؤية فلسفية فنية. (61)

و من خلال الصّراعات و التناقضات التي تعيشها الشخصيات في مدينة "عين الكرمة"، بل و في أماكن مختلفة من هذا العالم، يحاول الكاتب و هو الراوي الخارجي أن يرسم توصيفاً لا واقعياً خيالياً يدلّ على عالم مفقود، و هو عالم القيم و الأخلاق و المساواة و العدل و المحبّة، بعيداً عن العالم الواقعي حيث تدهور القيم الأخلاقية و الكراهية و الحقد و البغض، التي تتحكم في تصرّفات الشخصيات، كتلك التصرفات المؤذية التي كان "المهدي" و جماعته يقومون بها باسم الدّين، خاصّة حادثة تهديم "سوق الفلاح" لبناء مسجد مكانه بعد أن توقفت النّاقة هناك.

غير أنّ المفارقة الكبرى و هي مفارقة ساخرة تأتي في خاتمة الرواية عندما يكشف عن الحقيقة و الوهم الذي عاش "المهدي" لأجله هو عالم لا وجود له إلا في أحلامه و هلوساته، و ذلك عندما « أخرج خنجره و أدخله في ثقب بين الألواح الخشبية الرثة و ضغط بقوة، زلج السكين و كاد يجرح يده... بعد عراك، تمكن من كسر اللوحة، ثم جذب بقيّة الأخشاب الأخرى من جهة العرض، فظهرت فتحة واسعة مظلمة... أدخل رأسه و خطى خطوات داخل الظلمة... ما خلاه نفقا، ليس إلا حفرة ضيقة، بلا مخرج. خرج يجرّ وراءه خيبة قاتلة. أخذ الشمعة و دخل مرّة ثانية... هناك في العمق ترقد رفاة بشرية: جمجمة و عظام مكسرة. أطلق صرخة مسعورة، ضرب رأسه ضدّ الجدار، شعر بطاقة تدميرية تزحف لجسده... بضربة قدم جنونية، زرع الجدار المحاذي للباب، تحرك السقف و سقط التراب و الحصى فوق جسده. خرج مسرعا إلى البطحاء... بعد مدّة دخل إلى الضريح، تناول علبة الكبريت، فأضرم النار في أوراق المخطوط، ثم أخذ الصفحات المشتعلة و بعثرها على القماش، بسعار حيوان مجروح». (62)

و هكذا اشتعل الضريح بأكمله، و "المهدي" يطوف حول البناية المهذّمة، « يحمل لوحة مشتعلة بيده اليمنى، يؤجج بها النار، و خنجره باليد الأخرى، يصرخ، يرغي و يزبد كالمعتوه» (63)، و هكذا تنتهي أحداث الرواية العجيبة بجنون "المهدي"، و العودة إلى العالم الواقعي، و الاستسلام له، فقد شكّل النفق الموجود في الضريح صدمة كبيرة له، فكان خيبة أمل عاش متمسكا به طول حياته.

هذه الرواية تتناص بشكل كبير مع رواية دون كيشوت"، حتى و إن اختلف موضوعهما، إلا أن الكاتب أحسن استثمارها، بأن جعل البطل يدور في حلقة مفرغة و يتوهم أمورا لا وجود لها و لا علاقة لها بالواقع، تنتهي كلاهما بالعودة إلى العالم الواقعي و الاستسلام له، بجنون "المهدي" و موت "دون كيشوت"، هذا و كان الكاتب قد أشار إلى أن ما يحدث من أحداث عجيبة في الرواية لا يعدو أن يكون معركة دونكيشوتية، في قوله: «كلّما صغرت المسافة التي تفصلهما عن "عين الكرمة"، إلا و تبخرت الأحلام أكثر فأكثر مثل ضباب صباح ربيعي عند تقدّم النهار و ارتفاع الشّمس لتترك المكان لواقع مليء بالصّخب و العنف، الذي سيخوضان ضده طوعا أو كرها، معركة دونكيشوتية غير مسبوقه». (64)

أمّا بالنسبة للزّمن، فإنّ الرواية مدونة سردية مبنية على علاقات زمانية متشابكة و معقدة، و الرواية ليست سوى « تركيبة معقدة من قيم الزّمن» (65)، و إذا كانت الرواية التقليدية قد بنيت على مبدأ الالتزام بنظام التسلسل الزّمني، فإنّ الرواية الحديثة لا تلتزم هذا التسلسل المنطقي للأحداث، و إنما ترتبها وفق رؤية فنية جمالية، تكسر خطية الأحداث و تسلسلها الزّمني.

تقوم رواية "الغيث" على فكرة إهمال التسلسل الزّمني للأحداث و قيام مفارقة كبيرة بين زمن الأحداث و زمن السرد، و يعود ذلك إلى تقنيتي السوابق و اللّواحق. و لعلّ أهم سابقة في الرواية تتمثل في رغبة "المهدي" في حج بيت الله على طريقة "إبراهيم عبد الله"، و هاجس النّفق داخل الضريح الذي جعله يتوهم أمورا لا أساس لها من الصّحة، فكانت خيبة أمله كبيرة. و كذلك الكرامات التي كان ينتظر أن تتحقق له، و أن يكلمه الأموات و غير ذلك. هذا الاستباق مؤطر بأفعال عجائبية لشخصية "المهدي"، كلّ مشهد سردي يؤسّس حضوره و فاعليته من خلال ارتباطه بالأحداث اللاحقة، و يعمل بوصفه تمهيدا لها و مؤشرا حقيقيا على حدوثها.

تشكل الأحلام بنية زمنية استباقية في الرواية، تكون لها أهمية واضحة في تأطير الأجواء العجائبية و تحديد فعاليتها، و من ذلك حلم "المهدي" بعد أن أنهى قراءة الصفحات المائة و السبع و الخمسين من المخطوط الذي أخرج من الضريح، « و رأى فيما يرى النائم شيئا ضامرا يجلس فوق صخرة في أعلى جبل يناديه ليلتحق به. حاول التسلّق بين منحدرات السّفح الحجري و لكنّه زلق عند أولى الخطوات... وقف الشّيخ مستعدا للذهاب. صاح "المهدي" صيحة عظيمة ليطلب من الشّيخ الانتظار... ركض ينوي

التسلق من جديد، تمكن من قطع مسافة قرّبته من الشيخ الذي أدار له ظهره، و لكنّه فقد توازنه و سقط في هاوية بلا قعر، حينذاك استيقظ لاهثا يتصيّب عرقا». (66)

أما اللواحق (أو الاسترجاع أو الاستذكار) فلها حضور مكثف في هذه الرواية، و تأتي في مقام استرجاع بعض الأحداث الماضية أو استذكار حالة ماضية أو في مقام تفسير و شرح لتصرفات الشخصيات الغامضة. و من أمثلة ذلك حكاية العلاقة بين "اعمر حلموش" و "نايلة"، حيث دخلت "لالة فطومة" إلى ساحة الحكي لتحكيها لجارتها و تجعل منها حادثة عجيبة و غريبة، و حادثة اختفاء "الشيخ امبارك" مخصب النساء العواقر، التي ظلت تتردد في الرواية بشكل مكثف، و تعود إلى الحكي من حين لآخر، و كذا التصرفات العجيبة التي كان يقوم بها "المهدي"، ظلت تتكرر بطريقة تفاجئنا بالعجب في كل مرة.

إنّ الزمن الواقعي الذي يعرضه الخطاب الروائي يبتعد عن التسلسل الزمني الخطي، هذا الزمن المشبع بالفوضوية و اللاعقلانية و السكونية التامة و المطابقة بين أحداثه على الرغم من اختلافها، يتقاطع مع الزمن الأخرى الممتد بديمومته و المنفتح باستمراره، و الذي يميز هذا الزمن خلوه من الإشارات الدالة على تحديد ماهيته فتتعد الأبعاد الثلاثة (الماضي/ الحاضر/ المستقبل)، و لا ينبثق منه إلا الزمان الآني. (67)

إنّ المكان العلوي بامتداده و لا نهائيته هو الذي يعيد تشكيل الحياة المنتهية في المكان الأرضي، « الموت ليس إلا عبورا يجهل الإنسان تفاصيله، و لكنه يوصله حتما إلى جنّة الميعاد. أين ملايير البشر الذين ملئوا الأرض بصخبهم و أشجانهم؟ لولا الموت الذي يفسح المجال للآتين لاكتظت الأرض و قُلت خيراتها و تقاتل الناس مثلما تنقاتل الذئاب الجائعة للفوز بجنّة عفنة». (68)

و من جهة أخرى تشير اللواحق في الرواية إلى خيبة أمل "المهدي" الذي وصل إلى حالة الجنون في الأخير، نتيجة اكتشافه حقيقة النفق في الضريح، الذي ظلّ أمله لتقليد "إبراهيم عبد الله"،... للحج إلى بيت الله و جعله صاحب الكرامات.

و قد لجأ الكاتب إلى استخدام تقنية التلخيص لما حدث قبل و أثناء و بعد الثورة التحريرية الكبرى، واختصر الأحداث في روايته هذه، مشيرا إلى الأحداث العجيبة التي مرّت بها الجزائر، غير أنّ ذلك لم يمنع من بروز تقنيات أخرى، كتقنية المشهد، و التي تتجلى في الحوار الذي كان يدور بين الشخصيات، و من أمثلة الحوار الذي يحمل طابعا عجائبا، قصة العجوز التي حكّت عن بئر و نخلة موجودان في الزاوية، و حكاية الطّاس الذي فقدته جدتها داخل بئر زمزم، ثم وجدته داخل بئر آخر، ثم اختفاء العجوز دون سابق إنذار. بالإضافة إلى الوقفات الوصفية التي تحفل بها الرواية، و الكثير منها يحمل طابعا عجائبا، مثلما وصفت "نايلة" بيت المدينة الذي دخلته فبدى لها من العجب العجاب. و قد أحسن الكاتب توظيف حالات التواتر كذلك و المتعلقة بالتكرار بين زمن الأحداث و زمن السرد.

إنّ مقاربة الجانب العجائبي في رواية "الغيث"، أفرز جملة من النتائج الهامة، تتمثل في كون هذا العجائبي قد تحوّل في الرواية إلى بنية كلية عملت على الاستيلاء على باقي مكونات الحكي و توجيهها، و قد برزت فاعليته في البناء الروائي العام.

و الملاحظ أنّ الأحداث و الشخصيات و المكان و الزمان كلّها امتلئت بالعجائبية، و ذلك لإبراز صفات و تناقضات الحياة التي تمثّلها بالعجب العجاب.

و هكذا تكون العجائبية هاجسا فنيا يخترق الواقع، فتكون مهمة الكاتب استنطاق حدود الوعي الإنساني، و إبراز ملامحها المعقدة، التي تضيء عددا لا يحصى من المعاني و المفاجآت.

إنّ رواية "الغيث" تتداخل فيها مواقف حياتية كثيرة، تغوص بالتناقضات و الصّراعات، بأسلوب تضمّن الكثير من المجاز و الصور البلاغية، و التي زادت جمالاً و رونقاً، و من جهة أخرى استثمار الكثير من النّصوص التراثية و الحديثة التي تتناص معها الرّواية في مواضيع و نقاط مهمة. لقد كانت الرّواية فضحا و كشفاً للواقع و مساوئه بطريقة عجيبة و غير مباشرة، تضمنت الكثير من الأمور العجيبة و الخارقة، و كانت العجائبية فيها بديلاً عن الكثير من المواقف، حيث يبرز فيها التّأويل كعنصر مهمّ يجعل القارئ حائراً و متردداً دائماً.

الهوامش:

- 1- ينظر: فيصل غازي النعيمي، العجائبي في رواية الطّريق إلى عدن، <http://www.omaraltaleb.com/naeimi>
 - 2- شعيب حليفي، هوية العلامات، في العتبات و بناء التّأويل، دار الثّقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 189.
 - 3- ينظر: أبو الفضل جمال الدّين بن منظور، لسان العرب، مج، دار بيروت، لبنان، ط1، دبت، ص 38.
 - 4- voir: Emmanuele Baumgarther et Philippe Ménard, Dictionnaire étymologique et histoire de la langue française, Librairie générale française, 1966, p 317.
 - 5- Gaston Cayron, Dictionnaire de français classique, la langue de XIII's, klincksieck, paris, p 355.
 - 6- ينظر: جميل حمداوي، الرّواية العربية الفانطاستيكية، 09 جوان 2015، <http://www.arabicnadwah.com/articles/fantasia-hamadaoui.htm>
 - 7- ينظر: المرجع نفسه.
 - 8- ينظر: نجاة تميم، الأدب العجائبي: أهو واقع أم خيال؟ الحوار المتمدن، العدد: 2992- 2010 / 1/5- 01:36، المحور: الأدب و الفن،
- <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=213613>
- 9- ينظر: محمّد الباردي، التّشخيص في الرّواية العربية، حوليات الجامعة التونسية، تونس، ع 38، 1995، ص 273.
 - 10- voir: Denis Labbé et Gibert Millet, Le fantastique, Ellipse édition, Paris, 2000, p 6.
 - 11- ينظر: ت.بي. أبتر، أدب الفنتازيا، مدخل إلى الواقع، ترجمة: صيّار سعدون السّعدون، دار المأمون، بغداد، 1989، ص 13.
 - 12- ينظر: شعيب حليفي، هوية العلامات، ص ..
 - 13- ينظر: المرجع نفسه، ص 192.
 - 14- ينظر: الرّاوي في الرّواية العجائبية، <http://diae.net/13495>
 - 15- جميل حمداوي، الرّواية العربية الفانطاستيكية.
 - 16- ينظر: المرجع نفسه.
 - 17- محمد ساري، الغيث، منشورات البرزخ، الجزائر، 2007، ص 5.
 - 18- المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

- 19- م ن، ص ن.
- 20- م ن، ص ن.
- 21- م ن، ص 7.
- 22- م ن، ص 8.
- 23- ينظر: سمير المرزوقي و جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصّة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 26.
- 24- محمّد ساري، الغيث، ص 67.
- 25- م ن، ص 156.
- 26- م ن، ص ن.
- 27- م ن، ص ص: 102-104.
- 28- ينظر: سمير المرزوقي و جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصّة، ص 104.
- 29- الرّأوي في الرّواية العجائبية.
- 30- Voir: Tezvetan Todorov, Les catégories du récit, communication 8, édition du seuil, paris, 1981, pp: 147-148.
- 31- محمّد ساري، الغيث، ص ص: 5-8.
- 32- Voir: Wayne Booth, Distance et point de vue, Essai de classificatoin in poétique du récit, seuil, paris, 1977, p 87.
- 33- Voir: Gerrard Genette, Figures III, seuil, paris, 1972, p 20.
- 34- ينظر: فيصل غازي النعيمي، العجائبي في رواية الطّريق إلى عدن.
- 35- المرجع نفسه، نقلا عن: فاطمة بدر حسين، العجائبية في الرّواية العربية، من عام 1970 إلى نهاية عام 2000، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، إشراف: شجاع العاني، 2003، ص 13.
- 36- محمّد ساري، الغيث، ص 28.
- 37- م ن، ص 29.
- 38- م ن، ص ن.
- 39- م ن، ص 30.
- 40- م ن، ص 31.
- 41- م ن، ص 38.
- 42- م ن، ص 38-39.
- 43- م ن، ص 46.
- 44- م ن، ص 63.
- 45- م ن، ص ن.
- 46- م ن، ص 71.
- 47- م ن، ص 93.
- 48- م ن، ص 176.
- 49- م ن، ص 74.
- 50- م ن، ص 248.

- 51- ينظر: إدريس الناقوري، الواقعية الرمزية في القصّة العربية، دراسات في القصّة المغربية، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، بيروت، ط1، 1986، ص 241.
- 52- ينظر: م ن، ص 242.
- 53- منيب البوريمي، الفضاء الروائي في الغربية، الإطار و الدلالة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1982، ص 21.
- 54- محمد ساري، الغيث، ص 25.
- 55- م ن، ص 5.
- 56- م ن، ص 25.
- 57- م ن، ص 26.
- 58- م ن، ص 39.
- 59- م ن، ص 156.
- 60- م ن، ص ن.
- 61- ينظر: فيصل غازي النعيمي، العجائبي في رواية الطّريق إلى عدن.
- 62- محمّد ساري، الغيث، ص ص: 258-259.
- 63- م ن، ص 259.
- 64- م ن، ص 54.
- 65- أ. مندلاو، الزّمن و الرواية، ترجمة: بكر عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 87.
- 66- محمّد ساري، الغيث، ص 42.
- 67- ينظر: غازي النّعيمي، العجائبي في رواية الطّريق إلى عدن.
- 68- محمّد ساري، الغيث، ص 35.

الحرمان الأسري وعلاقته ببعض سمات الشخصية

لدى المراهق المتمدرس

الباحثة بلخير فايزة

ا.د. ماحي ابراهيم

(جامعة وهران 2)

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة الموجودة بين الحرمان الأسري وبعض سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس وكذلك الكشف عن الفروق في سمات الشخصية حسب الجنس ونوع الحرمان. ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام استبانة الحرمان الأسري و مقياس فرايبيرج لسمات الشخصية على عينة مكونة من 262 مراهق متمدرس يتراوح سنها ما بين 14-20 سنة، فأسفرت النتائج على وجود علاقة ارتباطية بين الحرمان الأسري و سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس. وتوجد فروق في سمات الشخصية حسب الجنس لصالح الإناث. ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في سمات الشخصية حسب نوع الحرمان.

الكلمات المفتاحية: الحرمان الأسري، الشخصية، سمات الشخصية، المراهق.

:Abstract

The purpose of this study was to identify the relationship between family deprivation and some personality traits of the adolescent, as well as to detect differences in personality characteristics by gender and type of deprivation. To achieve this goal, the family deprivation questionnaire and the Freiberg scale for personality traits were used on a sample of 262 adolescent girls aged Between 14 and 20 years. The results revealed a relationship between the family deprivation and the personality traits of the adolescent. There are differences in personality characteristics by sex for females. There were no statistically significant differences in personality traits by type of deprivation.

Keywords: family deprivation, personality, personality traits, teenager.

1. مقدمة:

يستمد الطفل صحته الجسمية والنفسية من البيئة الأسرية التي يعيش فيها عن طريق ما تمنحه من حنان وعطف وما توفره من رعاية وحماية ، إلا أن تعرض الطفل أو المراهق إلى خبرات أليمة في حياته خاصة السنوات الأولى منها كفقدان احد الوالدين إما بوفاتهما أو انفصالها أو غيابها سيعيق نموه وقد يعرضه إلى الكثير من المشكلات التي قد تنتج عنها انحرافات أو أمراض نفسية.

فأول أساس للصحة النفسية إنما يستمد من العلاقة القوية الوثيقة الدائمة التي تربط الطفل بأمه أو من يقوم مقامها بصفة دائمة، حيث نجد أن هذه العلاقة هي أولى العلاقات الاجتماعية التي يدركها الطفل في حياته والتي لها تأثيرها عليه ، فإذا كانت هذه العلاقة ايجابية أشبعت حاجات الطفل ونمت شخصيته فالعلاقة الحميمة التي تربط بين الطفل وأمه تمثل الدعامة الأولى التي تمده بالحياة وهي مصدر الإشباع النفسي والطمأنينة للطفل. وان أي حالة تحرم الطفل من هذه العلاقة تسمى الحرمان الامومي وان آثار الحرمان تظهر في تعطيل النمو الجسمي، الذهني، اللغوي ، والاجتماعي لدى الطفل واضطراب نموه النفسي.¹ أما بالنسبة للمراهق فعندما يكون الوسط المحيط بالمراهق غير مناسب لإشباع حاجاته الجسمية أو النفسية فانه يأخذ في الإحساس بالحرمان أو بالخطر أو بعدم الانتماء أو بالنزب أو بأي إحساس من تلك الأحاسيس التي تبدأ في التضخم والاستفحال ، والتي تنعكس بالتالي على سلوك المراهق وتصرفاته ومواقفه من الآخرين.²

1. إشكالية الدراسة:

إن الكثير من سمات شخصية الفرد وثباتها تتوقف، إلى حد كبير على طبيعة الارتباط الذي يخبره مع أفراد عائلته، لذا فان الحرمان من الجو العائلي له آثار حادة على نمو الطفل السليم ، حيث يصبح الطفل ساخطا على العالم يصعب عليه أن يوفق بين حاجاته ومتطلبات المجتمع ، لان إحساسه بالحرمان يجعله غير مهتم بأحد ، إذ يتولد لديه إحساس بالضيق النفسي والاجتماعي.³ وهذا ما تؤكد مع دراسة رشدي عبده حنين 1987 التي هدفت إلى التوصل إلى مدى تأثير اليتيم المبكر على نمو الطفل الانفعالي وعلى حالته الوجدانية وهو في مرحلة المراهقة وكذلك الصورة الوالدية المضافة على الوالد المفقود، وبالتالي الوصول إلى صورة واضحة لبعض سمات اليتيم. فتكونت عينة الدراسة من (20) فردا وقد تم اختيارهم من بين المراهقين البالغين من العمر (17-19)، والذين فقدوا احد والديهم خلال مرحلة الطفولة المتأخرة من (6-11) سنة، وذلك عن طريق استمارة جمع البيانات، وأصبحت العينة تتكون من أربع مجموعات على النحو التالي : مراهقات فاقدات الأم وعددهم (5)، مراهقات

فاقدات الأب وعددهم (5)، مراهقون فاقدى الأم وعددهم (5) ، مراهقون فاقدى الأب وعددهم (5). وكذلك اختيرت العينة بحيث يكون الوالد قد تزوج بعد وفاة الطرف الثاني . واستخدمت الدراسة الأدوات التالية : اختبار الروشاخ واختبار تفهم الموضوع واستمارة بيانات ، فأسفرت الدراسة إلى أن الحالة الوجدانية للمراهق اليتيم تغطي عليها مظاهر الكآبة واليأس وكثرة أحلام اليقظة وعدم القدرة على الاستقلال والخضوع والطاعة للوالد الباقي وحساسية شديدة وقلق وتشاؤم ومظاهر التمرد والعصيان ، وفيما يتعلق بالصورة الوالدية نجد هناك رفض كلي للوجه الجديد الذي لا يشابه الصورة في شيء، شعور غريب بعودة الوالد المتوفي وانتظاره، ومعايشة هذه الصورة كواقع لا خيال إلا عند الاصطدام بالواقع وإعطاء هذه الصورة مميزات مثالية ولكنها غامضة.⁴ فهي تتفق مع دراسة لعائشة نحوي (2009) حول تأثير اليتيم على الحالة الوجدانية والصورة الوالدية لدى المراهق ، والتي أجريت بثانويتين بمدينة بسكرة بالجزائر مكونة من 20 مراهقا بالغين من العمر (18-19) ، فأظهرت نتائج الدراسة إلى أن الصورة الوالدية كانت في معظم الأحيان صورة مثالية ينسجها المراهق في خياله بطريقة يرضى بها فعلا لدرجة المثالية ولا تخضع لسمة رفض السلطة الوالدية عدا لدى المراهقات الإناث الفاقديات الأب، وان النمو الانفعالي والحالة الوجدانية للمراهق تتأثر بصدمة الانفصال التي حدثت أثناء الطفولة المتأخرة .

في حين كانت دراسة محمد بدرينة 1988 العربي حول اثر الحرمان من الوالدين على شخصية الطفل على عينة من 50 طفلا جزائريا باستخدام اختبار الشخصية الاسقاطي واختبار رسم الأسرة ، فقد كشفت نتائج الدراسة أن صورة الذات لدى الأطفال المحرومين غارقة في مشاعر البؤس والانزواء وغياب السند والأمن كما سيطرت عليهم مشاعر الذنب والقلق وانخفاض تقدير الذات وعدم استقرار الهوية الجنسية للطفل مع كثرة الاستجابات العدوانية الشديدة وقد تأكدت تلك النتائج في دراسة حديثة أجرتها نجاح ناصيف (1993) على عينتين من أطفال عاديين وأخرى محرومين من الوالدين بمدينة الرياض، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن الأطفال المحرومين من الوالدين ومودعين بدار الحضانة الاجتماعية كانوا أقل ثقة بالنفس وأقل في النمو الاجتماعي بصفة عامة من الأطفال العاديين⁵. أما دراسة يونس (1993) عن عاملية للتكوين النفسي للأطفال المحرومين اسريا في ضوء أنماط مختلفة من الحرمان، فهذفت الدراسة إلى التعرف على سمات شخصية الأطفال المحرومين اسريا سواء كان هذا الحرمان بالوفاة أو الطلاق. كما هدفت إلى الكشف عن البنية العاملية لمتغيرات التكوين النفسي للأطفال المحرومين ومدى اختلافها باختلاف المجموعات المستخدمة في الدراسة ، إضافة إلى الكشف عن البناء النفسي الدينامي للأطفال المحرومين اسريا مرتفعي ومنخفضي التوافق. بلغت عينة الدراسة (425) طفلا من الأطفال المحرومين اسريا والمقيمين بمؤسسات الرعاية الاجتماعية من عدة محافظات في مصر ، استخدم الباحث عدة أدوات للدراسة منها: مقياس الشخصية للأطفال من إعداد الباحث ومقياس التكيف

الشخصي والاجتماعي، إعداد عطية هنا، وكشفت نتائج الدراسة عن: وجود فروق دالة إحصائياً بين المحرومين قبل وبعد الخامسة، لصالح المحرومين قبل الخامسة في السمات السلبية: الانطواء، سوء التوافق الاجتماعي، والاضطراب ولصالح المحرومين بعد الخامسة في التكيف الشخصي والاجتماعي ومتغيراتها⁶

كما هدفت دراسة محرم (2009) إلى الكشف عن مستوى الرعاية الأسرية لدى عينات من الأطفال الأيتام وعلاقتها ببعض سمات الشخصية. كما تهدف إلى: (1) التعرف على الفروق في الرعاية الأسرية لدى المستويات الأربعة المعنية بالدراسة (الأسرة الطبيعية/ الأسرة البديلة/ الجمعيات المتميزة للرعاية البديلة / المؤسسات العادية للرعاية البديلة). تكونت عينة الدراسة من 126 طفلة من الإناث المراهقات في سن (13-16) سنة مقسمة على أربع فئات، ثلاث فئات أيتام، وفئة غير أيتام حسب القدرة وإمكانية الحصول على أقصى عدد ممكن من كل فئة. تم تطبيق الأدوات التالية:- مقياس الرعاية الأسرية.- مقياس المناخ الأسري.- مقياس سمات الشخصية. توصلت الدراسة لنتائج مفادها أن اتجهت الرعاية المنخفضة تجاه طفلات الجمعيات " متميزة/ عادية" بينما اتجهت الرعاية المرتفعة تجاه طفلات الأسر (الطبيعية/ البديلة). كما توصلت الدراسة إلى وجود علاقات دالة وجوهرية بين مستويات الرعاية والمناخات المنطوية عليها وبين سمات الشخصية، حيث اتجهت السمات السلبية (اندفاعية / قلق / توهم المرض/ الذنب) نحو طفلات الجمعيات المتميزة للرعاية البديلة والمؤسسات العادية للرعاية البديلة. بينما ظهرت نتيجة فارقة فيما يخص الأسر (الطبيعية / البديلة) حيث تفوقت نتائج طفلات الأسر البديلة على نتائج طفلات الأسر الطبيعية في الرعاية وسمات الشخصية⁷.

نلاحظ مما سبق انه اتفقت معظم الدراسات التي سبقت على أن الحرمان الامومي أو الأبوي له خطورة على سمات شخصية المحروم، فتميزت شخصيته بعدم الأمان والغرق في مشاعر البؤس واضطراب في عملية التنميط الجنسي خاصة عند الذكور وكثرة أحلام اليقظة والحساسية الشديدة لاسيما عند المراهق، إلا أنها اختلفت الدراسات من حيث فئات الدراسة ما بين المراهقين والأطفال وأيضاً نوع الحرمان إما جزئي أو كلي بالإضافة إلى اختلاف وسائل القياس بحسب هدف الدراسة، فاستكمالا للدراسات السابقة حول الحرمان الأسري تحاول الدراسة تسليط الضوء إليه أي الحرمان الأسري وربطه ببعض سمات الشخصية التي تنجم عن هذا الحرمان مما يجعلنا نطرح مجموعة من التساؤلات التالية:

- هل توجد علاقة ارتباطية بين الحرمان الأسري وبعض سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس؟.

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في بعض سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس حسب الجنس لدى (ذكر، أنثى)؟.

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في بعض سمات الشخصية حسب نوع الحرمان (وفاة أحد الوالدين، الطلاق)؟.

3. الفرضيات: للإجابة عن التساؤلات المطروحة صغنا الفرضيات التالية

-توجد علاقة ارتباطيه بين الحرمان الأسري و بعض سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس.

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في بعض سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس حسب الجنس (ذكر، أنثى).

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في بعض سمات الشخصية حسب نوع الحرمان (طلاق، وفاة).

4. أهداف الدراسة:

-التعرف على طبيعة العلاقة بين الحرمان الأسري و بعض سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس.

-الكشف عن الفروق في بعض سمات الشخصية حسب الجنس ونوع الحرمان لدى المراهق المتمدرس.

5.أهمية الدراسة: تحاول الدراسة تسليط الضوء إلى فئة من فئات المجتمع فقدت العطف والحنان والرعاية الأسرية سواء من الأب أو الأم بسبب الطلاق أو وفاة احدهما، ومن ثم فهي بحاجة إلى الوقوف على معاناتها والتعرف على خصائصها الشخصية من جراء فقدان.كما تكمن في وضع برامج وخطط علاجية انطلاقا ما تنتج عنه الدراسة تناسب السمات الشخصية التي يتصف بها المحرومين اسريا مما تجنب الوقوع في الكثير من المشكلات والانحرافات أو حتى الاضطرابات النفسية إن لزم الأمر.

6-التعاريف الإجرائية لمفاهيم الدراسة:

الحرمان الأسري: يرى بولبي BOWLBY الحرمان الأسري بأنه " عدم وجود شخص مخصص لرعاية الطفل بصفة مستمرة ، وبطريقة شخصية ، بحيث يشعر معه بالأمن

والطمأنينة والثقة⁸. ويعبر عنه إجرائيا بالدرجة التي يحصل عليها المراهق المحروم اسريا على استنبانه الحرمان الأسري.

سمات الشخصية: تعرف جمعية علماء النفس الأمريكية (1999) السمات بأنها: " أنماط ثابتة من الإدراك والتفكير وارتباط الفرد ببيئته وبذاته ، والتي تظهر في اغلب المواقف الاجتماعية والشخصية.⁹ ويعبر عنها إجرائيا بأنها الدرجة التي يحصل عليها المراهق المحروم اسريا على مقياس سمات الشخصية(فرايبرج)FAHRENBURG .

7. الإطار النظري:

1. مفهوم الحرمان لغة: والحرمان من حرَمَ: بمعنى المنع، والحرمان نقيض الإعطاء، ونقيض الرزق، وحرَم الشيء: أي منعه. وورد الحرمان في القاموس العربي بأنه المنع، والفقدان، والخسران.

الحرمان اصطلاحا: عرف إسماعيل الحرمان بأنه: الشعور بعدم وجود حاجات وأشياء وأمور يحتاجها الفرد وتكون مهمة لبناء وتشكيل شخصيته. أما الحرمان الوالدي فهو حرمان الطفل من والديه قبل أن يوثق العلاقة بهما وما يترتب عليه من انقطاع الإشباع الكمي والكيفي للحاجات النفسية كالحب والعطف، ومن ثم فإن الانفصال يفضي إلى الحرمان.¹⁰، ويعرف أيضا الحرمان الأسري هو "حرمان الطفل من إشباع الحاجات الحيوية وتنمية القدرات الفيزيائية والعقلية والاجتماعية والنفسية من خلال الوالدين وأعضاء أسرته"¹¹.

1. النظريات المفسرة للحرمان من الوالدين: ساهمت كل من نظريات التعلق والتحليل النفسي، التعلم الاجتماعي (الإثارة) في إعطاء تصور واضح حول فهم وتفسير حدوث الحرمان، فسنحاول عرضها وهي كالآتي:

1.2. نظرية التحليل النفسي: نجد أن الحرمان يعالج بلغة التحليل النفسي تحت مصطلح "فقدان الموضوع" على أساس أن العلاقة بالأم أو من يقوم مقامها يقابلها " العلاقة بالموضوع" بلغة التحليل النفسي ومصطلحاته وبالتالي فالحرمان أو فقدان الموضوع قد يكون فقداناً فعلياً بالموت أو انقطاع علاقة وثيقة متبادلة مع الموضوع ، وهذا الانقطاع ناجم عن ابتعاد الموضوع أو اختفائه.¹²

كما يشير فرويد إلى أن الأم هي الموضوع الذي يعوض ضعف الطفل في سد حاجياته، والتخفيف من ضغط الحاجة، حيث يستشعر الطفل ارتفاع الضغط كخطر حقيقي يؤدي إلى استجابة قلق الانفصال، يعبر عنها بالصراخ والبكاء . وتدرجياً يرتبط غياب

الأم بذكرى حالة ضغط ، لدرجة يصبح فيها هذا الغياب حالة "خطر" بالنسبة للطفل ، وبحسب فرويد يتحول الخوف من فقدان موضوع الحب إلى خوف من فقدان حب الموضوع¹³، ونتيجة لسوء فهم الطفل للحقائق، فإن فقدان أمه لا تكون حالة خطر وإنما تكون حالة صدمة. أو أنها تصبح بعبارة أدق حالة صدمة إذا حدث أن الطفل كان يشعر في ذلك الوقت بحاجة كانت الأم هي الشخص الذي يقوم بإشباعها. وهي تصبح حالة خطر إذا لم تكن هذه الحاجة موجودة في ذلك الوقت. وعلى ذلك فإن السبب الأول للقلق الذي يحدثه الأنا ذاته هو عدم إدراك الموضوع (وهو يعادل فقدان الموضوع ذاته). وحتى الآن لا تظهر مشكلة فقدان الحب. وتأخذ الخبرة فيما بعد تعلم الطفل أن الموضوع يمكن أن يكون موجودا ولكنه غاضب منه، وحينذاك يصبح فقدان حب الموضوع خطرا جديدا وأكثر استدامة ومسببا لحدوث القلق.¹⁴

نظرية التعلق: تؤكد نظرية التعلق أن الأسرة هي المصدر الرئيس لتنمية الحب والاستقرار والأمان للأبناء، كما قد تكون مصدرا للمشكلات التي تنمي لديهم الاضطرابات في المستقبل، ويؤدي سوء التنشئة الأسرية إلى فقدان الانتماء للأب كمصدر للسلطة أو الأم كمصدر للحنان ، مما يدفع بهذا الطفل إلى الانتماء لجماعات منحرفة في المراهقة بحثا عن الإشباع العاطفي. ويرى بولبي (WOLBY) أن بيئة الحرمان من عاطفة الأبوين هي احد أسباب الاضطرابات التي تظهر في المراهقة والرشد، حيث يعاني الفرد من صعوبة في التفكير المجرد بسبب سيطرة الذات على الواقع. كما أن النمط الوالدي السلبي والبيئة السلبية لا يمنحان الحب، بل يجعلان من هؤلاء الأبناء شخصيات مضطربة في المستقبل. وقد ذكر أن العلاقات العائلية المضطربة تؤدي إلى ظهور اضطرابات الشخصية، حيث أوضح بعض المضطربين بالشخصية أن والديهم كانوا أكثر تحكما واهتماما مقارنة بغير المضطربين، كما وصف هؤلاء المضطربون القائمين على تربيتهم بالقسوة وفقدان العاطفة والمشاعر.¹⁵

وهذا ما بينه بولبي J. BOWLBY في الدور الذي يؤديه التعلق في حياة الطفل ، فخلال وجود الطفل بالقرب من أمه يضمن إشباع حاجاته البيولوجية، وحاجاته النفسية. ويعتبره قاعدة أمنة ينطلق منها للقيام بأنشطة استكشافية¹⁶، فوجود نمط تعلق أساسا غير مهدد، أو على الأقل أن الطفل ليس بعيدا جدا عن هذا النمط ، يشعره بالأمان . فتهديد بالفقدان يولد القلق ، وفقدان حقيقي يولد الحزن : علاوة على ذلك فكلاهما من المرجح أن يثيرا الغضب.¹⁷

فالتعلق يضع الأساس لمدى تقمص الطفل للشخصية التي تعلق بها، فالتعلق أو النفور يؤثر في الشخصية التي يتقمصها الفرد، كما يضع الأسس لعلاقات الطفل الاجتماعية

بغيره من أفراد أسرته وجيرانهم ، ومع كل من يتعامل معه ، وتظهر هذه العلاقات في شكل : اللعب، الصداقة ، العطف ، المكانة الاجتماعية... الخ¹⁸.

نظرية التعلم: يرى رواد هذه النظرية ميلرMILLER ودولاردDOLLARD، سيزر SEASER، بندور BANDURA بان الطفل يتعلم من خلال التقليد ، أو من التفاعل الاجتماعي ، وتقرر هذه النظرية بان الطفل يصبح مرتبط بالأأم ، لأنها هي التي ترعاه وتشبع حاجاته وبذلك تصبح حدثا معززا في حياة الطفل فيتعلم حبها، واهم ما يؤكد منظروا هذه النظرية إن ارتباط الطفل بالآخرين هو هدف بحد ذاته ، وان تعرض الطفل لمواقف الإحباط والحرمان يؤثر سلبا في سمات شخصيته ويصبح من الصعب تغييرها عند البلوغ والرشد. كما أن للحرمان العاطفي آثار خطيرة على جوانب الشخصية ككل على التكيف الاجتماعي بشكل خاص، وهذا يؤثر في نموه السليم هو هدف بحد ذاته، وان تعرض الطفل لمواقف الإحباط والحرمان.¹⁹

لقد ركزت نظرية التحليل النفسي على أهمية العلاقة بالموضوع الأولي وغالبا ما تكون الأم التي تعمل على إشباع الحاجات الغذائية للطفل وبها يستمد اللذة عبر مناطق جسمه لتخفيف التوتر وتحقيق الإشباع الجنسي ، في حين يشير بولبي إلى أهمية التعلق ونوعية العلاقة الدافئة والقريبة مع الأم أو من يحل محلها بصفة دائمة، إما التعلم أو الإثارة أعطت أهمية لعملية الإثارة الحسية ودورها في النضج العصبي.

2. مفهوم الشخصية: هي ذلك التنظيم الفريد لاستعدادات الشخص للسلوك في المواقف المختلفة²⁰ ، في حين ينظر برنس (Prince) إليها على أنها كل الاستعدادات والنزعات والميول والشهوات والغرائز الفطرية البيولوجية عند الفرد وكل ما اكتسبه من استعداد وميول²¹.

أما سمات الشخصية بمفهومها العام هي الصفات التي يمكن أن نفرق على أساسها بين فرد وآخر ونظريات السمات هي استعدادات أو تكوينات نفسية تكون مسئولة عن الانتظام والثبات الظاهري في سلوك الفرد.²²

في حين يعرف أيزنك السمة بأنها مجموعة ملحوظة من النزعات الفردية للفعل، وبعبارة أخرى، فإن السمة ببساطة هي اتساق ملحوظ في عادات الفرد وأفعاله المتكررة والمعتادة²³، كما تعتبر السمة عند ستكنر STAGNER هي مفهوم ذو طبيعة مجردة ، لا تلاحظ السمة بطريقة مباشرة لدى الفرد وإنما من خلال مؤشرات وأفعال معينة.²⁴

يتضح من التعريفات السابقة حول مفهوم السمات أنها تكوين فرضي يحمل صفات خاصة بكل فرد وتقاس بمجموعة من الأفعال والسلوكيات تتصف بدرجة كبيرة من الثبات

نظريات السمات:

- نظرية جوردن البرت:

تقوم نظرية السمات عند جوردن البرت على فكرة أساسية هي وجود سمات مشتركة بين الناس جميعا. وهو يؤكد على أهمية التنظيم الداخلي للدوافع والسمات والأساليب الشخصية وهكذا يؤكد التفرد والتميز ويرى أن السمات تنتظم في ترتيب هرمي مدرج تسوده إما سمة واحدة رئيسية أو عدة سمات مركزية ويتبع ذلك سمات ثانوية ، فمن الأشخاص من يتميز عن غيره بسبب سمة رئيسية تنعكس في سلوكه ، ويتخذ مثل هؤلاء الأشخاص كنماذج يوصف الآخرون بالإشارة إليهم كان نقول أن فلانا كريم كحاتم أو حليم كأحنف. وعدد الأفراد الذين تسيطر على سلوكهم سمة رئيسية قليل نسبيا، وبالإضافة إلى هذا يتميز كل فرد بسمات ثانوية تظهرها مجموعة من المثيرات المحدودة.²⁵

فقسم "جولدن البورت" السمات إلى ما يلي:

أ- السمات المشتركة: السمة المشتركة فئة تصنف فيها أشكال السلوك المتكافئة وظيفيا

لدى المجموع العام من الناس، وبالرغم من تأثرها باعتبارات اسمية مصطنعة فإن السمة المشتركة تعكس إلى حد ما الاستعدادات الحقيقية والتي يمكن مقارنتها بكثير من الشخصيات ونتيجة الطبيعة البشرية والثقافة المشتركة فإنها تنمي أساليب متشابهة من توافقهم مع بيئاتهم ولكن بدرجات مختلفة.

ب- السمات الخاصة: فهي تلك التي تخص فردا بحيث لا يمكن أن نصف آخر بالطريقة ذاتها ، وهي إما قدرات أو سمات دينامية ، وقد ذهب البورت على ضوء نظريته في السمات إلى أن كل سمة للفرد تعد سمة ثرية تتميز في قوتها واتجاهها ومجالها عن السمات الأخرى المتشابهة الموجودة لدى الأفراد الآخرين، ويؤكد البورت انه ليس هناك في الواقع أبدا شخصان لهما السمة ذاتها ، وبالرغم ما قد يوجد من تشابهات في تركيب السمة لدى أفراد مختلفين فإن الطريقة التي تعمل بها أي سمة بالذات لدى شخص معين تكون لها خصائص فريدة تميزها عن جميع السمات المتشابهة لدى الأشخاص الآخرين، وهكذا فإن السمات جميعا سمات فردية ولا تناسب سوى الفرد المتفرد، ويرى كذلك أن السمة الفردية هي وحدها التي يمكن أن نعدها سمة حقيقية نظرا لما يلي:

- توجد السمات لدى أفراد وليس في المجموع العام.

- تتطور السمات وتتعمم إلى استعدادات دينامية بطرق فريدة وفقا لخبرات كل فرد.

ج- السمات الأصلية (الأساسية): وهي التي تبلغ قدرا من السيادة لا تستطيع سوى نشاطات قليلة إلا تخضع لتأثيرها إما بشكل مباشر أو غير مباشر، ولا يمكن لمثل تلك السمة أن تظل مختفية طويلا فالفرد يعرف بها حتى يصبح مشهورا بها.

د- السمات المركزية: وهي أكثر شيوعا، وهي تمثل الميول التي تميز الفرد تماما والتي كثيرا ما تظهر ويكون استنتاجها سهلا تماما وعددها لا يتجاوز 5-10 سمات.

ه- السمات الثانوية: فهي اقل حدوثها واول أهمية في وصف الشخصية، وأكثر تركزا من حيث الاستجابات التي تؤدي إليها وأيضا من حيث المنبهات التي تناسبها.

و- السمات التعبيرية: هي سمات معينة تؤثر على شكل السلوك وتلونه، ولكنها لا تكون واقعية لدى اغلب الأفراد (كما هو الحال بالنسبة للميول والقيم والغايات البعيدة ومن أمثلتها السيطرة والمثابرة)

ز- السمات الاتجاهية: هي السمات ذات تأثير محدود في مجالات معين من مجالات الحياة.²⁶

نظرية "ريموند كاتل" RAYOND CATTEL :

نظرية كاتل حاولت تفسير التفاعلات التي تؤدي إلى التغيرات والتطور الشخصي . ويعتمد التعلم في رأيه على السمات الشخصية التي تحدد السلوك. وهذه السمات محددة من طرف الجينات وتتغير عن طريق التعلم. ويؤكد R.CATTEL على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الدافعية والسلوكيات في تعريف الشخصية. وفي تحليله وصل إلى 20 سمة اعتبرها سمات مصدرية يمكن استخدامها في تفسير السمات السطحية وبين كاتل R.CATTEL أن السمات السطحية تنبع من السمات المصدرية وهي أكثر أهمية في تفسير السلوك وأكثر استقرارا ويمكن الكشف عنها باستخدام أسلوب التحليل العاملي وهي متحفظة ومتفتح ومتهيج ومستقر وذكي وغبي وخجول وصبور ومرح ومكتئب وواثق وشكاك وعملي وفض وخيالي ومحافظ ومتحرر وحساس ومغامر وجبان ومسيطر وخاضع.²⁷

فقسم السمات إلى ما يلي:

أ. من حيث الشمولية:

1. السمات المصدرية: هي التكوينات الحقيقة خلف السمات السطحية، وهي التي

تساعد على تحديد السلوك الإنساني وتفسيره ، والسمات المصدرية (الأساسية) ثابتة وذات أهمية بالغة وهي المادة الكبرى الأساسية التي يقوم عالم النفس بدراستها ، ويمكن أن تقسم إلى سمات تكوينية وسمات تشكلها البيئة الأولى،

داخلية وذات مصدر وراثي ، والثانية تصدر عن البيئة وتتشكل بالأحداث التي يعيشها الفرد.

2. **السمات السطحية:** هي التي يمكن ملاحظتها مباشرة وتظهر في العلاقات بين الأفراد ، كما يتضح من طريقة الشخص في انجاز عمل ما وفي الاستجابة للاستخبارات ، وهي قريبة من مكان السطح في الشخصية وتعد أكثر قابلية للتعديل تحت ضغط الظروف البيئية ومثالها: المرح، الحيوية، الميل للتشاجر.

ب-من حيث العمومية: يتفق كاتل مع البورت في اعتبار أن هناك سمات عامة (مشتركة) وسمات فريدة.

1. **السمات العامة (المشتركة):** هي التي يتسم بها الأفراد جميعا، أو على الأقل جميع الأفراد الذين يشتركون في خبرات اجتماعية معينة وثقافية واحدة.
2. **السمات الفريدة:** وهي التي لا تتوافر إلا لدى فرد معين ولا يمكن أن توجد لدى أي شخص آخر في هذه الصورة بالضبط.

ج- من حيث النوعية:

1. **السمات المعرفية:** وتتعلق بالفاعلية التي يصل بها الفرد إلى الهدف مثل الذكاء، والقدرات، والثقافة والمعارف العامة ، والمهنية ، وفكرة الفرد عن نفسه، ووجهة نظره وإدراكه للناس وللواقع.

2. **السمات الوجدانية:** تتصل بإصدار الانفعال السلوكية وهي التي تختص بالاتجاهات العقلية أو بالدافعية والميلول أي تتعلق بتهيئة الفرد للسعي نحو بعض الأهداف.

3. **السمات المزاجية:** تختص بالإيقاع والمثابرة وغيرها، وهي ما تعرف بالسمات السلوكية وتتعلق بجوانب تكوينية للاستجابة كالسرعة أو الطاقة أو الاستجابة الانفعالية.²⁸

8. منهج الدراسة وإجراءاتها:

8.1 **منهج الدراسة:** لقد تم إتباع المنهج الوصفي بحسب ما يقتضيه موضوع الدراسة التي تحاول الكشف عن الحرمان الأسري وما يكشف عنه من بعض السمات لدى المراهق المحروم اسريا.

8.2 **عينة الدراسة:** يتمثل مجتمع الدراسة في تلاميذ السنة الرابعة من الطور المتوسط والطور الثانوي بمستوياته الثلاثة المسجلين في السنة الدراسية 2016 / 2017 لولاية تيارت غرب الجزائر، وقد تم اختيار العينة بطريقة قصدية مكونة 262 تلميذ(ة) وفق شروط معينة منها أن يكون أفراد العينة من المحرومين اسريا (حالات وفاة احد الوالدين والطلاق) . وأن

يتراوح السن من 14 سنة فما فوق نظرا لقدرة تلاميذ هذه المستويات على التعامل بنوع من الفهم للتعليمات و فقرات المقياس وهذا ما لاحظناه من خلال الدراسة الاستطلاعية بحيث كان هناك صعوبة في فهم التعليمات و فقرات الاستباناتين اقل من 14 سنة. والجدول التالي يوضح خصائص العينة الأساسية.

جدول رقم (01) يوضح توزيع العينة الأساسية حسب الجنس ونوع الحرمان، والسن

الجنس	ذكور	إناث	المجموع
	102	160	262
نوع الحرمان	الأب	الأم	طلاق
	125	51	86
	المجموع	262	
السن	16-14	20-17	المجموع
	171	91	262

3.8 أداة الدراسة: قام الباحثان بتصميم استبانته تقيس الحرمان الأسري التي احتوت على 38 فقرة وأخرى مقياس سمات الشخصية فرايبرج، فوضعت قائمة فرايبرج للشخصية من طرف مجموعة من أساتذة علم النفس بجامعة فرايبرج بألمانيا سنة 1970 وهم جوكن فاننبرج FAHRENBURG وهربت سليج SLEG وراينز هامبل R.HAMBEL. اعد الصورة العربية للمقياس محمد حسين علاوي تهدف القائمة إلى قياس تسعة أبعاد عامة للشخصية، بالإضافة إلى ثلاث أبعاد فرعية، وتتضمن 212 عبارة، كما أنها لها صورتين أ و ب، وقد قام ديل DEIHL أستاذ علم النفس بجامعة " جيسن " بألمانيا بتصميم صورة مصغرة للقائمة، تضم الأبعاد الثمانية الأولى من القائمة الأصلية وتتضمن الصورة العربية للمقياس 56 عبارة، سبعة عبارات لكل بعد، وقد تم اختيار الأبعاد التالية:

العصبية: تميز الدرجة العالية للبعد الأفراد الذين يعانون من اضطرابات جسدية ونفسجسمية مثل اضطرابات الهضم والتنفس والتوتر والحساسية لتغيرات الجوية... الخ. أما الدرجة المنخفضة فتميز الأفراد الذين يتسمون بقلّة الاضطرابات الجسمية والاضطرابات العامة النفسجسمية ويتضمن بعد العصبية سبع عبارات كلها ايجابية وأرقامها (15، 4، 3، 18، 23، 38، 54).

2. الاكتئابية: تميز الدرجة العالية للأفراد ذو التذبذب المزاجي والمتشائم والشعور بالتعاسة وعدم الرضا والإحساس بمخاوف غير محددة، الوحدة وعدم فهم الآخرين لهم، عدم القدرة على التركيز والميل للعدوان على الذات والإحساس بالذنب، أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى

المزاج المعتدل والقدرة على التركيز والاطمئنان والأمن والثقة بالنفس والقناعة، يتضمن بعد الاكتئابية سبعة عبارات كلها ايجابية وهي كما يلي(21، 25، 34، 37، 40، 52، 55).

3. القابلية للاستثارة : تميز الدرجة العالية لهذا البعد الأفراد الذين يتسمون بالاستثارة العالية وشدة التوتر وضعف القدرة على مواجهة الاحباطات اليومية العادية والانزعاج وعدم الصبر والغضب والاستجابات العدوانية عند الإحباط وسرعة التأثر والحساسية أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الهدوء والمزاج المعتدل والقدرة على ضبط النفس وتحمل الإحباط ويتضمن هذا البعد سبعة عبارات كلها ايجابية(5، 31، 33، 36، 39، 46، 53).

4. الضبط أو الكف: تشير الدرجة العالية إلى صعوبة التفاعل والتعامل مع الآخرين في المواقف الجماعية وعدم القدرة على سرعة اتخاذ القرارات والخوف وسهولة الارتباك ، خاصة عند مراقبة الآخرين لهم ، وتميز الدرجة المنخفضة الأفراد الذين لديهم القدرة على التعامل والتفاعل مع الآخرين والثقة بالنفس والقدرة على التحدث ومخاطبة الناس ، ويضم هذا البعد سبعة عبارات ايجابية(6، 8، 13، 17، 19، 32، 35)²⁹ .

4.8 طريقة التصحيح:

أ. استبانة الحرمان الأسري : صيغت البنود في الاتجاه الايجابي والسلبي ولكل فقرة ثلاث بدائل يختار المجيب اختيارا واحدا وهي(نعم، أحيانا ، لا) تتراوح أوزانها ما بين(1-3) درجات بالنسبة لل فقرات ذات الاتجاه الايجابي، وإعطاء أوزان من(3-1) درجات ذات الاتجاه السلبي.

ب. مقياس سمات الشخصية: تطبيق قائمة فرايبيرج للشخصية على الإناث والذكور ابتداء من 16 سنة فأكثر ويمكن تطبيقه على المراهقين، يجيب المفحوص على العبارات الايجابية بدرجتين عند الإجابة " بنعم" ودرجة واحدة عند الإجابة ب"لا" .

العبارات السلبية: درجة واحدة عند الإجابة " بنعم" ودرجتين عند الإجابة ب"لا"، تتراوح درجات قائمة فرايبيرج للشخصية والتي هي عبارة عن مجموع درجات كل بعد على حدى بين 45 درجة كحد أدنى و90 درجة كحد أقصى.

ولقد تم التأكد من الخصائص السيكومترية لاستبانة الحرمان الأسري ومقياس فرايبيرج لسمات الشخصية بعد تطبيقه على عينة استطلاعية مكونة من 57 مراقق متمدرس.

5.8 الأساليب الإحصائية: بهدف الإجابة عن الفرضيات المطروحة تم استخدام الأساليب الإحصائية المتمثلة فيما يلي:

- المتوسط الحسابي والانحراف المعياري .

-معامل الارتباط بيرسون وكذلك اختبار (t-test) لدراسة الفروق واختبار التباين الاحادي (ANOVA) وذلك باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss22)

9. عرض النتائج ومناقشة الفرضيات:

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى: والتي تنص: توجد علاقة ارتباطية بين الحرمان الأسري وسمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس.

ولاختبار هذه الفرضية استخدمنا معامل الارتباط لبيرسون ومعامل التحديد، فدللت النتائج على مايلي:

جدول رقم (2) يوضح قيمة معامل الارتباط بين الحرمان الأسري وسمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الارتباط	م.الدلالة	معامل التحديد
الحرمان الأسري	17.71	4.25	**0.552	0.01	%30
سمات الشخصية	8.04	1.00			

نلاحظ من خلال الجدول بأن هناك علاقة ارتباطية بين الحرمان الأسري وسمات الشخصية بمعامل قدره (0.55) عند مستوى الدلالة (0.01)، حيث قدرت نسبة التباين ب(30%) بمتوسط حسابي تتراوح قيمته (8.04-17.71) وانحراف معياري يتراوح قيمته (1.00-4.25) مما يعني أن المراهق الذي حرم والديه إما بفقدانه بوفاته أو انفصاله تؤثر على شخصيته فيفقد الإحساس بالأمان لاسيما المراهق الذي يحتاج إلى وجود الوالدين في هذه الفترة التي تحدث فيها الكثير من التغيرات الجسمية والنفسية والمعرفية والتي تتطلب التكيف معها لاسيما عند المراهق اليتيم أو الذي انفصل والديه فيفقد ولائه للأسرة وتتولد لديه مشاعر الأسى والغضب والإحباط والشعور بالنعاسة وعدم الرضا ومخاوف خاصة من فقدان الوالد الباقي على قيد الحياة وانطوائه على نفسه من خلال أحلام اليقظة أملا في عودة الوالد المفقود. ورفض فكرة الانفصال والشعور بالذنب مع سرعة الاستشارة .

فحرمان المراهق من والديه أو احدهما بالطلاق، هو بمثابة التصدع في شخصيته، والإطاحة بأمنه النفسي، من خلال تأثيره في مفهومه لذاته، وفي سلوكه، وإدراكه السلبي للرعاية الوالدية، خاصة وأنه بأمس الحاجة للانتماء والاتصال الشخصي المتكرر مع الوالدين ، والذي يتميز بالاجابية ، والخلو من المؤثرات السلبية ، والحس بالرابطة الشخصية ، والشعور بالثقة بان هذا الشخص متواجد ويعتمد عليه عند الحاجة³⁰، كما يبين اركوف(1971 ARKOFF) أن الجو العاطفي داخل الأسرة أكثر ما يؤثر في شخصيات الأبناء، وأساليب تكيفهم ، ذلك أن الحب والدفء الأسري يعملان على تكوين ثقة الطفل

بنفسه، وطمأنينته نحو شروط الحياة، وقدرته على مواجهة الظروف القاسية والسمة على السواء، فيما تشحن عواطف الكره والنفور بأشكال الشقاء والماسي ، وتدفعه إلى تشكيل نظرة قائمة عن الأسرة والمجتمع، فالحقد لدى الراشدين يرتبط على الأغلب يتوتر الجو العاطفي للأسرة في بداية حياته، حيث أن الأسرة هي التي تكون شخصية الطفل وتنقل أثارها في تشكيل شخصية الأبناء في المستقبل من خلال التنشئة التي يتعرض لها الطفل، من خلال والديه في مراحل حياته الأولى.³¹ وتتفق الدراسة مع دراسة الدسوقي(1995) ودراسة يونس(1993) ودراسة العربي(1988) ودراسة VALLIANT(1993) NELSON C

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية : والتي تنص: "هناك فروق في بعض سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس تبعاً للجنس" ولاختبار هذه الفرضية استخدمنا اختبار(ت) لدراسة الفروق بين الجنسين، حيث دلت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (3) يوضح قيمة اختبار(ت) لدراسة الفروق بين الجنسين في سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس

المتغير	ذكور ن=102		إناث ن=160		قيمة (ت)	مستوى الدلالة
	م	ع	م	ع		
العصبية	1.37	0.26	1.62	0.25	7.70	دال عند 0.05
الضبط أو الكف	1.46	0.27	1.65	0.25	5.82	دال عند 0.05
الاكتئابية	1.52	0.24	1.65	0.26	4.23	دال عند 0.05
قابلية لاستشارة	1.56	0.26	1.58	0.26	0.69	غير دال

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه وجود فروق بين الجنسين في سمة العصبية بقيمة (ت) قدرها(7.70) عند مستوى الدلالة(0.05)، ولصالح الإناث بمتوسط حسابي قدره(1.62)، ووجود فروق بينهما أيضا في سمة الضبط بقيمة (ت) قدرها(5.82) عند مستوى الدلالة(0.05)، ولصالح الإناث بمتوسط حسابي قدره(1.65)، ووجود فروق في سمة الاكتئابية بقيمة(ت) قدرها(4.23) عند مستوى الدلالة(0.05)، ولصالح الإناث بمتوسط حسابي قدره(1.65)، وعدم وجود فروق بينهما في سمة قابلية لاستشارة. ويفسر الباحثان هذه النتيجة أن استجابة الإناث للفقان والتعبير عنها تختلف عن الذكور فهم أكثر تعبيرا و حساسية لهذا الفقان فتظهر لهم سمة الاكتئابية من خلال الانعزال والشعور بالكآبة والأسى أو تتحول إلى أعراض جسمية كاضطرابات الهضم أو التنفس أي ظهور سمة العصبية وكذلك سمة الكف أو الضبط ، فتستشعر المراهقة المحرومة أنها تختلف عن

الآخرين والتخوف من زملائها من إبداء تعليقات أو أسئلة قد لا تملك لها إجابة واضحة حول وضعها الجديد خاصة حالة الانفصال، مما يجعلها تنطوي على نفسها ويقل تفاعلها مع الآخرين، في حين أن الذكور فيحاولوا إنكار هذه السمات في هذه المرحلة وأن يظهرها تحمل المسؤولية أو أن يتقمصوا دور الأب كتعويض نفسي عن فقد دور الأب أو وعدم إظهار انهم الأقل في المكانة مقارنة بزملائهم. وتتفق مع دراسة إيمان فوزي (1985) حول دراسة اكلينكية لأثر وفاة الأم على التوافق النفسي للأبناء من الجنسين، حيث أظهرت النتائج الدراسة الاكلينكية أن اختفاء الأم من حياة الطفل يستثير لديه قدر هائل من مشاعر الذنب، كما أظهرت الإناث تفوق في مشاعر الوحدة والكآبة مختلطة بمشاعر الهجر والنبذ نتيجة لفقد موضوع الحب الاوديبى على مدى قدرة الطفل على تخطي الاوديب بنجاح والاتجاه في صورة سوية إلى موضوع جنسي غيري بديل.³² وتختلف مع دراسة و عطية (1991) وشتات (2000) .

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة: والتي تنص: "هناك فروق في بعض سمات الشخصية تبعاً لنوع الحرمان (الأب، الأم، الطلاق) لدى المراهق المتمدرس". ولاختبار هذه الفرضية استخدمنا تحليل التباين الأحادي، حيث دلت النتائج على ما يلي:

جدول رقم (4) يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي لدراسة الفروق تبعاً لنوع الحرمان

المتغير	مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع مربعات الانحراف	متوسط المربعات	قيمة (ف)	م.الدلالة
العصبية	بين المجموعات	2	,0300	,015	0,8180	غير دال
	داخل المجموعات	259	20,761	,080		
	المجموع	261	20,791			
الضبط أو الكف	بين المجموعات	2	,0450	,022	0,2810	غير دال
	داخل المجموعات	259	20,548	,079		
	المجموع	261	20,592			
الاكتئابية	بين المجموعات	2	,0420	,021	0,2980	غير دال
	داخل المجموعات	259	18,352	,071		
	المجموع	261	18,394			
قابلية للاستثارة	بين المجموعات	2	,0170	,009	0,1240	غير دال
	داخل المجموعات	259	17,908	,069		

			17,926	261	المجموع
--	--	--	--------	-----	---------

نلاحظ من خلال جدول مصدر التباين عدم وجود فروق بين سمات الشخصية: (العصبية، الضبط أو الكف، الاكتئابية، وقابلية الاستثارة) تبعا لنوع الحرمان(الأب، الأم، والطلاق) لانعدام الدلالة الإحصائية مما يدل على أن متغير نوع الحرمان (وفاة أو طلاق) لم يكن له اثر على سمات الشخصية. ويعزو الباحثان هذه النتيجة إلى أن مهما اختلف شكل الحرمان سواء إما بفقدان المراهق والديه إما بالوفاة أو الانفصال فهي تعتبر خبرة أليمة وصدمة تسبب له الانزعاج والتوتر وتحرمه من إشباع احتياجاته الجسمية والنفسية وتؤثر على جوانب شخصيته بظهور مجموعة من السمات كالعصبية التي تتجسد في أعراض جسمية بهدف الحصول على العناية والاهتمام و سمة الاكتئابية من خلال مشاعر الحزن واليأس وفقدان الثقة والشعور بأنه مرفوض من والديه خاصة بالنسبة للمراهق الذي انفصل والديه فيسعى إلى القيام بما يريده وسمة الكف أو الضبط غالباً ما يميل إلى الانعزال والانزواء ويصبح وحيداً مما ينعكس على علاقاته الاجتماعية غير المتينة، وكل هذا ينتج عن خجله من الوضع الذي يمرّ به خصوصاً إذا ما رأى أن أصدقاءه يعيشون مع أسرهم حالة من الاستقرار الأسري.

فالانفصال الأبوي سواء كان بسبب الطلاق أو غيره إنما يكون له تأثيره الخطير على الحالة العاطفية ويخلق مشاكل جديدة ومحبطة لعمليات التكيف الاجتماعي لدى الأطفال ، ولو أن الطفل ذهب ليعيش مع قريب له فان ذلك يعتمد على كمية العواطف والتفاهم التي نالها في طفولته ولو ظل تحت رقابة احد الوالدين المنفصلين فانه سوف يتلقى من الطرف الذي يعيش معه ما يبغضه ويكرهه في الطرف الأخر وبغض النظر عن الانفصال فان طفل الأبوين المنفصلين يفقد إحساسه بالأمان ويفقد ولاءه للبيت ولجميع العواطف النبيلة وسوف تتكون عنده عواطف المرارة والخجل والانطوائية والغضب بدلا من العواطف البديلة لها والناضجة وتأصل في سلوكه وإحساسه الداخلي وبالتالي ستقوده إلى الاستهزاء والسخرية من الآخرين والى الكسل والى الصراع الداخلي في شخصيته³³ أما الوفاة فتشير نفين زيور بحسب وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي حول حالات بعض الأطفال والمراهقين الذين فقدوا احد الوالدين إلى أن عملية الحزن او الحداد التي تواكب فقدان فيها عناصر متماثلة تتحدد في أن عملية الحداد عملية نفسية مؤلمة وتدرجية لسحب اللبيدوا(فض الشحنة) من الصورة المستدخلة للموضوع وهي لا تحدث في الطفولة المبكرة والوظيفة الأولى لعملية الحداد هي سحب الذكرى والأمل من الشخص المفقود ،

أما استجابة الطفل للفقدان هي تجنب تقبل الواقع أو المعنى الوجداني للفقدان ، فالأطفال لا يبدون في سلوكهم الظاهري مشاعر الحزن كما يقل بكأؤهم وتستمر أنشطتهم المعتادة دون الانشغال بموضوع الوالد المفقود لان الطفل يقوم بإنكار واقعة موته، ويصاحب ذلك تخيل شعوري وأخر لا شعوري يتمثل في عودة الوالد ، أما مشاعر الاكتئاب فهي تنتقل إلى مواقف أخرى وتتحول صورة الوالد المفقود إلى صورة مؤلمة يمجدها ويعظمها ، وعلى مستوى آخر يستمر انتظار الطفل وتظل أماله قائمة في رجوع الوالد المفقود ، وهذا يبين الانشطار الأنا في إنكار الموت من ناحية والاستبقاء على التعلق بالموضوع المحبوب من ناحية أخرى.³⁴

خلاصة:

يشكل حرمان المراهق لوالديه إما بوفاتهما أو انفصالهما خبرة أليمة تؤثر على جوانب شخصيته لاسيما إذا لم يكن هناك بديل امومي أو أبوي يوفر الأمن والرعاية والعطف والحنان مما قد تعرقل سير نموه خاصة في المرحلة التي يعيشها، التي يسعى إلى البحث عن ذاته والتي تتطلب وجود الوالدين لتقديم السند والتوجيه من أجل الوصول إلى هويته فجاءت الدراسة الحالية للكشف على طبيعة العلاقة بين الحرمان الأسري والتعرف على البعض من سمات الشخصية لدى المراهق المتمدرس واختلاف هذه السمات الشخصية باختلاف الجنس ونوع الحرمان ولتحقيق هذا الهدف تم تطبيقها على عينة مكونة من 262 مراهق يتراوح سنه ما بين 14-20 سنة(الطور المتوسط والثانوي) باستخدام أداتين وهما استبانة الحرمان الأسري ومقياس فرايرج للسمات الشخصية بعد التأكد من خصائصها السيكومترية فأسفرت النتائج

وجود علاقة ارتباطية بين الحرمان الأسري بعض سمات الشخصية و وجود فروق في سمات الشخصية لصالح الإناث ، وأيضا عدم وجود فروق في السمات الشخصية حسب نوع الحرمان .

وعليه انطلاقا من النتائج المتوصل إليها نوصي بما يلي:

-الاهتمام بالمراهق المحروم اسريا و العمل على تحقيق مختلف احتياجاته النفسية خاصة في مرحلة المراهقة.

- إشعاره بالحنان دائما ومعاملته معاملة خاصة حتى لا يشعر بالنقص ومنحه الثقة في نفسه ومع الآخرين وضرورة الإبقاء على اتصال المراهق مع والديه.

كما نقترح إجراء دراسات حول الحرمان الأسري وعلاقته بسمات الشخصية في ضوء متغيرات مختلفة (كمدة فقدان، وجود البديل الامومي أو الأبوي، سن الحرمان، الترتيب الميلادي).

_ دراسة مقارنة في سمات الشخصية حسب نوع الحرمان (الطلاق- الوفاة- الحرمان النفسي).

قائمة المراجع:

1. -احمد عبد الجواد فهمي،، مدى فعالية برنامج لتعديل السلوك العدوانى لدى الأطفال من نزلاء المؤسسات ، رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة الزقازيق، مصر،2006،ص99.
2. كلير فهمي المشاكل النفسية للمراهق، دار الثقافة ، ط2، القاهرة ، مصر،1987،ص27
3. - قيس محمد علي، محاسن احمد البياتي، الحرمان من عاطفة الأبوين وعلاقته بالسلوك العدائى لدى المراهقين،مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد9، العدد3،2009،ص57.
4. -نبوية لطفي محمد عبد الله، مفهوم الذات لدى الأطفال المحرومين من الأم (دراسة مقارنة، رسالة ماجستير في دراسات الطفولة ، معهد الدراسات النفسية والاجتماعية ، جامعة عين شمس، مصر،2000، بتصرف.
5. محمد حسن محمد عبد الله، الحرمان الأسري وأثاره على توكيد الذات والمهارات التوكيدية (دراسة مقارنة بين عينتين من الذكور من طلاب الثانوية بمكة المكرمة)،مجلة بحوث كلية الآداب، العدد الخمسون ، جامعة المنوفية ، مصر،2002،ص45.
6. - ياسر يوسف إسماعيل، المشكلات السلوكية لدى الأطفال المحرومين من بينتهم الأسرية، رسالة ماجستير في الصحة النفسية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين،2009،ص77.
7. عمر طالب الريماوي ، أساليب الرعاية المدرسية لدى طلبة الأيتام في ضاحية القدس، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس،العدد السابع والأربعون ، الجزء الأول،2014،ص130.
8. عبد الله علي غلفان وغزيري، الفروق في مفهوم الذات بين مجهولي الهوية والأيتام والعاديين من المراهقين ، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية (رعاية وصحة نفسية)، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض، السعودية، 2008،ص62.

9. أضواء عبد الكريم أحمد، فاعلية إستراتيجية التعلم معاً التعاونية في بعض سمات الشخصية لدى طلبة كلية التربية قسم التاريخ /المرحلة الرابعة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 5، العدد1،2007،ص8.
10. عاطف سيد عبد الجواد، حسام احمد أبو سيف، الحرمان النفسي الوالدي وأثره على ممارسات البناء لسلوك عقوق الوالدين" دراسة على عينة من المراهقين السعوديين"، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد(6)، العدد(7)،2017،ص36.
11. مكتب الإنماء الاجتماعي، البناء النفسي لأبناء الشهداء وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والديمغرافية، الإنماء الاجتماعي في الديوان الأميري، ط1، للكويت،1998،ص96.
12. انسي محمد احمد قاسم، أطفال بلا اسر، ط1، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر،2002،ص119.
13. مدوري يمينة، إشكالية التعلق لدى الطفل، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد13/14، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر،2015،ص77-78.
14. سيغمنجد فرويد، الكف والعرض والقلق، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط4، بيروت، لبنان،1989،ص152.
15. عاطف سيد عبد الجواد، حسام احمد أبو سيف، الحرمان النفسي الوالدي وأثره على ممارسات البناء لسلوك عقوق الوالدين" دراسة على عينة من المراهقين السعوديين"، المرجع السابق،ص37.
16. عبد الله محمد بني أرشيد، عبد الكريم محمد جرادات)، اثر تعديل العبارات الذاتية السلبية وتحسين مهارات الاتصال في تعديل أنماط التعلق غير الآمنة لدى طلبة الصفين التاسع والعاشر في محافظة اربد، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد الثالث ع(8)،2014،ص200.
17. BOWLBY.J, *attachement et perte*, volume1, presse universitaire de France, 5édition, paris, 2002,p285.
18. حسن مصطفى عبد المعطي، الأسرة ومشكلات الأبناء، دار السحاب، ط2، القاهرة، مصر، 2008،ص65.
19. حنان عزيز العبيد، تأثير فراق الأبوين على الأطفال من خلال التعبير الفني في رسومهم، مجلة الأكاديمي، العدد64، جامعة بغداد، 2012، ص208.
20. توما جورج خوري، الشخصية (مقوماتها ، سلوكها ، وعلاقتها بالتعلم)، المؤسسة الجامعية للدراسات ، ط1، بيروت، لبنان،1999،ص6.

21. - زياد بركات، علاقة أنماط الشخصية بالسلوك العدواني لدى عينة من طلبة بعض الجامعات الفلسطينية تبعا لمتغير النوع الاجتماعي، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد 41، العدد 1، 2014، ص 257.
22. مجيدي محمد، سمات الشخصية وانعكاساتها على اتجاهات اللاعبين نحو النشاط البدني والرياضي والدافعية للإنجاز الرياضي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، 2010، ص 750.
23. زياد بركات، علاقة أنماط الشخصية بالسلوك العدواني لدى عينة من طلبة بعض الجامعات الفلسطينية تبعا لمتغير النوع الاجتماعي، المرجع السابق، ص 257.
24. نائل محمد عبد الرحمن اخرس، السمات الشخصية المميزة للأفراد المصابين بالاضطرابات النفسية بمنطقة الزرقاء في المملكة الأردنية الهاشمية ، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس (ASEP) ، العدد الثامن والعشرون ، الجزء الأول، 2012، ص 81.
25. جابر عبد الحميد جابر وآخرون، مقدمة في علم النفس، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 1985، ص 234.
26. قشاشطة عبد الرحمن، عوين بلقاسم، سمات الشخصية لدى المرضى السيكوسوماتيين، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد الثاني، 2013، ص 146-147.
27. برحيل جويده، اثر السمات والشخصية المضطربة في الاستجابة للعلاج المعرفي عند المكتئب – محاولة علاجية لستة حالات، أطروحة دكتوراه في علم النفس العيادي، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران، الجزائر، 2010/2011، ص 128.
28. قشاشطة عبد الرحمن، عوين بلقاسم، سمات الشخصية لدى المرضى السيكوسوماتيين، المرجع السابق، ص 147-148.
29. بوط جمال سمات الشخصية وعلاقتها بالدافعية للتعلم لدى الطلبة الجامعيين النظام الجديد(م د)، رسالة ماجستير في نظرية ومنهجية التربية البدنية والرياضية، جامعة حسبية بن بو علي ، شلف، الجزائر، 2008/2009، ص 100-101.
30. سامي محمد ملحم اثر برنامج تدريبي معرفي في تحسين التفكير العقلاني ومفهوم الذات وخفض مستوى الاكتئاب لدى المراهقين المكتئبين المحرومين من الرعاية الوالدية، مجلة العلوم التربوية، العدد الثالث، 2011، ص 36.
31. محمد أمين القضاة، أنماط التنشئة الأسرية وعلاقتها ببعض سمات الشخصية لدى طالبات جامعة مؤتة، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مجلد 2، عدد 3، 2006، ص 156.

32. نبوية لطفي محمد عبد الله، مفهوم الذات لدى الأطفال المحرومين من الأم (دراسة مقارنة، المرجع السابق، ص96.
33. مجدي احمد محمد عبد الله، النمو النفسي بين السواء والمرضى، دار المعرفة الجامعية، الازارطة، مصر، 1996، ص236.
34. محمود محي الدين عشري، اثر حرب الخليج النفسية والاجتماعية وفقدان العائل على بعض الأسر الكويتية الوافدة إلى مصر(دراسة حالة)، مجلة التربية، جامعة مصر. مصر. 23/12/2013. [HTTTO://WWW.ASKZARD.COM](http://WWW.ASKZARD.COM)، 1997، ص249.

الوظيفية في الدرس اللساني الحديث

د: عبد القادر البار

جامعة ورقلة- الجزائر-

الملخص باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على ماهية الاتجاه الوظيفي، الذي حاول تجاوز الفكر البنوي من دراسة الأنساق البنوية المغلقة و المعزولة عن سياقها إلى تحديد وظائفها التواصلية والإبلاغية في المواقع السياقية المختلفة.

فقد صنع هذا الفكر الحديث انطلاقة جديدة بمنظور يطل على فضاء أوسع في عملية التفسير و التأويل باستغلال العوامل الداخلية و الخارجية معا في تحقيق عملية التواصل من أجل جودة التبليغ، وقد أولت الوظيفية عناية فائقة للدور الوظيفي الذي تؤديه اللغة من أصغر وحدة دالة متمثلة في المورفيم إلى أكبر وحدة متمثلة في الجملة، و الأداء بمختلف الملامح التي يمكن لبعض التراكيب تحقيقها متجاوزة المفاهيم التقليدية للدراسات القديمة.

الكلمات المفتاحية: البنوية، الوظيفية، الإبلاغية، التواصلية، التفسير، التأويل.

Abstract

The aim of the present study is to shed light on the notion of the functional trend that attempted to juxtapose the structural thought, moving from studying structural patterns that are closed and isolated from their linguistic context to determining their communicative and reporting functions in different linguistic contexts.

This modern thought has created a new beginning with a perspective in the process of explanation and interpretation by exploiting the internal and external factors together in achieving the communication process for the quality of reporting. Functionalism paid great attention to the functional role played by the language starting with the smallest unit of sound to the largest unit represented in the sentence and performance of the various intents that some structures can achieve beyond the traditional concepts of ancient studies.

Key-words: structuralism, functionalism, patterns, communication, explanation, interpretation.

Résumé

Cette étude a le dessein d'éclairer le courant fonctionnaliste qui s'est efforcé de dépasser la pensée structuraliste reposant sur de l'étude des structures

immanentes indépendamment de leurs contextes vers la prise en charge de leurs fonctions communicatives et rhétoriques dans les différentes situations.

Cette pensée a créé une nouvelle perspective qui accorde une place privilégiée au processus d'interprétation tout en exploitant des facteurs internes et externes pour assurer la communication. Ainsi, la théorie fonctionnaliste a mis l'accent sur la fonction accomplie par la langue de la petite unité distinctive dite phonème vers l'unité significative maximale qui est la phrase dont certaines combinaisons peuvent remplir des fonctions communicatives.

مقدمة

شهدت العلوم في الآونة الأخيرة تشظي معرفي لم يسبق له نظير فتوالدت علوم من رحم علوم أخرى وتداخلت وتشابكت إلي حد بعيد.

وما عرفته لسانيات دي سوسير من امتداد معرفي على يد طلابه جعلها تحمل لواء اللغويات الحديثة جميعها على اختلاف تياراتها ومشاربها فظهرت لسانيات توليدية أسلوبية لسانيات وظيفية ...

وقد شدنا فضول البحث إلى معرفة ما جاءت به إحدى هذه التيارات الفكرية فاخترنا اللسانيات الوظيفية باعتبارها سليل ما تمخضت به اللسانيات السوسيرية.

فما هي اللسانيات الوظيفية؟ وكيف نشأت؟ ومن هم منشئوها؟ وما هي المبادئ التي حملتها؟

أولاً: ماهية اللسانيات الوظيفية.

أ - الوظيفة لغة:

يقول ابن منظور: "وظف: الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم من رزق، أو طعام، أو علف، أو شراب وجمعها الوظائف والوظف. ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً. ألزمها إياه، وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل"¹.

والوظيفية "نسبة إلى الوظيفة، كقولنا مدرسة لغوية نسبة إلى اللغة، وتعني في الاتجاه الوظيفي التداولي ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل والبيان، ارتباطاً يجعل البنية انعكاساً للوظيفة وتابعة لها"²، «وتقوم الوظيفية على اعتبار الوحدات اللسانية من خلال دورها الذي تلعبه في التواصل"³.

ب - الوظيفية اصطلاحاً:

عُرِّفت اللسانيات الوظيفية على أنها: "... نظرية لغوية تركز على وظائف الوحدات اللسانية لا على أشكالها، مستندة إلى البعد التداولي للغة، وقد سادت حقل الدراسات اللغوية لغرض سدّ الثغرات التي لم ينتبه إليها الوصفيون والتوليديون، وتتمثل هذه الثغرات في أنّ اللسانيات الوصفية والتوليدية تتخلف إذا

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، ط1، 1997، ج6، ص 460-461.
2. الطاهر شارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتوير لابن عاشور سورة البقرة انموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص 6.
3. محمد الحناش، البنيوية اللسانية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1980، ص96.

تجاوز الباحث حدودَ المادة اللغوية إلى العناصر الخارجية المحيطة بالحدث اللغوي، مثل موقف المتكلم وحال المخاطب، وغيرهما من الأمور الحاقّة بالخطاب"⁴.

وجاء في تعريف آخر أن الباحث يسعى من خلال هذه النظرية إلى: "... الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب أي أنه يبحث عن الوحدات التي يمكنها أن تغير المعنى كلما استبدلت بأخرى. فتغير معنى الوحدات اللغوية دليل على أن لها وظيفة."⁵

وأقل ما يفهم من هذين التعريفين أن النظرية الوظيفية لا تهتم بالشكل، بل يكمن جوهر اهتمامها في وظائف الوحدات اللسانية، وسميت بالوظيفية لأن الباحث فيها يكتشف ما إذا كانت كل الوحدات اللغوية التي يحتوي عليها النص تؤدي وظيفة في التبليغ.

وكلمة "وظيفة" في الدراسات اللغوية لها معنيان هما:

1. الوظيفة بمعنى الدور الذي تؤديه اللغة كظاهرة اجتماعية وهو التّواصل.
2. الوظيفة بمعنى العلاقة التي تقوم بين عناصر الجملة كعلاقة الإسناد في الدّراسة الوظيفية للجملة.

ج - نشأة اللسانيات الوظيفية:

وضعت الأسس الأولى للنظرية الوظيفية مع دراسات ماثيوس ابتداءً من سنة 1911⁶، إلا أن هذه الأسس لا تكاد تذكر أو يتحدد لها اتجاه فجد أن أكثر الدارسين يؤرّخون للمدرسة الوظيفية مع مدرسة براغ 1926.

و"تكونت ملامح اللسانيات الوظيفية في حلقة براغ التي استفادت من آراء سوسير وشكلت نظرية مستقلة أساسها اعتبار اللغة نظاماً وظيفياً يمكن الإنسان من التواصل والإفصاح عن مقاصده ورغباته"⁷.

«وترتكز أصول الوظيفية على جملة من الأعمال التي أسهمت في بلورتها كلٌّ من مدرسة براغ ومدرسة لندن، وأعمال اللسانيين التشيكين»⁸.

"ولقد اهتم الوظيفيون -أول الأمر- بدراسة الأصوات وأولوها عناية فائقة، فقد تصوّروا اللغة نسقاً يشتمل على أنظمة فرعية متعددة، لذلك يجب أن تنقسم دراستها على علوم فرعية، فدراسة الصوت مثلاً ترتبط بجانب الدوال اللغوية بوصفه فرعاً مستقلاً عن دراسة المدلولات"⁹.

"ويعتبر الوظيفيون أن دراسة اللغة هي البحث عن الوظائف (Les fonctions) التي تؤديها في المجتمع أثناء تواصل أفرادها. ولقد تولد هذا الاتجاه بخاصة عن الأعمال التي اهتمت بدراسة الظواهر

4. خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث "الأصول والاتجاهات"، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 2012، ص256.

5. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 2004، ص 17.

6. ينظر: جيفري ساميوسن، المدارس اللغوية التطور والصراع، تر: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت- لبنان، ط1، 1993، ص106.

7. ينظر: الطاهر شارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور سورة البقرة نموذجاً، ص9.

8. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، 2004، نقلاً من: خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث الأصول والاتجاهات، ص256.

9. خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث الأصول والاتجاهات، ص 257.

الصوتية في إطار ما يعرف بالاتجاه الفونولوجي (La phonologie) الذي ظهر على يد نروبوتسكوي، وطور على يد جاكيبسون، ومارتيني وحلقة براغ¹⁰.

ولا نغفل على أن اللسانيات الوظيفية تدين في نشأتها إلى ما قدمته مدرسة لندن من أفكار وأطروحات، من خلال نظرتها للغة بوصفها ظاهرة بشرية متكاملة، مطورة في هذا الشأن مفهوم (سياق الحال) الذي تُدرس اللغة من خلاله في سياقها المادي والمعنوي.¹¹

وفي أواخر السبعينيات شهد الاتجاه الوظيفي تطورا واضحا على يد اللساني الهولندي سيمون ديك، الذي قدّم الصياغات الأولى والعامّة للنحو الوظيفي، إذ أرسى أسس النحو الذي اقترحه، وقدّم الخطوط العامّة لتنظيم مكوناته¹².

د: مبادئ الوظيفية ومنهجها.

أ - مبادئ الوظيفية: تركز مدرسة براغ على مبادئ أساسية أهمها:¹³

- 1- ترى أن اللغة نظام لا يمكن الفصل بين عناصرها انطلاقا من فكرة دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها.
- 2- يجب أن يتجه البحث الفونولوجي إلى دراسة التقابلات الفونيمية ولا ينبغي فصل الظاهرة الفونولوجية عن الظاهرة المورفولوجية.
- 3- إعطاء الأولوية للبحث الوصفي فهو ذو تأثير على الواقع اللغوي الفعلي دون استبعاد الدراسة التاريخية، لأن النظام اللغوي الكامل لا بد أن يكون تاريخيا في ضوء الوصفية.
- 4- المنهج المقارن في اللغة يجب أن يتخلص من محدودية الملاحظة ليتمكن الباحثون من بناء أنماط مميزة للغات، وهو المنطلق الذي أسست عليه نظرية الملامح التمييزية كأنماط مميزة لأصوات اللغة في مختلف اللغات
- 5- بناء نظرية الفونيم وتطويرها واستغلالها في الدرس الصوتي واللغوي وتصديرها مع نظرية الملامح التمييزية.
- 6- اعتمدت على بعض العلوم الدقيقة كالفيزياء والرياضيات في التحليل الصوتي ولم تقتصر على ما يلاحظ في الواقع مباشرة، كما استعانت بالآلات والأجهزة في الدراسة الصوتية متحرية في ذلك الدقة.
- 7- «التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وغايات معينة»¹⁴؛ وهذا ما يسمى بأداتية اللغة.
- 8- «وظيفة اللغة تؤدي اللغة في نظر الوظيفيين وظائف متعددة لا وظيفة واحدة، كما ذهب إلى ذلك تشومسكي الذي رأى أن الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير عن الفكر»¹⁵.

10. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 16-17.

11. خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث الأصول والاتجاهات، ص 258.

12. ينظر: المرجع السابق، ص 260.

13. وفاء الأخضر، الفكر الصوتي الوظيفي بين كمال بشر ومدرسة براغ رسالة ماجستير:، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014—2015، ص 97.

14. بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006، ص 101.

15. خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث، الأصول والاتجاهات، ص 262.

ب - منهج الوظيفية:

"تسعى هذه المدرسة إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب أي البحث عن الوحدات التي يمكنها أن تغير المعنى كلما استبدلت بأخرى فتغير معنى الوحدات اللغوية دليل على أنها وظيفة"¹⁶.

ومن ثم فإن مدرسة براغ ترى أن المنهج التاريخي والمنهج الوصفي بالرغم من التباين المنهجي بينهما إلا أنهما يتفقان على أن اللغة يجب أن تدرس على أنها نظاما تتحرك به الألسن بطريقة معينة لتتمكن من التواصل إلا أن أصحاب هذه المدرسة يرون أن المنهج التاريخي لا يجدي نفعا ولا يمدنا بما تفهم به نظامها إذ يرون: "أن اللغة نظاما من الوظائف وكل وظيفة نظاما من العلامات"¹⁷ إذ لا يمكن فصل هذا النظام عن عناصره منطلقين من فكرة هي أن: "دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها " وعليه فإن منهجهم ينطلق من تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا يهدف إلى تحقيق التواصل والتعبير الذي يقتضي أن تحمل العناصر اللسانية شحنة إعلامية"¹⁸.

وبما أن التحليل الوصفي لهذه اللغة هو أفضل طريقة لمعرفة جوهرها وخواصها المميزة بوصفها عبارة عن محرك، وعلى اللسانيين أن يدركوا ماهي الأعمال التي تقوم بها المكونات الأخرى. فإنه ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار تصور اللغة كنظام وظيفي عند دراسة حالات لغوية ماضية وعليه فالدراسة التاريخية لا يمكن أن تهمل فكري النظام والوظيفة، كما أن الوصف لا يمكن أن يلغي فكرة التطور، إذ لا يمكن الفصل بين المنهجين التاريخي والوصفي، و لم يكتفوا بالوصف، بل تعدوه إلى التفسير مجيبين عن سؤالين اثنين هما:

1- ماذا تشبه اللغات؟ 2- لماذا جاءت على هذه الشاكلة؟ ومن ثم أطلقوا على منهجهم الخاص بالدراسة الصوتية اسم "الصوتيات الوظيفية".

"والمقصود بالصوتيات الوظيفية هي دراسة المعنى الوظيفي للنمط الصوتي ضمن نظام اللغة الشامل واستخراج كل الفونيمات وضبط خصائصها أو تحديد كيفية توزيع أوفوناتها لذلك يعتبر الصوت هو محور دراسة الصوتيات الوظيفية باعتباره وحدة فونولوجية مجردة لأن ما يطلق به فعلا خلال الكلام هو اللوين الصوتي أو المتغير الصوتي"¹⁹.

ومما يمكن قوله أن مدرسة براغ اعتمدت المنهج الوصفي حيث وصفت الأصوات اللغوية مرتكزة في ذلك على الجوانب الصوتية الثلاثة: الجانب الفيزيولوجي والسمعي والفيزيائي، كما اعتمدت المنهج المقارن في دراسة أصوات لغات معدودة كالروسية والاسبانية والألمانية والتشيكية وغيرها لإيضاح الفوارق الصوتية والأدائية لتأسيس النظريات الفونولوجية.

هـ : علاقة اللسانيات الوظيفية بالعلوم الأخرى.

16. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 17.

17. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ص 137.

18. بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 101.

19. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 137.

أ- علاقة اللسانيات الوظيفية بعلم النفس:

يعد علم النفس من العلوم التي يمكن أن ندرس من خلاله السلوك البشري ومن أهم السلوكيات التي يمكن أن نتوصل بها إلى هذا الإنسان هو السلوك اللغوي، لهذا يعد السلوك مرآة عاكسة لشخصية الفرد أو هي ما يمكن أن يعبر به الفرد من أحاسيسه ومشاعره ولأن اللسانيات اهتمت بدراسة الأصوات، نجد أن "جاكيسون الذي تخصص في علم النفس بوجه عام ونمو الطفل بشكل خاص فقد ساعده تخصصه هذا في اللسانيات والصوتيات الوظيفية وقام بتطبيق نتائج ما توصل إليه في هذين العلمين على طريقة اكتساب اللغة الأم وتحليل العوامل المؤثرة بصورة مباشرة في عملية الاكتساب"²⁰.

"وهكذا عنى جاكيسون بدراسة الحبسة والأمراض اللغوية الأخرى وعلاقتها باكتساب اللغة عند الطفل وإذا كان بعض الباحثين قد كثيرا عن الحبسة وأكدوا أهمية اللسانيات في فهم الدراسات المتعلقة بهذه الاضطرابات اللغوية"²¹.

هذه العلاقة بين اللسانيات وعلم النفس انتجت لنا علماً جديداً هو علم النفس اللغوي وهو العلم الذي يهتم بدراسة العمليات العقلية التي تتم في أثناء استعمال الإنسان للغة فهما وإنتاجا كما يهتم باكتساب اللغة نفسها.

ب — علاقة اللسانيات الوظيفية بعلم الاجتماع:

لا يمكن أن يدرس موضوع في علم اللغة إلا وله علاقة بعلم آخر وخاصة إذا تعلق الأمر باللغة ، فالأصوات التي يتلفظ بها الفرد من وجهة نظر اللسانيات يمكن وصفها وتحليلها وتفسيرها. "ومن أهم ما جاء بها جاكيسون نظرية وظائف اللغة الست التي استلهمها من نظرية الاتصال التي ظهرت لأول مرة 1948 ومفادها أن عملية الاتصال تتطلب عناصر أساسية، المرسل، المتلقي، وقناة الاتصال، الرسالة، وشفرة الاتصال، والمرجع"²².

ولهذا يرى جاكيسون أن أهم وظيفة للغة هي وظيفة التواصل ويمكن أكبر من هذا ألا وهو التبليغ الذي يعد أهم وظيفة للغة. حيث تعتبر الدراسات الوظيفية أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا يمكن فصلها عن سياقها الاجتماعي، ومن هذا المنطلق نجد أن اللسانيات الاجتماعية التي تربط علم اللغة بعلم الاجتماع "تدرس العلاقة القائمة بين اللغة والأفراد من جهة وبينها وبين المعطيات الاجتماعية كأن يدرس العلاقة ما بين اختيار الفرد لنمط محدد من الاتصال والوظيفة الاجتماعية التي يوجد فيها الفرد"²³.

إذن لا يمكن فصل اللسانيات عن علم الاجتماع، فهما علمان متقاطعان حيث لا يمكن أن ندرس اللغة إلا من خلال المتكلمين بها، ولا يمكن دراسة مجتمع إلا من خلال لغته.

ج — علاقة اللسانيات الوظيفية بالفلسفة:

ارتبطت اللسانيات بالفلسفة ارتباطاً وثيقاً، حيث يمكننا القول أن الدراسات اللغوية مستقاة من الدراسات الفلسفية، فالفلسفة علم ينطلق من الواقع البشري ولهذا يمكن ربط هذه العلاقة باللغة البشرية التي نستطيع تحليلها تحليلًا منطقيًا رياضيًا.

20. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 149.

21. جاسم علي جاسم، علم اللغة النفسي في التراث العربي، مجلة الجامعة الإسلامية، الكويت، العدد 154، ص 507.

22. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 148.

23. لطفي بوقربة، محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، جامعة بشار، ص 2.

حيث نجد أن أعمال اللساني تشومسكي تقع " في خط الفلسفة التحليلية حيث يلعب المنطق والرياضيات دوراً أساسياً في التحليل اللغوي منتجاً بذلك لغة رسمية واضحة وفي نظريته النحوية التوليدية ينشئ تشومسكي مجموعة صغيرة من القواعد والتي يمكن أن تولد بشكل صحيح جميع التركيبات الممكنة من الكلمات لتشكيل جميع الجمل النحوية في اللغة وذلك باستخدام خوارزمية للتنبؤ بالجمل الصحيحة نحوياً»²⁴.

من خلال هذا القول نفهم أن في تحليل التركيب اللغوي نستعين بالمنطق الرياضي ولا نختلف إذا قلنا أنه من المنطقي فهم الكلام وإعادة إنتاجه عملية رياضية اللغة في مجملها عبارة عن وحدات نستطيع إنشاء مجموعة جمل منها، وهذا وفقاً للقواعد النحوية.

د - علاقة اللسانيات الوظيفية بالفيزياء وعلم التشريح:

لقد اهتمت اللسانيات الوظيفية بدراسة الصوتيات التي تعد أصغر وحدة دالة بالنسبة للوظيفية، ولدراسة هذه الأصوات يستلزم التعرف على مخرج كل صوت؛ وهذا لا يتأتى إلا من خلال عملية التشريح، وهذا ما يؤكد وجود علاقة بين اللسانيات والطب (علم التشريح).

أما علاقتها مع الفيزياء فيكمن ذلك في دراسة الذبذبات التي تصحب الأصوات المنطوقة، ودليل وجود علاقة بين هذين العلمين قول أحمد مومن: «فالصوتيات فرع من اللسانيات قوامه دراسة الأصوات الكلامية من حيث نطقها وتمثيلها وتوزيعها وتنقسم إلى ثلاثة فروع رئيسية، الصوتيات الوصفية وتعنى بوصف الجهاز الصوتي ومخارج الأصوات وإدراكها أي المستمع والصوتيات الفيزيائية تدرس الجانب الفيزيائي الصرف المتمثل في انتشار الموجات الصوتية من فم المتكلم إلى أذن المستمع عبر ذبذبات صوتية معينة»²⁵.

وبما أن اللسانيات الوظيفية غايتها دراسة وظيفة الأصوات فقد رصدت الأصوات منذ نطقها إلى غاية فهمها وإدراكها عند السامع مروراً بمراحل لا يمكن تحليلها ما لم تخضع لتحليل فيزيائي.

ثانياً: وظيفة الوحدات اللسانية بين البنية والاستعمال

1 — 1: تقديم المسند إليه:

«تتكون الجملة حسب الوظيفيين من مسند ومسند إليه، وقد اتفق النحاة والبلاغيون على أن أساس الجملة هو الإسناد، ولا تكون مفيدة إلا بوجود طرفيه، وأصل المسند إليه المبتدأ أن يتقدم على خبره، أما المسند إليه الفاعل فيجوز تقديمه عند الكوفيين وبعض المحدثين وذلك لغرض إبلاغي ولتأدية وظيفة تواصلية، منها التخصيص، كما يقول في قوله تعالى: (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) الرعد 26 أي الله وحده هو الباسط والقادر، ومثل ذلك إذا تقدم المسند إليه وولي حرف النفي نحو: ما أنا قلت هذا. أي لم أقله مع أنه مقول، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك، ومما يفيد تقديم المسند إليه على المسند الفعلي بالإضافة إلى التخصيص: تقوية الخبر أو الحكم وتحقيقهما، وتعجيل المسرة أو المساءة نحو: السفاح في دار صديقك»²⁶.

24. باحثون سوريون، الفلسفة اللغوية عند تشومسكي الفلسفة والعلوم الاجتماعية، ص 8.

25. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 137.

26. الطاهر شارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، سنة 2006/2005، ص 70.69.

كما نجد أيضا تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في الآية: (الله يستهزئ بهم) البقرة 15 فقد تقدم المسند إليه وهو (الله) على الخبر الذي هو جملة فعلية (يستهزئ) «لإفادة تقوية الحكم ثم يفيد مع ذلك قصر المسند على المسند إليه... على رأى الشيخ عبد القاهر وصاحب الكشاف، أي الله العظيم سبحانه وتعالى يتولى أمرهم ويكفيهم»²⁷.

أما فيما يخص المساءة فنجد في الآية الكريمة: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) البقرة 268 «وقدم اسم الشيطان مسندا إليه لأن تقديمه مؤذن بدم الحكم»²⁸.

1-2 - تقديم الخبر:²⁹

يتقدم الخبر في البنية اللغوية لتحقيق الوظيفتين التواصليتين: تشويق السامع لما سيأتي بعده، وإبراز الاهتمام به ويضيف ابن هشام دفع اللبس إذا وقع بسبب تأخيره ومثال ذلك:

أ (ومن الناس من يقول ءامنا بالله وبالיום الآخر وما هم بمؤمنين) البقرة 08 وقوله (ومن الناس من يقول...) خبر مقدم لا محالة... وقد كثر تقديم الخبر في مثل هذا التركيب لأن في تقديمه تنبيها للسامع على عجب ما سيذكر، وتشويقا لمعرفة ما يتم به الإخبار، ولو أخر لكان موقعه زائدا لحصول العلم بأن ما ذكره المتكلم لا يقع إلا من إنسان، تقديم الخبر في هذه الآية جعل له وظيفة خاصة ولو أخر لذهبت فائدته، وهو يدل على أن لكل كلمة في التركيب قيمتها في ذاتها وفي ترتيبها الخاص وما تحصل به الفائدة ينبغي ألا يذكر.

ب (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب) البقرة 78 ومنهم خبر مقدم وتقديمه للتشويق إلى المسند إليه...، أي من اليهود طائفة أميون، والقارئ أو السامع لكتاب الله ينتظر ويشتاق إلى القول عنهم أو ما سيصدر في حقهم بعد تحديدهم بقوله (ومنهم).

1-3 - تقديم المفعول به:

«تتم وظيفة الجملة بتكامل كل عناصرها، ويعد المفعول به في الجملة المتعدية الهدف أو نتيجة الحدث وهم أهم من الحدث، وتقديم المفعول به تحكمه الوظيفة التداولية في الجملتين:

(أ) قابل عمرو هنداً. (ب) هنداً قابل عمرو.

فالجملة (أ) جواب لاستفهام، والجملة (ب) تعيين للمعلومة الواردة، فالوظيفة هي التي حددت رتبة المفعول ونمط البنيتين»³⁰.

«يفسر ابن جني الدوافع النفسية والبيانية التي تقف وراء تقديم المفعول به ويذكر منها: العناية، وذلك بتقديمه على الفاعل، نحو: ضرب عمرا زيدا، وزيادة العناية وذلك بتقديمه على الفعل والفاعل نحو: عمرا ضرب زيدا. والتظاهر بالعناية به...»

27 المرجع نفسه، ص 70.

28 المرجع نفسه، ص 70.

29 المرجع نفسه، ص 73.

30 المرجع السابق، ص 73.

ويقول القرطبي عن تقديم المفعول به في الآية: (إياك نعبد وإياك نستعين) الفاتحة، ان قيل : لم قدم المفعول على الفعل؟ قيل له: اهتماما، وشأن العرب تقديم الأهم، يذكر أن أعرابيا سب آخر فأعرض المسبوب عنه، فقال له الساب: اياك أعني، فقال له الآخر: وعنك أعرض، فقدا الأهم. وأيضا لئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة عن المعبود، فلا يجوز نعبدك ونستعينك، ولا نعبد إياك ونستعين إياك.

تؤدي البنية التي يتقدم فيها المفعول به بالإضافة إلى وظيفة العناية والاهتمام وظائف الحصر، والقصر، والتفضيل، ورد الخطأ في التعيين كقولك لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا غير زيد: زيدا عرفت.

1-4 تقديم المجرور:

تقدم المجرور على المتعلق به معنويا يحصل فائدة الاهتمام به أو قصره عليه أو لتخصيصه وقد يكون لدفع اللبس عن المعنى»³¹.

(لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون) البقرة 139 «تقديم المجرور في (لنا أعمالنا) للاختصاص أي لنا أعمالنا لا لكم أي أعمالنا الخاصة التي فيها إخلاص للعبادة لا أعمالكم المشوبة بالشرك»³².

كما يمكننا تبين شكل آخر من أشكال المنحى الوظيفي في البنية اللغوية في اللغة العربية من حيث علاقة الصوت اللغوي باللفظة ووظيفتها التي تؤديها فيها وتأثيرها كذلك في الجملة ككل من خلال:

الحذف والذكر في الكلام ودلالاتهما الوظيفية:

يعد الحذف أحد أهم الأساليب البلاغية التي استعملها العرب وجعلت من خطاباتهم خطابات ناضجة وراقية وقد دقق في هذا الأسلوب العديد من اللغويين قديما وحديثا حيث بحثوا في وظائفه الدلالية التي يؤديها في الكلام فمثلا في:

2-1 حذف المسند اليه:

«حذفت العرب المسند إليه المبتدأ لأغراض منها: الاختصار والاحتراز عن العبث والسأم، تلبية غرض تشوق السائل بذكر ما يسأل عنه مباشرة كما هو في جواب الاستفهام أو بعد القول...، ضيق المقام عن الإطالة لغم أو توجع، نحو قوله تعالى: (فصبر جميل) يوسف 18 أي فصبري صبر جميل، أو أمري. صونه عن الذكر تعظيما له وتشريفا»³³.

أيضا صون اللسان عن ذكر ما هو حقير تحقيرا له «كما في الآية (صم بكم) البقرة 18، أي هم المنافقون تعجيل المسرة بذكر المسند نحو: كتابي، مالي. كون المسند لا يصلح إلا له كقوله تعالى: (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) آل عمران 27.

والمراد الله سبحانه وتعالى اختبار تنبه السامع له عند القرينة، لتخيل أن في تركه شهادة العقل»³⁴.

2-2 حذف المفعول به:

اعتمد العرب حذف المفعول به في كلامهم لتأدية وظائف، منها:³⁵

1. إثبات حصول الفعل من الفاعل أو نفيه على وجه الإطلاق، نحو: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر 9.

31 المرجع السابق، ص 72.

32 المرجع نفسه، ص 73.

33 المرجع نفسه، ص 76.

34 المرجع نفسه، ص 77.

35 المرجع نفسه، ص 78.

2. الاستغناء عنه بتقديم ذكره أو تقدم ما يدل عليه نحو: (يمحو الله ما يشاء ويثبني وعنده أم الكتاب) الرعد39، حذف المفعول يثبت و هو: ما يشاء.
3. البيان بعد الإبهام أو الإضمار على شريطة التفسير، نحو: (ولو شاء لهداهم أجمعين) النحل9، أي لو شاء هدايتكم.
4. استهجان التصريح بذكر المفعول به.

الخاتمة

توصلت هذه الورقة البحثية إلى جملة من النتائج أهمها:

- 1 تدرس الوظيفية اللغة كنظام متكامل فلا تفصل أثناء الدراسة بين عناصر اللغة انطلاقاً من أصغر وحدة إلي أكبرها .
- 2 تركز الدراسة الوظيفية على وظيفية اللغة التبليغية وتراها الوظيفة الأساسية .
- 3 كما تؤدي اللغة بالإضافة إلى الوظيفة الأساسية وظائف أخرى متعددة .
- 4 أعطي الوظيفيون الأولوية للبحث الوصفي المناسب في شرح الواقع اللغوي الفعلي .
- 5 يري الوظيفيون أن نسق اللغة يرتبط ارتباطاً وثيقاً باستعمالها.
- 6 اعتمدت الوظيفية في دراستها على بعض العلوم الدقيقة كالفيزياء والرياضيات كما استعانت بالألات والأجهزة متحرية بذلك الدقة .
- 7 وارتبطت الوظيفية أيضاً ببعض العلوم كالفلسفة وعلم التشريح إضافة إلي علم النفس وعلم الاجتماع .
- 8 وجهت عدة انتقادات للمدرسة من بينها :

- تبنت الوظيفية فكرة تعدد وظائف اللغة في الموقف الواحد بينما هو غير ضروري
- القول بالعموميات وإطلاقها على جميع اللغات بينما تحمل كل لغة خصوصيتها.
- إضفاء الذاتية في الدراسات اللغوية وإهمال الجوانب الجمالية للغة .

- قائمة المصادر والمراجع

01. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، ط1، 1997، ج6.
02. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، جزائر، ط3، 2006.
03. باحثون سوريون، الفلسفة اللغوية عند تشومسكي الفلسفة والعلوم الاجتماعية.
04. جاسم علي جاسم، علم اللغة النفسي في التراث العربي، مجلة جامعة الإسلامية، العدد 154.
05. جفري سامسون، المدارس اللسانية التسابق والتطور، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ط- دد.
06. جيفري ساميسون، المدارس اللغوية التطور والصراع، تر: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت- لبنان، ط1، 1993.
07. خالد خليل هويدي، التفكير الدلالي في الدرس اللساني العربي الحديث "الأصول والاتجاهات"، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، 2012.

08. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.
09. الطاهر شارف، المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور سورة البقرة نموذجاً، جامعة الجزائر، 2006/2005 (رسالة ماجستير).
10. لطفي بوقربة، محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، جامعة بشار.
11. محمد الحناش، البنيوية اللسانية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1980.
12. محمد علي يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت لبنان.
13. محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجدي، طرابلس، ط1، 2004.
14. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة- مصر.
15. نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة ناجي مختار، عنابة، 2006.
16. وفاء الأخضرى، الفكر الصوتي الوظيفي بين كمال بشر ومدرسة براغ (رسالة ماجستير) جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014—2015.

دلالة اللغة والهوية في الخطاب الروائي الجزائري رواية "الخلاص" لعبد الملك مرتاض نموذجاً

الطالبة والباحثة: فاطمة الزهراء ناصر

المشرف: د. محمد عدلان بن جيلالي

جامعة: حسبية بن بوعلي الشف/الجزائر

الملخص :

يعدّ عبد الملك مرتاض من بين الروائيين الجزائريين المتميزين ، الذين لهم مكانة رفيعة في الساحة الأدبية ، وذلك نظراً لتميزه وفرادته في الكتابة الروائية، والمتتبع لأعماله يلحظ مدى عشقه اللامحدود لوطنه الجزائر ، إذ نجده يُفرد رواية كاملة له معنونة بـ "ثلاثية الجزائر" وهي رواية انسيابية تضم ثلاث روايات: "الملحمة"، "الطوفان"، "الخلاص"، وقد ركز في روايته الأخيرة "الخلاص" على قضية جد هامة، ألا وهي قضية اللغة والهوية، وتعامل معها بروية فلسفية عميقة، مستخدماً آلية فن القص الذي سيطرت عليه الرواية "الأم زينب"، كتقنية تترجم الصراع القائم بين أنا الذات المترعزة والآخر، الباحثة عن كينونتها وهويتها المفقودة، حيث لا تجد ضالتها إلا عبر بنية السرد،

الكلمات المفتاحية :

الخطاب؛ الرواية؛ الدلالة؛ اللغة؛ الهوية؛ المكان؛ ثلاثية الجزائر

يُعتبر موضوع اللغة والهوية من بين المواضيع الشائكة، والمعقدة في الخطاب الروائي الجزائري، وهذا نظراً لمدى تداخلهما، وتعلقهما مع بعضهما البعض، فتعددت الرؤى، وتفاوتت بتعدد الروائيين والأدباء.

و حاول الكثير منهم تسليط الضوء على حقيقتهما، ومدى أهميتها في تكوين الفرد والمجتمع ومن بين هؤلاء الروائيين، الروائي عبد المالك مرتاض الذي أولى عناية خاصة بهما في معظم أعماله، ولعل روايته الأخيرة "ثلاثية الجزائر" أكبر دليل على ذلك، وهي عمل روائي ضخم، تنفرع إلى ثلاثة روايات:

-الملحمة -الطوفان -الخلاص

و تعدّ رواية "الخلاص" الجزء الأخير في الثلاثية، وفيها يتم التركيز على بطولات مصطفى بن بولعيد، وانبثاق ثورة الخلاص و شرارتها.

فإلى أي مدى يُمكن استثمار مقومات الذات الوطنية؟

و كيف تتجلى تيمة اللغة والهوية ودلالاتها عبر بنية السرد؟

1- مفهوم الدلالة:

لغة: لقد وردت صيغة دلّ في المعاجم العربية بمختلف مشتقاتها ، تمثل المرجعية الأولى للفظ دلالة في إطار الصورة المعجمية، تحاكي ما رسمه القرآن الكريم من معنى مقتبسة منه حقيقة اللفظ و جوهره مع تحديد ماهيته اللغوية، إذ جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ « الدليل ما يستدلّ به، والدليل: الدال، وقد دلّه على الطريق يدلّه بدلالة و دلالة و دلولة، و الفتح أعلى: و أنشد أبو عبيد:

إني امرء بالطرق ذو دلالات (...) قال سبويه : و الدليلي علمه بالدلالة و رسوخه فيها، و في حديث علي رضي الله عنه في صفة الصحابة رضي الله عنهم: و يخرجون من عنده أدلة، يعني يخرجون فقهاء، فجعلهم أنفسهم أدلة مبالغة¹ » ، إذ استطاع ابن منظور من خلال هذا التعريف تحديد المعنى الحقيقي للفظ دلّ عن طريق حصره في دلالة الإرشاد و الهدى، حيث جاء تصويره المعجمي لدلالة مطابقاً لما ورد في القرآن الكريم.

كما نجد أنّ الدراسات المعجمية استطاعت تحديد الحمولة اللغوية للفظ دلّ ، و حصرها في معنى الهدى و الإرشاد و التسديد و الإعلام، و ذلك عن طريق توضيح بعدها المعجمي وفق وصف فحوى الكلمات، و تعداد اشتقاقاتها دون الغوص في بعدها الاصطلاحي، و ذلك لأنّ العمل المعجمي لا يفي بالغرض في نقل دلالة اللفظ الذي تشعب به الخطاب اللغوي الحديث².

اصطلاحاً:

اهتمّ اللغويون العرب القدامى بدراسة الدلالة في ضوء الدراسات الأصولية، و قد كانت معاني القرآن الكريم المشكاة الأولى التي أنارت دربهم ، و ألهمت سجيتهم للبحث في مواطن الإعجاز و أحكامه، ليهتدوا بذلك إلى ضرورة العناية باللغة العربية، و الاهتمام بها عن طريق التقعيد لها، و جمع كل ما يتعلق بها من مفردات و آداب ، ليتوسع بذلك مجال البحث و الدراسة ، و خاصة عندما انفتحوا على بوابة الآخر، و استفادوا من علوم الهند و اليونان، و جهود غيرهم...محاولين بذلك وضع نظرية دلالية خاصة بهم، قائمة بذاتها، في حين أنّ مصطلح الدلالة لديهم عرف مجموعة من التعريفات نذكر منها تعريف السيد الجرجاني³ بقوله: "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، و الشيء الأول هو

الدال ، و الثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، و إشارة النص، و دلالة النص، و اقتضاء النص" ⁴

يتبين لنا من هذا المنطق أنّ تعريف الجرجاني لدلالة مستمد من الثقافة الأصولية، حيث يتمّ التوصل إليها عن طريق معرفة الشيء، و المتمثل في الدال الذي به تحصل المعرفة، و العلم بشيء آخر هو المدلول ، الذي تنتج عنها العملية الدلالية وفق قسمين من الدلالة هما:

- الدلالة اللفظية: إذا كان الشيء الدال لفظاً.
- الدلالة غير اللفظية: إذا كان الدال غير لفظ.

كما أنه وظف لفظة الشيء بدل اللفظ، لأنّ معناها يفتح على البعد الرمزي الذي يهتم بالعلامات اللغوية، و الغير لغوية، مشيراً بذلك إلى أربع مستويات صورية تتشكل وفقها الدلالات و هي:

دلالة النص: وهي المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من صيغة النص، و هو الذي قصده الشارع بمن وضع النص، لأنّ المشرع حين يضع النص يختار له من الألفاظ و العبارات ما يدلّ دلالة واضحة على غرضه ثم يصوغه بعد ذلك، حيث يتبادر المعنى المقصود من النص إلى ذهن المطلع بمجرد الاطلاع عليه.

دلالة الإشارة: و هي ما يؤخذ من إشارة اللفظ لا من اللفظ، و نعي به ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه، فكما المتكلم قد يفهم بإشارته و حركته في أثناء كلامه ما لا يدلّ عليه نفس اللفظ، فيسمى إشارة ، فكذلك قد يتبع اللفظ ما لم يقصد، و هذا ما يسمى إيماء و إشارة ، و هذه الدلالة تستخدم فيها حركات الجسم، و الإشارات الموضوعية كعلامات الطرق ، و النجوم ، و النيران، إشارات المرور.

دلالة الاقتضاء: هي التي لا يدلّ عليها اللفظ، و لا يكون منطوقاً بها، و لكنها تكون من ضرورة اللفظ⁵.

دلالة العبارة: عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهداً⁶.

و كلّ هذه الدلالات تصبّ في قسم الدلالات الإيحائية، لأنّ الدلالة عنده تتمثل في وجهة صرف الدال إلى مدلوله لوجود صلة مباشرة بينهما⁷.

أما اللغويون المحدثون فقد عرفوا مصطلح الدلالة بأنّه « علم يدرس كلّ ما أعطى معنى ، أو علم دراسة المعنى الذي يتحقق من الرموز الصوتية و اللفظية، و الكتابية ، و الإشارية و الجسدية و غيرها من رموز المعاني »⁸

حيث يعتمد هذا العلم على دراسة المعنى، الذي يتحقق عن طريق الرموز اللغوية بدرجة الأولى، ثمّ الرموز غير اللغوية التي تشارك في إنتاج الدلالة.

و قد اعتبر علم الدلالة فرعاً من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، بدراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى، لأنّ موضوعه أي شيء أو كلّ شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز.

2- مفهوم اللغة:

تعدّ اللغة مقوماً جوهرياً لكيونة الإنسان وهويته، لذا تعددت تعاريفها في بطون الكتب سواء عند القدماء أو المحدثين، حيث ركزت كلّ مجموعة على النواحي المهمة فيها، وأبرزتها في المفهوم، ومن أهم هذه التعريفات عند القدماء تعريف ابن الجني بقوله: "حدّ اللغة أصوات يُعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"⁹، و قد نال هذا التعريف اهتمام اللغويين العرب، لأنّه يكشف عن الطبيعة الصوتية للغة باعتبار الصوت اللغويّ هو الصورة الحية للغة، والطبيعة الاجتماعية لها كظاهرة إنسانية لتفاهم والتواصل.

أما تعريف اللغة في علم اللغة الحديث يلتقي مع تعريف ابن الجني لها مع إضافة بعض اللمسات للحمولة المفهومية، ومن بين هذه التعريفات تعريف اللغويّ دي سوسير "de saussure": "اللغة نظام من الرموز الصوتية الاصطلاحية في أذهان الجماعة اللغوية، يُحقق التواصل بينهم، ويكتسبها الفرد سماعاً من جماعته"¹⁰، أي أنّ اللغة عبارة عن نسق من الرموز الصوتية المتواضع عليها بين أفراد المجتمع الواحد لتواصل فيما بينهم، وتكتسب عن طريق السماع.

3- مفهوم الهوية:

مصطلح الهوية مصطلح شائك يتضمن معانٍ متعددة، إنّه مشتق من أصل لاتيني يُفيد أنّ الشيء هو نفسه، وليس شيئاً آخر، وعبارة أخرى أنّ الموجود هو ذاته أو هو ما هو عليه، أي ماهيته¹¹.

فهي تعني الحقيقة، والذات ، والماهية، إنّها "الحقيقة المطلقة المشتمة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب، أي تلك الصفة والثابتة والذات التي لا تتبدل ولا تتأثر ولا تسمح لغيرها من الهويات أن تُصبح مكانها وتكون نقيضاً لها، فالهوية تبقى قائمة ما دامت الذات قائمة وعلى قيد الحياة، وهذه الميزات هي التي تُميز الأمم عن بعضها البعض والتي تُعبر عن شخصيتها وحضارتها ووجودها"¹²، فهي تُشير إلى ثوابت الشيء ومبادئه و ميزاته التي يتفرد بها كلّ شخص عن غيره، وتجعله متميزاً بذاته، إنّها "الشفرة التي يُمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، والتي عن طريق يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتمياً لتلك الجماعة"¹³، لأنّ الإنسان ذات متفردة عن الآخرين، تكتشف وجودها عبر علاقتها بالجماعة التي تنتمي إليها.

4- دلالات الأمكنة / الهوية:

يعدّ المكان من أهم المكونات التي تشكل بنية الخطاب السردية فهو " ملعب الأحداث و الشخصيات الروائية، و كلما أجد بناؤه، و تجهيزه، استطاعت الشخصيات أن تؤدي دورها بشكل أفضل، و تبرز مهارتها بشكل أكمل"¹⁴، و بدون مكان لن يكتمل بناء الشخصيات و الزمن، و لن تتطور أحداث القصة على طول خط السرد، و كلما أتقن رسم المكان و هندسته تخيلياً، زاد من انسجام عناصر القصة أو الرواية فيما بينها، و تواشجها مع بعضها البعض ليصبح بذلك " شبكة من العلاقات، و الرؤى التي تتصافر مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث"¹⁵.

و بالتالي فإنّ المكان يتحدد عن طريق المادة السردية، و تلاحق الأحداث و الحوافز، و الشخصيات و يبني على " أساس من التخيل المحض، و لكنّه لا يكتسب ملامحه و أهميته بل و ديمومته إذا لم يتمثل بدرجة أو بأخرى مع العالم الحقيقي خارج النص، فالمكان يوصل الإحساس بمغزى الحياة و يضاعف التأكيد على تواصلها و امتدادها"¹⁶، متحولاً بذلك إلى مكون جوهري في العمل الروائي، ملامساً الواقع، متقاطعاً مع منظور الحياة و مغزاه، مبتدعاً جسراً من التواصل و التفاعل بين المبدع و القارئ.

لذا أولى عبد الملك مرتاض عناية كبيرة للمكان و جعله " الحاضنة الاستيعابية، و الإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات و تتفاعل معه"¹⁷ بصورة إيجابية، و تتداخل فيه الذات مع الجماعة، و تتشابك و تنبثق منه لحظة الاستنناس و الألفة، و خلق العالم الأسطوري.

4-1- شجرة الدهماء: الانتماء/الأصالة:

يستحضر عبد الملك مرتاض شجرة الدهماء في رواية " الخلاص " كبؤرة مركزية لانطلاق السرد، و الانتقال من عالم الواقع إلى عالم المتخيل السردية، و بالتالي " خلق حالة من التماهي و الاندماج الفضائي"¹⁸، لتجسيد الجو الأسطوري و العالم الملحمي، إذ " تعود فتينان مدينة الأبطال السمرات على أن يعقدوا لهم ليلية، للسمر و الانتداء، تحت الشجرة العظيمة الدهماء، في سفح أحد جبال الأوراس السماء في ليالي الصيف الرطبية القمرات"¹⁹، و يجعل منها معلماً تاريخياً متصلاً بشخص " مصطفى بن بولعيد"، و مجلساً ثقافياً للسمر، و يفتح فضاءها على التاريخ حيث يتدفق السرد ليكشف عن هوية المكان و أصالته، و ينتقل عبر صفحات التاريخ الجزائري، بإسقاط الضوء على الثورة التحريرية، و إبراز دور شخصية " مصطفى بن بولعيد" في إشعال فتيلها، حيث تسترجع الرواية " أمّ زينب" أحداثها و تقصّ للفتية ملحمة بطولية في عشق الوطن، التي لولاها لما تخلصت " الجزائر" من الاستعمار، و نالت الحرية في حقبة شهدت تضحيات كبيرة، الأمر الذي يجعل منها معطى مكاني محوري، في مستوى و عي فتينان مدينة " الأبطال السمرات"، و تصبح مجلساً ثقافياً للسمر، يلتقي فيه خيرة شباب مدينة الأبطال السمرات (باتنة)، و قد كان من قبل مجلساً للهو و عبث الجان " و كان الجان يسهرون تحتها و من حولها"²⁰، و لم يُغادروها إلا بعد أن ذاقت عليهم السبل، و كثر عثو بني البشر و فسادهم، و كانت من قبل قد " عمدت إلى اغتراس تلك الشجرة الدهماء، من الدهور الغابرة، و لم يكن لها مثل يحاكيها من كل الأشجار على وجه الغبراء"²¹.

إنّها شجرة مباركة أسطورية، محاطة بهالة من الغرابة و العجائبية إذ " كانت تلك الشجرة تبدو أزلية الوجود، عجيبية التكوين، عجائبية المرأى"²²، عمرها يُوغل في القدم، و كان بجوارها " قبر مجهول قديم قريب من ميدان مجاور لها"²³ يعتقد الرواة بأنه قبر آدم عليه السلام " و روى الأخباريون الشعبيون أنّ آدم عليه السلام حين فشا الشرّ بين أبنائه و تفرقوا شذر مذر، دفع نحو الشجرة الدهماء، فانقطع فيها للعبادة إلى أن وافته منيته"²⁴.

و بذلك تتعمق رؤيا عبد الملك مرتاض أكثر، و تُصبح شجرة الدهماء رمزاً مقدساً للتصوف يدلّ على الخلود و الحياة الأبدية، و التجدد يُجسد التقوى و الورع، فضاء للخلوة و التعبد و التنسك و الأصالة، يتجلى فيه البعد العقائدي و الديني، و بالتالي تُصبح هذه الشجرة بطاقة هوية لمدينة باتنة في جبال الأوراس، و نبراساً للثقافة، تتعاقب مع حكاية الوطن التي تتجسد عبر فضائها العجائبي عن طريق عالم الحكيم، ممثلة الأصالة، و الهوية و الانتماء، و الوطن في مستواه السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي، و ذلك بالولوج إلى عمق تاريخ الثورة، و إبراز الصراع الأيديولوجي بين الشرق و الغرب بطرح إشكالية الهوية، و ملامسة عمق المشكلة بعد التأسيس لأطروحة تحفظ الوطن، و تصونه، و تضمن بناءه و تطوره، في خضم الهجمات المسعورة التي تحاك ضده.

محاوياً ترتيب نظام القيم المتصلة به، و بنياته الفكرية و الثقافية و الحضارية و العقائدية، و العمل على تعديل سلوكيات الشخصيات، و تغيير نظرتهم الإندماجية المنسحقة، بقلب الأوضاع، و لباسها روح الوطنية، و جعلها وسيلة للتخلص من التبعية السياسية و الأيديولوجية و الثقافية، و بذلك يكتسب المكان/الوطن استمراريته و ديمومته.

4-2- شجرة الدهماء: التاريخ / المحاكمة:

تمتدّ أصالة شجرة الدهماء، و تحوي التاريخ الذي يحضر عبر خطية السرد و قفزاته، و تُصبح " شجرة الدهماء" محكمة تحاكم المستدمر الفرنسي محاكمة رمزية أخلاقية، حيث يترأس الجلسة القضائية الشيخ الضرير " تنحح الشيخ الضرير، و تحفز ثمّ خاطب الفتية في صوت رزين عميق كأنه صادر من أعماق الثرى...

ما رأيكم يا أولاد في أن نتحاور، بعض المحاور، عن الكيان الغريب الدار الذي احتلّ أرض أبائكم الأكرمين، فنحاول محاكمته و لو في صورة حكم رمزي أخلاقي، بيننا، فقد تقاعس أبؤكم عن محاكمته، قضائياً في المحاكم الدولية المختصة"²⁵.

من هذا المنطلق يتبين أنّ عبد الملك مرتاض تخطى حدود المكان الأسطوريّ، و انتقل به إلى عالم الأيديولوجيا و صداماتها، و تمطى صهوتها، ليُعطى " شجرة الدهماء " الشرعية ، ويُبرز عدل حكمها في مقاضاة الكيان الغريب الدار (فرنسا)، و محاكمته على مجازره المرتكبة في حق الشعب الجزائريّ.

5- دلالة اللغة:

اللغة العربية: الهوية / الانتماء

عبد الملك مرتاض لا يقف عند المكان و هويته، و إنّما يتوغل أكثر و يُعطى للغة العربية الشرعية، و يتعالى بها عبر شخصية سيدنا آدم عليه السلام، و ينسبها إليه بقوله: " هو أول من نطق بالعربية إلهامًا لا تواضعًا و اصطلاحًا. فنحن العرب أبناؤه الشرعيون"²⁶، إنها لغة أهل الجنة، لذا نجد عبد الملك مرتاض يفتخر بعروبته و انتمائه، و بهويته العربيّة²⁷، و يرى أنّ العرب هم سلالة الأنبياء، و الأحق بأبوة آدم عليه السلام، من الأمم الأخرى، و هذا راجع إلى أنّه أول من تكلم بالعربية و نطق بها إلهامًا و وحياً من عند الله، دون تواضع و لا اصطلاح من طرف البشر، و بالتالي هي لغة مباركة سامية منزهة من الخطأ و العيب " لأنّ آدم كان مقيمًا بالجنة باتفاق، و لغة أهل الجنة، كما ثبت في الآثار الصحيحة هي العربية... فالعربية بذلك نزلت من الجنة مع آدم، و لم ينشئها أعراب بادون محرومون يبجدون بالبراري المقفرة، كما يزعم المؤرخون، فهي أجمل و أشرف من أن تكون سيرتها تلك هي سيرتها"²⁸

وبما أنّ الجنة مكان متعال، فاللغة العربية بدورها لغة متعالية راقية، نزلت من الجنة مع آدم عليه السلام، ثمّ انتشرت في بقاع الأرض، أي أنّها ليست لغة منحلة، و إنّما لغة شريفة و فريدة من نوعها، كيف لا؟ و هي لغة القرآن الكريم، وروح الأمة.

و لا يكتفي عبد الملك مرتاض بهذا، بل نجده ينسب العروبة لإبليس عدو الإنسان اللدود، " بل يُقال أيضا: إنّ إبليس نفسه كان عربيًّا. و ذلك بحكم أنّ من تحدث لغة قوم كان منهم بالانتماء"²⁹، رغم أنّه مخلوق من نار و لا علاقة له ببني البشر، و لا بانتمائهم الوطنيّ، و القوميّ.

و منه نستنتج أنّ الروائيّ عبد الملك مرتاض يتعالى باللغة العربية، و يجعل منها مقومًا أساسيًا في بناء الهوية الوطنيّة و انتمائها، تلك الهوية المنزعة عبر السرد، الباحثة عن الحقيقية، الراغبة في الكمال، أما طمس اللغة و عدم الاهتمام بها يعني ضياعها و مسخ لمقومات الأمة العربية، و انصهار الذات و الهوية.

6- تجليات الأنا و الآخر:

حاول عبد الملك مرتاض في رواية الخلاص إبراز الصراع القائم بين الأنا و الآخر، و وضعه على طاولة المفاوضات الثنائية، و رأى أنّ الذات العربية يجب أن تتصف بالقوة و تعتنز بهويتها و حضارتها، و تفتخر بقوميتها و انتمائها الوطنيّ و ببطولات شهدائها، و هذا ما نلاحظه على الرواية "أمّ زينب" التي تفتخر بوطنيتها عبر بنية النص " محروستي شهداؤها زينة تاريخها المكتوب بحبر التضحيات و الدماء محروستي: رمز إسلاميتي، عروبتني، أماز غيتي، إفريقيّتي و أنتم و أنا"³⁰، حيث تتعالى بهويتها و انتمائها و عروبتها، لتُثبت حضورها، و كينونتها الفاعلة و المؤثرة عبر فن القص " محروستي أنا، لا إنّما هي هبة و عطاء. إنّما هي شمس و ماء، إنّما هي كائن عظيم منا لأرض و هبتناه السماء. محروستي عطر ضواع، يعطر كل الأفضية و الأرجاء..."³².

و تطلّ الأمّ زينب تتعالى بأنّها و وطنيتها، و بالتالي تنصهر مع معشوقتها المحروسة بلغة صوفيّة، و تنحلّ ذاتها فيها، و تتمظهر أكثر، و تنمادى في أنويتها " محروستي أنا، من شدة عشقي لها، أهبها كلّ شيء، و لا آخذ منها شيئاً"³³، إنّها ذات متعطشة لمحبوبتها الجزائر، ترتقي في انتمائها، و تتفعل، لتُثبت وجودها، و صدراتها، تُعطي و لا تأخذ، تُضحى و لا تنتظر المقابل .

6-1- دلالة الأنا/العربي:

الذات العربية ذات متزعزعة تبحث عن الحرية و السلام و الأمن ، لذا "تجد نفسها في بوتقة محاصرة حصارا ضيقا يصل إلى حد صعوبة التنفس، تحاول التمرد و الخروج على قوانين الأسوار المحيطة بها"³⁴، و هذا ما نلمسه في شخصيات عبد الملك مرتاض خلال المحاكمة الرمزية للكيان غريب الدار (فرنسا)، حيث تحاول كلّ شخصية تقمص دور هيئات و جهات القضاء لدفاع عن طرفي النزاع الذي تنزع إليه:

1- الكيان غريب الدار (فرنسا) 2 - الأجداد الأكرمون (الجزائر)

1- **الإدعاء قام به جبور**: وفيه بين بشاعة الاستعمار و فضائع جرائمه "سيدي الرئيس... لقد عمد الكيان الغريب الدار إلى لغتي أبائي و أجدادي فقلص من انتشارها بين المواطنين، و قام في وجه تطورها بإغلاق المدارس إما بقتل معلمها، و إما بسجنهم و اضطهادهم اضطهاد شنيعًا بل حاول طمسها من كلّ أصقاع المحروسة المحمية البيضاء، فاستحالت من لغة العلوم و الطب و الرياضيات التي كانت يوم احتلنا، إلى مجرد لغة ركيكة لكتابة الحروز و تأبين الموتى"³⁵

في هذه المحاكمة مثل جبور الإدعاء، و حاول خلال المحاكمة الانتصار لقوميته و هويته، و لغته العربية، تلك اللغة التي قام الاستعمار بطمس مقوماتها، لذا نجده جاء بمجموعة من الأدلة و البراهين التي تثبت همجية فرنسا و غطرستها، و مدى شرستها في التعامل مع العلماء.

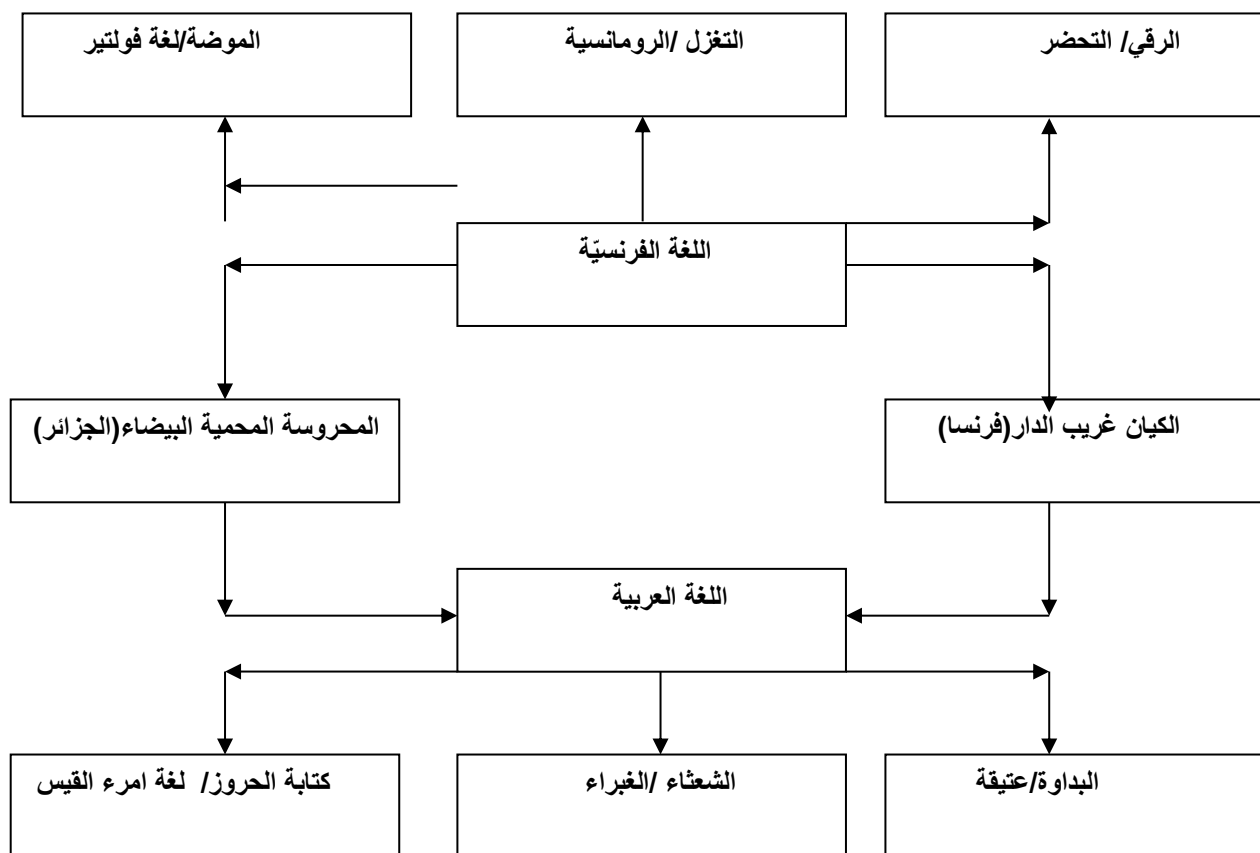
2- **الدفاع**: ومثله يعقوب الباريسي، هذه الشخصية المتمردة التي ترى أنّ "لغة الفتية، التي ورثها عن أبائهم و أمهاتهم، ليست على شيء من التطور و الرقي الأعلى، فمعرفة الجاهل بها سواء! وكان يرى لغتهم غير مثقفة"³⁶، حيث يتبين بجلاء مدى احتقاره للغته الأم، و سخريته

منها، فهي بالنسبة له لغة بدائية لا تحمل الرقيّ و المعرفة عكس لغة الاستدمار التي يرى أنّها "لغة الرقي والتحضر والتغزل والموضة والرومانسية... فهي شأن آخر ولا ينبغي للدعاء أن يقارنها باللغة العتيقة الأولى. اللغة الشعثاء الغبراء التي لا تحمل فلسفة ولا علمًا عصريًا ، فالمقارنة هنا باطلّة من أساسها"³⁷

وبالتالي ينسلخ يعقوب الباريسي من لغته، وينتصر للغة الاستدمار، لغة فولتير، لغة الرقي والتطور، ويرى أنّها لغة الشعر والجمال والموضة، أما اللغة العربية فيراها لغة عتيقة، بدوية خالية من كلّ إبداع و جمال، حيث تشعر أنّها " بتفوق الغرب وبالعجز العربي"³⁸، وحسب منظوره اللغة الفرنسية لغة التفوق العلمي، أما اللغة العربية فإنّها لغة الضعف، فالأولى صانعة الحضارة والثقافة، والثانية لغة التعاويذ والحروز " وإني أقول لصاحبي الذي ادعى على الكيان الطيب الذكر ما ادعى، وأنّه دمر اللغة وخنقها وخلفها: لقد ورثتموها في عهد الاستقلال. لغة كتابة حروز، ولغة تأبين موتى، فهلا أبقيتم عليها كما استعدتم إرثها"³⁹

وتشدّد المرافعة بين الدفاع والادعاء، ويصرّ يعقوب الباريسي على مدح اللغة الفرنسية، و يحزن كلّ الحزن على عدم اتخاذها لغة رسميّة "مسكينة أنت يا لغة فولتير إذ آل أمرك إلى من قد لا يحبك و لا يقدر قيمتك العظمى ! إنك توشكين أن تزولي من أرض طالما كانت لك فيها صولات وجولات كبرى فلتمسكي بمكانتك فيها كما كنت أمساً، فيا عجباً و قد رأينا عجباً، لغة امرئ القيس البدوي المحروم ، الأشعث الأغبّر... تتبنيك لغته في المحروسة وتتمكن"⁴⁰

وبالتالي نلاحظ أنّ هناك انصهار كليّ لذات يعقوب الباريسي، إذ تندمج ذاته مع ذات الآخر وتُصبح ذاتاً محبطة، منكسرة، مهزومة تنعكس صورتها عبر الآخر وتذوب أنها، بصورة كلية، فترى أنّ السمو والرفعة كامن في أرجاء الحضارة الغربية، تلك الحضارة العريقة، أما حضارتها العربية لا تساوي شيئاً، وهذا نظراً لبدوأة لغتها، وعتاقتها، وراكنتها أمام لغة فولتير (الفرنسية) الراقية والفريضة، أما شخصية جبور فتحضر أنّها المتعالية عبر السرد، وتتصهر مع كينونتها، الذائقة لكلّ ما هو عربي وتتناشج مع هويتها العربية.



خطاطة دلالة اللغة من منظور يعقوب الباريسي

2-6- دلالة الشرق / الغرب:

تبرز في رواية الخلاص ثنائية أخرى تعكس قطبين متضادين من أقطاب العالم ألا وهي ثنائية:

- الغرب

- الشرق

حيث يتجلى على طول السرد ذلك الصراع الإيديولوجي المترامي الأطراف بين الاستدمار الغربي والشرق الذي تُمثله الجزائر " ولن يزال الغرب يتطور في غطرسته وعدوانه على الشرق الضعيف، إلى أن تتغير أطوار الحضارة يوماً، إنّما القيم الدينية والروحية والأخلاقية أورثها الغرب منا، وتلقاها عنا... المسيحية والإسلام معاً. كلاهما لنا، محمد محمدنا، وعيسى عيساننا. فليتواضع الغرب ولا يتعالى علينا. فللغرب القيم المادية، ونحن لنا القيم الروحية"⁴¹، تلك القيم التي جعلت من المجاهدين أبطالاً أسطوريين، ومن بين هؤلاء الأبطال مصطفى بن بولعيد الثائر الذي تتعالى ذاته

القومية عبر هذا المقطع وتثور نخوته العربية، فيرى أنّ الغرب عدو لدود للشرق، و خطره أكبر من نفعه، إنّه يسيطر على الجانب المادي، والعسكري، فبيده زمام القوة والحضارة، أما الشرق فمقدور على أمره ليس بيده حيلة، كلّ يوم يزداد ضعفاً، لكن ورغم كلّ هذا الضعف إلا أنّه يملك قوة أعظم ألا وهي قوة الإيمان والتمسك بالعقيدة الإسلامية، تلك القوة التي لا يمكن قهرها .

انطلاقاً مما سبق نلاحظ أنّ عبد الملك مرتاض شحن شخصية مصطفى بن بولعيد بمجموعة من المقومات الوطنية والدينية والقومية : اللغة، الإسلام، القومية، وجعله شخصية وطنية نادرة فريدة ترفض الاستعمار و غطرسته، وتسعى إلى نصر الحق وتحرير الوطن من براثن الاحتلال الغاشم.

الخاتمة:

انطلاقاً مما سبق نلاحظ أنّ عبد الملك مرتاض في هذه الرواية استطاع إسقاط الضوء على قضية جد هامة ألا وهي إشكالية اللغة والهوية، وذلك عن طريق إبراز مدى أهميتهما في تكوين وبناء الذات الوطنية، تلك الذات الحاملة المتعطشة لكلّ ما هو وطني و جزائري، المتعلقة بالمكان(الوطن) تعلق انتماء، المتمسكة بثقافتها وعقيدتها الإسلامية، الباحثة عن كينونتها وأصالتها في دهاليز التاريخ، وتُصبح اللغة العربية اللبنة الأساسية المكونة لهذه الذات .

الهوامش:

1-الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة دلال مج:05، دار صادر، بيروت (لبنان) ، ط3، 2004، ص:292.

2-ينظر: منقول عبد الجليل، علم الدلالة و أصوله و مباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، د:ط، 2001م، ص: 30/29.

3-الشريف الجرجاني: هو علي بن محمد (1339م/1413هـ) متكلم أشعري و فيلسوف، عرف بالسيد الشريف علم في شيراز و سمرقند، و كتب بالفارسية و العربية، له شروح في أصول الفقه و الفلسفة و المنطق بالفارسية و علم الهيئة، التعريفات، و شرح مواقف الإيجي، و شرح السراجية للسجاوندي، و له بالفارسية الدرّة، و الغرّة، رسالتان مشهورتان في المنطق، نقلها إلى العربية ابنه محمد المعروف بابن الشريف (ت:1434 هـ) و شرح الغرّة نجم الدين خضر الرازي (ت 1446 هـ) و الصفوى، ينظر: المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق، بيروت، ط:45، 2012م، ص:195.

4-فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية و التطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر، بيروت (لبنان) ، ط:02، 1996، ص:08.

5-ينظر:منقول عبد الجليل، م س، ص: 41/35/34، و محمود عكاشة الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، د:ط، 2002، ص:15.

6-أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون بيروت (لبنان) ، ط:1، 2001، ص: 227

7-ينظر منقول عبد الجليل المرجع السابق، ص: 42/41.

8-محمود عكاشة الدلالة اللفظية، ص: 08.

9-محمد محمد داود، العربية و علم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، د:ط، 2001، ص:43.

10-المرجع نفسه، ص:44.

11-عبد الله البردي اللغة هوية ناطقة، المجلة العربية، المملكة العربية، د:ط، 1434هـ، ص:20.

12-زغو محمد أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد و الشعوب، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، جامعة حسيبة بن بو علي الشلف، العدد: 4، 2010، ص:94.

13-محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، سلسلة التنوير الإسلامي، دار النهضة، القاهرة، مصر، ع23، د:ط، ص:6.

14-نفلة حسن أحمد، "التحليل السيميائي الروائي: دراسة تطبيقية لرواية الزبيبي بركات، دار الكتب و الوثائق القومية، الإسكندرية، د:ط، 2012، ص:198/197.

15-عبد الرحمن محمد محمود الجبوري " بناء الرواية عند حسن مطلق: دراسة دلالية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د:ط، 2012، ص:63.

16- المرجع نفسه، ص:61.

17-محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، "جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق" لنبييل سليمان- عالم الكتب الحديث - اربد - الأردن، د:ط، 2012، ص:196.

18-ا لمرجع نفسه، ص:198.

19- عبد الملك مرتاض " ثلاثية الجزائر" تقديم: يوسف و غليسي، منشورات مختبر السرد العربي، جامعة -منتوري، قسنطينة، د:ط، 2012م، ص: 469

- 20-المصدر نفسه، ص:528.
- 21-المصدر نفسه، ص:528.
- 22- ، المصدر نفسه ص:528 .
- 23- ، المصدر نفسه ص:528 .
- 24- ، المصدر نفسه ص:540.
- 25- المصدر نفسه ، ص: 578/574.
- 26- ، المصدر نفسه ص:543.
- 27-الهوية العربية:هي كلّ ما يُمثّل العرب المسلمين و يخصّهم و يميزهم عن غيرهم من الشعوب و الأقبام و الأجناس"، شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية و إشكالية العولمة عند الجابري، كنوز الحكمة، الجزائر، د ط ، 1432 هـ/2011 ، ص:20.
- 28- عبد الملك مرتاض، م س ص:528 .
- 29- المصدر نفسه ، ص: 542.
- 30- المصدر نفسه: 542.
- 31- المصدر نفسه ، ص:679.
- 32-المصدر نفسه، ص:679.
- 33-المصدر نفسه، ص:680.
- 34-محمد صابر ، سوسن البياتي، م س ،ص:76
- 35-عبد الملك مرتاض، م س ،ص:582
- 36- ، المصدر نفسه ص:469
- 37- المصدر نفسه،ص:588
- 38-محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، م س ، ص:72
- 39-عبد الملك مرتاض، م س ، ص:589
- 40- المصدر نفسه،ص:590
- 41-المصدر نفسه،ص:590،

المصادر والمراجع:

- 1-أحمد مطلوب ، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون بيروت ، ط:1، 2001.
- 2-الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة دلال مج:05، دار صادر ، بيروت (لبنان) ، ط3، 2004.
- 4-شريف رضا، الهوية العربية الإسلامية و إشكالية العولمة عند الجابري، كنوز الحكمة، الجزائر، د ط ، 1432 هـ/2011 .
- 5-عبد الملك مرتاض " ثلاثية الجزائر " تقديم: يوسف و غليسي، منشورات مختبر السرد العربي، جامعة -منتوري، قسنطينة، د:ط، 2012م .
- 6-عبد الله البردي اللغة هوية ناطقة،المجلة العربيّة،المملكة العربيّة،دط،1434هـ.
- 7-فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية و التطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر، بيروت (لبنان) ، ط:02، 1996.
- 8-عبد الرحمن محمد محمود الجيوري " بناء الرواية عند حسن مطلق:دراسة دلاليّة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د:ط،2012، ص:63.
- 9-منقور عبد الجليل ، علم الدلالة و أصوله و مباحثه في التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، د:ط، 2001م .
- 10-محمود عكاشة الدلالة اللفظية ، مكتبة الأنجلو المصرية، د:ط، 2002.
- 11-محمد محمد داود، العربية و علم اللغة الحديث،دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة،دط،2001،ص:43.
- 12-محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، "جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق" لنبييل سليمان- عالم الكتب الحديث – اربد – الأردن، د:ط، 2012 .
- 13-محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ،سلسلة التنوير الإسلامي ،دار النهضة ، القاهرة ،مصر،ع23،دت.
- 14-منقور عبد الجليل ، علم الدلالة و أصوله و مباحثه في التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، د:ط، 2001م ، ص: 30/29.
- 15-المنجد في اللغة و الأعلام، دار المشرق، بيروت، ط:45، 2012م ، ص:195.
- 16-نفلة حسن أحمد،"التحليل السيميائي الروائي:دراسة تطبيقية لرواية الزبيبي بركات ، دار الكتب و الوثائق القومية، الإسكندرية،د:ط، 2012،ص:

الدوريات:

- 1- زغو محمد، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ،الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ،جامعة حسينية بن بو علي الشلف، العدد: 4، 2010.

الوظيفة البنائية والجمالية للعلامة غير اللغوية في مسرحية السلطان الحائر

الطالب: بغدادى يوسف

تمهيد:

لا شك أن تطور المسرح ودخوله في التجارب البصرية الحديثة جعله يتأثر تأثيراً عميقاً بمختلف التطورات التي شهدتها هذا المجال ففي ظل التحول الذي عرفته الثقافة البصرية عالمياً تحول المحتوى المسرحي من نص تقليدي إلى صورة فحدث أي تغيير ملحوظ في الخطاب المسرحي مما زاد من جمال المسرح وصورته وتركيبه وسرده ولغته وغيرها.

وفي المسرح الحديث والمبتكر حيث كل شيء على المسرح بمثابة علامة يشكل الجسد الأهمية القصوى وتشكل اللغة الإيمائية من خلال المزج بين النص المكتوب والنصوص غير الكلامية ومفردات العرض بالنسبة للعمل المسرحي بالنسبة للعمل تتكون من صورة مرتبة وحركة وموسيقى واستخدام المفردات والأساليب الجديدة كما أن التعامل مع النصوص غير الكلامية وتحولات الأشياء كمفرد بصرية ديناميكية خلق الصورة المعبرة بأسلوب عمل فني معاصر حيث سعت الكثير من التجارب المسرحية إلى تحقيق الجانب البصري في أداء الممثل أو الرؤيا الإخراجية أو سينوغرافيا الفضاء المسرحي.

وتعد النصوص الغير الكلامية حديثة النشأة فهي ترتبط بالنصوص المسرحية الحديثة وهي ميزة أساسية للمسرح الحديث منذ منتصف القرن التاسع عشر وبعد ذلك تعاضم دورها فنياً وجمالياً وصارت خادمة للأعمال المسرحية والسنيماية فما هي النصوص الغير الكلامية المسرحية وماهي بنياتها وملوناتها وماهي وظائفها كيف يتجلى دورها الفني والجمالي ولذلك سنحاول أن نستنبط النصوص الغير الكلامية في مسرحية *السلطان الحائر* من أجل معرفة الوظيفة المالية والبنائية لهاته العلامات الغير الكلامية من خلال مسرحية السلطان الحائر.

-من المعلوم ان النصوص الغير الكلامية التي تتعلق بحالة الشخصية وتحديد الفضاء الدرامي والتأشير على الإضاءة والمكونات السينوغرافية الأخرى التي تحيل على الموسيقي والديكور مهمة بالنسبة للمتلقى لتمثلها أثناء قراءة المسرحية أو أثناء تحليل المسرحية فهما تفسيراً وهي مهمة أيضاً للممثل لأنه توجهه وتساذه على تمثيل الدور وتقمصه واستيعابه لغويا وبصرياً.

مشكلة الدراسة

وتكمن مشكلة الدراسة في أنها تتناول إمكانية التوظيف الدلالي والجمالي من خلال تشكيلات النصوص غير الكلامية داخل النصوص المسرحية ودوره في بناء الصورة التعبيرية الحية بمعنى قراءة العرض المسرحي وفق رؤية فنية وجمالية والتي يعمد المخرج الى توظيفها في بنية النص المسرحي عن طريق تفعيل أدواته من خلال التأمل والاختيار وإعادة التشكيل والتعبير لكي تتحقق العملية الإبداعية ويكون لها قيمة عامة مؤثرة في المتلقي وخدمة للمبنى العام للمسرحية.

هدف الدراسة

تهدف الدراسة الى ابراز طبيعة وسمات وخصائص النصوص غير الكلامية من خلال ملاحظات الرؤية الاخراجية للشكل في مسرحية السلطان الحائر ومعرفة مدى مساهمة هاته النصوص في بناء المسرحية واضفاء المسرحية بطابع جمالي فني ومدى الإفادة من هاته النصوص في رسم خطوط التواصل بين مختلف مفردات النص المسرحي غير اللغوية منها في صنع الصورة النهائية للمسرحية

مفهوم العلامة

ان العلامة باعتبارها رمزا اصطلاحيا اعتباريا للإشارة الى المفاهيم الذهنية التي يأويها المستخدم المحتمل للعلامات بالفعل، وهكذا اعتمدت علاقة الانسان بالنظام بوجه عام على ملاءمة (وظيفية)1

- لا تشتمل العلامة على علاقة بين الجوهر المادي (الدال)، والمفهوم الذهني (المدلول

فحسب

بل وتشتمل كذلك على علاقة بين ذاتها ونظم العلامات خارج ذاتها2

كما يختلف النسق الغير لغوي عما هو غير لغوي ذلك

- "إن النسق الدلالي غير لفظي فيما يرى روسي لندي ليس متميزا عند اللغة وحسب لكنه مستقل

عنها كذلك"3

- ان النسق الدلالي غير لفظي لم يوضع وضعا قائما على التعاقد لأنه يشكل الحيز الحياتي الذي يعيشه الانسان انه الفضاء الاجتماعي والزماني والمكاني الذي وجد الانسان نفسه فيه وهو مجال حياتي طبيعي واجتماعي أو طبيعي ومصنوع ويعني ذلك ان الانسان لم يكن يفتقر الى النسق

الدلالي غير لفظي ويعزز هذا الرأي كون الأنساق الدلالية غير لفظية ليست جميعها انساقا واعية
اذ ان جزءا غير يسير منها واع 4.

- يمكن ان نذهب الى أبعد من ذلك فنقول إن الأنساق غير لفظية متميزة بل ومستقلة عن اللغة
وتستعمل في انفصال عنها انها ذات قواعد محددة قد تطابق قواعد اللغة وقد تختلف عنها اختلافا
بيننا ولذلك يصبح الحديث عن (لغة الأشياء التي تحقق نوعا من التواصل اللاوعي واما تأويلنا
لدلالات هذه الأشياء فانه يتحقق دون أية استعانة باللغة وإنما يتحقق بشكل مميز ومستقل عنها.5
ومن المعلوم ان النصوص الغير الكلامية التي تتعلق بحالة الشخصية وتحديد الفضاء
الدرامي والتأشير على الإضاءة والمكونات السينوغرافية الأخرى التي تحيل على الموسيقي
والديكور مهمة بالنسبة للمتلقى لتمثلها أثناء قراءة المسرحية أو أثناء تحليل المسرحية فهما تفسيراً
وهي مهمة أيضا للممثل لأنه توجهه وتساعد على تمثيل الدور وتقصه واستيعابه لغويا وبصريا
كما ان التعبير المسرحي عن طريق النصوص غير الكلامية أو التعبير الذي ينتجه المعادل
التشكيلي المرئي والسمعي بواسطة النصوص غير الكلامية والتي تمثل عناصر العرض المسرحي
غير البشرية (الإضاءة، المؤثرات الصوتية، الحيل والخدع، المناظر والتكوينات الصامتة،
الملابس، الألوان)، كل هذه الأمور تساعد على تهيئة الحالة الدرامية في الحدث حيث ينبي الشكل
على الحركة، حركة الممثل وعلاقته بالممثل الاخر والعناصر التقنية.

ويعد العرض المسرحي منظومة بصرية سمعية للتوزيع التشكيلي البصري أسست له
مجموعة التصورات الذهنية التي أنتجها الخيال عبر المراحل الإبداعية السابقة لمرحلة التعبير وما
تلك التصورات الا صور مرئية يستعين بها المخرج لرسم عناصره البنائية الساكنة والمتحركة ،
لتعينه على احتواء الأفكار والدلالات التي يبثها العرض، فالساكنة منها بإمكانها التأشير الى
التاريخ والمكان والزمان والوقت والجو العام، في حين تحال كل الأفعال والأشياء والمسميات
الأخرى إلى العناصر المتحركة التي هي الممثل والمجاميع، وجميع هاته العناصر بإمكانها انتاج
مهارات ومعارف متنوعة ومختلفة، بحيث تطرح في كل مفصل من مفاصلها، وفي كل مرحلة من
مراحل العرض عددا من الاحتمالات والإمكانات اللامتناهية بصياغات تأويلية ومستويات جمالية
وفكرية وعاطفية ترسم فضاء المسرح.6

أي ان النصوص غير الكلامية ذات وظيفة ايحائية تعين على إعادة بناء النص المسرحي
وفق مركب غير لغوي من شأنه اضاء طابع جمالي على النص المسرحي وإبراز ما قد يغفل عنه

النص الكلامي، وهذا ما ستكتشفه من خلال تحليلنا لمسرحية السلطان الحائر
الإطار التحليلي :

من بين النصوص غير الكلامية في مسرحية السلطان الحائر نذكر

لباس الشخصية :

لا يعد اللباس عابرا انه عبارة عن شبكة من البطاقات الدلالية التي تبني تدرجيا لتقديم صورة عن الشخصية أي أنها بمثابة احالات عن دلالات مضمرة لتكملة دور السرد والحوار فالألبيسة الرثة تدل على الفقر، وربطه العنق والبدلة والحذاء الملمع يدل على الانتماء الى طبقة مرموقة كما كان في مسرحية السلطان الحائر والياقوتة التي على عمامة السلطان لذلك كانت العلامات الغير الكلامية أي الملابس هنا بمثابة نص يعكس مستوى الشخصيات فلذلك هنا اذا قلنا أن السلطان عني مرتديا ياقوتة على عمامته بمثابة تكرار دلالي ذلك أن الجزء الواحد من الجملة كافي للتدليل على المعنى المراد تبليغه للمتلقي (وهنا تكون النصوص الغير الكلامية ذات وظيفة بنائية تساهم في تجنب التكرار ونذكر من بين النصوص غير الكلامية التي تجسدت في لباس الشخصيات وخصوصا لباس الغانية والسلطان في المسرحية على النحو الآتي:

السلطان: حسن .. مادام للذكر عندك هذا الشأن فاحتفظي بهذا التذكار ويخلع الياقوتة الكبرى عن عمامته⁷.

وعليه فتصميم الملابس ثري جدا ومعبق بالجمال كما ان ملابس الجنود واردية الغانية الحسنة الأخضر والأصفر قدمت تنوعا وثراء لونها جماليا صبغ المسرحية بطابع مرموق، والملابس في مسرحية السلطان الحائر كانت وفق التصميم الطابع الشرقي ذو الثقافة الاصلية التي توحى الى عادات وتقاليد الثقافة الشرقية الإسلامية .

الديكور

ويظهر ذلك في المسرحية على النحو الاتي:

" يصدر السلطان إشارة الى القاضي لكي يشرع في المحاكمة ثم يجلس في مقعده أعد له⁸ وهو ما يوحي الى التنظيم الفائق الذي يرتبط بعصر المماليك على الطابع الشرقي، ومن وراء هذا النص غير اللغوي اي الديكور أراد الكاتب ان يوحي الى النظام السائد أنداك فساهم الديكور في إعادة بناء ركح الاحداث وإعادة هيكلتها لتسهيل عملية التلقي وإعادة تركيب الأهداف

في ذهنية المتلقي بإضافة الى تبين الطراز الإسلامي كما ساعد الديكور على تجسيد الممثلين نوعا من الفنتازيا والثراء

الإضاءة:

لقد ساهمت الإضاءة كنص غير كلامي في ضبط الأحداث والمواقع التي كانت تجري فيها الأحداث فالإضاءة تعكس نوع من التسليط والاقتصاص ليسهل على المتلقي التركيز وتتبع مجريات الأحداث ويتجلى ذلك في المسرحية على النحو الآتي
يضيء جزء من الحجرة في منزل الغانية

- الوزير: صه النور في النافذة... فلنبتعد قليلا 9.

- وعليه يلعب الضوء دورا متزايدا في النظم الدرامية والبصرية فهو يؤدي وظيفة أيقونة واضحة أي بمثابة دلالة خفية لتجسيد بعض الأحداث والتركيز عليها، كما كانت الإضاءة ذات طابع جمالي وتكميلي فلقد ساهمت هاته الأخيرة في إضفاء نوع من الجمالية

المنظر المسرحي:

المنظر المسرحي هو الوحدة الفنية للعرض الذي يعطي للعمل المسرحي قيمته الجمالية والدرامية ويهدف الى اظهار المعاني العميقة للمسرحية بخطوطه وألوانه لتكملة المسرحية ويهدف إلى اظهار الجزء الخفي منها ... وخلق الحياة التي تعيش فيها شخصية الممثل وتعبير عنها بطريقة فنية جميلة فتكون بذلك الوحدة الفنية 10

-وظائف المنظر المسرحي:

- الإيحاء بالمكان والزمان: كثيرا ما يلقي المنظر الضوء على مضمون المسرحية ليحدد لنا هل المكان في منزل أو قصر أو سجن أو شاع كما يسهم في تحديد زمان المسرحية هل الأحداث تدور في الصباح أم المساء هل في الربيع أم الشتاء... الخ. وكذلك هل الأحداث تصدر في العصر الفرعون أم الروماني.

- الإيحاء بالحالة النفسية وهي الحالة التي يكون عليها المنظر ليهيئ المشاهد نفسيا لمعايشة أحداث المسرحية طبقا لزمناها ونوعها.

- إضافة العنصر الجمالي أننا نرى أن أي انسان عندما يفكر في إقامة أي احتفال يفكر في إقامة بعض الزينات ليجعل من مواد الاحتفال أكثر حيوية وبهجة وهذي رغبة لاعية منها مادامت في حدود المعقول وأعتقد أن ذلك أدى الى اعتبار المنظر في المسرح بمثابة خلفية جميلة للأحداث 11.

ولقد تجلى المنظر المسرحي في مسرحية السلطان الحائر على النحو الآتي:

المنظر المسرحي لم يتغير طول فصول المسرحية الثلاثة فهو مكون من ساحة في المدينة في عصر المماليك ويوجد عمود في وسط مسدود عليه المحكوم عليه بالإعدام وهو النحاس وفي الفصل الثاني الساحة نفسها ولكن يظهر ولكن يظهر حانوت الاسكاف وحانوت الخمار اما في الفصل الثالث فالمنظر لا يتغير أبدا الساحة نفسها ويظهر من جانب المسجد بمئذنة ومنزل الغانية ويكشف عن جزء من الحجرة ذات نافذة مطلة على الساحة.

لقد ساهم المنظر المسرحي في إعطاء نظرة عامة وشاملة عن مكان مجرى الأحداث كما لخص المضمون العام للمسرحية فكان بمثابة موجز للأحداث ومانع للتكرار، دون ان ننسى وظيفته الجمالية والتي من شأنها إضفاء نوع الحيوية والبهجة على المسرحية، كما ان له وظيفة الإحالة أي ان المنظر المسرحي يحيلنا مباشرة الى زمن وقوع الأحداث فيكون بذلك مسهلا لعملية التلقي ومصاحبا لأحداث المسرحية طبقا لزمانها ونوعها.

علامات التعجب والرموز والايماءات:

لا شك ان بعض العلامات في النص المسرحي كعلامة الاستفهام المصحوبة بالتعجب وبعض العلامات التي يقوم بها الممثلون ذات وظيفة بنائية تتجلى كنص غير كلامي من شأنه تقوية مضمون المسرحية وهذا ما يبرره بعض الدارسين

إن بعض الوسائل مثل وضع اليد على القلب تعبيراً عن الحب، وتمزيق ياقة القميص أو السترة لدى التعبير عن الموت كما ان بعضها الآخر مأخوذ بشكل جاهز من المعاصرين الموهوبين مثل فرك الجبين بظاهر اليد كما كانت تفعل فيرا فيود وروفنا كوميسيا ورجفيسكايا في لحظات الدور التراجيدية¹².

كما ان للحركات والافعال والتشكيل الجسماني والأداء الخارجي (وهذه قوية على نحو خاص لدى ممثلي الصنعة)، وهي تقوم على أساس من الجمالية المموجة لا الجمال، وثمة وسائل للتعبير عن مختلف المشاعر والانفعالات الإنسانية مثل (الكشف عن الاسنان وإدارة المقلتين في مجريهما اثناء

الغيرة)¹⁴

ومن بين امثلة علامات التعجب والايماءات في مسرحية السلطان الحائر نذكر

علامة استفهام + تعجب

نجد في مسرحية السلطان الحائر استفهامات مصحوبة بتعجب وهي بمثابة نصوص غير كلامية ساهمت في تلاحم أجزاء المسرحية فمثل هاته العلامات عوضت عنا نصا لغويا هو الاستنكار فلولا هاته العلامة السيمائية غير اللغوية لتأول الخطاب المسرحي الى تأويلات عديدة كالتقرير والتعجب

ويتجلى ذلك في مسرحية السلطان الحائر كما يلي:

المحكوم عليه ((متأملا جلاده)) تنعس؟! تنعس طبعاً تنعس 14

كما ان النقاط الثلاث المتتابعة بعد هذا الاستفهام أفادت بوجود سكتة قولية بين الجلال والمحكوم عليه فكانت هاته النقاط معبرة عن اخذ نفس للتفكير في امر ما ودالة على نبرة الانزعاج الذي يقود الى الصمت، كما كانت بمثابة مائعة للتكرار موجزة للمعنى من حيث المبنى، اما من الناحية الجمالية للهاته النصوص غير الكلامية فقد اضفت عتاباً أكثر ووهبت المسرحية نوعاً من الجمالية التي يستتبطها المتلقي على شكل تأويلات تتبادر الى ذهن المتلقي كما تعتبر من بين أدوات جذب انتباه القارئ

كما نلمس نصاً غير كلامي في موضع آخر من المسرحية على النحو الآتي

يسعل ثم يترنم بصوت خافت تمهيدا للغناء 15.

نلمس من خلال المثال السابق نصاً غير كلامي تجلى في فعل السعال، فالسعال عادة ما يوحى الى التهيؤ للقيام بشيء ما بخلاف السعال الذي يكون مصاحباً للمرض ففعل السعال هنا كان للتهيؤ للغناء، وهو ما يساهم في إعادة بناء الحدث، فاختصر فعل السعال هذا الحدث فكان مسهلاً لعملية نقل الحدث المسرحي المتمثل في الغناء.

أهم النتائج:

من خلال ما سبق يتضح لنا:

- أن بناء هاته العلامات غير اللغوية بمثابة خادم لدلالات بأقل تكلفة دون المساس بالدلالة الأصلية، أي الحفاظ على العلاقات النسقية بينها وبين النص المسرحي ومنه فانه لكل اشارة وظيفتها في البناء العام على مستوى البنية الكبرى والبنىات الصغرى المكونة للعمل المسرحي، والتي تشكل العمل الدرامي.

- تساهم العلامات غير اللغوية من حركة وحيز واضاءة وديكور في تسيير الخطاب وتقويته.
- تشكيل الحكاية الدرامية المسرحية.
- رسم الشخصيات من خلال الباس والديكور الخاص بالمثلين.
- فهم الخط الأساسي للعمل الدرامي.
- الديكور ومساهمته في انتاج المعلومات والمعنى في العرض المسرحي باعتباره نظام العلامات الخاص بالبنية التحتية التي تحدد حركة الممثلين.
- دور المنظر في كوظيفة معلوماتية يقونة تحدد الزمان والمكان والأوضاع الاجتماعية للشخصيات.
- الضوء يلعب دورا متزايدا بين النظم الدرامية اذ يساعد على التركيز على الاحداث المهمة.
- تساهم العلامات غير اللغوية في جذب انتباه المتلقي.

الإحالات:

- 01- بول كوبلى و ليتسا جانز، علم العلامات، ترجمة جمال الجزيرى، مراجعة وإشراف وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، ط1ن 2005، ص76.
- 02- المرجع نفسه، ص46.
- 03- حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م، ص32.
- 04- المرجع نفسه، ص34.
- 05- المرجع نفسه، ص36.
- 06- توفيق الحكيم، السلطان الحائر، دار مصر للطباعة، دط، دت، ص.
- 08- المصدر نفسه، ص.
- 09- المصدر نفسه، ص.
- 10- عادل النادي، مدخل إلى فن كتابة الدراما، مؤسسة عبد الكريم عبد الله، تونس، ط1، 1987م، ص77.

- 11- المرجع نفسه، ص78.
- 12- سانسيلا فسكى، إعداد الممثل في المعاناة الإبداعية، ترجمة شريف شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1997م، ص77.
- 13- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 14- توفيق الحكيم، السلطان الحائر، ص.
- 15- المصدر نفسه، ص.

النخبة الإندماجية في الجزائر ومسألة التجنيد الإجباري (1912 - 1918 م) وهم الفرنسية وفشل التحديث

الدكتور: سعودي أحمد
جامعة عمار ثليجي – الأغواط

الملخص:

شكلت النخبة الجزائرية الاندماجية خلال الربع الأول من القرن العشرين في الجزائر أحد المكونات البارزة داخل الحركة الوطنية الجزائرية، كمجموعة من الجزائريين الذين تأثروا بمفاتيح الحضارة الغربية ، إضافة على تلقيهم لتكوين ضمن المدارس الحديثة المفرنسة التي استحدثتها فرنسا في الجزائر بدل المدارس العربية الإسلامية ، والتي كانت تقدم لهؤلاء تكويننا غربيا فرنسيا محضا انعكس بوضوح على علاقتهم بالإدارة الفرنسية، التي أصبحوا من ضمن أبرز أدواتها في خدمة الجزائر الفرنسية ، وفي بحثنا هذا سنتتبع موقفهم من قضية التجنيد الإجباري للجزائريين بين 1908-1914م، ونظرتهم لطرفي الصراع في الحرب العالمية الأولى ، خاصة موقفهم من فرنسا من جهة ومن الدولة العثمانية من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية : النخبة الاندماجية – التجنيد الاجباري – الحرب العالمية الأولى -
الدعاية

Résumé

Au cours du premier quart du XXe siècle, l'intégration algérienne était l'une des composantes les plus importantes du mouvement national algérien, en tant que groupe d'Algériens influencés par la civilisation occidentale. En outre, ils ont reçu une formation dans les écoles françaises modernes en Algérie au lieu des écoles islamiques arabes. Cette composition française occidentale se reflète clairement dans leur relation avec l'administration française, qui est devenue l'un des outils les plus importants au service de l'Algérie et de la France. Dans cette recherche, nous suivons leur position sur le recrutement obligatoire des Algériens 1908-1914 et leur point de vue sur le parti Le conflit dans la Première Guerre mondiale, en particulier leur position envers la France d'une part et l'Empire ottoman de l'autre

الموضوع :

إننا ومنذ البداية وعندما نتناول بالبحث لقضايا "النخبة الجزائرية" عامة و"النخبة الإندماجية" بشكل خاص نجد أنفسنا في حاجة ماسة للتحكم في المصطلحات والمفاهيم خشية الخلط بين ظاهرة "النخب" في عمومها و"النخبة الإندماجية" لاسيما خلال الربع الأول من القرن العشرين في الجزائر (1900 – 1925م) مما يستوجب في كل الحالات إرفاق

مصطلح النخبة بما يسمح للقارئ والباحث ب إمكانية تصنيفها وتحديد طبيعتها، كقولنا " نخبة محافظة" أو نخبة إندماجية" أو " نخبة مجددة" وغير ذلك من التصنيفات الممكنة.

إن مصطلح " النخبة" فيشير بمفهومه العام إلى جماعة من الأشخاص الذين يشغلون مراكز النفوذ والسيطرة في مجتمع معين¹، أي هي أقلية ذات نفوذ تسود جماعة أكبر حجماً²، ثم أصبحت كمفهوم أدخله عالم الاجتماع "باريتو" إلى مجاله العلوم الاجتماعية ليشير لمجموعة من الأفراد البارزين في مجال نشاط ما بغض النظر عن كون النشاط فكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً، وهم أيضاً أولئك الذين يملكون في نفس الوقت تأثيراً في تشكيل قيم واتجاهات القطاعات التي يمثلونها في المجتمع.³

إن مفهوم النخبة كان مفهوماً سياسياً ارتبط بالحكم، والنخبة الحاكمة أو النخبة المركزية هي القلة المختصة بمهمة رسم السياسات العامة واتخاذ القرارات السلطوية الملزمة، في حين تقوم الأغلبية أي المواطنون بالالتزام بالقرارات والقوانين.⁴

وعليه فإن التعريف الحديث للنخبة لم يركز على الأفراد الذين يشغلون مواقع داخل هذه النخبة وإنما ركزت على قضية السيطرة على زمام القوة سواء في المجال السياسي العام أو الميادين الخاصة أي النخب الاجتماعية والثقافية والإدارية .

لهذا نجد أن للنخبة تأثير كبير في عملية تكيف المجتمع وتطوره، وانفتاحه أو انغلاقه أمام الأوضاع المستجدة، لقد ظهر مفهوم النخبة في إطار النقاش حول أشكال اللامساواة الاجتماعية التي أفرزها النظام الرأسمالي⁵، ثم اتسعت النظرة في مفهوم النخبة لتشمل ميادين أخرى غير السياسية كالإقتصاد والجيش والفكر.... هذه الميادين كلها تتشابك لتخلق مجال قوة يمكن للنخبة من خلاله ممارسة السيطرة في المجتمع.

وعليه فقد أمكن الحديث عن نخب اجتماعية غير النخب السياسية ، أي بعيدة عن النفوذ السياسي ولكنها تمارس نفوذاً آخر ، هو النفوذ الاجتماعي داخل ميدان معين من الميادين الاجتماعية، وبالتالي فهي تتحرك في مجال بعيد عن مجال حراك النخبة السياسية وهو المدينة ، القرية ، المؤسسة، أو أي تنظيم آخر من الأفراد وتتنابك هذه النخب خارج دائرة القوة المركزية.⁶

هنا ظهرت مفاهيم النخبة المهنية، المدنية ، العسكرية، الريفية ، الحضرية.... ولا يمكن إنكار تشابك هذه النخب فيما بينها رغم أنها تبدو نخباً اجتماعية بعيدة عن المجال السياسي إلا أنها في تبادل مستمر معها للأدوار.

أما فيما يخص الجزائر فقد شاع مصطلح النخبة في بداية القرن العشرين كغيره من المصطلحات الاستعمارية التي احتلت المقام الأول في الأدبيات المتداولة وضمن الكتابات

الصحفية والنقاشات المختلفة ، ومن هنا فان المصطلح جديد دخل الأدبيات التاريخية والسياسية في الجزائر مع الربع الأول للقرن العشرين بشكل واسع التداول، ولكن ذلك لا ينفي وجود نخب جزائرية ورموز للثقافة والنضال السياسي بأساليب متعددة قبل هذه الفترة بل ومنذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830م)، وهو ما يحيلنا إلى شخصية حمدان خوجة⁷ أو نضال جماعة الحضرة⁸ مع بداية الاحتلال .

أما مع بداية القرن العشرين فقد برز نوعان من النخبة مارست ضمن حقل الثقافة والسياسة: نخبة حملت الجنسية الفرنسية، أي متخلية بذلك عن مقتضيات الشريعة الإسلامية واستبدلتها بالقانون الفرنسي وذابت في أتون الحضارة الغربية والثقافة الفرنسية بشكل واضح، لتختار اللغة الفرنسية كأداة للتواصل والتفكير والتعبير ولم تترك فرصة إلا وجاهرت بولائها لفرنسا وقضاياها كما كان من أبرز رجال هذه النخبة الاندماجية التغريبية أمثال ابن التهامي، والطبيب المرسلي، وعمر بوضربة.

أما النخبة الثانية فقد بقيت محافظة على أحوالها الشخصية الإسلامية وتمسكت بهويتها الوطنية، لغة وعقيدة وحافظت على صلاتها بالبلاد العربية والعالم الإسلامي كامتداد طبيعي ومجال حضاري وتاريخي للجزائر لا يمكن الانفصال عنه، ونذكر من هذه النخبة المحافظة مزدوجة التعليم واللغة مثل : محمد بن ابي الشنب⁹، وعبد الحليم بن سماية¹⁰، والمولود ابن الموهوب¹¹.

وكانت النخبة حتى الحرب العالمية الأولى تنشط من خلال الجمعيات الثقافية التي أسست العديد منها وكانت تقيم فيها العديد من المحاضرات والندوات بغية تثقيف الشباب الجزائري وإطلاعه على ما يحدث في العالم من تطورات مختلفة أو من خلال الصحافة التي بدأت ترى النور شيئاً فشيئاً مع بدايات القرن، وقد ركزت النخبة الاندماجية في معظم نشاطاتها على المناداة بتطبيق الادماج الفعلي والحقيقي عليهم أي تطبيق المساواة في الحقوق والواجبات وإلغاء القوانين الاستثنائية كقانون الأهالي والمحاكم الرادعة، وطالبوا بالتمثيل النيابي وتوسيعه ، ومساواتهم في الضرائب والتعليم وفرص العمل كأداة تضمن انصهار الجزائريين الكامل ضمن فرنسا " الأم".

وجاء قانون التجنيد الإجباري¹² ليمثل فرصة سانحة لهذه النخبة المتفرنسة لتعرب عن حجم ولائها لفرنسا بدعوة الجزائريين للانخراط الجماعي في الجيش الفرنسي والدفاع عن فرنسا باعتبارها الوطن الأم الذي يجب الدفاع عنه ،والعجيب أن هذه النخبة تخيلت أن فرنسا سترد للجزائريين هذا الجميل بإصلاح أحوالهم وتطوير بلدهم ومجتمعهم على كافة المستويات فهل كان لهم ذلك ؟

قانون التجنيد الإجباري يرسم الحدود النهائية بين المحافظة والفرنسة:

لا يمكن إغفال التأثير الواضح للتطورات الخارجية في نشأة وتكوين النخب الجزائرية خلال الربع الأول للقرن العشرين والذي شهد أحداثا بارزة كان من أهمها وصول الإتحاد والترقي إلى السلطة في شخص مصطفى كمال أتاتورك سنة 1908م وما صحبه من تبنى لسياسة العلمنة و التتريك التي انتهت بإلغاء الخلافة سنة 1924م. كما كان للاحتلال الإيطالي لطرابلس الغرب بالغ الأثر على النخبة لا سيما المحافظة منها دون أن ننسى حدوث ثورتين بارزتين شرق وغرب الوطن العربي وهما ثورة الشريف حسين سنة 1916م ضد العثمانيين وثورة الريف بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي ضد الاسبان و الفرنسيين بين 1921 - 1926م وما عرفه الحدثان من اهتمام لدى النخبة الجزائرية، غير أن الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918م كانت من أبرز الأحداث المؤثرة في تطور النخبة الجزائرية والاندماجية بشكل خاص خاصة مع احتدام النقاش حول قضية التجنيد الإجباري ومدى إستفادة الجزائريين منه وهو ما نسعي لتوضيحه في هذا المقال.

هكذا تشكلت في الجزائر حركة الشبان الجزائريين ،عبر ثلاثة سبل رئيسة:تونس ذاتها والقاهرة و اسطنبول.كان قوامها بعض الأطباء والحقوقيين وحملة ليسانس جامعية ومدرسين،لكن أغليبتهم تشكلت من صغار موظفي الإدارة العامة والعدالة والتعليم،في حين تشكلت أقليتهم من ممثلين للبرجوازية التجارية المرتبطة بالسوق الاستعماري.هذه المجموعة غير المنسجمة،المتولدة عن الأقلية الهزيلة للذين تلقوا تكوينا فرنسيا حاولت على غرار الشبان الأتراك والتونسيين،استلاف وسائل وشعارات القوة الاستعمارية. لقد كانت تبحث عن المساواة عن طريق التماهي مع الفرنسيين¹³.

ينتمي أغلب من عرف بالشبان الجزائريون¹⁴،إلى فئة تخرجت من المدارس والجامعات الفرنسية ،أين تأثروا بالثقافة الغربية،وقد كانوا عموما من عائلات ميسورة الحال يمارس أفرادها وظائف لدى السلطات الفرنسية سواء مدنية أو عسكرية فقد كان جلهم من المحامين و الأطباء والمعلمين والضباط العسكريين،وقد حملت هذه التسمية نوعا من التمييز لهم داخل النخبة نفسها، باعتبارها تجمع التيارين المحافظ والاندماجي،فهاهو أحد منتسبيه يعرفها قائلا إنها: "ثريات الجزائريين المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم،أن يصعدوا فوق الجماهير وان يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين"¹⁵. أي الذين أصبحوا يشبهون الأوروبيين في كثير من مناحي حياتهم ،حتى وصفهم المؤرخ الفرنسي لوري بوليو بأنهم أولئك "الجزائريين المتأوربين"¹⁶.

ومما يلاحظ أن هؤلاء الشبان لم يشكلوا حزبا سياسيا منظما ،بل كانوا ينشطون ضمن نوادي أو جمعيات ثقافية مثل "الراشدية" التي تأسست بالعاصمة ،أو عن طريق الكتابة في جرائد مثل "الإسلام" (L'Islam) و" الرشيدى" (Rachidi).

وقد تبنت هذه الفئة من الجزائريين الثقافة الغربية وأسلوب عيش الغربيين ومبادئ الديمقراطية والعدل والمساواة الفرنسية كنموذج للمجتمع الجزائري المأمول، لكنهم كانوا أحيانا ما يفرقون بين فرنسا الديمقراطية وفرنسا الاستبدادية، ويستنجدون بالأولى ضد الثانية وبالفرنسيين الليبراليين والجمهوريين الأحرار ضد المستوطنين المستبدين.¹⁷ كما كانوا يطالبون بالمساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين، وبإلغاء قانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية¹⁸ وبالتمثيل النيابي للجزائريين والمساواة في التعليم والضرائب وفرص العلم والتجنيس بالجنسية الفرنسية، لكن دون اشتراط التخلي عن أحوالهم الشخصية كمسلمين، عكس ما نص عليه قانون مجلس الشيوخ لسنة 1865م، من أن الجزائري لا يمكنه أن يتحصل على امتيازات الجنسية الفرنسية إلا عندما يتخلى عن حالته الشخصية كمسلم، وكانت مطالبتهم بهذه المطالب بأسلوب سلمي متخدين في ذلك سبل التسامح واللين ونابذين أسلوب القوة والعنف، حيث اعتمدوا على الصحافة والعرائض وإرسال الوفود، وهي أساليب مقاومة جديدة في الحركة الوطنية الجزائرية.

وقد وجد هؤلاء الشبان في قضية التجنيد فرصة لطرح مجموعة من الأفكار علنيا لاسيما ما يتحقق بوضعية الجزائريين السياسية والاجتماعية، ومسألة توافق هذا مع الأحوال الشخصية الإسلامية، وقضية المساواة وغيرها من القضايا التي كثر النقاش فيها. ومنذ البداية عبر الكثير من الشبان عن آرائهم حول هذه القضايا، فقد صرح علي بن فخار¹⁹ معترفا بأن الوضع الذي كان يعيشه الأهالي في هاته المرحلة جد صعب وأن "التجنيد الإجباري حمل ثقل عليهم وسيؤدي إلى نتائج خطيرة لأنه لم يمنح لهم بالمقابل أي شيء، إن التجنيد الإجباري يجعل منهم شعبا مسخرا ومُستعبدا".²⁰

أما عبد الرحمان محمد وهو نائب مالي وبلدي بمستغانم فأبدى رأيه قائلا أن "الوقت لم يحن بعد لتطبيق التجنيد الإجباري على الجزائريين، ذلك أنهم خاضعون لوضع خاص تضبطه القوانين الاستثنائية (...). ثم إن الخدمة العسكرية الإجبارية تتطلب أولا الحصول على الحقوق المدنية الفرنسية التي تتعارض مع الأحوال الشخصية الإسلامية ولذلك فإن تطبيق التجنيد الإجباري أمر مستحيل في ظل الوضع الراهن".²¹

وفي هذا التصريح بيان واضح لمدى التباين في الآراء بين حركة الشبان أنفسهم، بين فئة ترى أن في التجنيد تعارض واضح مع الأحوال الشخصية الإسلامية وهم الأقل، وفئة أكبر منها لا تعبر ذلك اهتماما وترى أن الفرصة مواتية للمطالبة بحقوق المواطنة الفرنسية، أو على الأقل للنخبة المثقفة منهم كما أوضح ذلك النائب المالي والبلدي بحسين داي محمد بن صيام قائلا: "إنني أرى أنه من المستحق مقابل تجنيد المسلمين، توسيع وزيادة الحقوق السياسية بالنسبة إليهم. وبالطبع لن تمنح هذه الحقوق لكل العرب ولا سيما الجنسية الفرنسية، وإنما تمنح للذين تتوفر فيهم بعض الشروط الخاصة".²²

وفي كل هذه التصريحات إبراز لمسألتين اثنتين أولهما، انعدام وجه نظرة موحدة لهذا التيار في تلك القضايا المطروحة، خاصة فيما يتعلق بالتجنيد والأحوال الشخصية وقضية

التجنيس ،والمسألة الثانية هي وجود جزء من هذا التيار من يرى أنه مختلف عن بقية الجزائريين وأنه أولى من الجزائريين الأهالي في بعض الحقوق السياسية بحكم تكوينه وثقافته الغربية.

وبعد صدور مرسوم 17 جويلية 1908م الخاص بإحصاء الشباب الجزائري البالغ سن الثامنة عشر و أكثر ،قصد تجنيدهم،حاول الشبان الجزائريون العمل جماعيا ،للحصول على مقابل من التجنيد من لدن الإدارة الفرنسية،فشكلوا وفدا ذهب إلي باريس ليسلم عريضة خاصة بالخدمة العسكرية،والتي نصت أنهم يقبلون مبدأ الخدمة مقابل حصولهم على الحقوق السياسية للمسلمين الأهالي ، وقاد الوفد عمر بوضربة ،عضو المجلس البدي للعاصمة،وقد التقى الوفد برئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو في 03 اكتوبر 1908م وقدموا إليه العريضة باسم الجزائريين.

إلا أن تسارع الأحداث وتزايد الحاجة الفرنسية للجزائرية في حربها،دفع الإدارة الفرنسية سواء في المتروبول(Metropole) أو على مستوى الجزائر نفسها إلى التسريع في إصدار القوانين المرتبطة بتجنيد الجزائريين،فكثرت على إثر ذلك التصريحات والتلميحات الفرنسية،ولما أحست مجموعة من الجزائريين الممثلين لتيار النخبة الاندماجية،بتلك التلميحات من الحاكم العام في خطابه في أوت ونوفمبر 1914م،بإمكان إحداث إصلاحات على واقع الجزائريين السياسي والاجتماعي بعد نهاية الحرب في حال انتصار فرنسا ،فيما إذا كان الجزائريون طرفا في هذا الانتصار، فضل العديد من الشبان الجزائريين، الانضمام إلى الجيش الفرنسي والدفاع عن فرنسا،لعل تضحياتهم تشفع لهم بعد ذلك،فتمنحهم فرنسا بعض حقوقهم الطبيعية كمواطنين كاملين الحقوق.

لكنهم كان هؤلاء دائما يعلنون أن هدفهم الأول هو الدفاع عن العدالة والحق ضد الظلم والقهر،فهاهو الأمير خالد يصرح : " إن الجزائريين يشاركون في الحرب دفاعا عن الحق والعدالة،ضد طغيان وبربرية ألمانيا"²³.

ومما يؤكد أن الشبان الجزائريين كانوا يهدفون إلى الحصول على بعض الحقوق مقابل مشاركتهم في الحرب إشارة الأمير خالد سنة 1919م : " إن مئات الجزائريين ماتوا من أجل وطن بقي دائما يعتبرهم رعايا، ومن أجل حقوق لم ينالوا منها شيئا،حتى بعد انتصار فرنسا"²⁴.

ولئن كان موقف الأمير خالد متميزا برفضه للتجنس منذ البداية وإعادته لبعث الجنسية الجزائرية بتشيده في كلامه وسلوكه،على هوية الجزائري المبنية على مرجعية الإسلام الممزوجة بالدفاع عن اللغة العربية والثقافة العربية وقضايا العرب والمسلمين،مما جلب ثناء البعض وكراهية الآخر حتى من بين الشبان الجزائريين، فإن مجموعة معتبرة من هؤلاء الشبان أبدوا ولائهم المطلق لفرنسا ،فقد صرح الحاج عمار²⁵: " نحن نحمل السلاح للدفاع عن الحق وعن بلدنا المهدد فرنسا (...) يا مسلمي الجزائر يجب أن نحمل السلاح رفقة إخواننا الفرنسيين ونحارب من أجل العدالة والحرية"²⁶.

أما الصادق دندان فقد عبر عن سعادته بهذه الفرصة التي سمحت له ولرفاقه بإثبات ولائهم لفرنسا قائلاً: "إننا سعداء بأننا أخذنا مكاننا في العائلة الفرنسية، إن الحرب فرصتنا لإثبات إخلاصنا لفرنسا"²⁷.

كما دعا الشبان الأهالي الجزائريين إلى التزام الهدوء وعدم الإصغاء إلى الداعين للثورة على فرنسا في الجزائر، حيث وجه النائب البلدي بحسين داي، محمد بن صيام نداء للأهالي جاء فيه: "أجيبوا نداء فرنسا وكونوا في خدمتها، فأنتم تدافعون عن الحق وعن قضية إنسانية (...). وحافظوا على هدوئكم ولا تثيروا الاضطرابات (...). إنه من واجبكم حسن الجوار، والله يأمركم بالإحسان إلى الجيران، فأحسنوا إلى جيرانكم لتكونوا مسلمين حقاً"²⁸.

ولم ينس هؤلاء أن يبينوا للجزائريين ما ينتظرونه من هذه الخدمات الجلييلة لفرنسا فقد جاء في أحد تصريحات الدكتور مرسلي²⁹: "لقد تربينا مع الفرنسيين، نحن نعرفهم، قد يحدث أحياناً أن نتلقى منهم بعض الضربات، و التي نردها لهم وعليه فنحن متساوون، بينما بالنسبة للآخرين (الألمان) لن يكون الأمر كذلك، وعليكم أنتم يا أيها السكان المسلمون في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، أنتم الذين بدون مساومة منكم، قدمتم أبناءكم للوطن الأم، أكيد لن تجازون بنفس الطريقة، لقد تحصلتم من الآن فصاعداً على مكانة مرموقة ضمن العائلة الفرنسية، وعند المحاسبة وبنهاية الحرب بهزيمة أعدائنا والتي لن تتأخر، لن يتم نسيانكم، صدقوني إن ولاءكم لثمانين (80) سنة سيؤخذ بعين الاعتبار ومزيد من الحقوق ستمنح لكم وتحفظ"³⁰.

وفي محاولة للرد على اتهامهم بأنهم يحرضون الأهالي على المطالبة بالحقوق السياسية مقابل تجنيدهم وهو ما يخدش ولائهم البديهي لفرنسا، كما فعل الكاتب الفرنسي "أوكتاف ديبون"، مفتش عام على مستوى البلديات المختلطة الذي اتهم الشبان بإثارة الأهالي لكي يطالبوا بالتعويض السياسي على الخدمة العسكرية³¹. نفى بعض الشبان تلك التهمة عنهم، ونفوا أي علاقة لهم بالجامعة الإسلامية، مقابل ولائهم لفرنسا وقضاياها، ففي رسالة للمحامي الحاج سعيد إلى أصدقائه من جماعة الشبان الجزائريين بين علاقة جماعته بالجامعة الإسلامية قائلاً: "إن الجزائريون المسلمون يعتبرون إسطنبول والخلافة، بنفس الاعتبار الذي يضيفه المسيحيون على روما والبابوية، ورغم اعترافهم-أي الشبان- أنهم قاموا بنشاطات مختلفة لصالح الليبيين ولصالح لجنة الوحدة والتقدم التركية خلال الحرب العثمانية - الإيطالية، لكنها نشاطات أذنت بها الإدارة الفرنسية نفسها"³².

ومع دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، لم يتأخر النائب البلدي بوهران علي محي الدين في التصريح: "إن موقف الدولة العثمانية لا يعيننا ولا يغير من ولائنا وإخلاصنا لفرنسا شيئاً، بل يربطنا بها و بحكومتها أكثر فأكثر"³³.

وفي نفس السياق يذكر جون ميليا أن الجزائريين كانوا مع فرنسا منذ اليوم الأول. وفيما يخص موقف الشبان الجزائريين، فقد كانوا في رأيه صادقين نحو فرنسا والدليل على ذلك تصريحاتهم المعادية لتركيا ومن بين الذين يذكرهم الدكتور بلقاسم بن التهامي الذي قاد

وفد الشبان سنة 1912م إلى باريس و مختار حاج سعيد و الصادق دندان مدير جريدة "الإسلام" وجريدة "الراشدي" التي أوقفت من طرف مسؤوليها للتعبير عن مشاركتهم في مجهود الحرب. ومن التصريحات في هذا الصدد ما جاء على لسان الطبيب القسطنطيني "مرسلي" والتي يتهم فيها على تركيا بسبب دخولها الحرب قائلا: "وهكذا تعاود تركيا السقوط بين مخالب ألمانيا، وهذه المرة لتبقى إلى الأبد، فهي بدل أن تحافظ على حيادها في الحوادث الحالية، تنضم إلى أعداء فرنسا.. ثم يضيف: "لا تعتمدوا علينا فنحن لانعرفكم، لأننا لسنا لا بالشبان الأتراك ولا بأصحاب العمائم، بل نحن فرنسيون مسلمون وسنبقى كذلك إلى الأبد" ³⁴.

- 1 - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، (دت ن)، ص155.
- 2 - أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص129.
- 3 - السيد عبد الحليم الزيات، في سوسيولوجيا بناء السلطة- الطبقة- القوة- الصفوة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990، ص239.
- 4 - السيد عبد الحليم الزيات، المرجع السابق، ص239.
- 5 - أحمد زايد، "النخب السياسية والاجتماعية مدخل نظري: مع إشارة خاصة إلى تشكلها في المجتمع المصري"، في النخب الاجتماعية حالة الجزائر ومصر، تحرير: احمد زايد وزبير عروس، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 2005، ص09.
- 6 - أحمد زايد، النخب السياسية، مرجع سابق، ص11.
- 7 - حمدان بن عثمان خوجة، من مواليد مدينة الجزائر حوالي 1773م، من عائلة جزائرية عريقة مالكة عاشت بضواحي مدينة الجزائر، عاش حمدان خوجة متنقلا بين الجزائر والقسطنطينية وفرنسا، مشغلا بالتجارة والدبلوماسية والسياسة، وقد واصل مهامه عند عودته، إلى الجزائر حتى نفيه إلى باريس بعد وشاية المعمرين به، اما عن تاريخ وفاته فغير معروف على وجه التحديد رغم أن جورج إيفار (George Yver) حدده ما بين 1840 و1845م، في حين قال محمد بن عبد الكريم ثبوت وفاته أواخر 1840م، أبو ظبي، 2004، على الرابط: <http://alrihlah.com/nadawat/research/492>
- 8 - قسم أبو القاسم سعد الله المقاومة المدنية والسياسية في بداية الإحتلال إلى ثلاث تيارات سياسية:
- الحزب الوطني والذي كان يضمن عناصر جزائرية تنظر داخليا، وتعمل على تحرير الجزائر بكل الوسائل، كأحمد بوضربة
- الحزب العثماني الذي يهدف أصحابه إلى إبقاء الجزائر ضمن الخلافة العثمانية والذين من بينهم حمدان خوجة و ابن العنابي
- الحزب الفرنسي وهم اللذين ربطوا مصالحهم بالإحتلال الفرنسي كمصطفى ابن اسماعيل....، أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (ج1) دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، صص 105-106.
- 9 - محمد بن ابي الشنوب: ابن أبي شنوب (1347-1286) هـ (1869-1929 م) (هو محمد بن العربي بن محمد أبي شنوب الجزائري الأديب الباحث، أحد أعلام المغرب العربي النابهين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأحد رواد النهضة العربية الحديثة. أول جزائري حامل لشهادة الدكتوراه في العصر الحديث.
- ولد في قرية المدية جنوب مدينة الجزائر، ونشأ في ظل الإحتلال الفرنسي، فقرأ شيئاً من القرآن الكريم قبل أن يلتحق بمدرسة المدية الثانوية، ليتعلم اللغة الفرنسية والعلوم الغربية وفق المنهج المفروض من قبل سلطات الإحتلال، ثم انتسب إلى دار المعلمين ببلدة أبي زريعة قرب العاصمة، وتخرج منها بعد عام حاصلاً على إجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية. وأمضى عشر سنوات في هذه المدارس، شغل فيها بالتعليم وتحصيل علوم اللغة العربية واستدراك ما فاتته منها، فقرأ النحو والصرف والعروض، وشيئاً من علوم الدين، وتقدم بما حصله إلى مدرسة الآداب العليا، ونال إجازتها، فتولى تدريس آداب العربية في مدرسة آداب مدينة قسنطينة، وبعد أن أمضى في عمله الجديد أربع عشرة سنة، ارتقى إلى القسم الأعلى من هذه المدرسة، فأقرأ فيها النحو والأدب والبلاغة والمنطق. وفي أواخر عام «1922م» تقدم إلى كلية الآداب الجزائرية ببحثين للحصول على درجة الدكتوراه، هما: «حياة أبي دلالة وشعره» و«الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية»، فمُنح درجة الدكتوراه وكلف بالتدريس في الكلية، وظل يدرس ويبحث إلى أن وافته المنية. أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1400/1980، ص189.
- 10 - عبدالحليم بن علي بن عبدالرحمن خوجة بن سماية. ولد بالجزائر (العاصمة)، وفيها توفي. عاش في الجزائر، وأقام مدة في تونس، كما زار بلاد الشام.
- حفظ القرآن الكريم، وتعلم على يد والده العربية والفقه والتوحيد، كما أخذ المنطق والبلاغة عن طاهر تيطوس، والحساب والفرائض عن علي بن حمودة. وتلمذ على نخبة من كبار العلماء.
- حفظ المتون وقرأ أمهات كتب التراث حتى تكوّنت له ملكة قوية في العلوم العربية والشرعية، ودرس اللغة الفرنسية.
- عمل صحفياً في جريدة «المبشر»، ثم بالتجارة في دكان صغير؛ في حين كان يلقي الدروس متطوعاً في المسجد الذي كان يدرّس فيه والده. قلّدتَه الإدارة الفرنسية (1896) خطة التدريس بالمدرسة الرسمية بالجزائر العاصمة، وفي (1900) أسندت إليه خطة التدريس بالجامع الجديد الحنفي، وعندما افتتحت المدرسة الثعالبية (1905) انتقل إليها وظل مدرساً بها إلى أن أُحيل إلى التقاعد.
- التقى الإمام محمد عبده زمن وجوده بالجزائر، وسفرت الرسائل بينهما حين غادر الإمام إلى صقلية، وظل المترجم له وقياً لمنهج الإمام في الإصلاح.
- كان من مناصلي الجامعة الإسلامية (الوحدة تحت راية الخلافة الإسلامية)، كما كان من معارضي تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي. أنظر: أبو عمران الشيخ (إشراف): معجم مشاهير المغاربة - المؤسسة الجزائرية للطباعة - الجزائر 1995. ص44.
- 11 - أبو القاسم سعد الله، حصاد الخريف، (ط1)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص235.
- 12 - إتخذ البرلمان الفرنسي في النهاية يوم الثالث من شهر فبراير- شبّاط 1912 قرار بإجبار الجزائريين على الخدمة العسكرية بصفتهم رعايا فرنسيين. إذن هو قانون سياسي ينصّ على تجنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي بغضّ النظر عن رفضهم له، جاء هذا القانون بعد فترة تضاربت فيها مختلف الآراء السياسية والعسكرية من خلال المشاريع الأولى التي تهدف إلى تجنيد الجزائريين، والتي سبق التطرّق إليها، وذلك منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى غاية بداية القرن العشرين.
- 2-3 مراسيم القانون:
- قانون 03 فيفري 1912 الذي نشر في الجريدة الرسمية " le Mobacher " :يوم السبت 02 مارس 1912، حيث يحتوي على

[30] ثلاثين مادة مقسمة في أربعة أبواب.
 -الباب الأول: عبارة عن أحكام عامة، يضم المادة الأولى التي تنصّ على تجنيد الأهالي المسلمين بصيغة الاختيار أو إعادة التجنيد.
 -الباب الثاني: جاء للتأكيد على الأحكام الواردة في الباب الأول، وهذا ما نلتسمه في المادة الثانية.
 -الباب الثالث: يحتوي على [8] ثمانية فصول تضم [23] ثلاثة وعشرين مادة (من المادة الثالثة إلى غاية المادة السادسة والعشرين)، حيث نجد: الفصل الأول: يحتوي على [4] أربعة مواد (من المادة الثالثة إلى غاية المادة السادسة) و هو متعلق بالاستدعاء، الفصل الثاني: يحتوي على خمس مواد.
 (من المادة السابعة إلى غاية المادة الحادية عشر)، و المتعلق بإحصاء الجزائريين، الفصل الثالث:
 و يحتوي على [3] ثلاثة مواد، (من المادة الثانية عشر إلى غاية المادة الرابعة عشر)، و الذي يبين الأشخاص الذين لهم الحق الإعفاء والتأجيل والأعداء، الفصل الرابع: يحتوي على [7] سبعة مواد (من المادة الخامسة عشر إلى غاية المادة الواحد والعشرين) و المتعلق بالقرعة و جمع الأشخاص.
 الفصل الخامس: الخاص بالبدل أو إيجاد العوض و الملخص في المادة [22] الثانية والعشرين، الفصل السادس: يضم المادتين [23] و [24] الثالثة والعشرين و الرابعة والعشرين، الخاص بجمع العسكريين، الفصل السابع: الخاص بالمرتب اليومي و الجوائز، و هذا ما تنصّ عليه المادة [25] الخامسة والعشرين، الفصل الثامن: المتعلق بالأحكام الجزائية، و يشمل على المادة [26] السادسة والعشرين.
 -الباب الرابع: يحتوي على [4] أربع مواد (من المادة السابعة و العشرين إلى غاية المادة الثلاثين) و المتعلق بالأحكام الخصوصية، حيث تحدد مواد الامتيازات الخاصة بالعسكريين القدامى، تنظيم الجنود، و القانون ساري المفعول في المناطق المدنية دون غيرها من المناطق العسكرية.

13 - أحمد رضوان شرف الدين ، مشروع الدولة- الأمة العروبة عند النخب الجزائرية ،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،جامعة الجزائر ،2004-2005. ص29.

14 - يجدر التنكير أن حركات شباب كثيرة نشأت غداة ثورة 1830 الأوروبية، بتأسيس مباشر أو بايعاز من جيوسي مازيني:إيطاليا الفتاة،سويسرا الفتاة،فرنسا الفتاة، ألمانيا الفتاة...وتلتها تركيا الفتاة ثم العربية الفتاة ، فالشباب التونسي والشباب الجزائري للمزيد أنظر : أحمد رضوان شرف الدين ،نفسه ،صص 20-21.

15- Ben habiles,Chérif,L'Algérie Française vue par un indigène,Alger orientale,1914,p104.

16 -Leroy Baulieu,"La France dans l'Afrique du nord,indigènes et colons",Revue des deux mondes,1906,pp,60-62.

17 - عباس فرحات ،حرب الجزائر وثورتها ،ليل لاستعمار ،تعريب أبو بكر بن رحال،المحمدية،المغرب،1962،ص106.
 18 - أصدرت فرنسا العديد من القوانين الجائرة ضد الجزائريين ،لعل أشدها إجحافا قانون الأهالي الذي صدر سنة 1871م وتم تجديده سنة1881م،والذي إنجرت عنده العديد من القوانين أخطرها تحميل الجزائريين المسؤولية جماعيا مقابل الأخطاء الفردية،كما أعطيت صلاحيات كبيرة للمحاكم في معاقبة الجزائريين دون إعطائهم أية حقوق قضائية.

19 - علي بن فخار: من مدينة تلمسان ،درس في مدرستها الفرنسية،ذهب إلى فرنسا سنة 1901م حيث علم اللغة العربية الدارجة في الغرفة التجارية بمدينة ليون وهناك درس القانون وتخصص في الشريعة الإسلامية وتحصل سنة1908 على الدكتوراه ، أنظر :أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، (ط6) ،دار البصائر ،الجزائر،2009،ص241.

20 - "la conscription des indigènes",La Dépêche Algérienne,N8493,vendredi30oct1908.

21 - مقتطف من تصريحه أمام المجلس المالي في دورة 03 افريل 1908م، أنظر «la Revue indigènes»,N30,oct1908,pp404-411.

22 - " le veux indigènes"N30,op-cit.

23- Emir Khaled,la situation des musulmans d'Algérie 1924,opu,Alger,1987,p41.

24- Khaled, Ibid,p41.

25 - الحاج عمار من الشبان الجزائريين وهو مدير جريدة "Rachidi"،كما كان نائبا بلديا في بلدية جيجل.

26 - Hadj,Ammar,"Tous pour la France",L'Islam,N205,samedi03oct1914.

27 - Denden,Sadek,"Notre action dans la guerre",L'Islam,N204,22Aout1914.

28 - Ben Siam mMohamed,"Jour d'epreuve",Akhbar,N13762,dim 30Aout1914.

29 - الدكتور مرسلي (Morsli)، من مواليد وهران،كان والده ضابطا في الصبايحية، تخرج من مدرسة الطب الفرنسية بالعاصمة ،ثم إنتقل إلى قسنطينة أين شارك في الكثير من النشاطات التي قام بها الأعيان،كتوقيع عريضة 1891م،التي قدمت لجول

فيري،متجنس ومتزوج بفرنسة ، له كتاب بعنوان (la question indigène) ألفه سنة 1884،أنظر :أبو القاسم سعدالله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج6، مرجع سابق ،ص231.

³⁰-MEYNIER G, « Loyalisme et insécurité en Algérie pendant la guerre de 1914-1918 », *Les Cahiers de Tunisie* (Tunis), t. XIX, n° 75-76, 3^e et 4^e trimestre 1971, p. - ,p192.

³¹ - Octave,dépoint,"une insurrection en Algérie pendant la guerre",in Revue de l'Afrique du Nord,T01,Nov-Déc 1921,p11.

³² - Ben habiles,op-cit,128.

³³ - " les protestations de loyalisme des Musulmans d'Algérie",le Temps,N19481,07nov 1914.

³⁴ -G Meynier;op-cit,p267.

المصادر والمراجع

- 1- بدوي أحمد زكي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط2،مكتبة لبنان، بيروت ، 1986
- 2-غيث محمد عاطف ، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ، مصر،(دت ن)
- 3 - زايد أحمد ، "النخب السياسية والاجتماعية مدخل نظري:مع إشارة خاصة إلى تشكلها في المجتمع المصري"،في النخب الاجتماعية حالة الجزائر ومصر، تحرير: احمد زايد وزبير عروس، مكتبة مدبولي، القاهرة ،مصر2005.
- 4-عبد الحليم الزييات السيد ، في سوسيولوجيا بناء السلطة- الطبقة-القوة- الصفوة، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 1990.
- 5- سعد الله أبو القاسم ،حصاد الخريف،(ط1)،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر ،2010.
- 6- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (ج1) دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007،صص 105-106.
- 7-شرف الدين أحمد رضوان شرف الدين ، مشروع الدولة- الأمة العروبية عند النخب الجزائرية ،رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ ، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية ،جامعة الجزائر ،2004-2005..
- 8- الشيخ أبو عمران (إشراف): معجم مشاهير المغاربة - المؤسسة الجزائرية للطباعة - الجزائر 1995.
- 9- نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر ،بيروت ،مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1400 / 1980.
- 1- <http://alrihlah.com/nadawat/research/492>
- 2- Baulieu Leroy,"La France dans l'Afrique du nord,indigènes et colons",Revue des deux mondes,1906.
- 3- Chérif Ben habiles ,L'Algérie Française vue par un indigène,Alger orientale,1914.
- 4- - Hadj,Ammar,"Tous pour la France",L'Islam,N205,samedi03oct1914
- 5- Emir Khaled,la situation des musulmans d'Algérie 1924,opu,Alger,1987.
- 6- -MEYNIER G, « Loyalisme et insécurité en Algérie pendant la guerre de 1914-1918 », *Les Cahiers de Tunisie* (Tunis), t. XIX, n° 75-76, 3^e et 4^e trimestre 1971.
- "la conscription des indigènes",La Dépêche Algérienne,N8493,vendredi30oct1908."les veux des indigenes »,la Revue indigènes",N30,oct1908.
- .-Denden,Sadek,"Notre action dans la guerre",L'Islam,N204,22Aout1914.
- Ben Siam mMohamed;"Jour d'epreuve",Akhbar,N13762,dim 30Aout1914
- .-Octave,dépoint,"une insurrection en Algérie pendant la guerre",in Revue de l'Afrique du Nord,T01,Nov-Déc 1921.
- " les protestations de loyalisme des Musulmans d'Algérie",le Temps,N19481,07nov 1914.

دور التعليم عن بعد في تعزيز التعليم العالي لدى المرأة

د.ناجح مخلوف / د. سميرة ملاك

جامعة المسيلة / جامعة سطيف

الملخص :

على الرغم من التقدم الذي حققته المرأة الجزائرية في مجال التعليم العالي، فإن هناك تحديات مازالت تواجه تقدمها، من أبرزها ارتباط تعليم المرأة بعوامل اجتماعية، حيث تؤدي مواصلة المرأة لمراحل التعليم إلى تأخر سن الزواج، وتأخر الولادة، وهي الأدوار المعترف بها اجتماعيا في المنظومة الثقافية، من هذا المنطلق يصبح التعليم عن بعد احد الاستراتيجيات في تعزيز التعليم العالي لدى المرأة من خلال تذليل هذه العقبات و بالتالي زيادة مشاركة المرأة في التعليم العالي و الوظائف و من ثم إتاحة دور مهم للمرأة في صناعة التنمية و هذا ما تحاول هذه الورقة البحثية مناقشته.

Resume : Malgré les progrès réalisés par les femmes algériennes dans le domaine de l'enseignement supérieur, des défis restent à relever, notamment le lien entre l'enseignement des femmes et les facteurs sociaux ; le prolongement de la scolarité des femmes conduit à retarder le mariage et retarder aussi la reproduction ; qui sont les rôles socialement reconnus dans le système socioculturel. Ainsi, l'enseignement à distance devient l'une des stratégies pour promouvoir l'enseignement supérieur des femmes en surmontant ces obstacles et en augmentant ainsi leur participation à l'enseignement supérieur et à l'emploi, ce qui donne un rôle important aux femmes dans la création du développement, et c'est ce qu'essaie de débattre cette communication.

مقدمة

يعتبر التعليم أحد ركائز العملية التنموية التي تحقق في جوهرها الفوائد على مستوى التنمية الذاتية للأفراد كما التنمية الوطنية في آن معا. وعليه، فإن تعليم كل من الإناث والذكور ينعكس إيجابيا على زيادة فرصهم وتوسيع خياراتهم المستقبلية، ومع ذلك، يمكن القول بأن تعليم الإناث له أولوية تنموية كونه يحقق مكاسب إضافية لا بد ستلقي بظلالها على التمكين الذاتي للمرأة والأسرة كما المجتمع؛ ذلك أن مساهمتها الفعالة في المجتمع إنما تضيف مورداً بشرياً هاماً لمواجهة تحديات التقدم والتطور والنمو. وبذلك فإن مساهمة هذا المورد بشري أصبح من شبه المسلمات لدرجة أنه تولدت لدى الجميع شبه قناعة بأن للمرأة دوراً اجتماعياً وإنسانياً واقتصادياً عليها أن تؤديه وعلينا أن نخطط له، بل وقد استقرّ كضرورة من ضرورات التنمية هدفاً ووسيلة. من أجل ذلك تسعى معظم الدول اليوم إلى دعم تعليم المرأة، و يعتبر التعليم العالي من أهم المراحل التي يجب الاهتمام بها في الحياة العلمية للمرأة، كونه يسمح لها باكتساب شهادات ومهارات تمكنها من دخول عالم الشغل بأنواعه كأستاذة ومهندسة وطبيبة ومحامية وبيطرية وغيرها و تمهد الطريق أمامها للإسهام في التنمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للبلاد.

و تساهم مجموعة من العوامل الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية في إعاقة المرأة عن مواصلة دراستها بالتعليم العالي، لذلك فان تبني التعليم عن بعد في أي جامعة اليوم أصبح ضرورة ملحة لهذه الفئة المهمة من المجتمع بل وإستراتيجية لديمقراطية التعليم و تكريس لمبدأ تكافؤ الفرص .

1- مفهوم التعليم عن بعد و أهميته

1-1-تعريف التعليم العالي:

إن التعليم العالي و باعتباره آخر مرحلة في المنظومة التعليمية، يمد سوق الشغل برأس المال البشري المكون تكويننا عاليا و المتخصص في مختلف الميادين و المؤهل و القادر على التكيف مع التحولات التكنولوجية و الاقتصادية المحلية و العالمية و الذي يحقق النمو الاقتصادي المرجو.

و يقصد بالتعليم العالي؛ التعليم الذي يتم داخل كليات أو معاهد جامعية بعد الحصول على الشهادة الثانوية، وتختلف مدة الدراسة في هذه المؤسسات من سنتين إلى أربع سنوات، و هو آخر مرحلة من مراحل التعليم النظامي¹، وهو فهو كل أنواع الدراسات، التكوين أو التكوين الموجه التي تتم بعد المرحلة الثانوية على مستوى مؤسسة جامعية أو مؤسسات تعليمية أخرى معترف بها كمؤسسات للتعليم العالي من قبل السلطات الرسمية للدولة². إذن "يقصد بالتعليم العالي كل نمط للتكوين أو التكوين للبحث يقدم على مستوى ما بعد التعليم الثانوي من طرف مؤسسات التعليم العالي³

1-2-مفهوم التعليم العالي عن بعد:

إن تزايد عدد طالبي التعليم العالي و الملتحقين به يحتم التوسع في المنشآت و توفير مقاعد بيداغوجية إضافة إلى إنباء الأعداد المتزايدة سنويا، هذا ما شكل عبئا على الحكومات من ناحية توفير للبنى التحتية و الفضاءات البيداغوجية... و كحل لهذه المشكلة ظهرت أنواع و أنماط جديدة مثل: الجامعات المفتوحة، الجامعات الافتراضية... و التي تركز أساسا على مبدأ التعليم عن بعد و التعليم الإلكتروني باستخدام وسائل و تكنولوجيا المعلومات و الاتصال. فالتعليم عن بعد هو " نقل مواد التعليم إلى المتعلم في موقع عمله أو إقامته.. و هذا يعني الفصل الجغرافي بين المتعلم و المعلم، حيث لا يتوقع أن يكون اللقاء في قاعة

¹ - الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، الأجزاء 2، 1، و 1، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية 2005، الجزء 7، ص 08

² - UNESCO

³ - ا.د. علي عزوز، دور مدير المخبر و المجلس العلمي في ديناميكية المخبر، الملتقى الوطني حول آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية أيام 23-24-25-26، 2012، ص 227

المحاضرات هو الخط الأساسي للعلاقة بينهما، و للتعويض عن اللقاء الفعلي، يقوم الطالب بالحصول على المعرفة من خلال وسائل تعليمية حديثة و ذلك للوصول إلى كل راغب في التعليم العالي"⁴.

و يمكن تعريف التعليم عن بعد على أنه: " نظام تعليمي يتمركز حول المتعلم و يقوم على احتياجاته و لا يشترط المواجهة بين المعلم و المتعلم، و يكون دور المؤسسة التعليمية في هذا النظام قويا في تخطيط و توصيل الخدمة التعليمية إلى المتعلمين باستخدام وسائل النقل التكنولوجية المناسبة."⁵

ويعرفه عبد الحميد بأنه :

"نظام تقوم به مؤسسة تعليمية يعمل على إيصال المادة التعليمية أو التدريبية للمتعلم في أي مكان وأي وقت عن طريق وسائل اتصال متعددة مثل الأقمار الصناعية (الراديو والتلفاز)

أو أشرطة الفيديو أو الأشرطة الصوتية أو الحاسوب أو الانترنت أو تقنيات الوسائط المتعددة أو غير ذلك

6

ويعرف أيضا على انه :

" تعليم جماهيري ذاتي من لا يستلزم الحضور التقليدي إلى المؤسسات التعليمية ولا يخضع لإشراف مستمر من قبل المعلمين

ويستخدم لتنفيذه طرائق وتقنيات تعليمية متعددة تمازج بين المواد المطبوعة والأشرطة السمعية البصرية والبرامج المتلفزة والبث الإلكتروني واللقاءات العارضة المحددة خاصة في المواد

العلمية والتطبيقية."⁷ ويلاحظ من التعريفات السابقة للتعليم المهني عن بعد أنها تشترك في البعد الجغرافي بين المعلم م

المتعلمين، ووجود وسائل لنقل المعلومات مثل المواد المطبوعة والإذاعة والتلفزيون والحاسب الآلي و الإنترنت وكذلك الاهتمام بالاتصال بين المعلم والمتعلمين رغم البعد الجغرافي.

1-3-مزايا التعليم عن بعد:

التعليم عن بعد مدخل من مداخل التعليم التي تميزت بعدد من المميزات جعلته يتجاوز

الكثير من العقبات التي تواجه التعليم التقليدي حيث يتميز بعدة مزايا نذكر منها:⁸

⁴ - العبادي هاشم فوزي، 1111إدارة التعليم الجامعي، مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، الأردن، ص220

⁵ - ، وليد سالم محمد الحفاوي، 1111مستحدثات تكنولوجيا التعليم في عصر المعلوماتية، الطبعة الأولى، دار الفكر، الأردن ص221

⁶ - عبد الحميد محمد: نظرة عن قرب للتعلم عن بعد، مجلة القافلة، العدد55، مارس2002، ص16.

⁷ - توفيق عبدالرحمن: التدريب عن بعد، ط2، مركز الخيرات المهنية للإدارة، القاهرة، 2003، ص25.

⁸ - أحمد فهيم بدر: تكنولوجيا التدريب عن بعد، ط1، السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص35-36-37

- عدم التقيد بالمكان والزمان بأي شكل من الأشكال: إذ يمكن أن تتم العملية التعليمية التعليمية في أي مكان وذلك باستخدام الوسائل التعليمية الحديثة التي تشمل الأشرطة والمواد السمعية والبريد الإلكتروني والمواد المطبوعة وبسبب ذلك يتميز عن الأنظمة التقليدية الذي يعتمد على نوع واحد
- تمكين المتعلم من الاعتماد على نفسه: فالمتعلم في بعض أنماط التعليم عن بعد يتعلم بمفرده معتمداً على ذاته، ويستعين بمصادر مختلفة مثل الكتب، والأشرطة ووسائل الاتصال الحديثة (الانترنت، والأقراص المدمجة... الخ) وهو يختار المقررات الدراسية التي لها علاقة بتخصصه، وهو يتعلم المقررات بمفرده وبسبب ذلك تحصل المثابرة ليحقق أعلى مستوى من الفائدة والتحصيل العلمي.
- تنوع طرق التعلم أو إيصال المادة العلمية، فهناك عدد من الخيارات في طرائق توصيل المادة الدراسية، ومنها المادة الدراسية المتلفزة، والتفاعل مع برامج الكمبيوتر والمادة الدراسية المسجلة في أشرطة كاسيت، والمتوافر عن طريق الإنترنت.⁹
- مراعاة ظروف الدارسين، فهو يسد احتياجات الدارسين الذين ليس بإمكانهم حضور المحاضرات في أماكنها.
- استقطاب كفاءات عالية من الهيئة التدريسية، فهو يتيح الفرصة لاستضافة محاضرين من خارج المؤسسة التعليمية والاستفادة من خبراتهم، الأمر الذي يصعب تحقيقه بطريقة أخرى، كما أنه يساعد في التغلب على نقص المعلمين وبخاصة في المناطق النائية ويسهم في توسيع نطاق الاستفادة من المعلمين المتميزين.
- قلة التكلفة المادية في التعليم عن بعد، وهذا واضح عند مقارنته بالأنظمة التقليدية التي تكلف في كثير من الأحيان تكلفة باهظة حيث يمكن اختصار الوقت والجهد وكذلك المواد التعليمية وأماكن التعليم.
- تبادل الخبرات، فهو يوفر فرص التواصل بين المتعلمين من الخلفيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المختلفة في أنحاء العالم وبتيح فرصة تبادل الخبرات المختلفة.
- التركيز على العملية التعليمية، فهو يحول التعليم إلى تعلم ومن ثم التركيز على المتعلم وعلى عملية التعلم الذاتي لأن التعلم يكون من خلال جهد المتعلم ونشاطه ووفقاً لحاجته الذاتية وظروفه الخاصة وسرعته في اكتساب المعلومات ومهاراته العقلية والحركية حيث تلقى المسؤولية كاملة على المتعلم.
- التعليم للجميع، فهو يمكن الدارسين من الجمع بين العمل والدراسة أو التدريب كما يمكن من الاستفادة العلمية أو الحصول على درجات علمية دون الحضور الفعلي أو الجسدي إلى قاعات الدراسة.
- التأثير والفاعلية، فنظام التعلم عن بعد يتميز بالتأثير والفاعلية عندما تكون الأساليب والتقنيات المستخدمة متناسبة مع العملية التعليمية المهنية وعندما يكون هناك تفاعل بين الدارسين فيما بينهم وعندما يتم تبادل الملاحظات بين الدارسين والمعلم من آن لآخر وفي الوقت المناسب.

⁹ - بادي سوهام: سياسات واستراتيجيات توظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسم علم المكتبات، 2004، ص 139.

- تنوع الأساليب، فالتكنولوجيا العصرية في تصميم الشبكات ومواقع الإنترنت والمونتاغ التلفزيوني وغيرها تتيح للمعلم أن يستخدم عددا من أساليب العرض والتقديم بما يساعده على تنشيط المتعلم ويشرك حواسه الخمس في التعليم.

4-1- أهداف التعليم عن بعد

- لقد أوضحت أهداف التعليم عن بعد أكثر انتشارا وتوسعا، مستفيدا من عنصر التقنية والاتصالات وهناك مجموعة من الأهداف التي يسعى التعليم عن بعد لتحقيقها منها¹⁰:
- تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية والتدريبية بين أفراد المجتمع دون تمييز بينهم لأسباب تتعلق بمكانتهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو بسبب العرق أو الدين أو الجنس.
 - رفع جودة العملية التعليمية من خلال إدخال التعليم عن بعد الذي يعد خطوة هامة نحو المعيارية في التعليم العالي وبالتالي نحو الجودة في التعليم.
 - إيصال الخدمات التعليمية إلى الفئات الخاصة التي تمنعهم ظروفهم من الالتحاق بالتعليم التقليدي مثل المعاقين والسجناء وبعض النساء والعاملين في المناطق النائية.
 - دعم وتعزيز دوافع التعليم المستمر، فالتعليم عن بعد يعمل على تطوير وتنمية قدرات المتعلم على المبادرة والاعتماد على الذات
 - تخفيف الضغط الحادث حاليا على المؤسسات التكوينية والتعليمية التقليدية القائمة.
 - إيجاد الظروف التعليمية الملائمة والتي تتناسب مع حاجات المتعلمين المختلفة، فالتعليم عن بعد يتصف بالمرونة والقدرة على التكيف مع الظروف التعليمية للدارسين فهو يلاءم ربات البيوت والمزارعين والصناعيين والموظفين والمعلمين أي أنه يستطيع أن يلبي حاجات الدارسين مهما كانت الظروف التي يعيشونها.
 - جعل التعليم أكثر مرونة وتحريره من القيود المعقدة حيث تتم الدراسة دون وجود عوائق زمانية ومكانية كالاضطرار للسفر لمراكز التكوين والتعليم.
 - الإسهام في التنمية المجتمعية ورفع المستوى الثقافي بين الأفراد من خلال برامج متنوعة.
 - الاستجابة لمتطلبات خطط التنمية الوطنية من الكوادر البشرية المؤهلة والمدربة.
 - توفير مصادر تدريبية وتعليمية متنوعة ومتعددة مما يساعد على تقليل الفروق الفردية بين المتعلمين وذلك من خلال دعم المؤسسات التعليمية بوسائط وتقنيات تعليم متنوعة وتفاعلية
 - توفير فرص التعاون العلمي والبحثي بين المؤسسات التعليمية في دول العالم.

2-التعليم عن بعد كآلية لتعزيز التعليم العالي للمرأة

1-2-أهمية التعليم العالي للمرأة

مما لا ريب فيه أن التعليم من أهم متطلبات الحياة للإنسان، كما انه عامل هام وركن أساسي لإنجاح البرامج الهادفة إلى إحداث التنمية البشرية لأنه الأداة الفاعلة في تحويل السكان إلى قوة فاعلة ودافعة في عمليات التنمية الشاملة.

¹⁰ - حنان سليمان الزنبقي: التدريب الإلكتروني، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص، 41-42.

و التعليم بصفة عامة للمرأة و خاصة في ظل المتغيرات الحديثة ، "يعد الاستثمار الوحيد الأكثر فاعلية الذي يمكن لبلد نام تنفيذه، سواء عملت المرأة خارج البيت أم لم تعمل، فالتعليم يعود بالنفع على أفراد الأسرة من حيث تحسين أوضاعهم الصحية والغذائية، وتحسين مستوى تعليم الأطفال مقابل تخفيض معدل إصابتهم بالأمراض ووفياتهم."¹¹

إلا أن التعليم العالي بصفة خاصة يعتبر أهم مرحلة تتيح للمرأة من خلالها فرص الاندماج الوظيفي و الاجتماعي و المساهمة في تنمية مجتمعهم و يمكن تحديد أهمية التعليم العالي بالنسبة للمرأة على عدة مستويات نذكر منها :

أ- على المستوى الشخصي :

مؤسسات التعليم هي مؤسسات علمية اجتماعية أكاديمية تستفيد المرأة من خلالها بالتزود بالمعارف والخبرات والمهارات التي تحتاج إليها في حياتها الحاضرة والمستقبلية بما يؤدي إلى تفاعلها مع البيئة الاجتماعية وجعلها قادرة على الارتقاء بها وتطويرها ، وهي تجربة للتأهيل الاجتماعي؛ حيث تهيئ المرحلة الجامعية الطالبة من خلال فرصة الاحتكاك بأصناف متعددة من الناس، الذي تختلف ميولهم ومواقفهم وسلوكياتهم وطرائق تعاملهم.

كما تعمل على تنمية القدرات الفردية للمرأة وتشجيعها وتطويرها وإثارة دافعيتها ورغباتها للعمل والاستجابة للتحديات الجديدة والمتغيرة في المجتمع ومواكبتها واستيعاب وتلبية متطلباتها "كما يضيف التعليم العالي للمرأة معرفة أشمل للأمور المحيطة بها ويرفع مهارات التفكير والتحليل المنطقي، كما يساعد على تطوير الذات مما يؤثر بشكل إيجابي في المجتمع بأكمله"¹².

ب- على المستوى الاقتصادي و التنمية

قد بات من الواضح أهمية التعليم العالي والدور الذي يلعبه في التنمية الاقتصادية" إذ لا يمكن تحقيق التنمية الاقتصادية بل لا يمكن الحديث عن التنمية الاقتصادية دون التنمية البشرية ، حيث يلعب التعليم العالي دورا رئيسيا في إعداد رأس المال البشري"¹³ وتعد المرأة نصف طاقة المجتمع لذلك فإنها تعتبر قوة عمل لا يستهان بها في رفع الاقتصاد الوطني ، "ويعد التعليم أهم وسائل تمكين المرأة من خلال إكسابها للمعارف والمهارات اللازمة من اجل المشاركة الفعالة في عملية التنمية"¹⁴.

و يشير خبراء في الاقتصاد أن زيادة مشاركة المرأة في المجتمع وانخراطها في سوق العمل كانت القوة الرئيسية للنمو خلال العقدين الماضيين، ويؤكدون أن مساهمة المرأة في نمو الناتج

¹¹ -احمد السيد الكردي،مقالة بعنوان :دور المرأة في تنمية المجتمع ،

<http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/312909>

¹² -بدور بنت عبد الرحمن ،عواند التعليم العالي http://www.aleqt.com/2013/11/11/article_798996.html
¹³ - حسين عبد اللطيف بعارة، ماجد محمد الخطايبية، [الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، ترجمة، دار الشروق للنشر و التوزيع، الأردن، 2000 ، ص26.

¹⁴ - شريفة بنت خلفان البحيائية، التعليم وتمكين المرأة الخليجية: المواطنة الناقصة، للمركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، 2017، الدوحة، قطر، ص 2

المحلي الإجمالي العالمي يزيد على ما تحققة الابتكارات التكنولوجية الجديدة أو حتى عمالقة الاقتصاد الجدد مثل الصين والهند، ولو تم إضافة قيمة عمل المرأة في المنزل ورعاية الأطفال، فإن إجمالي مساهمتها في الناتج المحلي العالمي ستزيد على النصف. هذا الارتفاع الكبير في مشاركة المرأة في الاقتصاد عائد إلى ارتفاع نسب المرأة في التعليم وامتداد هذا النجاح إلى الجامعة حيث يمثلن حالياً حوالي 55% من إجمالي عدد الطلاب الجامعيين¹⁵.

ج - على المستوى المجتمعي

يتيح التعليم العالي للمرأة المساهمة في خدمة المجتمع و المشاركة في قضاياها المختلفة من خلال الاطلاع على أهم تطلعاته و مشاكله و التحديات التي تواجهه ، ويتوقف ذلك على مدى قدرة المرأة على تقييم ما تتلقاه من معارف ومعلومات من وسائل الإعلام المختلفة بما يدعم دورها في معاشة قضايا العصر والانفتاح على العالم الخارجي، ويلعب التعليم العالي دوراً هاماً في هذا المجال حيث أنه نالت المرأة قسطاً أكبر من التعليم كلما كانت أكثر فهماً وإدراكاً ومقاومة للإيحاءات والتأثيرات السلبية التي قد ينقلها الاتصال بالعالم الخارجي.

د-على المستوى السياسي

نستطيع أن نقول أن التعليم العالي هو أفضل طريق لوصول المرأة لمراكز صنع القرار، حيث أن الوظائف العليا تتطلب مستوى تعليمي عالي، و بالتالي عدم التحاقها بالتعليم العالي يقلص حظوظها في ذلك، "كما أنها تكتسب وعياً بحقوقها من خلال تعرفها على الاتفاقيات والمعاهدات والتشريعات الدولية والإقليمية والمحلية المعنية بحقوق المرأة وأهمها حقها في المشاركة في صنع القرار"¹⁶، "واستكشاف الفرص المتاحة في التحولات الهيكلية التي يشهدها المجتمع الدولي وفي مقدمتها العولمة وما يرتبط بها من ثورة في عالم تكنولوجيا الاتصال والمعلومات و التي يمكن تعظيم الجوانب الايجابية بها ذات الصلة بالمرأة مما يعكس في نهاية المطاف على وضع تنمية المرأة وتوسيع فرص الحياة لديها"¹⁷.

2-3-تحديات التعليم العالي للمرأة و التعليم عن بعد كبديل غير تقليدي للاستمرار

ما يميز التعليم عن بعد "استجابته إلى عدد من مبادئ التعلّم الإنساني الحديثة مثل الدافعية للتعلم والمرونة في بيئة التعلم ومراعاة أساليب تعلم الأفراد وارتباط التعلّم بحاجات الأفراد الوظيفي والشخصية والاجتماعية وقدرته على تسهيل فرص التعلّم للموظفين والعمال وكبار السن وربات البيوت"¹⁸. كذلك من مزايا التعليم عن بعد هو عدم التقيد بالمكان والزمان بأي شكل من الأشكال إذ يمكن أن تتم العملية التعليمية التعلّمية في أي مكان وذلك باستخدام الوسائل التعليمية الحديثة، هذا

¹⁵ - <https://www.noonpost.org/content/17012->

¹⁶ - مركز ابداع -تحديات تعليم المرأة، <http://www.teachercc.org/index.php?lang=ar>

¹⁷ نفس المرجع

¹⁸ - نشوان يعقوب حسين: ادارة التعليم عن بعد والتعليم الجامعي، دار الفرقان، عمان، 2004، ص، 27.

ما يجعله النمط الملائم للمرأة، وبذلك تكون قادرة على التوفيق بين متطلبات الأسرة و المجتمع و بين طموحها في مواصلة دراستها .

ورغم رغبة أغلبية الفتيات في مواصلة التعليم العالي إلا أنهن يصطدن بمجموعة من التحديات والتي تختلف من فتاة إلى أخرى و فيما يلي أهم المعوقات التي غالباً يكون فيها الأنسب بالنسبة للمرأة التعليم عن بُعد ، واستبعاد فكرة الدراسة بالمعنى التقليدي في الخارج :

2-3-1 المعوقات الاجتماعية و الثقافية:

الضغوط الاجتماعية و الثقافية تمثل الحاجز الأقوى، حيث أن أهم مشكلة تواجه المرأة في تعليمها العالي هو قضية تأخر سن الزواج ،ويبدو أن هناك انقسام ما بين من يرى أن مواصلة المرأة لتعليمها له اثار على وضعيتها الاجتماعية مستقبلا ،إذ تقل فرصهن في الزواج كونهن تعدين السن المقبول اجتماعيا للزواج ويهددها بالعنوسة ،لذا تفضل الكثير من الفتيات الزواج على استكمال دراستها ،وهناك من يشجع الفتاة على الالتزام بالدراسة الجامعية، حتى تؤمن مستقبلها وتحصل على المستوى التعليمي والثقافي الكافيين لمواكبة حداثة هذا العصر، وفي الجانب الآخر هناك من يرى أنه لا داع من أن تتأخر الفتاة عن الزواج، حيث يمكنها أن تتزوج أثناء دراستها الجامعية، لما يوفره لها الزواج من استقرار نفسي و عاطفي، مع إمكانية التوفيق بين التزامات الحياة العائلية وصعوبة المتطلبات الجامعية هذا فضلا عن الأعباء الاسرية للفتاة العازية أو المتزوجة على السواء حيث "أن الموروث الثقافي لمجتمعنا يجعل من العمل المنزلي من الأدوار الرئيسية للمرأة"¹⁹ مهما بلغت من درجة في العلم .

وحتى أن تزوجت المرأة أثناء دراستها الجامعية نجد أن "من أهم المعضلات التي تواجهها - التي تظهر أثناء ممارستها لحياتها العملية- مشكلة صراع الأدوار الاجتماعية التي تتجسد في التعارض بين النشاطات الدراسية والنشاطات الاجتماعية خارج الأسرة من جهة، وبين حياتها الزوجية والأسرية من مهام الأمومة والرعاية والأعمال المنزلية من جهة أخرى"²⁰، فمع بداية الحياة الزوجية، حيث الانتقال إلى عالم الزواج يزيد من مهام الطالبة المتزوجة، ويضع على عاتقها مسؤوليات والتزامات ومطالب عدة لم تكن تزاولها من قبل. كما يبدأ الضغط المؤدي إلى الانشغال وعدم توفر الوقت الكافي؛ للجمع بين الأدوار الدراسية وبين مهامها المنوطة بها كزوجة، وقد تؤثر هذه الصراعات التي تعاني منها الطالبة المتزوجة في توافقها الزوجي²¹؛ لاضطرابها، وتوترها أو على مستواها الدراسي.

19 - مي ربحاني : استراتيجيات تعليم الإناث في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مكتب اليونسكو الإقليمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الأردن، 1993، ص20

20 - سناء محمد سايمان، التوافق الزوجي واستقرار الأسرة من منظور إسلامي . نفسي . إجتماعي، عالم الكتب للنشر، الطبعة الاولى، 2000 القاهرة، ص14

21 نفس المرجع، ص15

2-3-2 المعوقات المادية:

نظرا لارتفاع كلفة التعليم (التقليديين) أوجد هذا تحديًا اقتصاديًا وتربويًا فالأوضاع الاقتصادية في البلدان النامية تقف عائقًا أمام بعض شرائح المواطنين من مواصلة التعليم، وتلعب الموروثات الثقافية دورًا في إعطاء الأولوية للذكور على الإناث في مواصلة التعليم عندما يتعلق الأمر بالوضع المادي، ولذلك فإن التعليم عن بعد يساعد المرأة على تعويض ما فاتها و يتيح لها فرصة إكمال تعليمها، وساعد أيضا البلدان الفقيرة من إمكانية تعليم أعداد كبيرة بتكاليف منخفضة.

2-3-3 المعوقات الجغرافية²²:

تعد المبررات الجغرافية من أهم المبررات التي تحتم الأخذ بالتعليم عن بعد ومن هذه المبررات بعد موقع الطالبة عن المؤسسة التعليمية العالي كالمناطق الريفية و النائية، وحتى لو كانت المؤسسات قريبة فان بعض التخصصات التي ترغب فيها المرأة غير متوفرة بالمؤسسة المحلية مما يحتم عليها التنقل لجامعة بعيدة عن مكان إقامتها و هو أمر غير متاح للجميع الفتيات. ومن ثم فإن استخدام وسائل الاتصالات الحديثة في نقل التعليم المهني إليهم يجعلهم قادرين على تنمية وتطوير قدراتهم ومواكبة المستجدات العلمية.

2-3-4 المعوقات النفسية²³

من المعلوم أن الفرد في سلوكه محكوم بالعديد من العوامل النفسية، فقد يظهر بعض الدارسين ضعفاً في التعلم التقليدي نتيجة لوجودهم في مجموعات كبيرة أو في مجموعات صغيرة وبعض الدارسين يشعر بالحرَج الشديد واليأس نتيجة عدم مجاراتهم لزملائهم المتفوقين وهناك عدد من العوامل النفسية الأخرى التي تساهم في إفقاد المتعلم ثقته بنفسه وبقدرته على التعلم التقليدي مما يجعله يفكر في ترك الدراسة، ولقد بينت الدراسات على أن شعور الدارس بعدم قدرته على الاستمرار في التعليم هو من أهم أسباب التسرب والفسل الدراسي. وإذا نظرنا إلى التعليم عن بعد فإننا نجد انه بإتاحته الفرصة للمتعلم الذي لم يتمكن من الاستمرار في التعليم بالتعلم الذاتي وبسرعته الخاصة وفي الوقت المناسب فإن ذلك يخلصه من رواسب الفشل الذي تولد لديه في الأنظمة التقليدية، وهناك العديد من المشكلات النفسية التي تمنع الدارسين من الاستمرار في الدراسة في التعليم التقليدي، نجد أن التعليم عن بعد يوفر الحلول المناسبة لها.

22 - صلاح عايد الشهران وآخرون: تطوير التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الجامعات العربية، دراسة بحثية مقدمة للمؤتمر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وإدارة التربية، 2014، ص 48-

23 - صلاح عايد الشهران وآخرون: تطوير التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الجامعات العربية، دراسة بحثية مقدمة للمؤتمر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وإدارة التربية، 2014، ص 51.

كما أن التطور المطرد في وسائل الاتصالات قد سهل مهمة التعليم عن بعد حيث تستخدم في التقنيات التكوينية والتعليمية على نطاق واسع والتي تعد نتيجة وانعكاسا للتطور العلمي والتقني الحاصل في العالم، ومن ثم وفرت هذه التقنيات المتطورة للدارس فرصة أكبر للتعلم وأصبح التعليم عن بعد أمرًا مهمًا لمواكبة عصر العولمة والتكنولوجيا والتقدم العلمي، فأنشئت شبكات التعلم عن بعد في العديد من دول العالم وفي كافة التخصصات كالهندسة والعلوم الإدارية وغيرها.

خاتمة

يعد التعليم عن بعد من أهم هذه الأساليب التي تساعد الإنسان الفرد والمجتمع على النهوض وتحقيق أهداف التقدم والرقي ومواكبة العصر، فالتعليم عن بعد لم يعد مجرد ضرورة من ضرورات مواجهة التغيير المتسارع، بل إنه يسهم في حل كثير من المشكلات وتلافي جوانب القصور الناتجة عن تلبية متطلبات واحتياجات الحياة المعاصرة من التعليم والتدريب والتثقيف في ضوء الأنماط الحديثة من التعليم النظامي وغير النظامي.

وتواجه المرأة مجموعة من التحديات في مواصلة تعليمها العالي بالأساليب التقليدية، لذا لا بد من البحث عن أنماط جديدة في التعليم تتخطى تلك المعوقات.

ويتيح نظام التعليم عن بعد للمرأة والأم إكمال تعليمها العالي بكل سهولة ويسر عبر التقنيات التربوية وفي الأوقات التي تناسبها، واستخدام التعليم عن بعد في التعليم الجامعي يزيل معوقات خروجها من البيت والانتظام في الصفوف الجامعية، وإذا أصبح بالإمكان الوصول بالتعليم إلى البيوت فإن الإقبال على الالتحاق بالتعليم سيزداد، ومن ثم يصبح التعليم عن بعد هو الأسلوب الأمثل لإزالة المعوقات أمام المرأة.

قائمة المراجع

1. الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، الأجزاء 2، 1، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية. 2005.
2. UNESCO
3. -د. علي عزوز، دور مدير المخبر و المجلس العلمي في ديناميكية المخبر، الملتقى الوطني حول آفاق الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة الجزائرية أيام 23-24-25-26 . ، 2012.
4. العبادي هاشم فوزي، إدارة التعليم الجامعي، مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، الأردن .
5. ، وليد سالم محمد الحلفاوي، مستحدثات تكنولوجيا التعليم في عصر المعلوماتية، الطبعة الأولى، دار الفكر، الأردن.
6. عبد الحميد محمد: نظرة عن قرب للتعلم عن بعد، مجلة القافلة، العدد55، مارس2002.
7. توفيق عبد الرحمن: التدريب عن بعد، ط2، مركز الخبرات المهنية للإدارة، القاهرة، 2003.
8. أحمد فهيم بدر: تكنولوجيا التدريب عن بعد، ط1، السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.
9. بادي سوهام: سياسات واستراتيجيات توظيف تكنولوجيا المعلومات في التعليم، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسم علم المكتبات، 2004 .
10. حنان سليمان الزنبقي: التدريب الإلكتروني، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2011.
11. نشوان يعقوب حسين: إدارة التعليم عن بعد والتعليم الجامعي، دار الفرقان، عمان، 2004
12. مي ربحاني : استراتيجيات تعليم الإناث في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، مكتب اليونسكو الإقليمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الأردن، 1993،
13. سناء محمد سايمان، التوافق الزوجي واستقرار الأسرة من منظور إسلامي . نفسي . إجتماعي، عالم الكتب للنشر، الطبعة الأولى، 2000 القاهرة .
14. صلاح عايد الشهران وآخرون: تطوير التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الجامعات العربية، دراسة بحثية مقدمة للمؤتمر 14 للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وإدارة التربية، 2014،
15. صلاح عايد الشهران وآخرون: تطوير التعليم المفتوح والتعليم عن بعد في الجامعات العربية، دراسة بحثية مقدمة للمؤتمر 14 للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وإدارة التربية
16. حسين عبد اللطيف بعارة، ماجد محمد الخطايبية، 1 الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، ترجمة، دار الشروق للنشر و التوزيع، الأردن، 2000 .
17. شريفة بنت خلفان اليحيائية، التعليم وتمكين المرأة الخليجية: المواطنة الناقصة، للمركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، 2017، الدوحة، قطر،
18. احمد السيد الكردي ،مقالة بعنوان :دور المرأة في تنمية المجتمع ،
<http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/312909>
19. -بدور بنت عبد الرحمن ،عوائد التعليم العالي
http://www.aleqt.com/2013/11/11/article_798996.htm
20. <https://www.noonpost.org/content/17>
21. مركز ابداع -تحديات تعليم المرأة ،
<http://www.teachercc.org/index.php?lang=ar>

المكوّن البلاغي في البحث اللساني الحديث

د. محمد كمال بلخوان
المدرسة العليا للأساتذة مستغانم

الملخص:

يسعى هذا المقال إلى البحث في كيفية استثمار الفكر اللساني الحديث لإمكانات البلاغة القديمة، سواء بالنسبة للسانيات الغربية وعلاقتها بالبلاغة اليونانية أو اللسانيات العربية وعلاقتها بالتراث البلاغي العربي القديم، وقد تجلت ملامح الاستحضار بداية في الاتجاه الذي سلكته مدرسة جنيف اللسانية مع رائدها " شارل بالي " وكيف استثمر فكر أستاذه سوسير من جهة، واستحضار البلاغة القديمة من جهة ثانية لبناء ما عرف في اللسانيات بالأسلوبية التعبيرية. وتعرضنا في الجزء الثاني من هذا المقال لما عرف بلسانيات النص وحاولنا الوقوف عند إجراءات البلاغة القديمة وكيف استثمرت في بناء النص لسانيا.

الكلمات المفتاحية:

البلاغة القديمة، اللسانيات الغربية والعربية، الأسلوبية، علم النص.

Résumé:

Dans cet article, nous allons élaborer les aspects de la rhétorique classique dans les linguistiques occidentale et arabe contemporaines.

Nous commencerons par l'effet des concepts de linguistique Saussurienne et recherches rhétorique grec dans les différentes écoles, Ecole de Genève qui a élaboré ses recherches dans la stylistique; ainsi que les mêmes aspects dans la linguistique textuelle relative à la structure des textes. Et effet de linguistique occidentale sur la linguistique Arabe contemporaine.

Mots clé:

Rethorique- Linguistique- Stylistique. linguistique textuelle.

حظيت اللغة منذ زمن غير قريب بالاهتمام والدراسة من اللغويين والفلاسفة على السواء، وفي مختلف المحطات الحضارية التي عرفت الإنسانية في سيرورتها التطورية؛ استنتقوا أصواتها ونحوها وبلاغتها ودلالة ألفاظها، ومع انقضاء القرون وبروز حضارات جديدة واندثار أخرى تراكمت في قاع الفكر اللغوي الإنساني جهود متنوّعة بتنوّع الحضارات حول طبيعة اللغة؛ حتى شهد القرن التاسع عشر تحولا منهجيا بارزا في تناول الظاهرة اللسانية مع سوسير، وما فتئ يتطور البحث اللغوي ويكتسح مختلف الميادين العلمية الموازية دون إهمال لذلك التراكم المعرفي التي عرفت الحضارات السابقة، بل راحت مختلف الاتجاهات اللسانية تستحضر وتستثمر ذلك التراكم وتعيد صياغته صياغة تتلاءم ومنهج تتناول الظاهرة اللسانية.

إنّ أيّ علم يتخذ جانبا من جوانب اللغة البشرية موضوعا له، فإنه يفتح بذلك حدوده المنهجية والمعرفية على علوم أخرى وتنشأ بينهما وشائج وعلاقات تُملئها عادة الضرورة المنهجية، فحين أزال اللسانيات اللثام عن موضوعها ومنهجها هيأت لنفسها قابلية إقامة علاقات معرفية مع علوم أخرى تعددت وتنوّعت بحسب امتداد التفكير اللساني وتوسّعه،

يقول عبد السلام المسدي: ((أما المسوّغ الثاني الذي أعطى البحث اللغوي القدرة على الامتداد الشامل فهو أنّ علم اللسانيات منذ أن اكتشف وقوع اللغة في مفترق المسالك العلمية المتعدّدة، والمتباينة أحيانا في مجال اهتمامها، عمل على إرساء مبدأ التضافر بين العلوم وترسيخ سنن التكامل بين الاختصاصات المختلفة))¹.

وإذا كنا نبحت في هذا المقام في المكوّن البلاغي في البحث اللساني الحديث؛ فإننا بحكم المسار المعرفي والمنهجي للبحث نقف عند البلاغة العربية في ضوء سياقها الحضاري العربي وتضافرها المعرفي مع العلوم اللغوية المختلفة، ثم نعرّج نحو الانجازات التي حققتها اللسانيات إن على مستوى التنظير أو الإجراء، وكيف استطاعت نسج شبكة من العلاقات تجاوزت بها حدود المعرفة في العلوم الإنسانية إلى العلوم التطبيقية، ثم كيف استثمر البحث اللساني الغربي أو العربي على السواء الإجراءات البلاغية القديمة في إعادة هيكلة البحث اللساني الحديث التي ما فتئ تجدد في كل حين.

البلاغة العربية وتضافر العلوم:

بدأ المسار الطبيعي للبلاغة العربية من المنظور الحضاري بالنقد التطبيقي قبل مرحلة التأسيس النظري والعلمي، والتي تميّزت إذ ذاك بجملة من الخصائص نوجزها في الاحتكام إلى ذات ناقدة ورصد للخلل الفني أو المعرفي وأخيرا المفاضلة أو التفسير، وما فتئ يمتدّ هذا التوجّه حتى ظهر في القرن الثالث الهجري في شكل موازنات وخصومات يقول الدكتور محمد العمري: ((وقد ارتبط هذا النقد التطبيقي بالمفاضلات والموازنات بين الشعراء وأنصارهم. وصلت هذه الخصومات درجة الاصطفااف المذهبي بين القدماء والمحدثين في القرن الثالث الهجري فبدأت تظهر لوائح بألفاظ تصف فعالية الشعر. في شكل كتب سميت بديعا ثم بديعيات))². وهو مذهب يراه محمد العمري عربيا صرفا انطلق من البيئة المعرفية العربية قوامه الوصف والملاحظة والتسمية والتمثيل.

أمّا علاقة البلاغة بعلم النحو؛ فقد تمّ رصد الظواهر البلاغية في نسق المعرفة النحوية بداية في كتاب سيبويه تحت مفهوم التّوسع، حين خرجت هذه الظواهر عن المعيار النحوي الصارم فصارت مكوّنا من المكونات البلاغية وعلمها من علومها وهو علم المعاني، يقول محمد العمري: ((قد يبدو غريبا أن تتولّد البلاغة، أو مكوّن من مكوناتها، في مهد النحو وهو نقيضها، أي المعيار الذي تنزاح عنه. ولكن الذي وقع تاريخيا هو أنّ الظواهر البلاغية وقفت، في وقت مبكر، في وجه الصرامة العلمية التي نُعت بها القياس النحوي واطراد القواعد))³.

بدأت علاقة البلاغة بالنص القرآني في شكل مكوّن من مكوّنات الإعجاز ثم أضحت بعد زمن المكوّن الأساس والأصيل لمباحث الإعجاز كلّها، فانصرف ثلّة من علماء العربية إلى البحث في الإعجاز البلاغي في القرآن، كالرمانى والباقلاني والقاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني، وإن اختلفت مذاهبهم ومناهجهم في إبراز أسرار الإعجاز إلا أنهم يقرّون بأهمية الجانب اللغوي على مظاهر الإعجاز الأخرى؛ فنجد عبد القاهر يخصص للإعجاز البلاغي مؤلفا ضخما " دلائل الإعجاز " ولوجوه الإعجاز الأخرى " الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز.

كما دخلت البلاغة العربية ساحة الصراع الفكري حين توسل بها المتكلمون والإعجازيون للرد على الطعون التي لاحقت النصّ القرآني، وتجلت ملامح هذا التوجه في كتاب " تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، وكتاب " تنزيه القرآن عن المطاعن لصاحبه قاضي عبد الجبار.

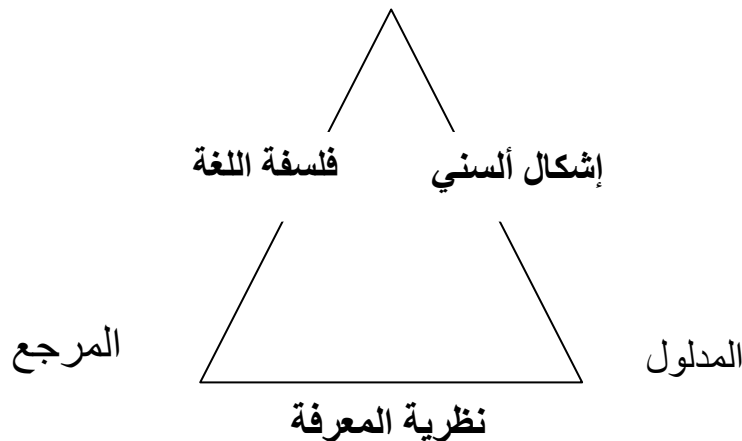
في مرحلة من مراحل تطوّر البلاغة العربية تسلّلت إليها بعض المفاهيم البلاغة اليونانية أثناء محاولة قراءة الفكر اللغوي الأرسطي، وتجلّت في البحث عن القوانين والكليات وتطعيمها بأمثلة عربية، وظهر مفهوم المحاكاة عند ثلة من الفلاسفة كالفارابي وابن سينا وابن رشد.

يمكن الجزم بما تمّ رصده من تحولات التي شهدتها البلاغة العربية، أنّها سعت إلى الإحاطة بمختلف العلوم العربية والشرعية واستيعابها، يقول محمد العمري عن مسار البلاغة العربية: ((إنّ البلاغة في سعيها لابتلاع كل شيء تجده أمامها، قد ابتلعت أشياء كثيرة عسيرة الهضم. وهذا ما وقع لجميع الأباطوريات في التاريخ القديم والحديث))⁴

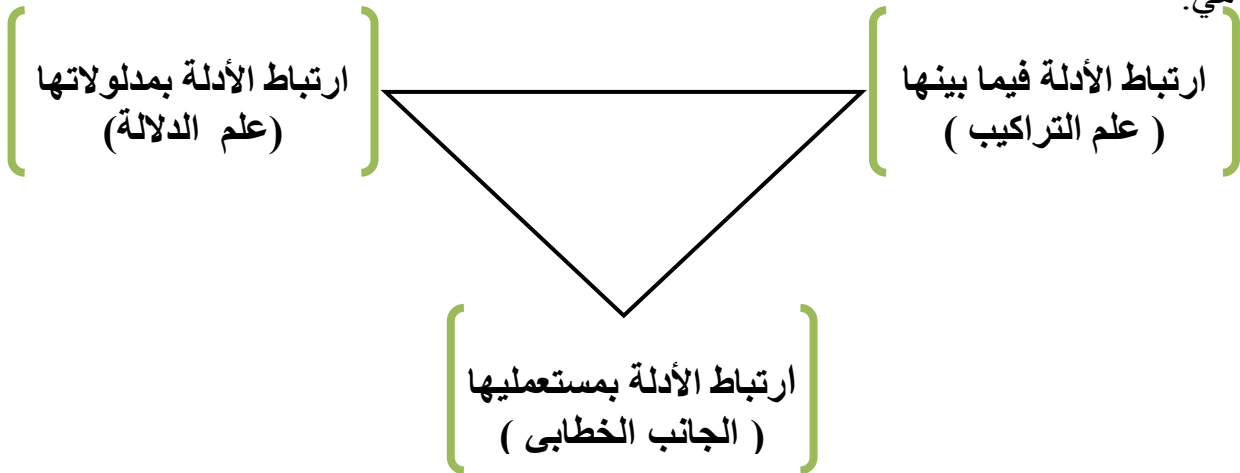
اللسانيات الغربية والعربية:

أحدث كتاب دي سوسير " دروس في الألسنية " انعطافا معرفيا بارزا رسم به صاد به ملامح جديدة في تناول الظاهرة اللغوية، بدأ بتحديد المنهج العلمي في دراسة اللسان البشري بعدما سيطر المنهج التاريخي على الدراسات اللغوية، كما استطاع صياغة منظومة مصطلحية حدّدت فيما بعد ملامح البحث اللساني العالمي؛ مثل التفريق بين اللغة واللسان والكلام، العلامة، الدال والمدول، الدياتروني والسانكروني، فأضحت هذه المفاهيم أصولا في البحث اللساني وموقف هؤلاء اللسانيون منها هو الذي حدّد التيارات اللسانية التي ظهرت بعد ذلك؛ يقول: محمد محمد يونس علي: ((تتحكّم الأصول الأنطولوجيا والإبستمولوجية إلى حدّ كبير في تشكيل الاتجاهات اللسانية، وكثيرا ما يعود الاختلاف المنهجي بين اللسانيين إلى موقفهم من هذه الأصول))⁵ كما أفرزت طبيعة العلاقة بين هذه الأصول نظاما منهجيا ومعرفيا مختلفا في تناول الظاهرة اللغوية؛ مثل الاهتمام بالعلاقة القائمة بين الدال والمدول أو العلاقة القائمة بين الدال والمرجع أو العلاقة بين المدلول والمرجع. يقول عبد السلام المسدي في ضوء هذه المعادلة: ((إذا كان تفاعل الدال مع المدلول يفضي إلى إشكال ألسني عام فإنّ تفاعل الدال مع المرجع أي الحدث الألسني الصرف مع الأشياء الخارجية يفضي إلى فلسفة اللغة وأما تفاعل المدلول - أي المتصورات الذهنية المجردة مع حقائق الأشياء - فإنه يفضي رأسا إلى نظرية المعرفة))⁶.

الدال



بالإضافة إلى هذا التيار برز تيار فلاسفة اللغة الذي استثمروا فكر أوجدن وريتشارد وبيرس وموريس، حتى غدا البحث في الظاهرة اللغوية بحثاً في المنطق والفلسفة فظهر الاهتمام بعلم التخاطب يقول الحاج صالح: ((وظهر الاهتمام بظواهر التخاطب كموضوع علمي- أول ما ظهر - لا عند اللسانيين بل عند بعض فلاسفة اللغة الأمريكيين ومنهم مؤسس لعلم السيمياء (Semiotics) وموضوعه الدراسة العلمية للأدلة (أيا كان نوعها) وهو شارل سنديرس بيرس (Charles Sanders Peirce)).⁷ وأفرزت هذه الجهود ثلاثية معرفية هي:



أمّا فيما يخصّ اللسانيات في الوطن العربي، فقد عرفت تذبذباً وتأخراً قبل أن يستتب لها المقام في البحث اللساني العربي الحديث، نظراً لبعض العوائق الحضارية والنفسية والمنهجية التي اعترضت انتشارها وتمكّنها في العلوم اللغوية خاصة والإنسانية عامة. ويمكن لأيّ رصد معرفي لواقع اللسانيات في البحث اللغوي العربي الحديث أن يدرك أن اللسانيات العربية اختصرت أبعادها المعرفية في بعدين أساسيين أولهما تلقي اللسانيات الغربية بكل حمولتها الأنطولوجية والإبستمولوجية، وثانيهما إعادة التراث اللغوي العربي بكل تجاذباته الفكرية والمنهجية. فذهب فريق من الباحثين استثمار النظرية اللسانية الغربية وتطبيق إجراءاتها على اللسان العربي، يقول الدكتور مصطفى غلفان: ((فإتّنا لا نرى ما يمنع من تطبيقها على اللسان العربي أو أيّ لسان آخر خارج نطاق الألسن الأوروبية المعروفة مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية))⁸.

المكوّن البلاغي في البحث اللساني:

تبيّن مما تمّ رصده سلفاً أنّ البحث اللساني الغربي استثمر في مساره التطوّري آراء كل أوجدن وريتشارد وبيرس السيميائية فأفرز تياراً لغوياً يهتم بفلسفة اللغة من جهة؛ وتياراً لسانياً آخر اتخذ من فكر سوسير اللغوي مكتأ سواء بالنقد أو التطوير. بالإضافة إلى أنّ كلا من التيارين قد استثمر الجهود اللغوية عند اليونان والإغريق، يقول محمد العمري في هذا السياق: ((ولذلك بدأ المحققون المدققون من الباحثين في مجال التداول الحجاجي (منطق الحجاج) و"نظرية الأدب و"علم النص" يكتشفون أنّ ما يبحثون عنه، في تناولهم لشتى أنواع الخطابات الاحتمالية المؤثرة، موجود في علم عتيق أصابه الإهمال حتى تلاشت معالمه، هذا العلم هو البلاغة.))⁹

وإذا كان الإعلان عن ميلاد لسانيات سوسير هو في ذات الوقت إعلان عن قطيعة منهجية رفع لواءها الألسنيون مع ما قبل اللسانيات العامة، فإنّ الغوص في أعماق البحث اللغوي من حيث علاقة الدوال بمدلولاتها أو الدوال فيما بينها أو علاقتها بمستعملها جعل البحث اللساني في عمومه يطرح إشكالات قد أثّرت قديماً وبصيغ مختلفة الركون إليها وإعادة بعثها يقول محمد العمري في هذا السياق: ((وقد برهنت هذه العودة النشيطة للبلاغة على أنّها تجيب عن أسئلة لا يمكن للمداخل العلمية الأخرى أن تجيب عنها. إنّ البلاغة لا يمكن أن تتغير جلدتها، ولكنها لا تختفي إلا لتظهر في لباس جديد.))¹⁰

أمّا بالنسبة للسانيات العربية فقد حاول بعض أعلامها استثمار جهود العرب في البحث بكل مستوياته الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية والبلاغية إنّ على المستوى التنظير أو الإجراء. يقول محمد العمري: ((فمن خلال الاطلاع على الجهود الحديثة التي بذلت، منذ منتصف القرن الماضي، من قبل المشتغلين باللغة والخطاب من اللسانيين (ياكوبسون مثلاً) والمناطقية (بيرلمان مثلاً) بدأنا ننتبه للمكوّن المهمل من تراثنا البلاغي، ذلك المكوّن الذي غطاه الصدا واختلط تبره بترايه. وعلى هذا الأساس أعدنا الاعتبار للبعد الحجاجي الإقناعي والمعرفي العام للبلاغة العربية.))¹¹

أمّا البحث في المكوّن البلاغي - البلاغة العربية - في البحث اللساني العربي فإنّه يتحتم علينا منهجياً ومعرفياً النظر إلى البلاغة العربية ككل متكامل بكل أبعادها بداية بالملاحظات الأولى في طبيعة الصورة ثم البديعيات والبلاغة الإعجازية ومنهج المفسرين في تفسير القرآن بلاغياً، وتأثير الاتجاه الفلسفي في البلاغة ثم جهود علماء الكلام في التوسل بالبلاغة للدفاع عن مذهبهم.

البلاغة والأسلوبية:

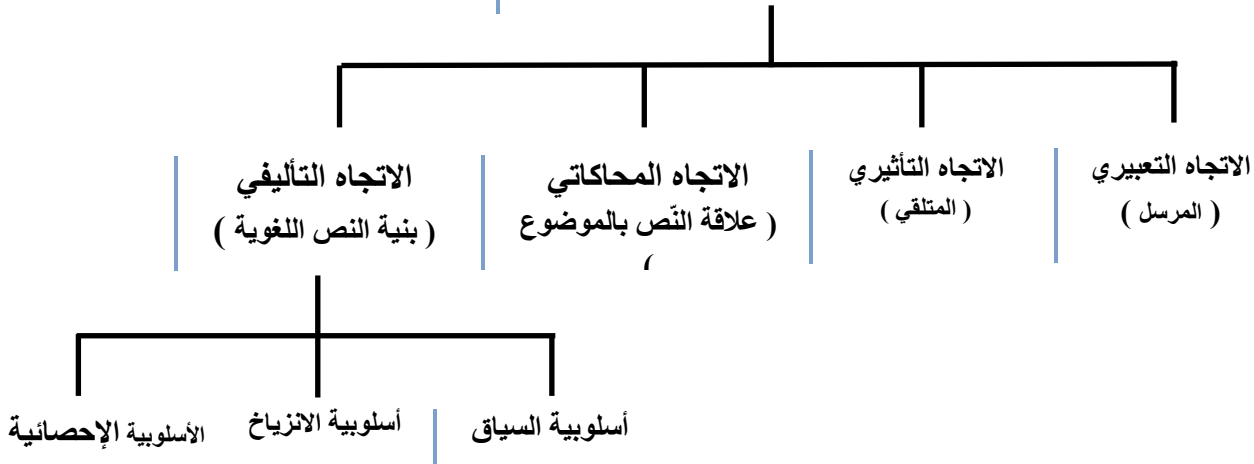
يدين الاتجاه الأسلوبي في ظهوره إلى جهود مدرسة جنيف "شارل بالي وألبرت سيشهاي" التي انصرفت إلى شرح آراء أستاذها سوسير ونشرها، إذ قام الاتجاه على استثمار فكر سوسير فإنه بالتوازي استحضر الإجراء البلاغية القديمة.

وبعد زمن غير كثير بدأت تظهر بوادر استقلاليتهما عن التبعية المعرفية والمنهجية لفكر أستاذهما. فرسم "بالي" ملامح القطيعة باتخاذ الكلام من ثنائية سوسير موضوعاً للبحث الأسلوبي يقول مصطفى غلفان: ((ولم يتردد بالي في إبراز الجوانب التي اختلف فيها مع سوسير نتيجة تمييزه الصارم بين اللسان والكلام. واعتبر بالي أنّ سوسير أهمل العناصر الانفعالية والعاطفية المتغلّطة في الظاهرة اللغوية))¹² وقد أدى الاهتمام بلغة الفرد عند "بالي" والمكوّن الانفعالي في العملية التلّظية إلى ظهور الأسلوبية التعبيرية. والتي تهتم برصد الإنجاز اللغوي والتعبير الانفعالي عند الفرد المتكلم. هذا من جهة الموضوع أمّا من حيث الإجراء في أسلوبية "بالي" فقد استحضر بعض المفاهيم البلاغية اليونانية في تحليله للجملة وهما مفهوم المقولة والجهة؛ يقول الدكتور مصطفى غلفان: ((ومن الأفكار الجديدة التي تعدّ بمثابة استثمار لبعض المفاهيم البلاغية والمنطقية الموروثة عن التقاليد الفلسفية اليونانية تحليل بالي الجملة إلى مكوّنين أساسيين هما: المَقُول Dictum الجهة

¹³((Modus

فالمقولة في عرف الفلسفة هي المحتوى القضوي للمنطوق أمّا الجهة فترتبط بالجانب النفسي للمتكلم وموقفه من القضية المعبر عنها أو الفكرة التي يريد إيصالها.

ومع التطور السريع الذي شهده البحث اللساني الغربي فقد امتد إلى المنهج الأسلوبي فظهرت تيارات مختلفة ومتعددة يقول عبد السلام المسدي: ((وإذا فحص الباحث ما تراكم من تراث التفكير الأسلوبي وشقّه بمقطع عمودي يخرق طبقاته الزمنية اكتشف أنه يقوم على ركح ثلاثي دعائمه هي المخاطب والمخاطب والخطاب، وليس من نظرية في تحديد الأسلوب إلا اعتمدت أصوليا إحدى هذه الركائز الثلاث أو ثلاثتها متعاضة متفاعلة))¹⁴، تحيل هذه المقولة في جوهرها إلى الاتجاهات التي عرفت الأسلوبية في مسارها التطوري، وتستبين من خلال الاتجاهات الأسلوبية في ضوء نموذج التواصل



وإذا ما رمنا البحث عن ملامح اهتمام بالمرسل أو المتلقي في المنجز البلاغي العربي نجد أنفسنا أمام شبكة معقدة من الظواهر ترتبط أساسا بعملية إرادة المتكلم وقرضه من العملية التلفظية منذ أبو عبيدة في مجازة إلى السكاكي في مفتاحه، ومدار الحديث حول قدرة المتكلم على إيصال المعنى وبراعة المتلقي في فك رموز المعنى ومعنى المعنى. حتى وجدنا ملامح عناصر التواصل في تعريف الرماني للبلاغة حيث يقول: ((وليست البلاغة إفهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيي؛ ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى. لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف. وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة في اللفظ))¹⁶

فإيصال المعنى يتطلب من المرسل قدرة لا على الإفهام فحسب وتحقيق اللفظ على المعنى بل إيصالها إلى قلب السامع، وهو محط الإقناع والتأثير متوسلا بإمكانات اللغة المتعددة وهي عنده أحسن صورة للفظ. كما تحيل صحيفة بشر بن المعتز ضمنا إلى الاتجاهات التي عرفت الأسلوبية يقول: ((وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))¹⁷

وإذا حاولنا أن نمذّ الجسور بين التراكم المعرفي في البحث الأسلوبي الحديث بكل اتجاهاته وإجراءاته بالمنجز التراثي العربي نلفي كتاب دلائل الإعجاز أنموذجا تراثيا أولى صاحبه الظاهرة الأسلوبية أهمية كبرى من حيث التنظير والإجراء. وقد تقرّر عند ثلثة من الباحثين العرب أنّ عبد القاهر أدرك ضمنا الحدود الفاصلة بين الظاهرة اللغوية والظاهرة الكلامية مما جعل كتاب " دلائل الإعجاز " مدونة أسلوبية بامتياز، يقول محمد كريم الكواز

في كتابه " علم الأسلوب مفاهيم وتطبيقات ": ((أن عبد القاهر كان على وعي تام بالفارق بين (اللغة) و(الكلام)، ذلك الفارق الذي أرسى دعائمه العالم السويسري دي سوسير، فقوانين النحو ومعاني الألفاظ تمثل عند عبد القاهر (النظام) اللغوي القار في وعي الجماعة، الذي تقوم اللغة على أساسه بالوظيفة الاتصالية؛ أمّا الكلام فهو التحقق الفعلي لهذه القوانين في حدث كلامي معين))¹⁸

أمّا فيما يتعلّق بالاتجاه التألّيفي أي من حيث سياق النص وظاهرة الانزياح والإحصاء، فإن التفكير اللساني عند العرب انطلق في أساسه من النصّ أولاً - النصّ القرآني والشعري- ومن ظاهرة انزياحية ثانياً - الدافع في تأليف كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة بن المثنى - كما تجلّى الجانب الإحصائي في الجهود التي قام بها علماء العربية في حصر الأساليب والصيغ التي أنتجت البحث النحوي والمعجمي، يقول الحاج صالح عبد الرحمن: ((وقد أحصى العلماء كل الخاصيات اللغوية في استعمال العرب لها من خلال ما سمعوه كجميع الأوزان وجميع أنواع التراكيب وغير ذلك. وهذا دليل واضح على تمسك العلماء القدامى بالتصّحح الكيفي والكمي الواسع للمسموع.....وعلى هذا فكل سماع أيّ كان يلازمه تحليل إحصائي.))¹⁹

إذا حاولنا أن نبحت في علاقة الأسلوبية بالبلاغة القديمة نجدها - حسب النصوص - تميّزت بتوتر معرفي تميل مرّة إلى التوحد حتى نظنهما علماً واحداً ومرّة أخرى إلى التفرّق وكأننا بين نسقين معرفيين متنافرين، يقول هنريش بليث عن علاقة البلاغة بالأسلوبية: ((تقييم البلاغة والأسلوبية، منذ زمن، علاقات وطيدة: تتقلّص الأسلوبية أحياناً حتى لا تعدو أن تكون جزءاً من نموذج التواصل البلاغي، وتنفصل أحياناً عن هذا النموذج وتتسع حتى لتكاد تمثل البلاغة كلّها باعتبارها " بلاغة مختزلة "))²⁰

يمكن القول في إطار بحثنا هذا أنّ البلاغة العربية بكل اتجاهاتها المختلفة تعتبر المكون الأساس في التيار الأسلوبي الحديث (العربي)، وقد استقرت عند بعضهم المعادلة التالية: الأسلوبية = بلاغة + تواصل، فللبلاغة حق الذكر من ميراث البحث الأسلوبي الغربي أو العربي على السواء.

البلاغة ولسانيات النصّ:

بدأ الاهتمام بالنصّ في الربع الثالث من القرن العشرين باعتباره أصغر وحدة يمكن رصدها وتحليلها، بعدما انصرف علم الدلالة لدراسة الجملة. وقد ظهرت تعريفات متعدّدة ومختلفة للنصّ بتعدد الاتجاهات اللسانية، كما اتجهت لسانيات النصّ إلى البحث في علوم اللغة الموازية لتكشف عن أرصدها المودعة في أنساقها، فظهر البحث في نحو النصّ وبلاغة الخطاب، يقول فان ديك عن علاقة علم النصّ بالبلاغة: ((فإنّ علم النصّ يدرس الأقوال اللغوية في كليتها، كما يدرس الأشكال والبيّنات الخاصة بها تلك التي لا يمكن وصفها بواسطة النحو، من هذه الزاوية يقترب علم النصّ من البلاغة بل اعتباره ممثلاً معاصراً (عصرياً) لها))

إذا تقرّر من خلال هذا النصّ ومن نصوص أخرى ندرك ضمناً وجودها أن البلاغة مكوّن أساس من مكوّنات النصّ، يمكن طرح جملة من الإشكالات تتعلّق بكيف حضور البلاغة في بناء النصّ من الوجهة اللسانية الحديثة؟ وماذا أضافت البلاغة القديمة للبحث اللساني الحديث؟

ونحن نتحسس المدونات والنصوص الغربية المترجمة نجد الطرح التي قدّمه كل من هاليدي ورقية حسن لتماسك النص لا يبتعد كثيرا عن الظواهر البلاغية التي تناولها علماء العرب في مدزراتهم، يقول محمد محمد يونس علي: ((ويتحقّق التماسك في اللغة - كما يذكر هاليداي ورقية حسن- بخمس وسائل، هي: الإحالة reference والإبدال substitution، والحذف ellipsis، والربط conjunction والتماسك المعجمي lexical cohesion))²¹.

استطاعت لسانيات النص صياغة مقاييس علمية تتحكّم في تماسك النص وهي الإحالة والإبدال والحذف والربط والتماسك المعجمي، ونلّف في تراثنا البلاغي عبد القاهر الجرجاني يصيغ نظرية متكاملة تهتم بتماسك النص وهي نظرية النّظم، يقول محمد يونس علي: ((وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني سمة التماسك في النص، فصاغ نظرية متكاملة سماها "النّظم" أكد فيها أهميّة تعلق أجزاء بعضه ببعض مشبّها واضع الكلام بمن يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة، فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة.))²²

فالإحالة في المنظور اللساني الخالص هي العلاقة الدلالية التي يقيمها عنصر لغوي مع غيره من العناصر السابقة أو اللاحقة قصد التماسك، وقد قسّم الباحثان الإحالة إلى قسمين: ((تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين: الإحالة المقامية والإحالة النصية وتتفرّع الثانية إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية))²³. فالإحالة المقامية هي التي ترتبط بالعالم الخارجي والإحالة النصية أو الداخلية فهي تختص بارتباط عنصر لغوي بأخر في النص، ويقسم محمد يونس علي الإحالة إلى: الإحالة الشخصية، ممثلة في الضمائر، والإحالة الإشارية، ممثلة في أسماء الإشارة، والإحالة بأداة التعريف "ال"، والإحالة بالمقارنة أي الموازنة²⁴. وقد عرفت البلاغة العربية الإحالة بمفهومها الحديثة وأدركت في ذات الوقت وظيفتها في تماسك النص وبخاصة عند مفسري القرآن الكريم إذ اعتبروه كتلة دلالية واحدة متماسكة باليات من داخل النص ومن خارجه.

أمّا الإبدال أو الاستبدال فإنّه عملية تتم داخل النص بتعويض عنصر لغوي بأخر من أجل الترابط والتماسك، ويتجلى في اللسان العربي في التكرار سواء لفظي وبتعبير اللسانيات النصية "إعادة العنصر المعجمي نفسه، أو التكرار المعنوي "الترادف" والاسم الشامل؛ ((وهو عبارة عن اسم يحمل أساسا مشتركا بين عدّة أسماء ومن ثم يكون شاملا لها وذلك مثل أسماء الناس، الشخص، الرجل.))²⁵

وقد أشار الدكتور جميل عبد المجيد في كتابه " البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية" إلى المفارقة المنهجية بين معالجة البلاغة العربية لهذه القضايا وبين معالجتها في ضوء اللسانيات النصية. يقول: ((وبداية نشير إلى ثمة مفارقات بين البلاغيين العرب وعلماء لغة النص في معالجة ظاهرة " التكرار " نجعلها فيما يلي:

1. المعالجة العربية معالجة بلاغية وإعجازية صرفة وعند علماء لغة النص معالجة لسانية خالصة.

2. ركزت المعالجة العربية على التقعيد ولم تتجاوز الشاهد (آية أو بيت شعري)، أمّا المعالجة اللسانية فتجاوزت الجملة إلى الفقرة والنص.

3. اختلف علماء البلاغة مع علماء لغة النص في درجة التكرار.))²⁶

أمّا الوسيلة الثالثة التي أشار إليها الباحثان فهي الحذف الذي يشبه إلى حدّ ما الاستبدال إلا أن الاستبدال يبقى أثرا يمكن من خلاله أن نسترشد إلى العلاقة بين المبدل والمبدل منه،

أمّا الاستبدال في الحذف - بتعبير علماء لغة النَّصّ استبدال بالصفّر، يقول الدكتور جميل عبد المجيد: ((بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف، إذ لا يحل محل المحذوف أيّ شيء، ومن ثمّ نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النَّصّ السابق، بتعبير الباحثين)).²⁷

فالحذف من هذا المنطلق خاصية بلاغية لقيت اهتماما واسعا من النحويين والبلاغيين العرب، وقد عالجهما عبد القاهر الجرجاني في ضوء نظرية النظم، يقول في وصفه: ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للفائدة، وتجدر أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين)).²⁸

استحضرت اللسانيات الحديثة الآليات البلاغية القديمة وجعلتها مكونا أساسيا من مباحثها المختلفة وأعدت صياغتها في ثوب جديد. بعدما اكتشفت عمق الظاهرة اللسانية إذ لا يمكن بحال من الأحوال تجاوز الجهود القديمة وفي مختلف الحضارات في تناول الظاهرة اللغوية. بالإضافة إلى ذلك يمكن التسجيل معرفيا أن البلاغة القديمة تجلت كذلك في نظرية الأفعال الكلامية لـ"أوستن" ولكن في هذا النسق المعرفي لم نر البلاغة مكونا من مكونات هذه النظرية بل هي البلاغة كلها بمنهج مختلف.

قائمة المصادر والمراجع

1. الجاحظ، البيان والتبيين، تح: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، لبنان.
2. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
3. الحاج صالح عبد الرحمن، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
4. السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، 2007، الجزائر.
5. الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسال في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف.
6. عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط:1، 2004.
7. الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط:3.
8. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط:3، 1413هـ-1992م.
9. محمد خطابي، لسانيات النَّصّ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط:1، 1991، المركز الثقافي العربي.
10. محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، إفريقيا الشرق، 2013.
11. محمد كريم الكوّاز، علم الأسلوب، مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة السابع من أبريل.
12. محمد يونس علي، قضايا في اللغة وتحليل الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة.
13. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط:1، 2013.
14. اللسانيات العربية - أسئلة المنهج - دار ورد الأردنية، ط:1، 2013.

15. هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، منشورات دراسات بسال.

الدوريات والمجلات

16. محمد محمد يونس علي، أصول اتجاهات المدارس اللسانية، عالم الفكر، العدد: 1، المجلد: 32 يونيو سبتمبر، 2003،
17. عبد السلام المسدي، الفكر العربي والألسنية، مجلة أقلام، العدد: 4، أبريل 1979. العراق.

- (1) عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: 1، 2004، ص: 80.
- (2) محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، دراسات وحوارات، إفريقيا الشرق، 2013، ص: 111.
- (3) محمد العمري، نفسه، ص: 113.
- (4) محمد العمري، المرجع السابق، ص: 116.
- (5) محمد محمد يونس علي، أصول اتجاهات المدارس اللسانية، عالم الفكر، العدد: 1، المجلد: 32 يونيو سبتمبر، 2003، ص: 127.
- (6) عبد السلام المسدي، الفكر العربي والألسنية، مجلة أقلام، العدد: 4، أبريل 1979. العراق، ص: 9.
- (7) عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2012، ص: 201.
- (8) مصطفى غلفان، اللسانيات العربية - أسئلة المنهج - دار ورد الأردنية، ط: 1، 2013، ص: 829.
- (9) محمد العمري، المصدر السابق، ص: 16.
- (10) محمد العمري، نفسه، ص: 17.
- (11) محمد العمري، نفسه، ص: 5.
- (12) مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: 1، 2013، ص: 191.
- (13) مصطفى غلفان، نفسه، ص: 202.
- (14) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب؛ الدار العربية للكتاب، ط: 3، ص: 61.
- (15) ينظر، هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، منشورات دراسات بسال.
- (16) النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ضمن ثلاث رسال في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغول سلام، دار المعارف، ط: 5، ص: 75-76.
- (17) الجاحظ، البيان والتبيين، تح: موفق شهاب الدين، مج: 1، ج: 1، دار الكتب العلمية، لبنان، ص: 100.
- (18) محمد كريم الكوّاز، علم الأسلوب، مفاهيم وتطبيقات، منشورات جامعة السابع من أبريل، ص: 25.
- (19) عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، 2007، الجزائر، ص: 373.
- (20) هنريش بليث، المصدر السابق، ص: 13.
- (21) محمد محمد يونس علي، قضايا في اللغة وتحليل الخطاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص: 53.
- (22) محمد محمد يونس علي، المرجع السابق، ص: 55.
- (23) محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط: 1، 1991، المركز الثقافي العربي، ص: 17.
- (24) ينظر، محمد محمد يونس علي، نفسه، ص: 61.
- (25) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص: 83.
- (26) جميل عبد المجيد، المرجع السابق، ص: 85.
- (27) جميل عبد المجيد، نفسه، ص: 21.
- (28) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، ط: 3، 1413هـ-1992م، ص: 146.

أزمة المناهج النقدية الحديثة عند النقاد العرب المحدثين

-الجانب النفسي في دراسة شخصيات الشعراء عند عباس محمود العقاد-

أ/ مهدي بايزيد-

اشراف د. عبدالعزيز بوشلاق

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ملخص :

تعد جذور الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ضاربة في أعماق التراث العربي ، وقد التفت بعض النقاد لدراسة ما فيه من أسس وملاحظات نفسية في محاولة لتأهيل هذا الاتجاه في النقد العربي الحديث من خلال التراث العربي .

فالأدب هو الرحم الذي يحتضن النفس الإنسانية بنوازعها وحالاتها.

ونظرا للأهمية التي انفرد بها المنهج النفسي تطورت دراساته في هذا الميدان ومن بينها نظرية النقد النفساني التي تناولناها في بحثنا هذا.

الكلمات المفتاحية: النقد – محمود العقاد – التراث العربي – نظرية النقد النفساني.

Résumé

Les racines de la tendance moderne arabe monétaire Strike dans l'héritage arabe et certains critiques ont tourné pour étudier les observations psychologiques et tenter de se qualifier cette tendance à la critique arabe moderne de l'héritage arabe.

La littérature est l'utérus qui abrite l'âme humaine avec les tics et les situations.

Compte tenu de l'importance de cette distinction douteuse par la méthode des études psychologiques dans ce domaine ont évolué parmi ces études, la théorie de la critique psychologique dont nous avons abordé dans nos modes.

Mots clés: Le critique- Mahmoud el Akade- L'héritage arabe La théorie de la critique psychologique.

مقدمة:

إنّ دراسة الأدب من الوجهة النفسية ليست وليدة العصر الحديث، بل ترجع فكرتها إلى العصر اليوناني، حيث كانت البداية الفعلية مع "أفلاطون" الذي كان يظن أن الإبداع الشعري ليس من نتاج الإنسان بل تحركه قوة إلهية عظيمة، وكذلك ما ظهر عند "أرسطو" إذ تتغلغل تحليلاته النفسانية كل مؤلفاته، وقد تجلّت بشكل بارز في نظرية (المحاكاة) التي ربط

فيها وظيفة الفن بالتطهير، إلى أن جاء "سيجموند فرويد" ووضع المعالم الأولى للدراسات النفسانية .

وقد اهتم الكثير من النقاد العرب المحدثين بدراسة شخصية الشعراء من خلال أشعارهم وربطوا بين الشاعر وإنتاجه، ومن هؤلاء "عباس محمود العقاد"، هذا الذي نحاول تسليط الضوء عليه في هذه الدراسة باعتباره أحد رواد الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث حيث اهتم بشخصيات الشعراء، فتنبع سيرتهم الذاتية ورصد شخصياتهم من أجل النفاذ إلى أسرار إبداعهم، ومن بين الشخصيات التي درسها شخصية "أبي نواس الحسن بن هانئ" وكذا شخصية "ابن الرومي".

ومن هنا فإنشكالية الدراسة تمثلت في التساؤلات الآتية:

_ كيف تم توظيف الاتجاه النفسي في مجال النقد العربي الحديث؟

_ وهل لهذا الاتجاه مرجعيته في النقد العربي القديم؟

_ كيف طبق العقاد الاتجاه النفسي في دراسته لشخصية الشعراء؟

_ وفيم تمثل منهجه في هذه الدراسة؟

أولاً/ إشكالية تطبيق الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث:

عرفت الساحة النقدية في العصر الحديث تهاافتا كبيرا على الاتجاهات والمناهج والتيارات الغربية المختلفة، وهذا الافتتان لم يكن مبني على معرفة دقيقة بهذه المناهج وخلفياتها الثقافية والتاريخية والفكرية والبيئية، التي أنبتتها وأوجدتها داخل الميدان النقدي الغربي، فالنقاد العرب تناسوا أنّ الخلفية الفكرية والثقافية التي تحملها هذه المناهج لا تتناسب مع الخلفية الفكرية والثقافية العربية، ونتيجة لهذا الانبهار، ساد الاضطراب والقلق ميدان النقد العربي الحديث.

ومن بين الاتجاهات النقدية الغربية التي شهدت رواجاً كبيراً في النقد العربي الحديث "الاتجاه النفسي"، فنجد النقاد العرب وفي "غمرة حماسهم المفرط استخدموا أدوات علم النفس استخداماً يفتقر للحكمة والتعقل، فقد كانت معرفة بعضهم بعلم النفس معرفة سطحية فطبّقوها بلا تمييز في البحث وراء العمل الفني عن معنى أو دافع جنسي"¹.

فقد عاب الكثير من النقاد العرب على قصور "الاتجاه النفسي" في الإلمام بحقيقة الأدب، وعجزه على تفسير الأدب تفسيراً شاملاً، لأنّ الناقد الذي تكون زاوية نظره النقدية ضيقة تقتصر على عنصر واحد من عناصر العملية الإبداعية، يكون إنتاجه النقدي ناقصاً هذا ما نجده في البحث النقدي الذي يهتم بدراسة شخصية الأديب، والتركيز على جانب الغريزة والجنس دون الاهتمام بإنتاجه الأدبي من جانبه اللغوي الفني، فيلاحظ أنّ هذه الدراسة تكون أقرب لعلم النفس أو الطب النفسي منها إلى النقد الأدبي.

لهذا نجد الدكتور "مصطفى ناصف" يشير إلى أنّ الدراسة الجادة للعمل الفني "لا توجد في تاريخ حياة الشاعر، وإنما تنبع من العمل ذاته، وهي تنبع من اللغة لا منطوق العواطف"². فهو يرى أنّ الدراسة الحقة للآثار الأدبية يجب أن تنبع من النص في حد ذاته، وتحاول

الكشف عن المعاني الغامضة وراء ظاهر النص، لا أن تغوص في ذات الأديب وتاريخ حياته.

ومن النقاد العرب الذين انتهجوا "الاتجاه النفسي" في دراسة الآثار الأدبية نجد "العقاد والنويهي" فكلاهما تناولوا "ابن الرومي" و"أبو نواس الحسن بن هاني" بالدراسة النفسانية، ولعل هذا ما دعا "طه حسين" إلى توجيه نقد لاذع لاهتمام النقاد ببعض الأسماء دون غيرها، وحصر الإجراء في أسماء قديمة تتكرر عند هذا الباحث وذلك، وكأن المنهج لا يصلح إلا لهؤلاء، فإذا عرضت عليه شخصية (عادية) تقاصر دونها³.

إنّ تطبيق المنهج النفسي على الآثار الأدبية القديمة، من بين الإشكاليات التي طرحت في هذا المجال، فقد وجدت بعض الدعاوي التي تذهب إلى أن الأدب القديم لا يجوز أن يفسر في ضوء المعارف الحديثة، ما دام هذا الأدب القديم لم يشهد هذه المعارف ولم يعاصرها، ونتيجة لذلك لم يتأثر بها⁴. فمثلا الاتجاه النفسي لا يمكن تطبيقه على القدامى. بل يطبق على المعاصرين، يقول "أحمد مندور": "وأما القدماء الذين لم تصلنا عنهم عادة إلا صور ناقصة، أو كما يقول "سانت بييف" نفسه "تماثيل مهمشة" فليس من السهل أن تسعفنا المعلومات اللازمة لذلك"⁵.

أما الناقد "حسين مروة" فقد وقف موقف الراض للاتجاه النفسي، في مؤلفه "دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي"، والذي تناول فيه مجموعة من القراءات العربية، ومن بينها دراسات "العقاد والنويهي" يقول: "نحن فعلا، نرفض الأسس التي يقوم عليها هذا العلم من حيث كونها تناقض قوانين التطور في الحياة وفي الإنسان...، ولذلك نرى أن تدرس الظاهرات "الخميرية" في شعر "أبي نواس" على أساس آخر غير التحليل النفسي الفرويدي، الذي نعتقد أن تقدم العلوم الإنسانية قد تجاوزه، وبذلك أصبح من الجدير بالنقد الأدبي أن يعتمد في نقد الشعر بوجه عام، البحث عن الجذور الاجتماعية لنفسية الشاعر والقيمة الجمالية وتجربته الوجدانية"⁶.

هذا تصريح واضح من قبل الناقد -حسين مروة- على قصور "الاتجاه النفسي" ودعواه إلى توسيع زاوية النظر والاهتمام بالجانب الفني والجمالي للإبداع، وكذا الغوص في نفسية الأديب.

كما يشير الدكتور "عز الدين اسماعيل" إلى ضرورة الربط بين الفنان وفنه ومنتقي هذا الفن، حتى تتكامل لدينا نظرية عامة في الفن، فلا يمكن أن تكون دراسة الفنان وحدها كافية⁷.

فالمنهج النفسي حصر اهتمامه في دراسة شخصيات الفنانين على حساب الأثر الفني ومنتقي هذا الأثر الفني، مما جعل الكثير من النقاد يصفون المعالجة التي ينتهي إليها الاتجاه النفسي بالمعالجة "الإكلينيكية" أو "العيادية" وذلك لأنّ الأساس الذي ينطلق منه الاتجاه النفسي هو أساس طبي بالدرجة الأولى.

هذا ما جعل مسار النقد الأدبي يتغير، فأصبح يخضع لفرضيات علم النفس، وهذا الأخير يغني النقد من زاوية تقديم النماذج، ويفقره من جانب إهمال النص وعدم البحث عن رموزه الفاعلة فيه، ذلك ما دعا "محمد مندور" أن يدعو "قتلا للأدب"، فالنص لا يختلف في هذه الحالة عن شكوى يقدمها المريض إلى الطبيب المعالج ليكشف من خلالها عن العلل فهي

تدين صاحبها، وتقدم عقدة جليلة أمام الفحص الإكلينيكي، وذلك لا يسمح للتجربة الأدبية بالاستمرار والخلود، بل يتراجع ظلها إلى تسجيل أثر العلل الملتصقة بصاحبها لا تتعداه إلى غيره من عامة الفقراء ...، لذي يرى "محمد مندور" أن الأدبلا يمكن أن نجده ونوجهه ونحييه إلا بعناصره الداخلية، أي عناصره الأدبية البحتة⁸.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الانتقادات التي وجهت للاتجاه النفسي هي من باب النقد البناء الذي يسعى إلى مناقشة وإثراء هذا الاتجاه بصفة خاصة، والنقد الأدبي بصفة عامة بغرض القيام بالنقد الأدبي الحديث.

ثانيا/ العقاد والتحليل النفسي:

يعد الاحتكاك بالغرب من بين العوامل التي ساعدت على ازدهار الدراسات النقدية في العصر الحديث، وذلك من خلال الأصول والمبادئ المستمدة من ذلك الاحتكاك، ومن هنا تحقق تواصلهم مع تراثهم الأدبي بالدراسة والتحليل، ومن بين النقاد الذين كان لهم الأثر الكبير والواضح في دفع حركة التجديد على مستوى الإنتاج الإبداعي والنقدي عباس محمود العقاد الذي كان له الفضل الكبير في بلورة وتطور الفكر النقدي العربي الحديث، فهو من الأوائل الذين أرسوا وأسسوا الاتجاه النفسي في المجال التطبيقي، ونقف عند مقالين للعقاد في هذا الصدد أحدهما يتحدث عن تشاؤم أبي العلاء المعريّ و الآخر يتحدث فيه عن ولع المتنبي بالتصغير، وقد كان ذلك سنة 1923⁹، إضافة إلى أنه درس ما يناهز ثلاثين شخصية من القديم والحديث من الوجهة النفسية، حيث وقف عند شخصيات هؤلاء الشعراء والأدباء، وقد اختلفت الحقول المعرفية التي ينتمون إليها فمنها الشعرية، والأدبية والفكرية والسياسية، والاجتماعية، فضلا عن سيرته الذاتية¹⁰.

ويرى الأستاذ عبد القادر فيدوح أنّ العقاد هو الرائد والمؤسس للاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث من خلال حماسه لهذا الاتجاه، فقد رسم لكل شخصية من شخصياته مفتاحا خاصا بها¹¹، وقد كان العقاد من المتأثرين بالمنهج الفرويدي، وكتابه أبو نواس الحسن بن هانئ خير دليل على هذا المنحى، إذ يقف فيه على نرجسية الشاعر لأنها كفيلة بحل لغز شخصية أبي نواس ومن كلامه في هذا الغرض:

أقمنا بها يوما ويومين بعده ويوما له يوم الترحل خامس¹²

في هذا البيت نرى الشاعر يستريح إلى ذكر الأيام بأسمائها ومراده من ذلك السرور بفواتها وعدّها عندما تنقضي وتنصرم¹³.

والنرجسية هي إعجاب المرء بنفسه، والمجاهرة بالأفعال سواء أكانت جميلة أم قبيحة والشخص النرجسي يستببح كل شيء.

وهي آفة متصلة بالنشوة، وحب المصاب بها لملامحه وكلامه، ولهذه الظاهرة لوازم وأعراض منها ما هو أولي، ومنها ما هو ثانوي أو تابع فهي تعبر عن شذوذات الغريزة الجنسية التي تشتعل على آفات متعددة، وما يهمننا في هذا الصدد نوعان بينهما فرق دقيق ولكنه غير حاسم الأول هو الاشتهاؤ الذاتي، والثاني هو التوثين الذاتي.

أ- **الاشتهاء الذاتي**: هو نوع يغلب على الحالات الجسدية التي تقترن باختلاف وظائف الجنس في صاحبها فالمصاب بهذا النوع يشتهي بدنه كأنه بدن لشخص آخر، وهذا النظر ليس بالضرورة استحسانا، بل قد يكون أسفا لبعض النقص والمحاولة في تحسينه.

ب- **التوثين الذاتي**: يغلب هذا النوع على الحالات العاطفية والفكرية، وفيه يتخذ المصاب به من نفسه وثنا يعبده ويحبه كحب المرء لمعشوقه، وهذا النوع لا يخلو من اختلال وظائف الجسد ولكنه لا يبلغ بها مبلغ الحالة الأولى¹⁴.

ولهذين النوعين مضاعفات تسمى لوازم من أبرزها:

1- لازمة التلبيس والتشخيص: وهو عشق الإنسان لذاته من الناحية الشهوانية، فالنرجسي يجعل شخصيته في شخص آخر يتوهم أنه هو ذاته أو يحل محل ذاته في أوصافه البدنية أو الخيالية، ويتعلق به وهو في الواقع متعلق بذاته.

2- لازمة العرض: تشمل الإظهار بجميع درجاته، فإذا أمعنا في الجسدية شوهد وهو يتعري من ثيابه ويكشف عورته وهذه اللازمة لا تمعن هذا الإمعان إلا في حالة الجنون ولها أساليب عديدة في الإظهار و سنتها الاشتهار بالمخالفة، على حد القول الشائع: "**خالف تعرف**".

3- لازمة الارتداد: يعتري النرجسيين من تلبيس ذواتهم بغيرهم أو خلعها على شخص آخر يقتسمون المشابهة بينهم وبينه وتأتي على ثلاث درجات هي: توثين النفس- خلع الشخصية على إنسان آخر- استعارة ملامح الآخرين¹⁵. هذه اللوازم نجدتها تنطبق على أبي نواس في الخلائق الأولية والتبعية، وتفسر جميع أحواله عن الشذوذ في المسائل الجنسية، لكنه مع ذلك لا ينطبق عليه الشذوذ الذي يميل بصاحبه إلى عشق أبناء جنسه والعزوف عن الجنس الآخر، لأننا نجده يغازل الجواري كما يغازل الغلمان وهو يستحسن الفتاة كما يستحسن الغلام لأنه كالفتاة يقول في جارية

وريحان دنيا لذة للمعاق¹⁶

غلام و إلا فالغلام شبيهها

ويقول في غلام:

كأنه عند رأي العين عذراء¹⁷

من كف ذي غنج حلو شمانله

والشذوذ لا يفسر هذه الحالة بل يزيد غموضا وإبهاما، وإنما تفسرها النرجسية¹⁸.

وبعد تعريف النرجسية ينتقل العقاد إلى الوقوف وشرح العوامل المسببة لها من خلال قوله النرجسية التي تتبع أعراضها في الحسن بن هانئ ليست حالة طبيعية تلاحظ على أنداده وفي مثل عمره، ولكنها حالة منحرفة ولد ببعض أعراضها و جاءته الأعراض الأخرى من البيت والمجتمع والعصر الذي نشأ فيه وعاش فيه سائر حياته، وتتمثل هذه العوامل أساسا في:

أ- **التكوين الجسدي**: يروي عنه ابن منظور أنه كان جميلا والسبب في تسميته بأبي نواس هو أن رجلا من جيرانه أرسله ليأتي له بأخيه وكانت له ذؤابة في وسط رأسه تتحرك بفعل المشي فلما أتاه بالرجل قال له أحسنت يا أبا نواس لتحرك الذؤابة فلازمته تلك الكنية.

ب- **البيت**: تسربت إليه النرجسية من تربية البيت، فهو طفل مدلل في كفالة أمه، وسبب هذا الدلال هو أنه وحيدها كما قال في شبابه:

لا تفجني أمي بواحدنا لن تخلقي مثلي على أمي¹⁹

ج- **بيئة المجتمع:** كان عصر أبي نواس أول عهد البصرة بالبوهيمية المتشردة المتهجمة وتطلق كلمة البوهيمية على الأقسام التي فشى فيها الفساد والزندقة والمتاجرة بالشهوات، وقال عنهم ابن خلدون أنهم خليط من الناس غلبوا على طريق البصرة وعاشوا فيها، وهذه العوامل تساعد وتساهم على تفشي المجون والفجور.

د- **العصر السياسي:** العصر الذي عاش فيه أبو نواس هو العصر الذي سقطت فيه دولة بني أمية وقامت فيه دولة بني العباس، ومن سمات هذا العصر أنه اتسم بالتغير والتبدل من حال إلى آخر وانعدمت فيه الثقة وكثرت فيه المنازعات. ه- **العصر الثقافي:** كانت مدن العراق مليئة بالناس، فقد كانوا يغشونها من كل مكان على اختلاف عاداتهم وشعائرهم ومطالبهم.

فالإباحية التي نادى بها **بابك الخرمي** مع مطلع القرن الثالث للهجرة لم تفاجئ ولا جيراتهما من البلاد الفارسية، حيث وجدوا فيها متنفسا لاستباحة الأعراض والزندقة²⁰.

كل هذه العوامل ساعدت على النشأة الفاسدة للشاعر أبي نواس، فقد كانت هي السبب الرئيس الذي أوقع الشاعر في هذه الحالة، إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليها وجعلها ذريعة لتبرئة أبي نواس، فلماذا لم تظهر مع الشعراء والأدباء الذين عاصروه وقاسموه المحن.

ثالثا/ موقف ومنهج العقاد من التحليل النفسي:

كان موقف العقاد من مدرسة التحليل النفسي ممثلا أساسا في أن هذه المدرسة هي أقرب المدارس التي ندين لها في نقدنا للأدب والتراجم والدعوات الفكرية، فدراسة الشخصية تستلزم منا العلم بمقوماتها ومعرفة أحوال العصر وأطوار الثقافة ولسنا مطالبين بتعريف العصر وبواعثه الفنية²¹.

نجد العقاد في هذا الرأي يؤكد أن مدرسة التحليل النفسي هي الجديرة بفهم وإدراك الفن والأثر الأدبي، وأن معرفة نفسية الأديب تغنيانا عن التعريف بعصره أو البواعث التي أدت به إلى الفن، وهي أكثر المدارس سعة وحيوية بين الكثير من المدارس النقدية وهذه صور إيجابية عن مدرسة التحليل النفسي.

أمّا فيما يخص المنهج الذي اتبعه العقاد في دراسته للشخصيات يجب الوقوف عند طبيعة علاقته بنظرية التحليل النفسي وموقفه من الآراء النقدية الفرويدية، ومن هنا نطرح التساؤل الآتي:

المنطلقات النفسية للعقاد في دراسته النفسية؟ وهل كان العقاد من المتأثرين بالفكر الفرويدي أم من المعارضين له؟

هناك إشارة يجب الوقوف عندها هي أن العقاد قبل تفنيده لبعض الآراء النقدية التي جاء بها فرويد قد أتى عليه بالشكر والتقدير بما جاء به من أفكار في هذا المضمون قائلا: " فالفضل الذي يشكر عليه فرويد لا نزاع فيه من مؤيديه ومخالفيه، فقد دخل بالتحليل النفسي في دور جديد لم يسبق إليه ولكنه وثب منه إلى تعليقات وتعميمات ... كدعواه الأخيرة عن إرادة الموت في الإنسان، وأنها إرادة كامنة فيه كإرادة الحياة"²².

والاختلاف الذي نلحظه بين العقاد ومدرسة التحليل النفسي، وخاصة سيغموند فرويد هو اعتراض العقاد للأوديبية التي هي أساس الحياة الإنسانية ومحور الإبداع عند فرويد حيث إن كل إنسان مصاب بهذه العقدة المكبوتة، فهي التي تجعله عرضة للقلق في بيئته النفسية وعلاقاته الخارجية، وخير معبر عن هذا القلق هي العقائد والشعائر والعبادات والفنون²³.

والأوديبية هي غيرة الابن من أبيه على أمه، وتقابلها عقدة إلكترا عند المرأة، وهي غيرة البنت من أمها على أبيها، وهذه العقدة ترجع إلى أيام قيادة القطيع ثم قيادة العشيرة ثم كفالة العائلة، ومن هنا نجمت نزاعات الانحراف الجنسي عند الذكور، و المؤامرة على قتل الأب عند الإناث²⁴.

بالإضافة إلى هذه العقد توجد عقد أخرى منها: السادية- المازوشية- النرجسية- الدونية... إلخ.

والأوديبية في رأي العقاد لا تؤخذ جملة ولا ترفض جملة، إذ ليست كل غيرة على الأب غيرة جنسية، فالجنس يفسر كل شيء عند فرويد، وضعف فرويد في هذه النقطة أنه يفترض أن الطفل الذكر يغار من الأب على الأم حيناً ومن الأم على الأب حيناً آخر.

وهذا ما عارضه فيه تلاميذه ومن بينهم أدلر الذي يرى أنّ الأوديبية ليست من الغرائز الأساسية التي تستقر في الوعي الباطن عند الأولاد، ولكنها ميل عارض يحدثه سوء التصرف مع بعض الأباء والأمهات²⁵.

كما نجد الاختلاف بين العقاد وفرويد في موقف العقاد من عملية الكبت التي أقرها فرويد واعتبرها أساساً لفهم العصاب، وشرطاً أساسياً في العملية الإبداعية.

غير أن رأي العقاد فيها يخالف الرأي السابق حيث يرفض اعتبار عملية الكبت شرط أساسياً في العملية الإبداعية، ويتضح ذلك من خلال دراسته التي قام بها على الشعارين العباسيين: أبو نواس الحسن بن هانئ وابن الرومي.

فهو لا يربط إبداعهما بعملية الكبت التي تعرضا لها، وإنما لأنهما يعبران عن كل ما يختلج ذواتهما وكل ما يشعران به، فالشعر يمثل لهما الحياة على حدّ تعبير العقاد في مؤلفه " ابن الرومي حياته من شعره " فالشاعر عنده لا يعد شاعراً حقاً إلا إذا كان شعره وحياته يحملان الموضوع نفسه²⁶.

أما بالنسبة لدراسته المتعلقة بأبي نواس الحسن بن هانئ نجده يقر أن أبا نواس كان لا يبالي بالمجتمع فهو يبوح برذائله ونواقصه.

وبهذا فالعقدة النفسية تتسلل لذات الإنسان جرّاء الكبت وطوال الكتمان أمّا عن أبي نواس فلم تكن شخصيته من الطبائع التي تتسلل إليها العقد النفسية لأنه يبوح برذائله ولا يكتم أقبحها وأفضحها²⁷.

ويختلف العقاد مع سيغموند فرويد في مفهوم النرجسية فنجد في الدراسة التي قام بها عن أبي نواس الحسن بن هانئ يعتبر تلك الشخصية شخصية نرجسية.

غير أن هذه النرجسية تختلف عن مفهوم فرويد للنرجسية، ولهذا فالنرجسية ليست طورا من أطوار العمر، بل هي آفة نفسية تولد مع صاحبها، وهذا الزعم نجده عند بعض النفسيين ولها أسبابها التي تعمل على إنشائها منها البيئية والاجتماعية ومنها ما تعلق بالمعيشة، وهذا في رأي آخرين²⁸.

ومن خلال دراسته لشخصية ابن الرومي والتي تناولها بالدرس والتحليل في مؤلفه "ابن الرومي حياته من شعره" تتضح لنا معالم المنهج الذي اتبعه العقاد في دراساته النفسية فهو لم يتبع منهجا معينا، ولهذا وجهت له بعض الانتقادات من طرف بعض النقاد ومنهم عز الدين إسماعيل الذي يرى أن كتاب العقاد "ابن الرومي حياته من شعره" يصنف في قائمة الدراسات المبكرة مع الدراسة التي قام بها طه حسين.

وكانت هذه الدراسات تسترشد في فهم هذه الشخصيات ببعض الحقائق النفسية، ومن ثم ظل منهجها خاصا بها، حتى كتب العقاد مؤلفه عن أبي نواس الحسن بن هانئ، والذي اتضحت فيه معالم المنهج حيث اعتمد المؤلف في شرح هذه الشخصية على مجموعة من الحقائق النفسية والعلمية.

والنتيجة التي انتهى إليها من هذه الدراسة أنّ هذه الشخصية هي شخصية نرجسية، وأن هذه النرجسية شاذة ولد ببعضها وساعدت الظروف على بعضها الآخر²⁹.

ثالثا/ الجانب النفسي في دراسات العقاد:

يرى "عباس محمود العقاد" في مؤلفه "ابن الرومي حياته من شعره" أن نفسية "ابن الرومي" انعكست في شعره تمام الانعكاس وأثرت فيه تأثيرا واضحا، وقد كان لهذا الانعكاس أشكال مختلفة، منها ما كان صادقا عن تلك النفس في مختلف أحوالها، ومنها ما كان تعويضا عن هزائم وانتكاسات نفسية أخذت شكل ادعاءات مختلفة.

حيث يرى أن هناك من "الشعراء من نتعرف بعض وقائعه من قراءة شعره واستطلاع خلائقه من ثنايا كلامه، ولكن ابن الرومي لا يحوجك إلى التعرف والاستطلاع، لأنه يعفك من الملاحظة، بما يقوم به هو من ملاحظة نفسه، وتقييد شوارده فكره، وهمسات فؤاده وسحبات أحلامه، فكأنما هو رقيب على بواطنه وظواهره، وكأنما أعطى نفسه ليحربها ويقيده تجاربه فيها، فكان ديوان شعره كناشة الرقابة أعدها ليحصي فيها كل ما يحصيه الرقيب الحسيب"³⁰. وأنا أميل لهذا الرأي لاعتبارات عديدة منها أنّ الشاعر لا يترك صغيرة ولا كبيرة في حياته إلا ذكرها في شعره، ولا أمرا حرك من مشاعر وعواطفه إلا وكان للشعر نصيب فيه، ولعل الشواهد التي سيتم ذكرها توضح ذلك.

ويلاحظ من خلال كتاب "ابن الرومي حياته من شعره" أنّ العقاد قد رسم صورة مفصلة (نفسية وبيولوجية) عن "ابن الرومي" وشخصها أيما تشخيص يقول: "ولا تعوزنا الأدلة عن اختلال أعصاب ابن الرومي وشدوذ أطواره عن شعره، أو من غير شعره... وشيخوخته المبكرة، وتغير منظره واسترساله واختلاج مشيته، وموت أولاده وطيرته ونزقه وشهوانيته الظاهرة في شبابه وهجائه وإسرافه في أهوائه ولذاته، ثم كل ما نطالعه في ثنايا سطور من البدوان والهواجس، قرائن لا تخطئ فيها الدلالة الجازمة على اختلال الأعصاب وشدوذ الأطوار، بل لا تخطئ فيها الدلالة على نوع الاختلال ونوع الشدوذ"³¹.

ولعل هذا القول يشير إلى أنّ اختلال الأعصاب الناتج عن الشذوذ وعن مجموع الاضطرابات التي ذكرها "عباس محمود العقاد" في صفات هذا الشاعر الجسمية ومدى تأثيرها على نفسية هي بمثابة الدافع أو المحرك لعبقرية ابن الرومي الشعرية، " وهكذا فإنّ الصورة الجسمية التي صاغها "العقاد" لابن الرومي من شعره تخدم غرضه الأساس، وهو رسم صورة نفسية لهذا الشاعر، فهو يرجع إليها لإثبات ما تعذر عليه إثباته حينما يريد أن يؤكد حالة نفسية معينة" ³².

فديوان الشاعر "ابن الرومي" في رأي "العقاد" أصدق ترجمة لحياته الباطنية، وقد يخفي فيها ذكر الأماكن والأزمان ولا يخفي فيها ذكر الحاجة ولا هاجسه مما تتألف منه حياته الباطنية ³³.

يلاحظ "عباس محمود العقاد" أن للجانب البيولوجي للإنسان تأثيراً قويا على النفس، وتعد هذه الأخيرة محركاً قويا يدفع بالشاعر إلى الإبداع، ونجد من بين الصفات الفيزيولوجية التي استنبطها "عباس محمود العقاد" من شعر "ابن الرومي" تتضح في قوله: " كان ابن الرومي صغير الرأس مستديراً أعلاه ، أبيض الوجه يخالط لونه شحوبٌ في بعض الأحيان وتغيّر ساهم النظرة باديًا عليه وجومٌ وحيرة، وكان نحيلًا بيّن العصبية في نحوه. أقرب إلى الطول أو طويلاً غير مفرط، قصير اللحية، أصلع بادر إليه الصلع والشيب في شبابه، وأدركته الشيخوخة الباكرة ... وكان إذا مشى اختلج في مشيته " ³⁴، وغيرها من الصفات البيولوجية وهذا يدل على تأثر ابن الرومي بهذه الصفات مما دفعه إلى التصريح بها في شعره، فشعره كان ترجمة لكل ما يشعر به.

بداية مع صفة " صغر رأسه "، هذه الصفة كانت من بين الصفات التي عيب عليها ابن الرومي، فدفعه الانفعال إلى قرص الشعر ليردّ على من عاب صغر رأسه:

إذا تنقصتني بصعكة الرأس	سفاها وإدّمت غير ذميم
ما تعديت أن وصفت خشاشا	لو ذعيًا كالحية المشهوم
وقديما ما جرب الناس قبلي	ثقل الهام في الخفاق الحلوم
واعتبر ان فشل الطير في	الطير ، وفينا كروسات البوم

فهو يقول لعائنه: إن صغر الرأس لا يزرى به، لأنّ الحية المشهوم وهي موصوفة بالحكمة واليقظة صغيرة الرأس، والبومة كبيرة وهي مضعوفة فاشلة بين الطير والناس" ³⁵.

كما جاء في كتاب "العقاد لابن الرومي"، أن شاعرنا كان له شأن مهم مع أصحاب اللحي الطويلة، فهو كان يكره إطالة اللحي، وسبب هذا الكره يعود إلى لحيته القصيرة التي كان لا سبيل إلى إطالتها، هذا ما جعله يراها تعبيراً عن الحمق والنقص في صاحبها، ويرى "عباس محمود العقاد" أن سبب هجوم "ابن الرومي" على أصحاب اللحي الطويلة يعود إلى شعور بعقدة النقص اتجاههم، لقصر لحيته، فرأى أنه لا بد من أن يقصروها، فأخذ يسخر منهم قائلاً :

لحية أهملت فسالت وفاضت
فإليها تُشير كفّ المشير

مَارَاتهَا عَيْنَ امْرِئٍ مَا رَأَاهَا
قَطُّ إِلَّا أَهْلًا بِالتَّكْبِيرِ
رُوعَةً تَسْتَخْفُهُ لَمْ يُرْعَهَا
مَنْ رَأَى وَجْهَ مُنْكَرٍ وَنَكِيرِ
فَاتَّقِ اللَّهَ ذَا الْجَلَالِ وَغِيْرَ
مُنْكَرًا فِيكَ مِمَّا مَكَّنَ التَّغْيِيْرَ
أَوْ فَقَصِّرْ مِنْهَا فَحَسْبُكَ مِنْهَا
نِصْفُ شَبْرِ عِلَامَةِ التَّذْكِيرِ³⁶

إنَّ المتمعن في هذه الأبيات يرى أنها ليست نفورا من منظر قبيح بقدر ما هي " تعويض نفسي " على ما يشعر به ابن الرومي حيال اللحية القصيرة، وهذا ما جعله يبادر إلى مدح اللحية القصيرة حتى لا يظن ظان أن قصر لحيته عيب فيه، بل هو من أراد أن تكون هكذا.

سبق أن ذكر بأن "ابن الرومي" كان أقرع الرأس "أصلع"، وقد ذكر هذه الصفة من جسمه في شعره، يبين أن سبب هذا الصلع هو وضعه الدائم للعمامة التي كان يلبسها تفاديا لتقلبات الجو من برد وحر يخفي السبب الحقيقي لذلك يقول :

تَعَمَّمْتُ إِحْصَانًا لِرَأْسِي بُرْهَةً	مَنْ الْقَرَّ طَوْرًا وَالْحُرُورَ إِذَا سَفَعُ
فَلَمَّا دَهَى طَوْلُ التَّعَمُّمِ لَمَّتِي	فَأَزْرَى بِهَا بَعْدَ الْجِثَالَةِ وَالْفَرَعُ
عَزَمْتُ عَلَى لُبْسِ الْعِمَامَةِ حَيْلَةً	لِتَسْتُرَ مَا جَرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَعِ
فِيَا لَكَ مِنْ جَانٍ عَلَيَّ جِنَايَةً	جَعَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ جِنَايَتِهِ الْفَرْعُ
وَأَعْجَبُ بِشَيْءٍ كَانَ دَائِي جَعَلْتُهُ	دَوَائِي عَلَى عَمْدٍ وَأَعْجَبُ بِأَنْ نَفَعُ ³⁷

فهو يقر هنا بأنه يلبس العمامة لتستر صفة الصلع وليتفادى سخرية الناس من صلته.

كما يرى " العقاد " أن إحساس "ابن الرومي" بدبيب الشيخوخة في مأرب نفسه وخلجات قلبه هو الذي دفعه ليقول:

اكَتْهَلْتُ هَمَّتِي فَأَصْبَحْتُ لَا أَبَ
هَجَّ بِالشَّيْءِ كُنْتُ أَبْهَجُ بِهِ
وَحَسْبُ مِنْ عَاشٍ مِنْ خُلُوقَتِهِ
خُلُوقَةً تَعْتَرِيهِ فِي أَرَبِهِ³⁸

ونجده في موقع آخر يذرف دمعة على الشباب يقول:

لَا تَلْحَ مَنْ يَبْكِي شَبِيْبَتِهِ
عَيْنُ الشَّبِيْبَةِ عَوْنٌ سَكْرَتِهَا
لَسْنَا نَرَاهَا حَقَّ رُؤْيَتِهَا
كَالشَّمْسِ لَا تَبْدُو فَضِيْلَتِهَا
وَلرَبِّ شَيْءٍ لَا يَبِيْنُهُ
إِلَّا إِذَا لَمْ يَبْكُهَا بَدْمُ
مِقْدَارَ مَا فِيهَا مِنَ النِّعَمِ
إِلَّا زَمَانَ الشَّبِيْبِ وَالْهَرَمِ
حَتَّى تَعْتَشِيَ الْأَرْضُ بِالظُّلْمِ
وَجِدَانُهُ إِلَّا مَعَ الْعَدَمِ³⁹

ويرى "عباس محمود العقاد"، أن اختلال الأعصاب نوعان، حيث يصنف "ابن الرومي" في النوع الثاني الذي يستحضر الخوف، ويكثر التوجس ويخلق الأوهام⁴⁰.

كما يرى "العقاد" أن من أصحاب هذا المزاج من يخاف الفضاء أو يخاف الماء أو يخاف حيوانات لا قوة لها ولا خطر منها.

إن أول ما ركز عليه "عباس محمود العقاد" في دراسته "لابن الرومي" هو تبيان كيف أن للعامل النفسي دور هام في عملية الإبداع وإيضاح فضله على نبوغ شعر ابن الرومي ونجده يبرهن على ذلك في قوله: "ونحسب أن استقصاءه للمعاني الشعرية والإلاح في تفريغها وتقليب جوانبها، إن هو إلا علامة خفيفة من علامات هذا الوسواس الذي لا يريح صاحبه، ولا يزال يشككه ويتقاضاه التثبث والاستدراك، فيمعن ثم يمعن حتى لا يجد سبيلا إلى الإمعان"⁴¹.

فاستقصاء المعاني ميزة من الميزات التي تفرد بها "ابن الرومي" بين شعراء عصره ويعود سبب تواجدها في شعره -حسب رأي عباس محمود العقاد- إلى مزاجه والوسواس الذي تمادى به إلى أن أصبح ظاهرة متجذرة فيه، وغلبت على أقواله وأفعاله، كما لا يرى "عباس محمود العقاد" أن أصحاب هذا المزاج في اللحظة التي تتبادر فيها الفكرة لأحدهم حتى تتراءى في خياله، فيقترن بها الإحساس الذي يناسبها ثم لا يستطيع أن يضبط حركة إحساسه ولا أن يصرف عنه الخالجة النفسية التي أيقظتها فيه هذه الفكرة، فكل شر مضمون فهو عنده كالشر المحقق، على حد قول شاعرنا:

رُبَّ شَرٍّ يَقِينُهُ مَظْنُونُهُ وَإِذَا مَا ظَنَنْتَ شَرًّا فَخَفُهُ⁴²

ثم يشير "العقاد" إلى أن مورد الخطأ على هذه الفئة من أصحاب هذا المزاج أن إحساسهم يجيء قبل الأوان، فالعقاد يرى أنه ليس ثمة خطأ لا في خاطر ولا في الإحساس الذي يلزمه، فالخاطر صحيح والإحساس صحيح وإتّما الخطأ أن الإحساس يجيء قبل الأوان⁴³. واعتبر "العقاد" أن ذلك عيب في العلم أو في المعاش، أما في جانب الفن فلا عيب فيه لأن الفنان في حاجة ماسة إلى مثل ذلك الشعور، وهذا المزاج يسهل عليه استحضار الشعور في غير أوانه، وتمثيل العاطفة كلما دعتة حاجة عارضة إلى تمثيلها.

فهذه الخصلة قد تؤذيه في معاشه، وقد تولمه وتشقيه، ولكنها لا تستلزم الخلل في تفكيره وعاطفته إلا من حيث التكبير والتجسيم، وقد يكون التجسيم ألزم لإظهار الخفي وتقريب البعيد من نظرة القسط والهدوء ولاسيما في الفنون⁴⁴.

ويرى "عباس محمود العقاد" أن أصحاب هذا المزاج لهم مفاجآت وغرائب قد تظهر في أي لحظة، فقد يجتمع العنف العصبي والوداعة العصبية في آن واحد، ليصل "العقاد" إلى أن هذا التناقض استفاد منه "ابن الرومي" في خاصية من خصائصه الشعرية، وهي "ملكة السخرية" التي اشتهر بها، وبلغ فيها أوجها يقول: "لابن الرومي إذن من عناصر السخر ما لم يجتمع لأحد في عصره: اجتمعت له دقة الملاحظة والإحساس وعمق الشعور بالمناقضات في نفسه وفي زمانه، وسعة النظر إلى الفوارق وسماحة العطف التي تقابل مرارة العصبية، فهو ساخر لا يبارى في سخره، وعابث مطبوع على العبث بكل شيء حتى صحبه ونفسه، يستخدم السخر في الهجاء والمديح والمطاببة والمعاتبة"⁴⁵.

يسأل "العقاد" ما إذا كانت سخرية "ابن الرومي" من فئة الساخر الطيب سليم الطوية أو الساخر الخبيث مظلم السريرة، ليجيب العقاد عن سؤاله هذا بتشبيه لابن الرومي بالطفل قائلاً: "إننا نسأل هذا السؤال ونبتسم كما قد نرى الطفل اللعوب يعدو وراء مضحكة من المضاحك، أو فرجة من الفرج، ثم يسألنا السائل في جد ورزانة: ما هي العداوة التي يكنّها ذلك الطفل لمن يعدو خلفهم، ويلهو بمعابثهم؟، فأى عداوة وأي صداقة؟ وأي خباثة وأي طيبة؟ هنا مضحكة وكفى! ولن يفهم الطفل في منطقة إلا أنه يستطيع هنا أن يضحك، فلم لا يضحك؟ أي نعم، لم لا، والضحك لذيد والإغراء به حاضر؟! "46

ومن هذا القول يفهم أن صفة "السخرية" التي كان يمتاز بها "ابن الرومي" ليست من قبيل احتقار الناس أو التصغير بهم -حسب رأي العقاد- وإنما تفسر على اعتبار واحد هو أن "ابن الرومي" طفل كبير لا يفرغ من الطفولة طوال حياته.

الخاتمة:

يعود بروز الاتجاه النفسي في النقد الأدبي العربي الحديث إلى التأثير بالدراسات الغربية فكان الاتجاه النفسي حديث الولادة والنشأة، غير أن لهذا الاتجاه بذور في النقد العربي القديم، وشذرات التفت فيها أصحابها إلى الجانب النفسي عند المبدع والمتلقي.

وقد كان العقاد من الأوائل في هذا المضمار حيث اعتمد على شعر أبي نواس و ابن الرومي ورسم الصورة النفسية له على ظروف العصر والبيئة والنشأة والسياسة والثقافة وكل ما يتصل بهذه الظروف من عامل الوراثة، والعامل الفطري كالتكوين النفسي والخلقي والمزاجي، كما تناول الصورة الجسدية فاستنبط من شعر ابن الرومي بنيته الجسدية وما يتصف به من علامات مميزة، وأخيراً اهتم بالجانب الفني لهذه الشخصية وربط كل ميزة من ميزات شعره بعنصر نفسي كامل في ذاته.

أمّا عن طريقة تناوله لابن الرومي أو المنهج المطبق في الدراسة، فقد قال فيه عز الدين إسماعيل أنه "لم يصطنع منهجاً معيناً من التحليل محدد المعالم"، ومن ثم ظل منهجه خاص، لذلك توصلنا إلى أن منهج العقاد كان منهج وصفي تحليلي ساعده هذا المنهج على فهم شخصية الشاعر.

- 1- إبراهيم حمادة ، مقالات في النقد الأدبي ، دار المعارف القاهرة ، د ت ، ص 85 .
- 2- مصطفى ناصف ، دراسة الأدب العربي ، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1981 ، ص 146 .
- 3- حبيب مونسي ، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي دراسة في المناهج ، دار الأديب، وهران ، د ت ، ص 121 .
- 4- عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، مكتبة غريب ، ط4 ، د ت ، ص 13 .
- 5- محمد مندور ، في الأدب والنقد ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، د ت ، ص 62 .
- 6- حسين مروة ، دراسات نقدية (في ضوء المنهج الواقعي) ، مكتبة المعارف، بيروت، 1988 ، ص 255-256 .
- 7- عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب ، ص 13 .
- 8- حبيب مونسي ، نقد النقد ، ص 120 .
- 9- عبد الله أحمد العطاس ، المنهج النفسي في نقد النويهي بين النظرية والتطبيق ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ، بإشراف عبد الحكيم حسان ، جامعة أم القرى، السعودية ، 1991، ص 20.
- 10- زين الدين المختاري ، المدخل إلى نظرية النقد النفسي ، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجاً) ، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1998، ص 22.
- 11- عبد القادر، فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار الصفاء للطباعة والنشر عمان الأردن، دت، ص 131.
- 12- عباس محمود العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، (دت)، ص 124.
- 13- نفسه، ص 124.
- 14- نفسه، ص 25-26.
- 15- نفسه، ص 26-27 .
- 16- نفسه، ص 28 .
- 17- نفسه، ص 28 .
- 18- نفسه، ص 28..
- 19- نفسه، ص 80.
- 20- نفسه، ص 75-95.
- 21- عبد القادر فيدوح ، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص 132 133..
- 22- العقاد، أبو نواس الحسن بن هاني، ص 56-57..
- 23- نفسه، ص 57-85.
- 24- نفسه، ص 58.
- 25- نفسه، ص 109-110.
- 26- عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د ت، ص 08.
- 27- نفسه، ص 108.
- 28- نفسه، ص 74.
- 29- عز الدين إسماعيل ، التفسير النفسي للأدب، ص 7.
- 30- عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، ص 65.
- 31- نفسه، ص 102.
- 32- أحمد حيدوش ، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ت، ص 94.
- 33- عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، ص 08.
- 34- نفسه ، ص 86.
- 35- نفسه، ص 87.
- 36- ابن الرومي، ديوانه، شر: أحمد حسن سبيح، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1994، ج 2، ص 24.
- 37- نفسه، ص 330.
- 38- ابن الرومي، ديوانه، شر: أحمد حسن سبيح، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2002، ج 1، ص 106.
- 39- عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، ص 294.
- 40- نفسه، ص 102.
- 41- نفسه، ص 102.
- 42- نفسه، ص 104.
- 43- نفسه، ص 105.
- 44- نفسه، ص 105.
- 45- نفسه، ص 106.
- 46- نفسه، ص 113-114.

الأركان السبعة لنظرية الميكانيزمات الدفاعية حسب فيبي كرامير Phebe Cramer

ا.د. كبداني خديجة
دييون محمد/ طالب دكتوراه
جامعة وهران 2

ملخص:

- جاء هذا البحث لتناول الأركان السبعة الخاصة بميكانيزمات الدفاع و هي:
- 1- تعمل الميكانيزمات الدفاعية خارج مجال الوعي.
 - 2- هناك ترتيب زمني في تطور الميكانيزمات.
 - 3- توجد الميكانيزمات الدفاعية في الشخصية السوية.
 - 4- يرتفع استعمال الميكانيزمات الدفاعية في وضعيات الضغط النفسي.
 - 5- استعمال الميكانيزمات يخفض من المعاشة الواعية للانفعالات السلبية.
 - 6- ترتبط وظيفة الميكانيزمات الدفاعية بالجهاز العصبي الذاتي.
 - 7- يرتبط الاستعمال المفرط للميكانيزمات الدفاعية بالحالات النفسية المرضية.

الكلمات المفتاحية:

الميكانيزمات الدفاعية، العمليات المعرفية، فيبي كرامير.

مقدمة:

تعتبر الميكانيزمات الدفاعية كسيرورات معرفية تعمل على حماية الفرد من القلق الشديد وغيره من الانفعالات السلبية. كما تحميه من فقدان تقدير الذات أو خاصة فقدان الانسجام الذاتي.

إن فكرة إمكانية قيامنا بشيء ما أو قول أشياء بدون معرفة السبب ليس بالأمر الصعب على الفهم بالنسبة لغالبية الناس. لكن الجزم بأن السيرورات العقلية اللاشعورية، هي المسؤولة عن هذه السلوكيات، هو أمر أصبح من الصعب تأكيده. حالياً، عكف العديد من الباحثين في مجال علم النفس على دراسة وجود سيرورات عقلية لاشعورية.

من بين هذه السيرورات اللاشعورية هناك مجموعة من العمليات العقلية التي تسمى بالميكانيزمات الدفاعية. و هي تعمل أساساً على حماية الفرد من التعرض لتجارب مقلقة شديدة و حماية الذات و تقدير الذات. و هي تختلف عما يسمى باستراتيجيات المواجهة coping ، إذ إن الميكانيزمات الدفاعية تعمل على مستوى لاشعوري، حيث يكون الفرد غير واعياً بوظيفة هذه الميكانيزمات.

Résumé :

Les mécanismes de défense sont des opérations mentales involontaires et inconscientes qui contribuent à atténuer les tensions internes et externes. Les concepts d'organisation défensive, de style défensif, décrivant des combinaisons de mécanismes de défense, relativement stable et caractéristique de la personnalité d'un sujet, apparaissent une dimension majeure du fonctionnement de la personnalité, du normal au pathologique. Les études sur les mécanismes de défense ont conquis l'intérêt des cliniciens, largement en dehors du champ psychanalytique.

Mots clés : Mécanismes de défense, opérations mentales, Phebe Cramer

Abstract :

Defense mechanisms are mental operations that are involuntary and unconscious and contribute to reduce internal and external stresses. The concept of defensive organisation or style, defined as a set of defense mechanisms relatively stable and characteristic of personality appears to be a major dimension of personality, from normal to pathology. Studies on defense mechanisms have gained the interest of clinicians, largely outside the psychoanalytical field.

Keywords : defense mechanism, mental operations, Phebe Cramer

الإشكالية:

لقد كان سيغموند فرويد أول من اكتشف العلاقة بين الأمراض النفسية و الميكانيزمات الدفاعية (القمع). و لقد توصلنا حاليا إلى فهم مؤداه أن الميكانيزمات الدفاعية هي جزء من الوظيفة النفسية العادية للفرد.

(Kihlstrom, J. F., 1987, p1445)

في حالة استعمالها بحدود، تساعدنا الميكانيزمات الدفاعية على التحكم بالإجهاد، خيبة الأمل و مختلفا لانفعالات السلبية الشديدة. يرتبط الاستعمال المفرط للميكانيزمات الدفاعية بالأمراض النفسية.

أضيفت بعد ذلك ميكانيزمات جديدة إلى اللائحة (الإنكار، الإسقاط، الإزاحة و العقلنة). حاليا، هناك العديد من الأدوات لقياس الميكانيزمات الدفاعية.

لا يستعمل الشخص الواحد كل الميكانيزمات الدفاعية، و لا تستعمل كلها من طرف جميع الأشخاص. من هذا المنطلق، كان من الضروري تصنيفها في مجموعات قائمة أساسا على نسبية نضج أو عدم نضج هذه الميكانيزمات. و يتم تحديد هذا النضج عن طريق اعتبارات نظرية و إكلينيكية.

(Vaillant, G. E, 1990, p35)

كما يمكن أن يعتمد التصنيف على أساس اعتبارات تطويرية، و مدى تعقد العمليات المعرفية المشتركة في الميكانيزمات. (Cramer. P, 1991, p69)

هناك من لا يشك في وجود هذه الميكانيزمات لكنه يشك في كونها لاشعورية. سيحاول الباحث تقديم سبعة أركان أساسية في نظرية الميكانيزمات الدفاعية، ثم في كل ركن سيقدم الدراسات التجريبية التي تدعمه.

ما هي الأركان السبعة لنظرية الميكانيزمات الدفاعية حسب فيبي كرامير، وما هي طبيعة العلاقة بين عناصرها؟

وللإجابة على هذا التساؤل نطرح الفرضيات التالية:

- 1- تمثل طبيعة العلاقة بين عناصر نظرية الميكانيزمات الدفاعية، ذات طابع تكاملي.
- 2- كيف تتمظهر هذه الأركان في الدراسات الميدانية؟

منهج الدراسة:

قدم الباحث هذا البحث في إطار نظري، وهذا بالاطلاع على أكبر قدر ممكن من الدراسات، التي دعمت بحث الأركان السبعة لنظرية الميكانيزمات الدفاعية عند فيبي كرامير. خاصة منها الدراسات التجريبية. كما حاول الباحث مقارنة بعض نتائج الدراسات التطبيقية، المرتبطة بهذه النظرية.

أهداف البحث:

- اثراء حقل البحث العلمي في مجال الميكانيزمات النفسية.
- محاولة لتبسيط موضوع الميكانيزمات الدفاعية لكل قارئ، وبالخصوص في هذه النظرية.

أسباب اختيار الموضوع:

- الاهتمام الشخصي للباحث بهذا الموضوع، الذي يعتبر حديث نسبيا في مجال البحث العلمي في علم النفس.
- محاولة من طرف الباحث لفهم الوظيفية الدفاعية في إطار نظرية فيبي كرامير.

الجدول رقم 01: الخصائص السيكومترية لأهم أدوات قياس الميكانيزمات الدفاعية
(Charlotte soultanian et autres, 2005, p794)

التعيين و التقييم						معايير التقييم
REM-71	LSI	DMP	DMI	DSQ-88/40	DMRS	الأداة
2001	1995	1982	1969	1983	1990	السنة
Steiner H Koopman C	Plutchik R	Johnson N	Gleser G C Ihilevich D	Bond M D, Gardner S T, Christian J and Sigal J Andrews G, Singh M, Bond M D	Perry JC	المؤلفين
+	+	+	+	+	/	استجاب ذاتي
-	-	-	-	+	-	السرعة
71	97	40	240	40/88	/	عدد البنود
+	+	+	/	+	+	المصادقية
+	+	+	+	+	+	الوضوح
+	+	+	+	+	/	المحتوى
+	+	+	+	+	+	التقاطع
/	/	/	/	+	+	البنية
/	+	+	+	+	+	القابلية لإعادة الانجاز
/	5 أشهر	3 أشهر	شهرين	18 شهرا	/	الثبات الزمني
/	0.8-0.3	/	0.6-0.8	0.8	/	التماسك الداخلي
21	8	14	15	20-24	28	عدد الميكانيزمات المختبرة

الترجمة	فرنسية	فرنسية/ إيطالية	/	/	النرويجية/العبرية/الروسية/الألمانية	/
المعطيات المعيارية	-	+	+	+	+	+

الركن 1: الميكانيزمات الدفاعية هي عمليات معرفية تعمل خارج مجال الوعي

نركز في هذا الجزء على ثلاثة ميكانيزمات دفاعية و التي تختلف حسب درجة تعقد العمليات المعرفية، التي تركز عليها هي كذلك تختلف في نضجها التطوري. يعتبر الإنكار هو الأقل تعقداً من بين الثلاث. و هو يتم من خلال ربط معلّم سلبي (مثل: "لا"، "لم") مع إدراك ما، فكرة أو إحساس. الأفكار والأحاسيس التي تكون مضطربة، إذا كانت مدركة على نحو صحيح و دقيق يتم تجاهلها أو تشويهاها. الميكانيزم الثاني هو الإسقاط، و يعتبر معرفياً أكثر تعقيداً. و يتم عن طريق إزالة الأفكار و الأحاسيس المزعجة من الشخص و وضعها أو إسنادها إلى شخص أو شيء آخر. معرفياً، استعمال الإسقاط يتطلب القدرة على التفريق بين المثيرات الداخلية و الخارجية و تطور قواعد داخلية التي من خلالها يتم الحكم على الأفكار و الأحاسيس بأنها غير مقبولة. الميكانيزم الثالث هو التقمص، و هو يختلف عن السابقين في محاولة تغييره للواقع. كما يشمل على تغيير الذات لتصبح أكثر جاذبية بالنسبة للآخرين. هذا التغيير يعزز من إحساس الشخص بالانتماء و الأمان. إن زيادة التعقد المعرفي لهذا الميكانيزم يعتبر كمتطلب، حتى يستطيع الشخص التفريق بين الذات و الآخرين، و يحدد موضعه من بين الآخرين. إذا اعتبرنا الميكانيزمات الدفاعية كعمليات معرفية خارج نطاق الوعي، فإن هذا الركن يتجنب أمراً جدلياً يتمثل في أن هذه الميكانيزمات هي سيرورات عقلية لاشعورية. و عموماً فإن من المعروف حالياً بين الباحثين وجود سيرورات عقلية لاشعورية، لكن يوجد جدال حول كون الميكانيزمات لا تحتاج أن تكون لاشعورية.

(Newman.L.S, 2001, p761)

هناك أبحاث أكدت أن الأطفال يطورون طريقة لفهم كيفية عمل مختلف الميكانيزمات. في سن 5 و 6 سنوات يكون فهم بسيط للإنكار، في 8 سنوات يتطور مستوى الفهم أكثر. يكون فهم الإسقاط أكثر في سن 11 سنة و 8 سنوات لكن في سن 5 و 6 سنوات لا يمكن فهم هذا الميكانيزم.

(Dollinger.S.J,1981, p117)

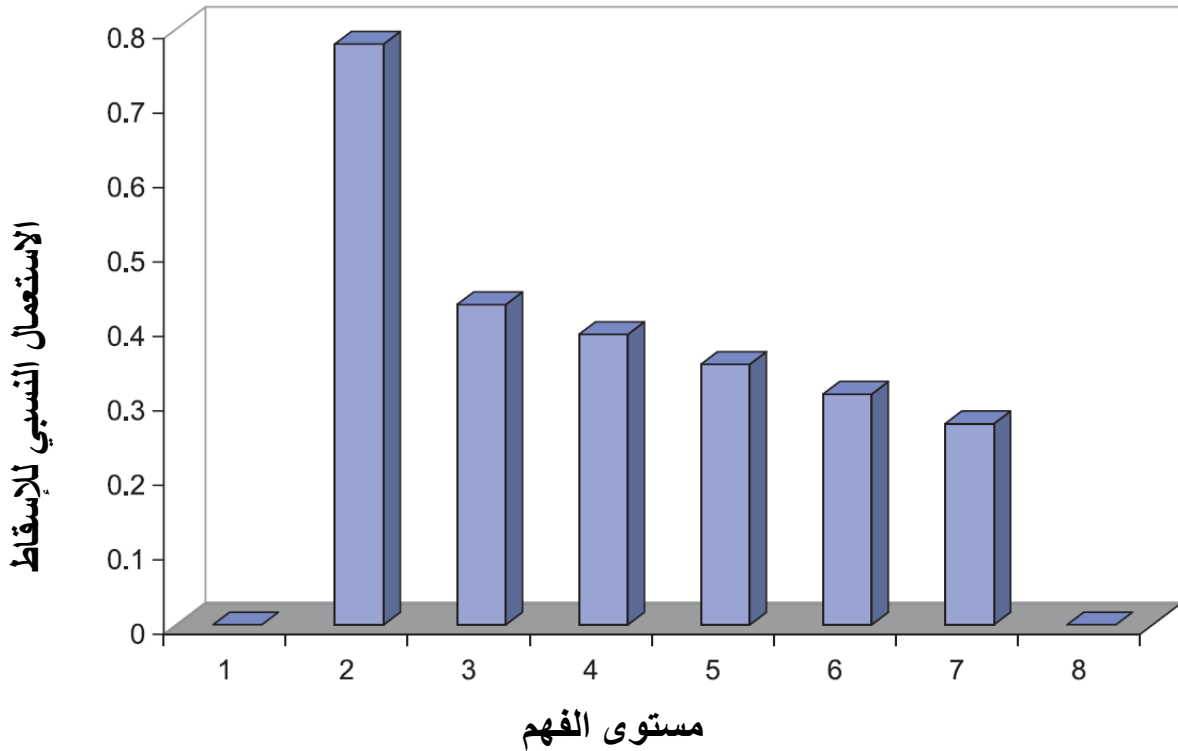
هناك دراسات اهتمت بالعمر الذي يفهم فيه الطفل هذه الميكانيزمات و العمر الذي يحدث فيه اضطراب في استعمال هذا الميكانيزم (انظر الركن 2).

في دراسة لـ 120 طفلاً، مقسمين إلى مجموعتين: في المجموعة الأولى بعمر 7 سنوات حيث ينتقل الأطفال في هذا العمر من استعمال الإنكار إلى الإسقاط. و في المجموعة الثانية بعمر 10 سنوات، حيث يقوم الأطفال باستعمال الإنكار بدل الإسقاط. في المرحلة الأولى من هذه الدراسة قام الأطفال بسردهم الشخصية تم على أساسها استخراج الميكانيزمات المستعملة. كما تم قياس درجة الذكاء. بعد أسبوعين، تم تقديم نفس الأطفال بأربعة قصص قصيرة تم تحضيرها من طرف الباحثين، في كل قصة أظهر البطل استعمال كل من

الإنكار والإسقاط. مثال: قصة تصف طفلاً تم رفضه من طرف زميله: حيث قال لأمه: أنا لا أبالي لأنني لم أكن أرغب حقيقة في اللعب معه.
قرأ الأطفال كل قصة و طلب منهم الشرح لماذا تصرف الطفل بهذا الشكل. تحصل كل طفل على درجة فهمه للإنكار والإسقاط و كانت الدرجات من 2 (لم أفهم) إلى 8 (فهمت جيداً). تم تقييم الأطفال الذين حاولوا شرح القصص بدرجة فهمهم لوظيفة الدفاع، كما كانت درجة فهمهم متعلقة باستعمالهم لهذا الدفاع الذي تم استخراجها في المرحلة الأولى من القصص التي سردوها بأنفسهم. لم يجد الباحثون ارتباطاً بين فهم أو استعمال الدفاع و درجة الذكاء. بينت نتائج الدراسة بأن الأطفال الذين فهموا أكثر هذه الميكانيزمات كان احتمال استعمالهم لها أقل.

(Cramer. P, 2001, p291)

أطفال ذوي 7 سنوات الذين فهموا ميكانيزم الإنكار جزئياً أو كلياً، كان استعمالهم له أقل بدرجة دلالة أكثر، مما هو عليه بالنسبة للأطفال الذين كان فهمهم أقل أو لم يفهموا. بالنسبة لعمر 10 سنوات، هناك علاقة بين استعمال و فهم ميكانيزم الإسقاط. كلما زاد فهمهم للإسقاط قل استعمالهم له. كما توصل الباحثون إلى نفس النتائج بالنسبة لطلبة الجامعات في دراستهم للإسقاط، حيث إن وعيهم باستعمالهم له قلل من فاعليته. (Newman.L.S, 1997, p980)



الشكل رقم 01: استعمال و فهم الإسقاط

الركن 2: هناك ترتيب زمني في تطور الميكانيزمات الدفاعية

هناك نموذج نظري لتطور ثلاثة ميكانيزمات دفاعية وصفه الباحث Cramer. حيث إنه خلال مراحل الحياة الأولى، يكون الإنكار هو الميكانيزم المسيطر. أما في وسط مرحلة الطفولة، يسيطر الإسقاط ثم يأتي التقمص في مرحلة المراهقة. كما يمكن لهذا الميكانيزم أن ينخفض

في مرحلة ما بعد المراهقة. فتظهر ميكانيزمات أخرى مختلفة أثناء مرحلة التطور. حيث ترجع هذه الاختلافات إلى ارتفاع درجة التعقد المعرفي لهذه الميكانيزمات.

(Cramer. P, 2006, p28)

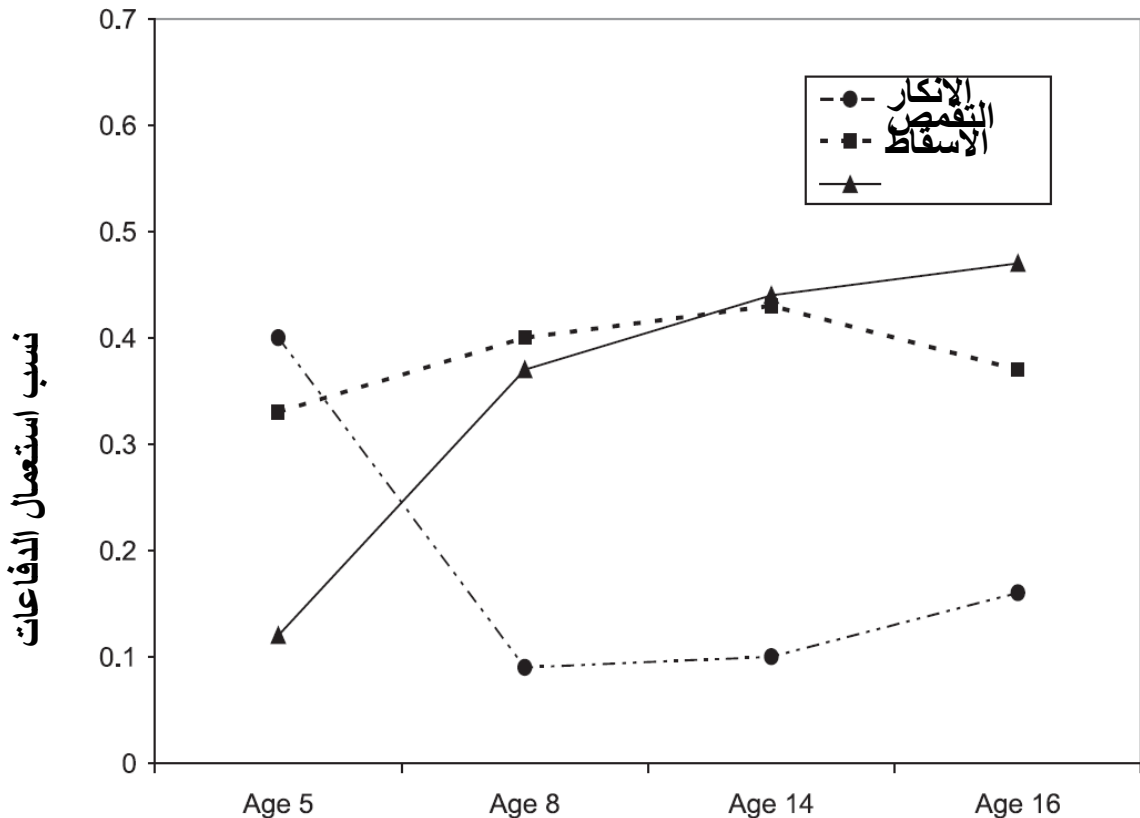
كل دفاع له تاريخه التطوري الخاص به. كل دفاع له جذوره في سلوكيات الطفل، التي تظهر على شكل سلوكيات حركية إرادية. هناك دفاعات تتطور بسرعة أكبر من دفاعات أخرى. يمكن تمييز الميكانيزمات من خلال مدى نضجها، الذي يمكن تحديده من خلال مرحلة التطور التي أصبح فيها الدفاع مسيطراً و من خلال التعقد المعرفي للعمليات العقلية المصاحبة للميكانيزمات الدفاعية.

هناك عدة دراسات تدعم هذا الركن. في دراسة عبر-قومية لـ 300 طفل و مراهق يعيشون في إنجلترا الجديدة، بينت أن الإنكار استعمل أكثر في سن 5 سنوات، بعد ذلك انخفض استعماله بصفة واضحة. ارتفع استعمال الإسقاط في سن 8 سنوات و تم استعماله بصفة أكثر من الإنكار. أما الميكانيزم الثالث، التقمص فكان ارتفاع استعماله بطيئاً و في الأخير فاق مستوى الإسقاط و الإنكار في مرحلة المراهقة المتأخرة.

(Phebe Cramer, 2008, p1969)

هناك دراستين طويلتين بينتا أن علاقة السن بالاختلافات في استعمال الميكانيزمات هي تمثل في الحقيقة تغيراً تطورياً. (Cramer.P, 2007, p24)

يبين الشكل التالي مسار تطور ثلاثة ميكانيزمات دفاعية الإنكار، الإسقاط و التقمص خلال أربعة مراحل عمرية، 5 سنوات، 8 سنوات، 14 سنة ثم 16 سنة: حيث يكون الإنكار في العمر الأول مرتفعاً، ثم ينخفض بنسبة كبيرة في العمر الثاني ثم يعود للارتفاع في العمر الثالث و الرابع على التوالي، لكن بنسب منخفضة. أما الإسقاط فيكون متوسطاً نوعاً ما في العمر الأول، ثم يرتفع قليلاً في العمر الثاني و الثالث، لينخفض قليلاً في العمر الرابع. أما التقمص فيكون منخفضاً جداً في العمر الأول، ثم يبدأ في الارتفاع تدريجياً خلال الأعمار الثلاثة الباقية.



و في دراسة طويلة أخرى استعملت مختلف أدوات قياس الميكانيزمات الدفاعية (DSQ-72) بينت ارتفاعا في استعمال الميكانيزمات الناضجة و انخفاضاً في الميكانيزمات غير الناضجة ما بين سن 16 و 21 سنة.
(Tuulio-Henriksson, A. and all, 1997, p1150)

الركن 3: تعتبر الميكانيزمات الدفاعية جزءاً من الوظيفة النفسية اليومية العادية.

استعمال الميكانيزمات الناضجة يدعم الوظيفة النفسية ذات الفاعلية الناجحة أو الايجابية، أما استعمال الميكانيزمات غير الناضجة فهو مرتبط بالوظيفة النفسية غير الناجحة أو السلبية.
(Cramer.P, 2005, p394)
إن استعمال الميكانيزمات الناضجة مرتبط بالخصائص الشخصية الايجابية، كالتعاطف، تقدير الذات، مركز الضبط الداخلي، الكفاءة، الثقة بالذات و الانبساط، و نموذج من الارتباط الآمن. يرتبط استعمال الميكانيزمات غير الناضجة بمؤشرات الصعوبات مثل اللامسؤولية، التمرکز على الذات، التفكير الغامض و القلق.
(Whitty, M. T, 2003, p123)
إن استعمال الميكانيزمات الناضجة من قبل الراشدين يعطي عدة مؤشرات خاصة بالتوافق الايجابي اللاحق، أما استعمال الميكانيزمات غير الناضجة فهو مرتبط بالمشاكل اللاحقة.
(Vaillant, G. E, 1993, p64)
لم يجد الباحثون ارتباطاً بين نسبة الذكاء و استعمال الميكانيزمات الدفاعية في الطفولة و المراهقة لكن على العكس فإن هذه العلاقة هي موجودة في سن الرشد. تقوم نسبة الذكاء بتعديل طبيعة العلاقة بين الميكانيزمات الدفاعية و الشخصية.
(Cramer.P, 2002, p103)
بالنسبة للأشخاص الذين يكون معدل ذكائهم منخفضاً نسبياً (نسبة الذكاء تقارب 106)، فإن استعمال ميكانيزمات أقل نضجاً كالإنكار و الإسقاط يساهم لتكون الشخصية في أحسن وظيفة نفسية لها.

الركن 4: ارتفاع استعمال الميكانيزمات الدفاعية أثناء الوضعية الضاغطة

و هو يعتبر نقطة مركزية في نظرية الميكانيزمات الدفاعية. إذا كانت وظيفة الميكانيزمات هي حماية الشخص من القلق الشديد، الانفعال السلبي غير الضروري، فقدان تقدير الذات، التعرض إلى وضعية ترفع من هذه الاستجابات ما يؤدي إلى ارتفاع في استعمال الميكانيزمات.
سنقدم أربعة نماذج تجريبية تدعم هذا الركن. في كل دراسة، و بعد انتهاء كل تجربة يستفيد المشاركون فيها من مقابلات في التفريغ النفسي.
في الدراسة الأولى، تم قياس استعمال الميكانيزمات الدفاعية عند تلاميذ مستوى المتوسط، و هذا في ظروف ذات ضغط أقل.
بالاعتماد على نتائج قياس الميكانيزمات، تساوت مجموعتين في استعمال الميكانيزمات. بعد أسبوعين، طلب من كل طفل اللعب بهدف الحصول على زمن قياسي. و عند النجاح يسجل

في لوحة الشرف. استنتج الباحثون بأن تجربة الخسارة سببت للأشخاص مشاعر سلبية. أما بالنسبة للأطفال الذين نجحوا في اللعبة فقد استطاعوا بعدها سرد قصص مختلفة تم من خلالها قياس الميكانيزمات الدفاعية. بينت النتائج بأن الأطفال في المجموعة التي نجحت في اللعب، قد ارتفع استعمالهم لميكانيزم الإنكار والإسقاط: أثارت التجربة مشاعر سلبية لديهم هذا ما زاد من استعمالهم لهذه الميكانيزمات. كما ارتفع استعمالهم لميكانيزم التقمص. ساهمت تجربة النجاح في رفع استعمال الميكانيزمات الناضجة. في الدراسة الثانية، تم خلق وضعيات ضاغطة عن طريق مجموعة من استجابات الرفض. (Cramer.P, 2003, p104)

قبل هذه التجربة، تم تقييم عينتها المتمثلة في 4 إناث بواسطة زملائهم في الدراسة لتحديد من كانت منهن حسنة الحظ. على اعتبار خصائصهن السوسيو مترية، تم اختيار أربعة مجموعات من الإناث: معروفة أكثر بين الناس، متوسطة، مرفوضة و مهملة. تشارك كل أنثى في المخبر، و بعد سرد مجموعة من القصص و مطالبة بتصديقها ثم الالتقاء بأنثى أخرى للعب معها. أعلنت زميلتها في التجربة بأنها لا ترغب في اللعب مع هذه الأنثى المشاركة في التجربة. و مباشرة بعد سماع هذا الرفض الصريح، قامت هذه الأخيرة بسرد قصص إضافية.

أكدت هذه الدراسة بأن البنات اللواتي رُفضن أو أهملن من طرف زميلاتهن، قد تأثرن أكثر بهذا الرفض، عكس أولئك اللواتي قُبلن من طرف زميلاتهن (المعروفات أكثر بين الناس و المتوسطة)، فقد كان تأثيرهن أقل. وبالتالي، يؤدي هذا الاختلاف إلى رفع استعمال الميكانيزمات الدفاعية من طرف من تم رفضهن أو إهمالهن. بالاعتماد على الاستمارات الذاتية للإناث طيلة هذه الدراسة، اللواتي تم رفضهن أو إهمالهن باعتبار خصائصهن السوسيو مترية، حيث أظهرن ارتفاعاً في استعمال الإنكار والإسقاط، بالمقارنة مع الإناث المقبولات.

الركن 5: استعمال الميكانيزمات تحت ظروف ضاغطة يخفف من المعايضة الواعية للقلقو الانفعالات السلبية

تعتبر هذه القاعدة قلب نظرية الميكانيزمات الدفاعية: هدف الميكانيزمات هو تخفيض الانفعالات السلبية. هناك عدة مصادر لتدعيم هذا الركن. في دراسة حول مراهقين (المراهقة الباكورة)، حيث أثناء لعبة الكترونية، قتل أحد رفاقهم و أسقط البعض منهم أرضاً. بعد هذا التقى هؤلاء الأولاد بنفساني عيادي للأطفال، و قاموا بسرد قصص حول صورتين متعلقتين بهذا الحدث. تم تقييم الأولاد حسب درجة الاضطراب النفسي. ثم تقييم استعمال الميكانيزمات في القصص. الأولاد الذين استعملوا ميكانيزمات أكثر في نفس الوقت خاصة في عمر استعمال ميكانيزم الإسقاطو نضج ميكانيزم التقمص، حيث أظهروا اضطراباً أقل بالنسبة للأولاد الذين استعملوا أقل الميكانيزمات الدفاعية. حيث كان لاستعمال هذه الأخيرة في الحادث الصادم، دوراً في حماية الأولاد من الاضطراب النفسي.

في دراسة ثانية، لأطفال في عمر 9-18 سنة يعيشون في ظروف ضاغطة تتمثل في إمكانية إصابتهم بمرض السيدا بعد موت آبائهم به حيث استعملوا ميكانيزم الإنكار. (Silverman, L. R, 1999, p39)

لم يختلف تقييم الاستمارات الذاتية عن مجموعة ضابطة، حيث كانت نتائج بعض السلالم منخفضة. في المجموعة التي عانت من الضغط النفسي، كان استعمال الإنكار أكثر، أما نتائج الاستمارات الذاتية المتمثلة في سلم CBCL/قلق/اكتئاب فكانت منخفضة. كان الاستعمال المرتفع للميكانيزمات له الدور المهم في حماية هؤلاء الأطفال من التعرف على المشاكل. في الدراسة الثالثة لأطفال في سن 9 سنوات إناث و ذكور، حيث كان تقييمهم حسب نتائج سلم CBCL و مقياس هارثير Harter للإدراك الذاتي للكفاءة. (Harter, S, 1982, p97) إن الاستعمال الشديد لميكانيزم الإنكار غير الناضج هو مرتبط بالمؤشرات النفسية المرضية التي يقدمها الأولياء. الأطفال الذين يستعملون الإنكار كان احتمال إدراكهم لأنفسهم، كأطفال أقل كفاءة، قليلا. الأطفال الذين يستعملون ميكانيزم غير ناضج يظهرون أعراض تنبؤ بمشاكل نفسية. فالاستعمال الشديد و الناجح للميكانيزمات، يحميهم من إدراكهم للاضطرابات، كما يحمي إحساسهم الشخصي بالكفاءة.

(Sandstrom, M., & Cramer, P, 2003, p605)

كما بينت الدراسات هذه العلاقة بين استعمال الميكانيزمات و قلة الاضطرابات النفسية. حيث تم في دراسة تقديم مجموعة صور جنسية، هذا ما يرفع ما يسمى مستوى سلوك البشرة skin conductance level (SCL) و الذي لحقه ارتفاع في استعمال الميكانيزمات. إن الرجال الذين أظهروا أكبر ارتفاع في استعمال الميكانيزمات، قد أظهروا أخفض مستويات القلق، فاستعمالهم للميكانيزمات قد حماهم من تجربة القلق، كما أن ارتفاع SCL بين وجود استجابة لإرادية. (Tang, P, 2002, p35)

في دراسة أخرى، حول مجموعة طلاب جامعيين، حيث كان تقديرهم لذواتهم مهددا، ارتفع استعمالهم للإسقاط. كان هذا الارتفاع مصحوبا بأفكار غير مقبولة، يتم حذفها من مجال الإدراك الشعوري. إن استعمال الميكانيزمات جعل الإدراك الشعوري لرأي هؤلاء الطلبة حول أنفسهم، يساهم في حماية تقديرهم لذواتهم.

(Schimel, J and all, 2003, p969)

إن استعمال الميكانيزمات الدفاعية يحمي الشخص من التجارب الانفعالية السلبية. يرتبط هذا بنتائج الدراسات السابقة التي بينت، بأن ارتفاع الضغط النفسي يؤدي إلى ارتفاع استعمال الميكانيزمات الدفاعية، هذا ما يخفض من أثر الشعور بتجربة القلق و الاضطرابات النفسية.

الركن 6: استعمال الميكانيزمات الدفاعية يرتبط بسيرورات أخرى غير اختيارية و غير واعية، تكون مصاحبة للاستجابات الانفعالية

إن استعمال الميكانيزمات الدفاعية يخفض من الشعور بتجربة القلق، و الانفعالات السلبية الأخرى. يمكن للملازمة الفيزيولوجية للانفعالات السلبية أن تستمر، كارتفاع ضغط الدم و تغيرات سلوك البشرة. في هذه الحالة، يجب إيجاد العلاقة بين الضغط النفسي/استعمال الميكانيزمات الدفاعية، و تنشيط الجهاز العصبي الذاتي. إذا أصبح هذا الظرف مزمنا، مثل: الاستمرار في الاستعمال الشديد للميكانيزمات، المصاحب لاستجابات فيزيولوجية، يمكنه أن يحدث مرضا جسديا.

تمت مراقبة الضغط الدموي الانبساطي حالة SCL لمجموعة من الأشخاص الراشدين، في نفس الوقت تم تعريضهم لظروف ضاغطة، حيث قاموا بسررد قصص تم من خلالها تقييم استعمالهم للميكانيزمات الدفاعية.

تم إيجاد علاقة بين مدى استجابة الجهاز العصبي الذاتي مستوى استعمال الميكانيزمات. ارتفاع SCL الذي يحدث عند وجود كفاً انفعالي، حيث كان هذا مرتبطاً بارتفاع استعمال الإنكار، و هذا بكفاً الأفكار و الانفعالات. ارتفاع ضغط الدم الانبساطي، في حالة وجود نشاط معرفي، كان مرتبطاً بارتفاع استعمال التقمص، حيث إن الميكانيزمات الدفاعية المعقدة تتطلب عملاً معرفياً أكثر. في هذا العرض، حيث تظهر الميكانيزمات مترادفة مع استجابات الجهاز العصبي الذاتي، التي تسببها الضغوط النفسية، من المهم الإشارة إلى أن الظروف الضاغطة التي تسبب استجابات فزيولوجية، مرتبطة بارتفاع استعمال الميكانيزمات الدفاعية، لا ترتبط مرحلة ما قبل استجابات الجهاز العصبي الذاتي، بالاستعمال اللاحق للميكانيزمات. إن التعرض لتجربة القلق هي بالخصوص سبب ارتفاع استعمال هذه الميكانيزمات.

كما بينت دراسات أخرى بأن استجابات الجهاز العصبي الذاتي التي يسببها الضغط النفسي – كذلك SCL و استجابة الشريان التاجي- هو مرتبط باستعمال الميكانيزمات الدفاعية. (Shelder, J and all, 2003, p650)

أكدت هذه الدراسات وجود العلاقة بين الاستجابة الفزيولوجية و استعمال الميكانيزمات الدفاعية، إن كانت هي وظيفة هذا الضغط النفسي، حيث بينت من جهة أخرى، عدم وجود علاقة في حالة الظروف غير الضاغطة.

في دراسة لـ 600 شخص أثبتت بأنه لا توجد علاقة بين الظروف غير الضاغطة (فيما يخص ضغط الدم

الانبساطي)، حيث يكون الجسم في حالة راحة، و استعمال الميكانيزمات الدفاعية.

(MacGregor, M. W and all, 2003, p541)

هذا ما توصل إليه كل من (Cramer (2003 مع مجموعة من الراشدين و Vaillant and Gerber (1996) مع مجموعة من الراشدين و الأشخاص في وسط العمر. (Vaillant, G. E and all, 1996, p29)

إن استعمال الميكانيزمات الدفاعية مرتبط بتغير الحالة الفزيولوجية الداخلية و التي تعتبر كمؤشر على حالة الضغط النفسي.

الركن 7: الاستعمال المفرط للميكانيزمات الدفاعية، أو تلك غير الناضجة منها أو غير المتلائمة مع عمر الشخص، هو مرتبط بالاضطرابات النفسية.

إن الاستعمال المناسب للميكانيزمات الدفاعية للحماية ضد القلق، أو فقدان تقدير الذات هو متكيف، أما الاستعمال المفرط لها فإنه يصبح من خصائص الاستجابة المتكررة للعديد من الوضعيات، أو استعمال ميكانيزمات غير متلائمة مع العمر فهو مرتبط بوجود اضطرابات نفسية.

هناك عدة اعتبارات في العلاقة بين الميكانيزمات و الاضطرابات النفسية/أولاً: على افتراض أن الاستعمال المفرط للميكانيزمات التي تكون من خصائص الاضطرابات النفسية، أما تلك المعتدلة فإنها تعتبر جزءاً عادياً من الوظيفة النفسية اليومية. ثانياً: التوقع بأن استعمال

الميكانيزمات التطورية غير الناضجة، سيكون مرتبطا بالاضطرابات النفسية ; حيث يمكن لهذه الميكانيزمات أن تكون لها نتيجة نفسية مَرَضِيَّة، إذا استمر الشخص في استعمالها لفترة طويلة، بعدنهاية المرحلة العمرية الملائمة لاستعمالها/ثالثا: و هي مسألة السببية. هل استعمال بعض الميكانيزمات يحدث أثناء تطور الاضطراب النفسي، أو هل وجود هذا الأخير يحدث في حالة الاستعمال المفرط لبعض الميكانيزمات؟

بصيغة أخرى نقول: هل الميكانيزمات الدفاعية و الاضطرابات النفسية، هي مرتبطة داخليا باعتبار أن الميكانيزم هو الاضطراب و العكس صحيح؟

لقد زاد فهم أهمية دور الميكانيزمات الدفاعية في فهم الاضطرابات النفسية، فمثلا: بإضافة سلم تقييم الميكانيزمات الدفاعية، في الدليل التشخيصي و الإحصائي للاضطرابات النفسية و العقلية (النسخة الرابعة)، و هذا لتحديد وجود الاضطرابات العقلية. هناك عدة دراسات تبين العلاقة بين الميكانيزمات الدفاعية و الاضطرابات النفسية، سواء في عينة مرضية أو سوية. كما وضحنا سابقا، فإن استعمال الميكانيزمات بطريقة معتدلة يساهم في التكيف الناجح. القدرة على تجاهل أمر ما (إنكار وجود أمر ما)، يصرف الانتباه إلى المثيرات و يساعد في تركيز الشخص أكثر على الأمر المهم، لكن الفشل في إدراك الخطر في حالة علاجنا لوضعية معينة، مثال: إنكار مفرط يدل على فقر في تجريب الواقع. كما أن كون الشخص حذرا و متيقظا في وضعية خطر معين فهو متكيف، لكن شدة الحذر، الترصد و التوقع الدائم في وضعيات عادية، مثال: الإسقاط هنا يعبر عن اضطراب نفسي. إذا استمر وجود الميكانيزمات الدفاعية، فإن وجود الاضطرابات النفسية يمكنه أن يتخذ هذا البعد.

في دراسات حول عينة من الأشخاص العاديين، وجدت أن استعمال ميكانيزمات غير ناضجة، كالإنكار و الإسقاط، مرتبط بوجود معايير اضطرابات الشخصية من النوع (ب) (B)، الخاصة بـ DSM-IV و هي (الشخصية الحدية، المضادة للمجتمع، النرجسية و شبه الهستيرية). تم تأكيد هذه العلاقات بتقييمها بواسطة مقابلات نفسية. (Vaillant, G. E and all, 1998, p152)

و باستعمال النموذج الأولي لمقياس الملاحظات، أو باستعمال مقاييس ذاتية لاضطرابات الشخصية

كان من الممكن في بعض الحالات، تأكيد العلاقة بين اضطراب و ميكانيزم معين. بالاعتماد على مقابلات إكلينيكية تتضمن الاستبطان، كان تشخيص اضطراب الشخصية النرجسية مرتبطا بميكانيزم التفكك/الإنكار، التي تدعم الرغبة في الاستيهام و تجاهل المعلومات السلبية حول الذات. إلى جانب هذا، كان وجود اضطراب الشخصية شبه الزورانية paranoid، مرتبطا باستعمال الإسقاط و هو ميكانيزم يسند الضرر و الاعتداء إلى العالم الخارجي، و هذا سبب الخوف غير المبرر للشخصية شبه الزورانية. (Vaillant, G. E, 1994, p44)

أما في العينة المرضية، فإن استعمال الميكانيزمات كان مرتبطا بالتشخيص. بينت الدراسة بأن هؤلاء يختلفون عن العينة السوية، في استعمالهم للميكانيزمات الدفاعية. (Simeon, D and all, 2002, p491)

حيث يستعمل الأشخاص الميكانيزمات غير الناضجة أكثر، من استعمالهم لتلك الناضجة منها. كما كان استعمال الميكانيزمات مرتبطا بوجود مختلف الأعراض النفسية المرضية. (Cramer.P and all, 1988, p616)

ترتبط الميكانيزمات غير الناضجة بعدد كبير من الأعراض المرضية، أما تلك الناضجة منها فهي مرتبطة بعدد قليل من الأعراض.

من جهة أخرى، كانت الدراسات حول العينة المرضية أقل نجاحاً، فيما يخص التفريق بين التشخيصات المختلفة على أساس استعمالهم للميكانيزمات الدفاعية. (Perry, J. C and all, 1992, p200)

إن من أهم الصعوبات في ربط ميكانيزم ما بتشخيص خاص، هو أن هؤلاء الأشخاص بمختلف تشخيصاتهم، يمكنهم استعمال مختلف الميكانيزمات الدفاعية (حيث لا يرتبط ميكانيزم واحد خصوصاً بتشخيص واحد).

إن استعمال الميكانيزمات الدفاعية غير الناضجة، قد تم التأكيد عليه باستمرار بأنه مرتبط بالاضطرابات النفسية، سواء عند العينة المرضية أو السوية. أما محاولة ربط تشخيص ما بميكانيزم خاص كانت أقل نجاحاً.

خلاصة:

تعتبر دراسة الأركان السبعة لنظرية الميكانيزمات الدفاعية، من أهم البحوث النفسية التي تساهم في فهم واسع و شامل لهذه الميكانيزمات. فقد حاول الباحث في هذا البحث البسيط تقديم أهم جوانب هذه النظرية، إلى جانب اسقاطاتها التجريبية و التطبيقية، فقد وجدنا بأنها ضرورية في الكثير من الميادين النفسية و التربوية و المهنية، و لهذا فمن الضروري و المهم الاهتمام بمجال الميكانيزمات الدفاعية، من جميع النواحي و في الكثير من الميادين.

توصيات:

- تعميق البحث في مجال الميكانيزمات الدفاعية، لفهم أحسن لوظيفتها.
- تعميم مثل هذه البحوث في مجالات متعددة، مثل العلاجات النفسية المختلفة.
- محاولة فهم الميكانيزمات الدفاعية من عدة وجهات نظر، فالنظرة الشمولية تعطي دقة و مصداقية أكثر لفهم الموضوع.

1. Charlotte Soultanian et autres(2005), revue canadienne de psychiatrie, Vol 50 n12, octobre.
2. Cramer, P(2002). Defense mechanisms, behavior and affect in young adulthood. *Journal of Personality*, 70.
3. Cramer, P(2007). Longitudinal study of defense mechanisms:Late childhood to late adolescence. *Journal of Personality*, 75.
4. Cramer, P(2003). Personality change in later adulthood is predicted by defense mechanism use in early adulthood. *Journal of Research in Personality*, 37.
5. Cramer, P(2006). *Protecting the Self:Defense Mechanisms in Action*. New York, NY:Guilford Press.
6. Cramer, P(1991). *The Development of Defense Mechanisms:Theory, Research and Assessment*. New York, NY: Springer-Verlag.
7. Cramer, P., & Tracy, A(2005). The pathway from child personality to adult adjustment: The road is not straight. *Journal of Research in Personality*, 39.
8. Cramer, P., & Brilliant, M(2001). Defense use and defense understanding in children. *Journal of Personality*, 69.
9. Cramer, P., Blatt, S. J., & Ford, R. Q(1988). Defense mechanisms in the anaclitic and introjective personality configuration. *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 56.
10. Dollinger, S. J., & McGuire, B(1981). The development of psychological-mindedness:Children's understanding of defense mechanisms. *Journal of Clinical Child Psychology*, 10.
11. Harter, S(1982). The perceived competence scale for children. *Child Development*, 53.
12. Kihlstrom, J. F(1987). The cognitive unconscious. *Science*, 237.
13. MacGregor, M. W., Davidson, K. W., Barksdale, C., Black, S., & MacLean(2003), D. Adaptive defense use and resting blood pressure in a population-based sample. *Journal of Psychosomatic Research*, 55.
14. Newman, L. S(2001). Coping and defense: No clear distinction. *American Psychologist*, 56.
15. Newman, L. S., Duff, K. J., & Baumeister, R. F(1997). A new look at defensive projection:Thought suppression, accessibility, and biased person perception. *Journal of Personality and Social Psychology*, 72.
16. Perry, J. C., & Cooper, S. H(1992). What do cross-sectional measures of defense mechanisms predict? In G. E. Vaillant (Ed.), *Ego Mechanisms of Defense: A Guide for Clinicians and Researchers*. Washington, DC: American Psychiatric Press.
17. Phebe Cramer(2008), *Seven Pillars of Defense Mechanism Theory*, Social and Personality Psychology Compass 2/5, Blackwell Publishing Ltd,.

18. Sandstrom, M., & Cramer, P. (2003) Girls' use of defense mechanisms following peer rejection. *Journal of Personality*, 71.
19. Schimel, J., Greenberg, J., & Martens, A.(2003). Evidence that projection of a feared trait can serve a defensive function. *Personality and Social Psychology Bulletin*, 29.
20. Shelder, J., Karliner, R., & Katz, E(2003). Cloning the clinician: A method for assessing illusory mental health. *Journal of Clinical Psychology*, 59.
21. Silverman, L. R(1999). Defense and adaptation in uninfected 'affected' siblings of HIV-positive children. New York, NY: The City University of New York.
22. Simeon, D., Guralnik, O., Knutelska, M., &Schmeidler, J. (2002)Personality factors associated with dissociation:Temperament, defenses, and cognitive schemata. *American Journal of Psychiatry*, 159.
23. Tang, P(2002). The effect of exposure to erotic images on defense mechanisms. Palo Alto, CA: Pacific Graduate School of Psychology.
24. Tuulio-Henriksson, A., Poikolainen, K., Aalto-Setala, T., &Lonnqvist, J. (1997)Psychological defense styles in late adolescence and young adulthood: A follow-up study. *Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry*, 36.
25. Vaillant, G. E(1977). *Adaptation to Life*. Boston, MA:Little, Brown and Co.
26. Vaillant, G. E.(1994) Ego mechanisms of defenses and personality psychopathology. *Journal of Abnormal Psychology*, 103,.
27. Vaillant, G. E(1993). *The Wisdom of the Ego*. Cambridge, MA: Harvard University Press.
28. Vaillant, G. E., & Gerber, P. D(1996). Natural history of male psychological health, XIII:Who develop shigherblood pressure and whoresponds to treatment. *American Journal of Psychiatry*, 153.
29. Vaillant, G. E., &McCullough, L(1998). The role of ego mechanisms of defense in the diagnosis of personality disorders. In J. W. Barron (Ed.), *Making Diagnosis Meaningful:Enhancing Evaluation and Treatment of Psychological Disorders*. Washington, D.C.: American Psychological Association.
30. Whitty, M. T(2003). Coping and defending: Age differences in maturity of defense and coping strategies. *Aging and Mental Health*, 7.

نظرية الرواية عند جورج لوكا تش (Georges Lukacs)

من خلال كتابي :

1-نظرية الرواية La théorie du roman

2-كتابات موسكو les écrits de Moscou

أ. ليلي بن عرار
جامعة الجزائر-2-

الملخص باللغة العربية :

كان اهتمام الجمالية البرجوازية في بداية نشأة المجتمع البرجوازي الذي كان توجهه كلاسيكي، منصب على إعادة النماذج الأدبية القديمة و اعتبارها نماذج لا يمكن الخروج عنها، وهذا طبيعي باعتباره مجتمع فتي ليست له جذور يستمد منها حياته و أرضية يستند إليها، و اتخذت البرجوازية على المستوى الجمالي هذه الأعمال كسلاح تجابه به ما أنتت به العصور الوسطى من ظلام و تخلف (سيطرة الكنيسة و إجهاض أي محاولة تفكير و إبداع)، فسعت البرجوازية إلى قطع أي صلة تربطها بهذه العصور فكانت تخضع كل الأعمال الإبداعية لفترة النشأة، لهذه النماذج و أي عمل لا يستجيب لمقاييسها يقصى من دائرة الأعمال الإبداعية المعترف بها، و كانت الرواية من بين الأعمال المغضوب عليها، حيث همشت و اعتبرت فنا شعبيا غير جدير بالاهتمام، تتحاشاه الدراسات الجمالية، لكن الفلسفة الكلاسيكية الألمانية أعادت الاعتبار لهذا الفن، و كانت بذلك السبابة إلى طرح مسألة الرواية بشكل عميق وملفت للانتباه، و اعتبرتها جنسا أدبيا يستحق الاهتمام كغيره من الأجناس الأخرى. الكلمات المفتاحية: الرواية-الملحمة-الاجناس الادبية-البطل الروائي-نظرية الرواية-المجتمع البورجوازي-الفن الحكائي.

Sommaire

L'étude du roman comme genre littéraire se caractérise par des difficultés particulières. Cela provient de la spécificité de l'objet lui-même. Le roman est l'unique genre qui soit encore en cours de constitution alors que les autres genres sont achevés en tant que formes dans lesquelles vient se couler l'expérience de l'artiste.

L'épopée est un genre achevé et profondément désuet depuis longtemps. Elle possède tels que les autres genres une force historique réelle. En revanche, le roman est en contradiction avec les autres genres : il élimine certains genres, en introduit d'autres dans sa propre construction en leur donnant un autre sens et un autre accent. Par conséquent, le roman devient le genre dominant.

En opposition à celui de l'épopée, le contenu du roman est déterminé comme lutte dans la société.

George Lukács considère le roman comme le genre littéraire le plus typique de la société bourgeoise. Son histoire est celle d'une lutte héroïque qui prend souvent des chemins détournés mais d'une lutte victorieuse contre les conditions défavorables auxquelles la vie bourgeoise moderne soumet la figuration poétique. Lukács pense

que L'évolution du roman fait apparaître toujours avec plus de force combien la vie bourgeoise est défavorable à l'art et à la littérature¹ et que la périodisation qui intervient à l'intérieur même de l'évolution propre du roman ne peut s'effectuer que sur la base de la naissance du développement des classes, de lutte des classes dans leurs étapes².

Selon Lukács, le roman est passé par des étapes à savoir : le roman à l'état naissant- la conquête de la réalité quotidienne- La poésie du règne animal spirituel- Le naturalisme et la dissolution de la forme romanesque et enfin Les perspectives du réalisme social.

D'après Lukács, le roman présente les caractères esthétique généreux du grand récit épique de l'épopée³

Mots-clés: roman - épique - genres littéraires - romancier héros - théorie du roman - la société bourgeoise - l'art du droit

تمهيد :

كانت انطلاقة الفلسفة الألمانية، مبدأ التعارض "المقابلة" بين الرواية والملحمة، وفي مقدمة الفلاسفة الذين اهتموا بالرواية الفيلسوف الألماني المثالي "هيغل" Hegel وكذلك المنظر والفيلسوف المجري "جورج لوكاتش" George Lukacs الذي اتخذ من تعريف هيغل للرواية "ملحمة برجوازية" نقطة انطلاق لدراساته عن الرواية في نصّيه "تقرير عن الرواية" Rapport sur le roman و "الرواية" Le roman والذين ضمنهما في كتابه: "كتابات موسكو" "Les écrits de Moscou الذي كان من بين ثمرات إقامته في موسكو كمهاجر مناهض للفاشية. يمكن تقسيم حياة لوكاتش الفكرية إلى ثلاث مراحل:

*مرحلة الشباب أو مرحلة ما قبل الماركسية: أين كان توجهه و نظرتة للأشياء نظرة مثالية تأثرا بهيغل، وهذا ما نلمسه في كتابه "الروح و الأشكال" L'Ame et les formes ، كذلك كتاب "نظرية الرواية" La théorie du roman ، وهذا ما يجعل هذه المؤلفات غاية في التعقيد و التجريد ،حيث نجد المثالية الهيجيلية طاغية عليها *مرحلة التكوين الماركسي (1918-1930) :و في هذه المرحلة بدأ يطلع على الايدولوجيا الماركسية خاصة بعد التحاقه بمعهد "ماركس-انجلز" Marx Engels بموسكو، أين التقى "ميخائيل الكسندروفيتش ليفشنتز" Mikhaïl Alexandrovitch Lifshitz ،حيث كان يجري معه محاورات و مناقشات ودية حول المسائل الأساسية للماركسية ،فهنا كان تمثل لوكاتش الحقيقي للماركسية ، وهذا ما نجده في كتابيه

1Les écrits de Moscou p67

2Les écrits de Moscou p70

3Voir Georges Lukacs، les écrits de Moscou p82

"تاريخ و وعي الطبقات" Histoire et conscience de classe ، و " كتابات موسكو " Les écrits de Moscou ، و هذين الكتابين اقل تعقيدا من السابقين .
*المرحلة اللاحقة: و التي بدأت في فترة نهاية الخمسينات إلى غاية نهاية حياته أين أعاد النظر في الكثير من آرائه و مواقفه ، و كانت مرحلة حافلة بالأعمال و الإبداع ، و كذلك هي مرحلة النقد الذاتي للوكا تش الثلاثينات ، حيث كانت آخر كلمة في مقدمته(توطئه)هي: " la théorie du roman " "Jette mon livre"، و في نص آخر اعترف بهيغلية و مثالية كتابه نظرية الرواية"¹.

*كان النص الأول "تقرير عن الرواية " عبارة عن مقدمة لمناقشة حول الرواية و التي نظمتها مجلة "النقد الأدبي" La littérature critique في 1934، و بعد سنة من ذلك (1935) عاد لوكاتش إلى نصه ، فطوره و فصل ما كان مجملا فيه و نشره "في المجلد التاسع من الموسوعة الأدبية " Le volume 9 de l'encyclopédie littéraire " تحت عنوان " الرواية كملحمة بروجوازية " Le roman comme épopée " bourgeoise ، و المتأمل لهذا التعريف يكتشف مباشرة العلاقة الموجودة بين هيغل و لوكاتش في طرحهما لمشكلة الرواية.

و كلا النصين متشابهين و متمثلين إلى حد كبير حيث طرح فيهما مسألة الرواية على المستوى النظري و التي تطرق إليها من قبل في نظرية الرواية(1920) بأسلوب أكثر تجريدية و غموض.

1-تقرير عن الرواية(Rapport sur le roman)

طرح لوكاتش في نصه تقرير عن الرواية مسألتين أساسيتان للرواية:المسألة الأولى:ماهية الرواية؟ والمسألة الثانية هي التحقيب للرواية حسب المراحل التاريخية للبرجوازية.

يعتبر لوكاتش الرواية النوع الأدبي النموذجي للمجتمع البرجوازي باعتباره آخر مجتمع طبقي²"Le genre littéraire le plus typique de la société bourgeoise" ، لكنه لا ينفي وجود أعمال أدبية أخرى، القديمة منها و الوسيطة لها خصائص و سمات قرابة مع الرواية، لكن السمات النموذجية الحقيقية للرواية لا تظهر إلا بعد أن أصبحت الرواية هي الشكل التعبيري للمجتمع البرجوازي ، حيث صورت تناقضات المجتمع البرجوازي اصدق تصوير(تناقض بين ما وصل إليه المجتمع من تقدم من خلال القضاء على كل ما هو إقطاعي و رعوي مما خلفته مرحلة العصور الوسطى ، و قيام قوى إنتاجية حديثة، و بين انحطاط عميق الهوية للإنسان تحت وطأة هذا التقدم.وينطلق لوكا تش في تعريفه هذا، من منظور هيغل للرواية حيث انه يرى في الرواية الشكل المعارض و المناقض للملحمة وفي نفس الوقت يرى فيها الابن الشرعي للملحمة، و يعتبر هيغل هذا التعارض انه تعارض بالدرجة الأولى بين حقتين تاريخيتين ، و كل حقبة تمثل كفة من كفتي التعارض ، فمن جهة الملحمة تمثل التي كان فيها الإنسان حرا و مستقلا و هي مرحلة تغيب فيها التناقضات بين الكيان الفردي و الكيان الاجتماعي، مرحلة الانسجام التام) بين مصالح الفرد و مصالح

1 G.Lukacs. les écrits de Moscou p
1G.Lukacs.les écrits de Moscou p63
191

المجتمع)، و يعتبر هيغل هذه المرحلة هي مرحلة الشعر و التي تتعارض مع مرحلة النثر. و ما تنبغي الإشارة إليه هو أن فهم هيغل للشعر و النثر ليس فهما سطحيا و شكليا بل هو فهم عميق، يعيده إلى البني الاجتماعية و الإيديولوجية التي أفرزت كل واحد منهما. و بالنسبة لهيغل مرحلة الملحمة هي مرحلة البطولة، لكنه لا يحصر البطولة في الشجاعة الحربية فقط بل هي أيضا تلك الوحدة التي يعرفها البطل مع مجتمعه، فالبطل الملحمي هو المحارب الشجاع الذي يحمي مصالح مجتمعه، و يحضى بتأييد منه، فهذا البطل لا يخطر بباله أبدا أن يفكر في نفسه على انه وعي مستقل عن الكيان الاجتماعي، فهو منه و إليه، و تعتبر أشعار هوميروس-الذي يرى أنها مرحلة شعر الطفولة العادية Poésie de l'enfance normale- نموذجا حيا عن هذه الوحدة السائدة بين الفرد و المجتمع في تلك الفترة، و التي يعتبرها ماركس "مرحلة طفولة البشرية" La période de l'enfance de l'humanité .

و الكفة الثانية لهذا التناقض هي الرواية، التي هي النوع الأدبي النموذجي للمجتمع البرجوازي، و يرى هيغل في هذه المرحلة انه مرحلة النثر (نثرية الحياة البرجوازية) لكن هيغل لا يفهم النثر أيضا بشكل سطحي و شكلي، بل يرى فيه المرحلة التي بدا فيها التناقض بين الفرد و المجتمع، حيث يسعى الفرد إلى تحقيق القيم المطلقة الموجودة في وعيه (Les valeurs absolues) أو القيم الأصيلة، وهذه القيم ليس لها علاقة بالزمن أي هي قيم متعالية عن الزمن، فهي جواهر ثابتة Des essences "في كل فترة من فترات التاريخ، لكن هذا الفرد بالمقابل يصطدم بواقع مناقض تماما لهذه القيم، فيجد نفسه يواجه قوى مثالية، سامية، مطلقة و مجردة يستحيل أن تصور بشكل ملموس في الواقع الإنساني" Les valeurs abstraites، و من جهة أخرى يواجه هذا الواقع الذي يعيش فيه، واقع غث، وضيع و متردي Une réalité quotidienne de "l'homme est si triviale et si médiocre"¹، هذا لواقع البعيد كل البعد عن أي تسامي فني أو مثالي، و في ظل هذا الصراع الذي يعيش فيه الإنسان، أصبح يرى نفسه انه جسم غريب عن هذا و ذلك.

يرى هيغل أن التقسيم الرأسمالي للعمل هو الذي افرز نثرية الحياة الحديثة إلى مختلف العناصر "Higel a compris que la division capitaliste du travail était le fondement de la prose de la vie moderne"² الرواية هذا الفن النثري، هي النوع الأدبي المناسب للتعبير عن جوهر الحياة الحديثة مع كل تناقضاته، تناقض بين الإنتاج الاجتماعي و بين الملكية الخاصة (بين ما ينتجه المجتمع و ما يملكه الفرد)، و الرواية تصف هذا التناقض في شكله الظاهري، و بهذا يكون محتوى الرواية يتميز باعتباره كفاح داخل المجتمع على عكس محتوى الملحمة الذي يكون كفاح خارج المجتمع الواحد "Par conséquent, en opposition à celui de l'épopée, le contenu du roman est déterminé comme lutte dans la société"³ ضرورة معرفة الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية لهذين النوعين في

1 Les écrits de Moscou p 64

2 G. Lukacs. les écrits de Moscou p 64

3 Les écrits de Moscou p 65

الوقت الذي من المفروض أن نهتم بالظاهرة الإبداعية الجمالية وهنا نجيب أن الفهم الصحيح لهذه الظروف وتأويلها السليم هو الذي يمكننا من إدراك جوهر كل من الملحمة والرواية، وخصوصية كل نوع منهما. حيث إن الرواية تشترك مع الملحمة في عنصر التصوير الحكائي لعمل ما "Elles ont en commun la figuration narrative d'une action"¹. هو السبيل الوحيد لإدراك الجوهر الإنساني المتخفي، وإدراك حقيقة الكينونة البشرية التي نلمسها في أعمال الإنسان. وللمعرفة مدى ملائمة الظروف الاجتماعية أو عدم ملائمتها لجنس أدبي معين، لا بد من اكتشاف المادة التي يمنحها المجتمع لشاعره (كاتبه) لينجز ويبدع عملاً حقيقياً، وتاريخ الرواية هو تاريخ كفاح بطولي لكنه يأخذ دائماً طرقاتاً ملتوية، هو كفاح للانتصار ضد الظروف غير المواتية التي فرضتها الحياة البرجوازية الحديثة "L'histoire du roman est l'histoire d'une lutte héroïque, qui prend souvent des chemins détournés, mais d'une lutte victorieuse contre les conditions défavorables aux quelles la vie bourgeoise moderne soumet la figuration poétique"² الوحدة التي كانت تعرفها الحياة الفردية بالحياة الاجتماعية في المجتمع القديم، والعلاقة الوطيدة التي تربط بين الانفعال الفردي الذي يتجسد في شكل واقع وبين مشاكل الجماعة لا نجدتها في الواقع الرأسمالي.

وعلى كبار الروائيين عليهم أن يبحثوا وينقبوا بعمق بين الأسس الاجتماعية للعمل الفردي أي المرجع الاجتماعي للعمل الفردي وأن يملوا بعدة وسائل لكي يظهروا هذه الأسس الاجتماعية على شكل قيم فردية أي إصباغ الفرد بهذه الخصائص الاجتماعية وتصويرها على أنها حالات و انفعالات عاشها أشخاص متميزين ومتفردين. وعلى هؤلاء الروائيين أن يصوروا على مستوى السمو الروائي الصلات الاجتماعية الاقتصادية.

*أما المشكل الشكلي الأساسي هو خلق عمل ملحمي يفرض معرفة ملائمة بالمجتمع البرجوازي، مجتمع يعرف وحدة لا يمكن فصلها بين التقدم الذي حققه من خلال تحطيم البني الرعوية القديمة و الإقطاعية و إقامة قوى إنتاجية مادية حديثة و بين انحطاط الذي عرفه "La dégradation de l'homme" والذي كان سببه النمط الإنتاجي الذي عرفه المجتمع الرأسمالي من خلال التقسيم الاجتماعي للعمل الذي افرز عملاً (يدوياً/ فكرياً) ونمط حياة (مدينة/ريف) "La division sociale du travail"، وهذا التقسيم لا يمكن فهمه بشكل صحيح و دقيق إلا من خلال رؤية البروليتاريا للعالم أو من خلال الجدلية المادية "النظرية الانعكاسية".

كما كان معظم الأدباء و المفكرين البرجوازيين يتعاملون مع هذه الوحدة غي القابلة للفصل بين الثنائيتين اللتين ميزتا المجتمع البرجوازي (انحطاط/تقدم) على أنهما نقيضين لا يمكن أن يكون هناك ما يجمع بينهما "Les deux extrêmes"، هذا ما جعلهم ينحازون لهذا الطرف أو لذلك، فإما أن يؤيدوا التقدم الذي بلغه المجتمع

4 Les écrits de Moscou P65.

5Les écrits de Moscou p 66

البرجوازي دون مراعاة ما سيخلفه من معضلات و اعتباره مصيرا لا بد منه و بالتالي محاولة التعايش معه، أو يناضلوا ضد الانحطاط الذي عرفه الإنسان- أين فقد كيانه ووضع الاعتباري ككائن يمتلك عقلا و إحساسا- بأفق رومانسي رافض لما آل إليه الإنسان ،مع الحنين إلى الماضي المجيد الذي عرفه الإنسان،ونفهم من هذا أنهم كانوا يقيمون حدود فاصلة بين التقدم الرأسمالي والانحطاط الإنساني، حدود ليست بالهولوية فمن الصعوبة بمكان تجاوزها . لكن في لحظة لاحقة تم إدراك استحالة الوقوف بحيادية بين هذه المتناقضات، و بعد حيرة الكتاب و الأدباء في اختيار اتجاه مستقل ينتمون إليه في فترة بلغت البرجوازية أوجها ،و بالتالي بلوغ هذه التناقضات حدها الأقصى ،حاول هؤلاء الكتاب إيجاد نوع من التركيب و التوفيق بين هذين الطرفين و هو ما يطلق عليه لوكاتش "الحل الوسيط" *Etat intermédiaire* ،هذا ما يتجلى في الأعمال الروائية من خلال "البطل الايجابي" *L'héro positif* حيث كانوا يرون فيه التجسيد الحقيقي لضرورة الإيديولوجية البرجوازية.

*بهذا سعى كبار كتاب الرواية البرجوازيين إلى خلق عمل نموذجي خاص بالوضع البرجوازي في المرحلة التي يعيشون فيها، و يختارون لهذا العمل شخصية تحمل السمات النموذجية لطبقة معينة من الطبقات البرجوازية، و في نفس الوقت يسعى إلى تحقيق هدفه المنشود الذي يظهر من خلاله ايجابيا جديرا بالتأييد و المساندة من طرف كل المجتمع ، و رهان هذا البطل هو القيم الإنسانية المطلقة أو الأصيلة المتعالية عن الزمن و المكان ،قيم لا ترتبط بفترة محددة أو بطبقة بعينها . هذا المطلب ممكن التحقيق بالنسبة للأدباء الذين يميلون إلى التلفيق ، التزييف والتقريض،لأنه بإمكانهم غض النظر عن السلبيات حتى وان وجدت ،و الإشادة بالايجابيات حتى وان لم تكن ،أما بالنسبة للأدباء النزهاء فهو أمر في غاية الصعوبة لأنهم يسعون إلى تصوير البرجوازية بكل مصداقية، و بالتالي تصوير البطل بايجابيات و سلبيات الطبقة التي ينتمي إليها هذا ما يجعل مسألة تأييد و مساندة هذا البطل أمر مشكوك في تحقيقه،لأن الوصف الصادق لتلك التناقضات و إزاحة الستار لكشف ما وراءه خاصة انحطاط و معاناة الإنسان من شأنه أن يلغي ايجابية البطل الذي افترضوه في أعمالهم الروائية . هذا ما يجعل محاولة خلق الحالة الوسطى عملية مقبوض لها بالفشل .

*لكن الشيء الذي يمكن الخروج به في هذه المرحلة هو بلورة شكل روائي، هذا الشكل المتناقض غير المكتمل الذي يتطور و يتراجع حسب الظروف الاجتماعية و الاقتصادية السائدة في مرحلة تاريخية معينة ،هذه التناقضات و الاختلافات جعلت الشكل الروائي بين مد وجزر هذا ما يفسر عدم مقدرة التطور البرجوازي على صياغة نظرية كاملة له بسبب هذه الزئبقية التي يعرف بها .

لكن هذا لايعطينا الحجة لإغفال أعمال كبار الروائيين أمثال(فيلدينغ *Fielding* – غوته *Goethe* –بلزاك *Balzac*)، وكذلك جهود الفلاسفة و المنظرين الألمان في مقدمتهم هيغل الذين اكتشفوا التوجهات الفنية و التاريخية الكبرى للرواية رغم محدودية أفق هذا الاكتشاف.

بعد هذا البحث أدرك هيغل أن الرواية مجبرة على الانتهاء إلى تكييف البطل و جعله يتأقلم مع الواقع البرجوازي لأن وجوده لا يتحقق إلا فيه. و يرى بلزاك و فيلدينغ أن الروائي مهمته هو التأريخ للحياة الخاصة و المتفردة " L'histoire de la vie privé " و هذا يعني أن الروائيين الكبار يرون أن الحدث النموذجي L'événement typique و البطل النموذجي L'héro typique لا يكونان على مستوى المعدل المتوسط ،أي هذا البطل يكون من الشخصيات القوية ، البارزة و المتميزة فهم يعتبرون الوصول إلى النموذجية -عمل نموذجي للمجتمع البرجوازي-مرهون باختيار دقيق للشخصيات و تسليط الاهتمام عليها لإبراز بشكل واضح التناقضات التي تحملها في مواقفها(مواقف متقدمة و منحطة في نفس الوقت) و بالتالي تناقضات المجتمع الرأسمالي ،فاختيار مثل هذه الشخصيات من شأنه أن يكشف بشكل واضح للعيان الهوية الموجودة بين قطبي التناقض في هذا المجتمع ،أي اختيار المواقف المتطرفة و الشخصيات المتفردة"¹ Les "caractères excessifs et les situations extrêmes" هذا ما يمنح الجرأة للروائيين لكشف مختلف الصراعات و هذا ما يحاول تجسيده التيار الواقعي الذي عرف روائيه بالنزاهة و البعد عن كل تزييف و حجب للواقع حتى وان كان هذا الواقع يتعارض مع إيديولوجيتهم ،حيث يحاولون دائما إبراز الصراعات، مع محاولة تجاوز تلك الغثاثة و الدناءة اليومية للحياة البرجوازية و معارضتها بأفق رومانسي تصبغ به هذه الواقعية.

لكن التطور البرجوازي للأسف وضع حدا لهذه المصادقية و النزاهة ،حيث حل محلها الخبث و التضليل و سوء الطوية،و أصبحت الكتابة تبريرية أكثر منها نقدية ،تبرر وجود هذا الواقع البرجوازي و تتقبله على انه قدر لا يمكن تغييره و لا بد من الخضوع له،هذا ما جعل أفق الواقعية الرومانسية يتراجع و تنقلص مساحته ،و هذا الفقدان لن يعوض مهما كان السعي للنزاهة لبعض الأدباء إلى ذلك ،و هذا ما يؤكد ما يسميه لوكاتش "عدم ملاءمة الحياة البرجوازية للفن و الأدب" L'évolution du roman fait apparaître toujours avec plus de force combien la vie bourgeoise est défavorable à l'art et à la littérature"².

أما المسألة الثانية التي سنتطرق إليها في هذا الجزء و التي أوردتها لوكاتش في تقرير عن الرواية فهي لا تقل أهمية عن الأولى وهي مسألة التحقيب للرواية La périodisation.

التحقيب للرواية عند لوكاتش (La périodisation)

نحن ندرك قداسة التاريخ لدى الماركسي وبهذا معالجة لوكاتش للرواية باعتبارها نوعا أدبيا لا يمكنها أن تخرج عن النطاق المنهجي،التاريخي وبالتالي مجمل البحث عن التعيينات الرئيسية للرواية يعتمد على المعرفة الشاملة لتاريخ المجتمع و بهذا فالتحقيق الذي يحدث داخل النوع الروائي لا يمكن تحديده إلا على أساس معرفة تطور وصداع الطبقات في مختلف مراحلها خاصة مراحلها الكبرى والمنعطفات المهمة (على أساس المفهوم الماركسي للتاريخ) "la périodisation qui intervient à l'intérieur même de l'évolution propre du roman ne peut

1 G.Lukacs.les écrits de Moscou p 66

2 Les écrits de Moscou p67

s'effectuer que sur la base de la naissance du développement des classes, de lutte des classes dans leurs étapes" ¹

الحرص على هذه المنهجية التاريخية هو من اجل إيجاد علل للوقائع التي افرزها التطور المتفاوت واللا متكافئ للطبقات و المجتمعات، فمثلا باعتبار ثورة 1848 (النصف الأول من القرن 19) هو منعرج هام في تاريخ الرواية، فعلمنا إدراك أن هذا التغيير يخص فقط البلدان الأوروبية الغربية في حيث أن روسيا مرت بهذا المنعرج سنة 1905، وبالتالي فإن الرواية الروسية في ما قبل 1905 تشبه الرواية الأوروبية لما قبل 1848 وليس للرواية مرحلة ما بعد 1848 مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل تطور تاريخي وإمكانية تأثير تطور في آخر (التأثير والتأثر الذي يحدث بين الثقافات و المجتمعات .تفاوت التطور غير المتكافئ. ولا باس أن نعرض أهم المراحل التي حددها لوكاتش بشكل موجز لتطور الرواية:

1- الرواية في مرحلة الولادة (le roman à l'état naissant)

هذه المرحلة هي مرحلة المجتمع البرجوازي الفتى في خطواته الأولى نحو الهيمنة، وعرفت هذه الفترة بنضال روائها الكبار أمثال رابليه و سرفانس ضد الاستعباد القروسي "القرون الوسطى" للإنسان بالدرجة الأولى "la lutte contre l'asservissement moyenâgeux de l'homme" ² وهذه المرحلة المثل و القيم العليا للمجتمع البرجوازي في طريق الظهور (في مقدمتها الحرية الفردية) لكن تطور المجتمع البرجوازي و تجلي تناقضاته تضع حدا لهذه الأوهام وما تجدر الإشارة إليه هو أن هؤلاء الروائيين و في مقدمتهم سرفانس خاضوا نضال مزدوج الرأي يواجهون الانحطاط القديم و الجديد للإنسان: القديم ما خلفته القرون الوسطى (سيطرة الكنيسة) من تخلف وانحطاط للفرد، و الجديد بعد تجلي تناقضات البرجوازية للعيان اكتشفوا أن الإنسان لم يسلم من الاضطهاد و الانحطاط حتى في ظل هذا المجتمع الحديث.

و نجد أن كتابات هذه المرحلة صبغت بخصوصية أسلوبية هي الواقعية الفرابية و التهكمية، فهي تأخذ تفاصيل واقعية و تكسيها بخصائص مستمدة من الثقافة العامية الشعبية للقرون الوسطى، فتكون الأحداث واقعية لكن طبيعة الشخصيات تتجاوز هذه الواقعية و هذا من خلال الجرأة الخارقة التي تتصف بها الشخصيات الأبطال و التي تتجاوز الواقعية إلى الغرائبية مع حفاظها على البعد الواقعي و اصدق مثال على ذلك هي رواية "دون كيشوت" لسرفانس فهو تناول موضوع الفروسية المستمدة من القرون الوسطى، لكن اختيار البطل لم يكن من طبقة النبلاء بل من طبقة دنيا و يتصرف كالفرسان النبلاء رغم انه فارس بلا قصر "chevalier sans palais"، وفي تصرفاته هذه يثير الضحك والسخرية و كذلك هو استهزاء بالقيم السائدة في القرون الوسطى فهو يمثل طبقة آفة منتهية في حين معينة "سانشو" الذي يحاول دائما أن يقنعه بالعزوف عن هذه الأوهام و الذي يمثل طبقة في طور الولادة هي الطبقة البرجوازية و التي ستهيمن فيما بعد.

2- مرحلة اقتحام الواقع اليومي "la conquête de la réalité quotidienne"

3 Les écrits de Moscou p70

1 G.Lukacs. Les écrits de Moscou p 71

في هذه المرحلة عرفت الواقعية الغرائبية تراجعاً ملحوظاً و هنا تصبح طبيعة الشخصيات و حبكة العمل الروائي واقعية باتم معنى الكلمة، فالبرجوازية التي كانت طبقة فنية أصبحت الآن طبقة مهمة خاصة على المستوى الاقتصادي و صارت لها الأهمية في أن تكون اتجاهاته و تفاصيلها هي موضوع للفرع المحلي الكبير أي تصبح انشغالات البرجوازية هي موضوع الرواية، لذا كان التركيز على الجانب المتقدم للبرجوازية و على فعالية هذه الطبقة في الكثير من الأعمال الروائية فهو بمثابة ترويح و تبرير للوجود البرجوازي وفي هذه المرحلة كانت أكبر المحاولات لخلق البطل البرجوازي الايجابي حيث كانت علاقة الكتاب بواقعهم و بعصرهم ايجابية فهو توكيد و تكريس ذاتي للبرجوازية بنوع من الرضا لكنه لا يخلو من النقد الضمني رغم أن نهاية معظم الروايات الكبرى في هذه المرحلة كانت نهاية سعيدة كروايات كل من: **ديفو (مول فلاندرز)** "moll flanders"، و ريني لوساج "Lesage" في روايته **جيل بلاس "Gill Blas"**، و يقول ولتر سكوت في ما يخص نهاية هذه الروايات من خلال تعليقه على رواية "جيل بلاس" للوساج "إن هذا الكتاب يترك القارئ راضياً عن نفسه و عن العالم" *Ce livre laisse le lecteur satisfait de lui-même et du monde*¹

ففي هذه المرحلة، الرواية أولت اهتمامها للحياة البرجوازية و أهملت الحقل الغرائبي الفسيفسائي، لكن هذه الواقعية ليست مجرد صورة طبق الأصل (أو نقل حرفي) للسمات الخارجية للواقع البرجوازي، بل كان روائي هذه الفترة يحاولون جاهدين لبلوغ واقعية ما هو نموذجي، أي أنها واقعية ترى في تلك التفاصيل مجرد وسيلة لتشخيص النموذجي، من بينهم فيلينغ الذي يحرص على أن يكون الأشخاص المصورون في الأعمال الروائية نموذجيين، وإلا لن يكون هناك عمل روائي ناجح، ويصرح فيلينغ بشكل واضح أن تصوير الأشخاص الأحياء العاديين ما هو إلا عمل كاذب و وهمي و لا قيمة له، إذا لم يكن الأشخاص الذين يصورهم في الرواية نموذجيين-والشخصية النموذجية تجمع بين ما هو خاص أي السمات الفردية و بين ما هو عام أي السمات العامة لطبقة ما أو مجتمع ما، دون أن يكون هناك صراع بين هذه السمات و تلك، وهذه الشخصية تعبر عن الواقع بطريقتها الخاصة، و هي شخصية دينامية و دائمة الحركة-لكن مهما بلغت هذه العملية التصويرية من الدقة و النجاح على المستوى الفني الجمالي، فهذا لا يشفع لها إغفالها للبطل النموذجي. *"Fielding énonce très clairement que faire le portrait d'hommes vivants, même en le réussissant complètement du point de vue artistique est une activité mensongère et dénuée de valeur si les hommes peints ainsi ne sont pas typiques"*²

ما تجدر الإشارة إليه هو أن البطل النموذجي عند لوكا تش هو البطل الذي يجمع بين ما هو ذاتي فردي (أي كيانه كفرد مستقل عن الآخرين) و في نفس الوقت ينتمي إلى طبقة معينة من المجتمع البرجوازي يحمل سمات هذه الطبقة (ما هو جماعي و عام

2. Les écrits de Moscou p109

1 G.Lukacs. Les écrits de Moscou p 110.

(والبطل حسب لوكا تش ليس بالضرورة أن يكون حقيقيا، بل يمكن للروائي أن يخلق هذا البطل و يجعل له وجود تخييلي لكنه سيحمل سمات من الواقع، كما يخلق له إحداثا نموذجيتا، و المقصود بالأحداث النموذجية تلك الأحداث الجديرة بكشف تناقضات المجتمع البرجوازي، و جديرة أيضا أن تكون منعطفا للتغيير و الانتقال من مرحلة راهنة إلى مرحلة أخرى. و بهذا يكون تحقيق النموذجي في الأعمال الروائية هو مبدأ و هدف الواقعية الكبرى في هذه المرحلة الهامة من التطور البرجوازي.

3-مرحلة شعر الملكوت الحيواني الروحي *La poésie du règne animal spirituel*

في هذه المرحلة بالذات تبرز للعيان تناقضات المجتمع البرجوازي، و هي المرحلة التي وضعت فيها الثورة الفرنسية نهاية للأوهام البطولية التي كان يعيش فيها المجتمع البرجوازي، و يتفاخر بها إيديولوجي البرجوازية على حد تعبير كارل ماركس¹ "La révolution française met fin aux illusions héroïques" و منذ الثورة الفرنسية، تحولت الحماسة المتفائلة الموجودة من قبل إلى حماسة مأساوية من جراء تلك التناقضات التي أصبحت تقلق الكثيرين بعد الإخفاق في التوفيق بينها.

كنتيجة لهذا كله، يظهر النضال الرومانسي ضد الغثاثة و الرداءة التي تتخبط فيها البرجوازية، فكان لهذا النضال نزعة رجعية تترد إلى الماضي و تحن إليه، و كان هذا التيار يكافح في سبيل الطبقات البائدة المضطهدة، ضد نثر الحياة البرجوازية و الانحطاط الذي عرفه الإنسان، محاولة في ذلك العثور على العناصر العفوية في الإنسان، التي لم تسيطر عليها القوى البرجوازية بعد.

حاولت الرومانسية خلق واقع شعري بعيد عن الواقع الحقيقي انطلاقا من الذات باعتبارها واقع سحري على حد تعبير الشاعر والكاتب الرومانسي الصوفي الألماني نوفاليس فريد ريش "Novalis Friedrich".

لكن هذه الطبقات التي تعبر عنها الرومانسية هي طبقات موجودة ضمن النظام الرأسمالي البرجوازي، وهي جزء لا يتجزأ منه، هذا ما يبقي الرومانسية مجبرة على الاعتراف الضمني بالرأسمالية ولو لم تصرح به، و مجبرة كذلك على اعتبار هذا الواقع البرجوازي قدر محتوم و مصير مسطر لا فائدة ترجى من رفضه، و ترتب عن هذا كله عجز الرومانسية على الوقوف في وجه نثر الحياة البرجوازية والتصدي له، حتى حينما بحثت عن العناصر التي اعتقدت أنها ما تزال عفوية، بريئة و فعالة في الحياة الإنسانية فإنها لم تجدها ما أدى بها إلى الإخفاق في مسعاها.

عملت الرومانسية ودون وعي منها على إقامة حاجز صلب بين الموضوعية و الذاتية (أي بين الشعر الذاتي و النثر الموضوعي)، و تكون بذلك قد أيدت و وعمق، التناقض الذي عرفته البرجوازية، وذلك عندما تفصل الذات عن ذلك الواقع، محاولة الانطلاق من هذه الذات لخلق واقعها الشعري، وبعبارة أخرى الانطلاق من إيديولوجيا الذات التي هي ضد إيديولوجيا الواقع في غالب الأحيان و المتمثلة في الرأسمالية. حاول كبار كتاب هذه المرحلة الكتابة بأسلوب واقعي و إبعاد النزعات

الرومانسية ، و سعوا إلى بلوغ أقصى درجات الموضوعية ، و الكفاح من اجل فهم كلية المجتمع الذي ينتمون إليه من خلال تناقضاته ، لكنهم -رغم كل هذا التحفظ - أدرجوا العناصر الرومانسية بطريقة مجازية باعتبارها عناصر ماضية تجاوزها الزمن ، وذلك من خلال العودة إلى أمجاد الماضي و إدراجها على أنها عناصر رمزية أسلوبية ضمن كتاباتهم التي قلنا في السابق أنها واقعية الأسلوب ، و ما لا يمكن إغفاله هو وجود عناصر رومانسية مدمجة بالضرورة في أعمالهم الروائية ، في ظل كفاحهم ضد نثر الحياة البرجوازية . لكن في الأخير يبقى هذا المزج المتناقض- بين إدراج الرومانسية بشكل إرادي وفعلي ، وبين إدراجها بشكل مجازي باعتبارها عناصر ماضية- مجرد رموز يستعان بها في الكتابة من طرف هؤلاء الكتاب ، هذا ما جعل النقاد يطلقون على هذه المرحلة تسمية الواقعية الرومانسية .

4-الطبيعية و انحلال الشكل الروائي Le naturalisme et la dissolution de la forme romanesque.

بدأت في هذه المرحلة شمس البرجوازية في الغروب ، فتراجعت كأيديولوجيا في كل الميادين ، و بالمقابل دخول البروليتاريا كقوة ثورية إلى حلبة الصراع خاصة بعد حرب جوان 1848 التي كانت منعرجا حاسما في تاريخ أوروبا ، و نلمس هذا التغيير على المستوى الجمالي و الإبداعي من خلال انتقال التشخيص الروائي من تصوير النماذج المتفردة البارزة (الأبطال النموذجيين) إلى تصوير إنسان عادي أو متوسط في وضعيات ، انجازات و مواقف متوسطة ، أي هناك ابتعاد عن التفرد و التميز في تصوير الشخصيات الأدبية ، و هذا التشخيص متبع من طرف المدرسة الطبيعية "المعادية للواقعية" التي يمثلها "إميل زولا Emile Zola" ، حيث وصل الأدب في هذه المرحلة إلى مستوى من الميول الانحطاطية في التشخيص ، حيث كان الاهتمام بوصف وتحليل التفاصيل الصغرى بطريقة قد تكون مملة في بعض الأحيان ، مع إغفال العلاقات التي من شأنها أن تكون منعطفا لتغيير المجتمع البرجوازي ، ففي هذه المرحلة ازداد الميل إلى المناقحة و تزوير الصورة الحقيقية لهذا المجتمع المتصارع مع نفسه ، أي أصبح الاهتمام منصب على ما هو هامشي على حساب ما هو رئيسي ومهم ، حيث أهملت الموضوعات الكبرى الجديرة بالاهتمام ، كصراع البروليتاريا مع البرجوازية مثلا ، هذا ما جعل النصوص التي كتبت في هذه الفترة تخلو من العنصر القصصي الملحمي الذي يصور تطور و سيرورة المجتمع البرجوازي ، وهو العنصر الذي يربط الرواية بالملحمة ، وحل محله الوصف و التحليل المفصلين الذين يعطيان صورة جامدة عن المجتمع . هذا ما نجده عند الكثير من الروائيين أمثال زولا الذي وصفه لافارغ بالمحقق الصحفي ، فزولا يقول بأن الرواية تكتب من تلقاء نفسها ، يكفي فقط جمع المعلومات ، الإحصائيات و الأقوال و ربط بعضها ببعض وتصبح الرواية جاهزة .

هذا التساهل في الكتابة الروائية كان سببه ابتعاد هؤلاء الروائيين عن الحقائق التي تنظم سير المجتمع البرجوازي ، فاتخذ هؤلاء الروائيين صفة الملاحظ الخارجي ، بعد أن حجبت عنهم الحقائق ، هذا ما دفع بهم إلى الاهتمام بالتفاصيل الدقيقة ، وفي ظل هذا الواقع هناك من الروائيين من استقال و أعلن إفلاسه الأدبي أمام هذا الانحطاط

و هناك من رفع التحدي، محاولا إعادة روح الواقعية الأصلية إلى الرواية، لكن للأسف الشكل الروائي بدأ في الانحلال، و لا سبيل إلى إعادته لسابق عهده.

5- منظورات الواقعية الاشتراكية *Les perspectives du réalisme social* عرفت هذه الفترة بثورة الطبقة العمالية على النظام البرجوازي، و هو ما يعرف بالانحلال الثوري للبرجوازية، و كانت نتيجة ذلك سيطرة كاملة للطبقة العاملة "البروليتاريا" على السلطة بعدما انتزعتها من فكي البرجوازية، و جوهر هذه الطبقة مغاير تماما لجوهر البرجوازية، ففي الوقت الذي كانت ترى فيه البرجوازية المجتمع عالما جاهزا، مكتمل الانجاز خاض فيه الإنسان كفاحا مستمرا من اجل وجوده الخارجي من جهة و من جهة أخرى من اجل عفويته و نزاهته الداخلية، الشيء الذي ولد البطل الإشكالي في الأعمال الروائية في الفترة البرجوازية، كانت البروليتاريا ترى أن المجتمع عالم يستطيع فيه الإنسان أن يحقق فيه ذاته و يجد فيه مساحة يمارس فيها نشاطه العفوي الذي يحن إليه في ظل الصراع الذي عاناه بوجوده في مجتمع كالمجتمع البرجوازي. "أول ميزة تعرف بها الطبقة العمالية هي تجمع هؤلاء العمال في نقابات، أحزاب و منظمات تدافع عن حقوق العمال المهظومة، بروح جماعية واحدة، مشكلين وعيا جديدا بالعالم، حيث أصبح بإمكان العامل الذي يحمل و عي الجماعة التي ينتمي إليها و في نفس الوقت يحمل انشغالاته الخاصة به"¹، أن يأخذ صورة "البطل الايجابي"، وهذا يذكرنا بالبطل الملحمي الذي ينتفي فيه التناقض بينه وبين العالم الذي يعيش فيه، و تدافع "البروليتاريا" عن هذا "البطل الايجابي" الذي هو "عامل من العمال" بإقرارها أن الانتقادات التي يمكن أن توجه إلى هؤلاء الأبطال الايجابيين هي انتقادات يمكن تجاوزها و غض الطرف عنها دون أن يمس ذلك شيئا من جوهر الطبقة العمالية، لكون هذه العناصر بقايا موروثه عن إيديولوجيا الطبقة الآفلة "البرجوازية"، و سرعان ما تتخلى عنها هذه الطبقة.

هذا الصراع البروليتاري ضد النموذج الطبقي السائد، وكذلك الروح الجماعية التي يتمتع بها العمال يضيفان على الشخصية الروائية الواقعية في هذه الفترة نوعا من الملحمية، البطولة و العظمة، تجعلها تشبه إلى حد كبير شخصية البطل في الملاحم، وهذا ما لم نجده في التشخيص الروائي البرجوازي في مراحل السابقة لهذه المرحلة.

في ظل هيمنة و سيطرة الطبقة العمالية، أرسيت الاشتراكية كإيديولوجيا - مسيطرة على كل التعاملات و النشاطات - تم إلغاء الأسباب التي أدت إلى انحطاط الإنسان، ساعية إلى خلق إنسان جديد بوعي جديد، يتوافق انفتاحه الحر و ميوله الشخصي مع التغيرات و التطورات الحاصلة في مجتمعه (أي لا يوجد هناك تعارض بينهما)، مع العمل على تحطيم القيود التي كانت تقيد طاقات الجماهير المقموعة و المضطهدة من قبل.

كل هذه التفاعلات و التغيرات تفرض على الروائي تعديلا و تسوية عميقة للشكل الروائي الموروث عن البرجوازية، حيث أدخلت عليه تغيرات جذرية، فأصبح فيه ميل إلى الأسلوب الملحمي و انفتاح على العناصر الملحمية في النصوص الروائية

¹ ينظر، جورج لوكا تش. الرواية كملحمة برجوازية، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1، 1979.

المكتوبة في هذه المرحلة ، لكن ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذا الانفتاح ليس مجرد حنين إلى العناصر الشكلية للملحمة القديمة ، بل هو ضرورة استدعها التطور و التغيير الذي عرفته الكينونة الاجتماعية في تلك المرحلة ، ونتيجة فرضها المجتمع اللاطقي الذي هو بصدد التشكل (أو المجتمع المتلاحم)، فأصبح هناك ميل الى الملحمة، و هذا باسترجاع خصائصها الأسلوبية في الكتابة الروائية .

2- الرواية ملحمة برجوازية (le roman)

جاء نص الرواية ملحمة برجوازية *Le roman comme épopée bourgeoise* ، أو *Le roman* كما يطلق عليه اختصارا، كنتيجة للتعديل الذي أجراه لوكاتش على نصه الأول تقرير عن الرواية "Rapport sur le roman" الذي كتبه في 1934، و كلا النصين يشبه الآخر إلى حد كبير أن لم نقل متماثلين كما سبق الذكر، لذا لا مجال للاستغراب أن وجدت معلومات في هذه الفقرة كانت قد ذكرت من قبل في النص الأول . اهتم لوكاتش في هذا النص أيضا بمسألة الرواية محاولا إبراز خصائصها ،متبعا منهج المقارنة بينها وبين الملحمة . و اعتبر لوكاتش الرواية هي النوع الأدبي الأكثر نموذجية للمجتمع البرجوازي، لأنها تعبر عن التناقضات التي يعيش فيها ، و السمات النموذجية للرواية لا تظهر الى الوجود إلا بعد أن أصبحت الرواية هي الشكل التعبيري الناطق اسم هذا المجتمع، حيث يجد قارئ الرواية وصفا و تصويرا للتناقضات التي أضحت المجتمع البرجوازي يتخبط فيها،ويمكن القول أن التطور الذي بلغه المجتمع البرجوازي مكنه من تكييف الرواية و صياغتها على نحو يخدم هذا التطور في أي مرحلة كان ،فأي تغيير يحدث في المجتمع يصبحه تغيير في الشكل الروائي مقارنة بالأشكال الأدبية الأخرى ، و التفاوت الذي عرفه المجتمع البرجوازي في تطوره يبرز لنا كيفية تطور نظرية هذا النوع الأدبي النموذجي للمجتمع البرجوازي.

باعتبار الرواية هي الشكل الأدبي الملائم لطبيعة المجتمع الرأسمالي المتصارع ،يدفعنا هذا الاعتبار إلى افتراض أن علم الجمال البرجوازي الحديث قد صاغ نظرية دقيقة ومحكمة لهذا النوع الفني الجديد ،غير أن التطور التاريخي الفعلي اثبت غير ذلك ،حيث أن التطور الفني الجمالي البرجوازي حصر اهتمامه بالأنواع الفنية التي يمكن صياغة قوانينها الشكلية من العصور القديمة مثل الدراما و الملحمة ،و بالمقابل أهملت الرواية و أقصيت من دائرة الأنواع الأدبية الجديرة بالدراسة،لأنها فن جديد من الصعب صياغة القواعد و القوانين المتحكمة في إنتاجه ،حيث كانت الرواية تتطور بصفة تكاد تكون مستقلة و بعيدة عن التطور الجمالي البرجوازي،أي كانت تتطور في الهامش و اعتبرت فنا شعبيا لا أهمية له ، حيث كانت تقاس وفق المعايير القديمة،فإذا لم تستجب لها فمصيرها الإهمال.

في ظل هذا الإهمال الذي لاقتته الرواية من طرف المنظرين و علماء الجمال البرجوازيين ،نجد الإشارات الأولى لإنشاء نظرية الرواية قد وردت في الملاحظات المتناثرة هنا وهناك للروائيين الكبار في كتاباتهم ، و عليه فيمكن القول إن التأسيس لنظرية الرواية في ظل التطور البرجوازي كان من طرف الروائيين و ليس من طرف المنظرين و علماء الجمال ،وبهذا يكون هؤلاء الروائيين قد طوروا و انشؤوا

الرواية على المستوى النظري من خلال تلك الملاحظات ، و كذلك على مستوى الممارسة من خلال إبداعاتهم الروائية، و هم و اعين كل الوعي بما يتعلق بكتابتهم، أي كانت ممارستهم الإبداعية تتماشى مع ملاحظاتهم النظرية التي كانت تحيط بما أنتج فقط من أعمال ، دون الغوص في مناهات التعميم النظري المعقد. ارتبط فن الرواية في مرحلته الأولى لدى كبار الروائيين ارتباطا مباشرا بالثقافة الحكائية للعصر الوسيط ، رغم أن البرجوازية كانت معادية للقرون الوسطى لكنها عملت على انتقاء ما تحتاج إليه في بداياتها و رفضت ما ليست لها حاجة به فتولد الشكل الروائي من الانحلال و التفسخ الذي عرفته الثقافة الحكائية الوسطى هذا من جهة، و من جهة أخرى من هيمنة السمات البرجوازية و العامية على هذا الإبداع. لكن رغم هذه الأسبقية في ظهور المحاولات الأولى في الرواية، لكن الدراسة النظرية الجمالية للرواية لا تبرز معالمها الأولى إلى الوجود إلا من خلال جهود الفلسفة الكلاسيكية الألمانية في نهاية القرن 18 و بداية القرن 19، و سرعان ما دمجت هذه الدراسة المنعزلة بنظام الأشكال الجمالية الأخرى، و بالموازاة مع هذه الدراسة النظرية فان الممارسات العملية لكبار الحكاة و رواة القصص (الروائيين) بدأت تعرف الانتشار و التطور، و اكتسبت دلالة أعمق من ذي قبل، هذا ما يحثنا على الوقوف أمام أعمال روائية كبيرة تستحق الاعتراف و التقدير ، كأعمال بلزاك، غوته و والتر سكوت).

بناء على هاتين اللبنتين أي الدراسة الجمالية النظرية و الممارسة العملية المنتشرة: كان وضع مبادئ النظرية الرواية في هذه المرحلة.

أما المرحلة الثانية (النصف الثاني من القرن 19) و بعد أن شقت الرواية طريقها نحو الصدارة باعتبارها الشكل التعبيري النموذجي للمجتمع البرجوازي ، ظهر إنتاج أدبي غزير وفق مبادئ نظرية الرواية التي وضعت من قبل ، و بهذا السيط الذائع للرواية تفهقرت المحاولات المتعددة لإبداع ملحمة حديثة باعتبار الرواية هي الشكل المهيمن على كل الكتابات الإبداعية ، حيث ظهر إبداع أدبي وافر حول الرواية ، ككتابات زولا النظرية التي أعطى فيها تصوره عن الرواية ، لكنه للأسف لم يتبع طريقة ممنهجة في كتاباته ، هذا ما جعل في بعض الأحيان نظرية الرواية بمثابة تبرير نظري يدعم مشروع زولا في فصل الرواية عن التقاليد الفنية الكبرى ، حيث كان يدعو إلى زوال الأسلوب الحكائي في الرواية ، الذي يعوض بمجموعة من المعلومات ، التقارير، الاستجابات و الإحصائيات ، و هذا ما يطلق عليه اسم المدرسة الطبيعية Le naturalisme في الكتابة الروائية، ففي ظل هذه المدرسة انحل الشكل الروائي ، هذا ما نلمسه في كتابات زولا التجريبية و كتابات فلوبير الواقعية ، حيث سعيا إلى علمية الرواية أي جعلها علما، فكان زولا اقرب إلى المحقق الصحفي منه إلى الروائي على حد تعبير "لافارغ بسداد".

ما تجدر الإشارة إليه هو أن هذا الانحلال في الشكل الروائي لم يكن بمحض الصدفة، بل كان نتيجة منطقية- على المستوى الفني- للأفول الذي عرفته الايديولوجيا البرجوازية في هذه المرحلة ، حيث أصبحت تتقهقر أكثر مما تتقدم.

بعد تراجع البرجوازية كاديولوجيا في كل الميادين ، و دخول البروليتاريا كقوة ذات وزن إلى مسرح الصراع ،تحولت موازين القوى لصالحها ،ولكننا لسنا بصدد الاهتمام بهذا التحول ،بل ما سينصب عليه الحديث هو كيفية انعكاس هذا التحول في البنية الفنية بصفة عامة و الروائية بصفة خاصة،و التغيير الذي حدث على المستوى الإبداعي واضح و بارز للعيان ،حيث أن الرواية اتخذت شكلا لم يسبق لها أن عرفتة من ذي قبل،وهذا الشكل هو نزوحها نحو الملحمية، فأصبحت الرواية تكتب بخصائص أسلوبية ملحمية .

3- الملحمة و الرواية L'épopée et le roman

كما سبقت الإشارة إليه في مقدمة البحث ،كان للجمالية الألمانية الفضل في طرح مسألة نظرية الرواية لأول مرة ضمن نظرية الإبداع الأدبي ككل، و هذا الطرح المنهجي يبني على بعدين أساسيين في الرواية :الأول هو البعد التاريخي و الثاني هو البعد الفني الجمالي ، فحين يطلق هيغل اسم "الملحمة البرجوازية " على النوع الروائي فهو بذلك يقصد الجانبين المذكورين سابقا ، فعلى المستوى الفني رأى أن الرواية هي النوع الأدبي الذي تمثل الخصائص الجمالية و الفنية للقصة الملحمية خاصة الجانب الحكائي " Le roman présente les caractères esthétique ¹ généreux du grand récit épique de l'épopée" ، أما على المستوى التاريخي فهو يرى أن الرواية رغم هذا الوفاء الذي تكنه للخصائص الملحمية لكنها تنفرد عنها باعتبارها النوع الأدبي النموذجي للمجتمع البرجوازي بلا منازع، حيث أنها ولدت في رحم المجتمع الرأسمالي ،و صبغت بخصائص هذا المجتمع و سمات الواقع الحديث الذي يعتبر التناقض هو بطاقة هويته ،فخضعت لصراعاته و تحولاته بهذا المنظور يمكن القول بان التنظير للرواية أصبح مرحلة مهمة لا يمكن أن تتجزأ من الكل الذي هو النظرية الجمالية للفن الملحمي ،من خلال هذا فقط منح الاعتبار للرواية و أدرج ضمن دائرة الأنواع الأدبية ،بعدها كان ينظر إليها على أنها فن شعبي "un genre populaire"

يقصى من مجال البحث الجمالي ،فأصبحت الرواية نوع أدبي يعترف بنموذجيته ، و ملاءمته لمرحلة من مراحل التاريخ بالمفهوم الماركسي للتاريخ .
شيء آخر مهم أتت به الجمالية الألمانية -خاصة هيغل - للرواية و هو جعلها في موضع متعارض مع الملحمة ،فهيغل يبني تصوره للرواية على أساس التعارض التاريخي "l'opposition historique" ،و يحدد من خلاله السمات النوعية التي يتفرد بها الشكل الروائي ،كون الأشياء تتضح بأضدادها رغم أن الرواية ليست ضدا للملحمة لكنها تعارضها في بعض السمات و تتفق معها في سمات أخرى . "و يرجع هيغل هذا التعارض إلى الظروف و المعطيات التاريخية و الفلسفية التي نشأ فيها كل نوع و بالطبع هيغل بمثاليته لم يستطع أن يكتشف القواعد الاجتماعية و الاقتصادية التي أفرزت هذا التعارض"² .

1 Voir Georges Lukacs· les écrits de Moscou p82

2 Voir Georges Lukacs· la théorie du roman· éd.Gonthier· Berlin P48

هيغل أدرك أن الملحمة تمثل بدائية الإنسان (أو الطور البدائي من حياته) ، وهي مرحلة عفوية و استقلالية الإنسان ، أين يجد هذا الإنسان ذاته محققة في الجماعة و لا يرى نفسه خارج هذا الكيان ، و هي المرحلة التي يطلق عليها مرحلة الأبطال ، لكن البطل هنا لا يقصد به الفرد الواحد المستقل ، بل هم أبطال جماعات يشكلون كيانا واحدا ، و ما تعرف به المرحلة أيضا هو هيمنة الطبيعة على الإنسان ، فكان خاضعا لها ، هذا ما وجه تصرفاته نحو العفوية و الطلاقة ، فوجد الشعر الذي يتلاءم مع هذه العفوية في التعبير عن الذات بشكل مضخم ، و هذا ما تعبر عنه الملاحم الهومييرية "La vie de la société n'est pas encore dominée par les puissances sociales"¹.

أما مرحلة النثر أو مرحلة الرواية فهي مرحلة سيطرة القوى الاجتماعية على الطبيعة و الأشياء

"La domination de l'homme sur la nature et les choses"²

ففي هذه المرحلة تم إلغاء ذلك النشاط العفوي للإنسان و استبدل التلاحم الذي كان يجمع الفرد مع الجماعة بالصراع بينهما ، فأصبح الفرد (البطل) مستقل بذاته و مسؤول فقط عن تصرفاته ، و لا علاقة له بسلوك و تصرفات الآخرين . و هيغل الذي يرى أن التناقض هو أساس سيرورة تطور الأشياء ، يعتبر هذا التطور الذي حققته الرواية في العصر الحديث- إذا ما قورن بالبدائية السائدة في العصور البطولية – هوتطور عظيم و مطلق ، لكن رغم ذلك يبقى هذا التطور غير قابل للانفصال عن الانحطاط و التدهور الذي آل إليه و ضع الإنسان ، و الذي جر وراءه تدهور الإبداع الشعري الذي تحول إلى إبداع نثري .

لكن هيغل يثمن هذا التطور ، "فهو يرى انه رغم حاجتنا إلى ذلك السؤدد الذاتي و التلاحم الذي ميز الفترة القديمة - و حلما لأن تعود للإنسان تلك الطمأنينة التي كان يتمتع بها، و تلك الثقة التي يوليها للجماعة التي ينتمي إليها – فانه لا يمكن إنكار أهمية و ضرورة هذا التطور الذي عرفته الحياة في مختلف مناحيها ، لأنه تطور أفرزته سيرورة التاريخ نحو الامام"³.

باعتبار الفلسفة الكلاسيكية الألمانية أول من بادر إلى طرح مسألة الرواية ، كان عليها أن تتخذ موقفا نظريا من تناقضات المجتمع البرجوازي ، والسعي إلى معرفة الأسس التي يقوم عليها هذا التناقض (تناقض بين الإنتاج الجماعي و التملك الفردي). و باعتبار الرواية هي النوع الأدبي النموذجي للمجتمع البرجوازي ، يفترض البحث في الأسباب و العوامل التي منحت للرواية هذه النموذجية و الخصوصية ، و من خلال ذلك يمكن صياغة موقف نظري من الرواية ، لكن للأسف الفلسفة الألمانية - في مقدمتها فلسفة هيغل- لم تتمكن من صياغة هذه النظرية ، رغم فهم هيغل للجوهر الرأسمالي و لتناقضاته ، لكن مثالية فلسفته حالت دون الوصول إلى الظروف الاقتصادية و الاجتماعية التي أفرزت هذا التناقض ، و تلك الوحدة التي لا تقبل

1Les écrits de Moscou p83

2G.Lukaev les écrits de Moscou P83

3ينظر المقطع المأخوذ من كتاب علم الجمال لهيغل و الموجود في الرواية كملحمة برجوازية لجورج لوكا تش ، تر جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت ص30-31.

الانفصال بين التقدم الاجتماعي و الانحطاط الفردي لكن رغم هذه النقائص فالفلسفة الألمانية كان لها الفضل في ربط العلاقة بين الرواية باعتبارها نوع أدبي و بين المجتمع البرجوازي باعتباره بنية اجتماعية اقتصادية . " Le mérite impérisable de l'esthétique classique allemande pour la théorie du roman repose sur la découverte du profond rapport qui unit le roman comme genre et la société bourgeoise "¹.

هذه المشاكل و التناقضات التي تتخبط فيها الجمالية الكلاسيكية في قضية الرواية هي وطيدة الصلة بتناقضات المجتمع البرجوازي (مجتمع الطبقات المتصارعة) التي يبدو و أنها بدون حل فاصل، لكن **ماركس و انجلز** (وهما فيلسوفين و باحثين أسسا معهد ماركس انجلز) هما الوحيدان اللذان تمكنا من إرجاع هذا الطابع المتناقض في تقدم المجتمع البرجوازي إلى أسباب و عوامل اقتصادية واقعية ، و حاولوا إبرازها في الطابع البشري، و بالتالي اكتشافهم لهذا التناقض على المستوى المادي أمكنهم من تطبيقه على الفن عامة و الرواية على وجه الخصوص، و التي عملت على تصوير هذه التناقضات من خلال شخصياتها الإشكالية، لكن هذه المعرفة لم تكن لتتحقق لو لا معرف الجدلية المادية لهذا التناقض ، و كذلك معرفة بالاقتصاد السياسي الذي لخصه ماركس في كتابه رأس المال ، وبها فقط يمكن العثور على منبع للتصور المادي للشكل الروائي باعتباره ملحمة برجوازية ، هذا بالنسبة لماركس و انجلز ، أما بالنسبة للمنظرين الآخرين فهم وقعوا في نوع من الإحراج و التيه ، فمنهم من يشيد بالفترة البطولية الأسطورية بأفق رومانسي ، و بالتالي محاولة الخروج من الانحطاط بالعودة إلى الوراء ، ومنهم من يرى انه لا بد من التصالح مع هذا التناقض، و تقبله كمضمون للرواية "التصالح مع الواقع" على حد تعبير هيغل. ولم يتخلص هؤلاء المنظرين من هذا التمزق بين الماضي و الحاضر، الشيء الذي أدى إلى عجز علم الجمال الكلاسيكي على صوغ و تأسيس نظرية كاملة للرواية ، و كل ما قدمه هو طرح اولي لها ، و هذا الطرح أنتى جهد الكثيرين ممن سعى إلى تأسيس ملحمة حديثة (القرن 18-19)، مثل فلوبيير الذي حاول في نظريته في "الشعر الملحمي" أن يؤسس نظرية للملحمة ، و هذا ما نجده في هنريادة فلوبيير. و يمكن تلخيص الانجازات المعتمدة التي حققتها الجمالية الكلاسيكية في ما يلي :

*اكتشفت الوحدة القائمة بين الرواية و الملحمة باعتبارها فنين حكايين ، و بالتالي إمكانية استخلاص مقولات مشتركة الفنون الحكائية و هذا ما حققه كل من (غوته- شيلر- شيلينغ و هيغل) فاكتشفوا العلاقة الموجودة بين الرواية و الملحمة ، و الدليل على هذه الوحدة هو نزوع كل رواية ضخمة نحو الملحمة رغم وجود نقاط اختلاف كثيرة بينهما .

*اكتشاف الاختلاف بين الظروف التاريخية لكل من الرواية و الملحمة، و بالتالي اعتبار الرواية نوع أدبي نموذجي حديث.

لما قارن غوته بين الرواية (مقابل الملحمة في الماضي) و الدراما في كتابه "سنوات تدريب وليام مايستر"، توصل إلى تحديد ما من المفروض أن يكون في الرواية، فيقول أن على الرواية أن تصور الواقع كما، وكذلك الخبايا النفسية، و يجب على الشخصية الرئيسية "البطل" أن تعمل على إبطاء نهاية الأحداث في الرواية بعواطفها، أي على البطل أن يكون سلبيا، أو على الأقل لا يكون ايجابيا لدرجة كبيرة، لأن البطل الايجابي هو المسيطر دائما على الأحداث وبالتالي سيعجل بنهايتها، فيكون هو المنتصر دائما، لذا فوجود البطل السلبى في الرواية ضروري جدا، من اجل ان تتمكن الرواية من عرض صورة العالم بكل مصداقية، لأن العالم الحقيقي فيه من السلبية ما فيه من الايجابية أو أكثر، وما ذهب إليه غوته في مقولته هذه يعبر عن ميزة أساسية في الرواية البرجوازية، وهي عدم مقدرتها على تصوير البطل الايجابي Le héros positif كما كانت الدعوة إليه في البداية على مستوى المقولات النظرية، وهذا ما دفع بالفلسفة الكلاسيكية إلى الالتفات إلى هذه المشكلة محاولة "إيجاد حل وسيط"، لكنه حل مستحيل المنال في ظل تناقضات التي يعيشها المجتمع البرجوازي، و اتخذت هذه الفلسفة كنموذج لهذه الوسطية رواية غوته "سنوات تدريب وليام مايستر"، و اختيار هذه الرواية لم يكن عشوائيا بل كان بالوعي التام بأنها رواية تتقصد تأكيد وجود هذا "الحل الوسيط".

على هذا الأساس يمكن تلخيص الفرق بين الرواية كنوع أدبي حديث و بين الملحمة باعتبارها فن حكاوي قديم في النقاط التالية :

الملحمة	الرواية
*تمثل المرحلة البدائية للتطور الإنساني "مرحلة طفولة البشرية على حد تعبير ماركس "	*مرحلة النضج الذي بلغه التطور الإنساني "المتمثلة في الفترة البرجوازية".
* مرحلة هيمنة الطبيعة على الإنسان، و خضوعه لها، وهذا ما يضفي صفة العفوية و الغريزية على تصرفات الإنسان.	*مرحلة هيمنة القوى الاجتماعية على الطبيعة و الأشياء، هذا الذي ألغى عفويته و طلاقته، وأصبح مقيدا، رهين ما تنتجه هذه الحياة الحديثة من عناصر
*فترة الأبطال "البطل الضخم" الذي يمثل الجماعة، حيث نجد الفرد مندمجا في الجماعة "عدم وجود تناقض بين الفرد و المجموعة".	*فترة البطل الفردي "شخص واحد"، واكتشاف الإنسان للتناقض الموجود بين ما يسعى إليه وبين ما يفرضه المجتمع و الآخرون.
*البطل لا يعي بوجوده ككيان مستقل، بل يرى نفسه عنصر من جوهر عام.	*الفرد يرى نفسه مستقلا عن الآخر، و يعتبر نفسه مسؤولا على ما يصدر عنه فقط من تصرفات.
*البطل ليس بإشكالي "انسجام تام بين ما يريد تحقيقه من قيم و بين ما يمنحه له المجتمع".	*البطل الروائي بطل إشكالي " Le héros "problématique": يحاول تحقيق قيم موجودة في وعيه "أو وعي الكاتب"، لكنه يصطدم بواقع مغاير تماما لما يريده.
*الملحمة ذات شكل شعري.	

و في الاخير يمكن ان نخلص الى ما يلي :

يتميز الشكل الأدبي الذي تناوله لوكاتش بالدراسة و الذي هو "الرواية" بكون بطله إشكالي.

الرواية عند لوكاتش هي بحث منحط يسميه "Démoniaque" لان البطل يبحث عن القيم الأصيلة في عالم منحط.

القيم الأصيلة لا تعني تلك القيم التي يعتبرها الناقد أو القارئ أصيلة، وإنما تلك التي تشكل ضمنا عالم الرواية حتى و إن لم تظهر بصفة واضحة فيها، وهذه القيم مختلفة من رواية إلى أخرى.

*الرواية نوع ملحمة، لكنها تتميز على عكس الملحمة بالانفصال الكلي بين البطل و العالم، و سعى لوكاتش إلى تحليل طبيعة الانحطاطين (انحطاط البطل و انحطاط العالم).

*غياب الانفصال بين البطل الروائي و العالم أو وجود انفصال عرضي كان سيؤدي إلى ظهور ملحمة حديثة .

*وجود الرواية بين عالمين مختلفين (عالم البطل و العالم الخارجي) يجعل منها كيانا ذو طبيعة جدلية.

*البطل الروائي حسب لوكاتش مجنون أو مجرم، لأنه شخص إشكالي يبحث عن قيم يستحيل تحقيقها في عالم منحط.

*من خلال تحليل لوكا تش للجنس الروائي في كتابه نظرية الرواية أين اهتم كثيرا بالبطل الروائي، تمكن من استخلاص ثلاثة أنواع للرواية:رواية المثالية المجردة، الرواية السيكولوجية و الرواية التربوية "Wilhelm Meister" لغوته.

*أما في كتابه كتابات موسكو فحلل الرواية وحاول أن يضع لها تقسيما حسب الفترات التاريخية المختلفة التي مرت بها البرجوازية، و ميز فيها خمسة أنواع.

*وضعية الكاتب بالنسبة للعالم الروائي الذي أبدعه مختلفة مع وضعيته بالنسبة لعالم الأشكال الأدبية الأخرى، و هذه الوضعية بالذات يسميها لوكا تش بالتهكم "انحطاط و عي البطل مع بحثه عن قيم أصيلة مجردة أو جواهر، دون كيخوته مثلا لسرفانتس، لكن الروائي يتجاوز و عي أبطاله .

* الشكل الفني الكبير عموما ما هو إلا نتاج التعبير عن مضمون كبير .

*تحول الشكل الروائي منذ كافكا، و التحليلات الماركسية للتشويو أدى مع الوقت إلى اختفاء الشخص في البطل، وهذا التحول تميز بمرحلتين:

1-اختفاء الفرد في التشخيص الروائي أدى إلى استبدال سيرة البطل التي كانت مضمون الرواية من قبل، بقيم تولدت من إيديولوجيات مختلفة، ففقدت معظم الأفكار مضمونها القديم (كالعائلة،الثورة، الكينونة الاجتماعية،....).

2-بدا التحول مع كافكا وصولاً إلى الرواية الجديدة المعاصرة، و التي لم تكتمل بعد، وتتميز بجهود كتابة الرواية في غياب الفاعل "البطل الإشكالي" و غياب البحث المتواصل عن القيم الايجابية.

من خلال عرض جهود احد أقطاب التنظير الأدبي ، رأينا مدى صعوبة التنظير للجنس الروائي الذي يتعالى في كل مرة عن أي نظرية تتوهم أنها قبضت عليه ،لأنه جنس غير مكتمل ،لكن هذا لا ينفي فضل هذه التنظيرات التي ساعدت الرواية على التطور، و بالتالي إصدار أحكام نهائية على الإبداع الأدبي هو ضرب من الجنون، لأنه عمل معقد يكشف في كل عصر عن جوانب جديدة لم يكن باستطاعة المنظرين اكتشافها في مراحل سابقة لعدم وجود ظروف ملائمة لظهورها، و هو حال الرواية عبر العصور المختلفة.

مصادر مراجع البحث :

المصادر :

- * Georges Lukacs،la théorie du roman، édition Gonthier، Berlin -chevés ،1963،trad.
- *Georges Lukacs ،les écrits de Moscou،traduction et introduction Claude Prévost. édition Sociales .Paris 1974.
- *Lucien Goldman،pour une sociologie du roman .édition Gallimard.Paris1969.

المراجع :

- *M.Bakhtine،Epopée et roman،traduction J.Durain،présentation Claude Prévost،revue trimestrielle-n°76-3° trimestre1973
- *Document sur Karl Marx.
- *Document sur Hegel.
- *جورج لوكا تش ،الرواية كملحمة برجوازية ،ترجمة جورج طرابيشي ،دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط 1 ، بيروت،1979.

تعليمية اللغة في ظل ثنائية النحو والإعراب

-باب الفاعل أنموذجاً-

أ/ مهديد خليف

البليدة -2- RASYD

ملخص:

يتناول هذا البحث تعليمية الفاعل في اللغة العربية انطلاقاً من ثنائية عربية أصيلة هي الإعراب والنحو، مبيّناً الفرق بينهما – وإن تساوا عند بعض – كما أراد أن يذلل صعوبة، وهي حينما يتعارض فكر المتعلم مع ما تعلم كمثل (خرق الثوب المسمار) لاتباع المعلم أو واضع المنهاج والكتاب منحي أوحدا كالاكتفاء على الحركات الإعرابية وحدها، ومن ثمة حاول هذا البحث إيجاد تعليقات وتدليلات من خلال تتبع نحو العرب في كلامهم وطرائق لسانهم ومناويل خطاباتهم.

كما أعطى البحث تقنية / أسلوباً لتعلم درس في العربية أتى كان هو، منتهجاً أسلوباً شاملاً يحيط بكل متعلقات الدرس المراد تعلمه، وكان باب الفاعل أنموذجاً.

الكلمات المفتاحية: نحو، إعراب، تركيب، فاعل، العربية، مدرسة، تعليمية.

مقدمة:

اللغة ذات غطاء اجتماعي نفسي معرفي فكري وغير ذلك تتجاذبها مشارب عدّة وجدانية وعقلية، وبهذا فاللغة هي كيان مُعقد يصعب تحليله وتفسيره وفهمه من وجهة نظر واحدة أو زاوية أحادية، ولهذا تجد العلماء قديماً وحديثاً تنافسوا في إيجاد تعليقات لها وضوابط من أجل تعليمها وتعلمها بُغية تحقيق مبادئ عظمى منها التواصل بين بني اللسان الواحد. كما أنّ اللغة ليست واحدة فهي تختلف من كيان اجتماعي إلى آخر، وتختلف في طريقة بناء القواعد النحوية والصرفية والصوتية والتركيبية، وحتى في القواعد خارج النصية كالأعراف والسُنن الاجتماعية السّمائية المُصاحبة للنطق الخاصة بكل قوم –مجموعة كلامية- بل إنّ في اللغة الواحدة قد تجد بعض التباينات النُطقية والاستعمالية، فتجد قبيلة تستعمل مفردة ما بمعنى وتجد أخرى تستعمل المفردة نفسها بمعنى آخر، وأحياناً قد يكون بالضد مثل كلمة الجون المُعربّة التي تعني اللون الأسود عند قبيلة، وعند أخرى هي اللون الأبيض.

هذا من حيث المعاني وما وراء نسيج اللغة، أمّا من حيث القواعد النسخية فتألف التباين كذلك قائماً إذ هناك قبيلة ترفع ما حقه النصب عند قبيلة أخرى مثل قوله تعالى:

"إنّ هذان لساحران... " {من سورة طه: 63} وغيرها في كلام العرب كثير، وفي هذه الآية وجوه وتخرجات كثيرة.

وما دام إقرار مبدأ الاختلاف صادقاً فكيف نتعلم القواعد؟ وكيف نتعلم اللغة؟ وما هو الأجر في التعلم؟

هذا الذي نحاول معرفته في هذا المقال المرسوم: **تعليمية اللغة في ظل ثنائية النحو والإعراب تعليمية الفاعل أ نموذجًا.**

وكانت البدء من إشكال أساس فحواه:

كيف نُعلِّم باب الفاعل أ بالإعراب أم بالنحو؟ أم بهما؟

وتفرَّعت عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية منها:

- هل الإعراب والنحو سريان أم هما مختلفان؟

- هل الفاعل حقه الرفع دومًا؟

- ما معنى الفاعل حقيقة؟

- ما علاقة الفاعل بالفعل؟

- هل الفاعل يحتاج إلى الفعل فقط في تراكيب العرب؟

- هل نُعلِّم الفاعل أم نُعلِّم إعراب الفاعل؟

- هل نُعلِّم حركاتٍ وعلاماتٍ أم نُعلِّم معنى؟

ولمعالجة هذا الموضوع المتشابك والمثير رُسمت له خطة هي على الآتي: مقدمة وأربعة عناوين، الأول: الإعراب وأنواعه، أمَّا الثاني: فب: النحو في كلام العرب وعلاقته بالإعراب، وثالث هذه العناوين هو: تعليمية الفاعل في اللغة العربية، وتمت الإشارة فيه إلى بيان مفهوم اللغة والتعليمية ومفاهيم في الفاعل بإيجاز، ورابع العناوين تمثل في آلية وترسيمة-تخطيطية- لتعليمية الفاعل في الكلام العربي لأبنائه، ثم الخلاصة والإحالات.

أولاً: الإعراب وأنواعه:

أ- مفهوم الإعراب:

لغة: جاء في لسان العرب "أعرب الصبي"، أي أفصح في منطقته وفهمت ما يقول في أول ما يتكلم وأعرب أحياناً بها، فأصاح، وأعرب بحجته، أي أفصح بها، وعرب منطقته، أي هدَّبه من اللحن... عربت له الكلام تعريباً، وأعربت له إعراباً إذا بينته له حتى لا يكون فيه حزيمة"¹.

كما أنَّ الإعراب ثلاثة أوجه فأولها "أن يكون سُمي بذلك لأنه يُبين المعاني، مأخوذ من قولهم: أعرب الرجل عن حُجته إذا بينها، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (الثيب تعرب عن نفسها)، أي تُبين وتوضح، أمَّا الوجه الثاني فسُمي إعراباً، لأنه تغيير يلحق أواخر الكلم من قولهم، عربت معدة الفصيل، إذا تغيّرت وفسدت، والوجه الثالث لتسمية الإعراب بالإعراب، لأنَّ المعرب للكلام كأنه يتحجب إلى السامع بإعرابه، من قولهم امرأة عروب إذا كانت متحبة إلى زوجها"².

والإعراب كذلك هو "الإفصاح والبيان"³ والوضوح والإظهار والإبانة⁴، فالإعراب بالحجة هو الإفصاح والتبيين، والإعراب عمّا في الأنفس الإظهار والإفهام والبيان كذلك، فالإعراب له معانٍ عدّة تجمّعت حول: الإظهار والوضوح والإفصاح والبيان والتبيين وعدم الزيف واللحن...

الإعراب اصطلاحاً: يُعرّف ابن هشام الأنصاري الإعراب على أنه "أثر ظاهر أو مُقدّر، يجلبه العامل في آخر الكلمة"⁵.

فالإعراب "متعلق بآخر الكلمة لاختلاف العوامل الداخلة عليها، فنحن إذا قلنا (جاء سليمان) و(رأيت سليمان) و(مررت بسليمان)، (جاء الفتى)، و(رأيت الفتى) و(مررت بالفتى)، فإنك تقدر الضمة في الأوّل، والفتحة في الثاني والكسرة في الثالث، وذلك للتعذر"⁶.

كما أنه يعني "العلامة التي تقع في آخر الكلمة وتحدّد موقعها من الجملة، أي تحدّد وظيفتها فيها، وهذه العلامة لا بُدّ أن يتسبب فيها عامل معين"⁷.

والعوامل في اللغة العربية كثيرة جداً منها اللفظية والمعنوية كما جاءت في كتاب الجرجاني العوامل المئة النحوية في أصول العربية⁸، وحينما تدخل هذه العوامل جميعاً في الكلام تُحدث أثراً⁹، ويكون في أواخر الكلم فمرّة بالرفع وأخرى بالنصب وغيرهما بالجر، ومردّد ذلك إلى ما يقتضيه العامل ويستوجبه.

ب- أنواع الإعراب: الإعراب على أربعة فهو لا يجري "على نسق واحد ولا ينحصر في أصل واحد، فهو على حالات وشروط تختلف من موقع إلى آخر ومن كلمة إلى أخرى، وتوضيح ذلك أن الإعراب يقع على الكلمة الصحيحة كما يقع على الكلمة المعتلة، وقد يقع كذلك على الكلمة المعربة ما يقع على الكلمة المبنية، هذا علاوة على أنه يتناول لفظ الكلمة لا معناها"¹⁰، أي رسمها وشكلها.

وهذه الأقسام هي: الإعراب اللفظي (الظاهر)، والتقدير (المقدر)، والمحلي، والمحكي¹¹، فالظاهر تظهر على آخره الحركات الإعرابية المعروفة، أما التقديري فإمّا للنقل أو للتعذر وإمّا لاشتغال المحل بالحركة المناسبة، والمحلي هو الذي يلزم حركة واحدة مثل كلمة (الذين)، فمهما اختلف موقعها تبقى بالفتح، والمحكي هو "حكاية الكلمة واستعمالها بحسب ما وردت، كأن يُقال: كان فعل ماض ناقص، أو يُقال: إن يضرب فعل مضارع مبني للمجهول"¹²، فحين إعرابها تُؤوّل، وهذا النوع يكاد يكون تمحلاً وتعقيداً، وإن وُجِدَ.

ثانياً: النحو في الكلام العربي وعلاقته بالإعراب

مفهوم النحو: التعريف الأكثر شيوعاً بين أهل اللغة هو تعريف ابن جني الذي يقول عن النحو بأنه "انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقيق، والتكسير والإضافة، والنسب والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها ردّ به إليها"¹³.

فتعلّم النحو وحسن التعامل معه يُرشد الضال عن ملكة اللسان والفهم والنطق السليم وغير ذلك من متعلقات اللغة.

بين النحو والإعراب:

ثمة نظريتان في هذه المسألة فأخرى لا تُفرّق بين النحو والإعراب في حين أنّ أخرى غيرها تُفرّق بينهما.

أ- النظرية الأولى: تُقرُّ بأنّ "الإعراب مساوٍ للنحو، فيشمل العلامة والرتبة، والمطابقة، كما يشمل مباحث الصرف أيضاً"¹⁴، وممّن صاحبوا هذه النظرية (الزركشي والزمخشري).

يقول الزركشي: "قالوا: الإعراب يُبين المعنى، وهو الذي يميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين بدليل قولك: ما أحسن زيدا، ولا تأكل السمك وتشرب اللبن، وكذلك فرقوا بالحركات وغيرها بين المعاني، فقالوا: مفتح بكسر الميم للآلة التي يفتح بها، ومفتح بفتح الميم لموضع الفتح، ومقص بكسر الميم للآلة، ومقص بفتح الميم للموضع الذي يكون فيه القص، ويقولون: (امرأة طاهرة من الحيض لأن الرجل يشاركها في الطهارة)"¹⁵.

وبهذا النص تجد عند الزركشي الإعراب "هو المعنى، أو علم النحو بكليته، إذ هو جعل الإعراب مساوياً وجامعاً أحكام النحو والصرف، إذ نص على التفريق بالحركات بين اسم المكان واسم الآلة"¹⁶، ومنه يفهم الردُّ على مَنْ أنكرَ دور الإعراب وبالأحرى الحركات الإعرابية في التمييز بين المعاني اللغوية.

ويرى الزمخشري "أنَّ النحو هو الإعراب، ويظهر ذلك مِنْ خلال حديثه عن الإعراب وخصائصه في سائر الأبواب، وهذا الرأي يجعل الإعراب أصلاً وأساساً للمعنى وليس فرعاً منه، وفيه من الغلو بحيث يجعل الإعراب وهو إحدى القرائن السياقية النحوية، النحو كله"، وممَّن رأى بهذه النظرية التساوي بين الإعراب والنحو ربّما كان تأويله على المعنى اللغوي للإعراب الذي يعني البيان والإفصاح¹⁷ عن المعاني وما هو في داخل النَّفس.

ب- النظرية الثانية: الإعراب جزء من النحو

يقول ابن جني: "الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى بأنك إذا سمعتَ أكرم سعيد أباه، وشكر سعيد أباه، وشكر سعيدا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر... ولو أوامأت إلى رجل وفرس فقلت: (كلم هذا هذا فلم يُجبه)، لجعلت الفاعل والمفعول أيهما شئت، لأنَّ في الحال بياناً لما تعني"¹⁸، والحال هي الموقف.

مَنْ خلال هذا القول يُستشف أنَّ ابن جني قد جعل بين الإعراب والنحو علاقة عموم بخصوص أي إنَّ النحو أعمُّ من الإعراب، إذ جعلَ الإعراب داخل نسيج النحو وفحوى نصه يُبيِّن ذلك: النحو انتحاء سمت كلام العرب من إعراب وغيره... فمِنْ تُفيد البعضية والجزئية، (وغيره) تُفيد الإضافات والزيادات على الإعراب، كما اعتبر النحو مُقيم الألسن ومُرْجِعُهَا إلى السجية والفصاحة... حتَّى لغير العربي.

وترى عواطف كنوش أنَّ نظرة ابن جني للإعراب هي إنصافية اعتدالية فنقول: "وتمتاز هذه النظرية بالاعتدال وعدم المبالغة في دور قرينة الإعراب، ونفضلها على النظرية الأولى، وحقيقة ما نذهب إليه أنَّ الإعراب قرينة سياقية تساعد على توضيح المعنى، ولا يجوز ترجيحها على بقية القرائن، لأنَّ الإعراب وحده لا ينهض بالعبء المُلقى عليه في تحديد المعنى الوظيفي والدلالي ضمن السياق النحوي إلا بتضافره مع القرائن الأخرى"¹⁹، داخل السياق بأنواعه كلها، وهذه الأخيرة نظرة تمام حسن لقيمة الإعراب في الدرس اللغوي العربي حيث رأى العلامة الإعرابية ليست النحو كله كما كان عند القدماء على حدِّ قوله.

فجاء ببديل لها وهو تضافر القرائن اللفظية والمعنوية مع عدم إغائه لنظرية العامل، بل جعلها تُمثل قرينة واحدة وهي الإعراب (العلامة الإعرابية)، ويرى ابن خلدون أنَّ الحركات الإعرابية هي غير لغوية غير أنَّها تُعين "على كثير من المعاني مثل الحركات التي تُعين الفاعل من المفعول..."²⁰.

ج- الفاعل في اللغة العربية:

مفهوم اللغة: اللغة تعريفات كثيرة نوجزها في تعريف ابن جني.

يقول ابن جني: "حدها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"²¹.

ومبتغى هذا التعريف أنّ اللغة أداة للتواصل بين أفراد المجتمع الواحد (الخاص بكل قوم) وهي وسيلة للتعبير عن المشاعر والأفكار وغيرها بما يُحدثه الإنسان من أصوات ورموز لغوية متعارف عليها داخل ذلك المجتمع الإنساني... فبالغة نتجسّر لإخراج ما هو مكنون في أنفسنا إلى الواقع بُغية تحقيق مرامٍ متنوعة متعدّدة حياتية وغيرها.

التعليمية: هي من التفاعل والتبادل، وهي في عصرنا "علم قائم بذاته له مرجعيته المعرفية، ومفاهيمه واصطلاحاته وإجراءاته التطبيقية"²² في تعلم كل المواد.

وفي حقل التعليم الأكاديمي هي "الدراسة العلمية لطرائق التدريس وتقنياته، وأشكال تنظيم حالات التعلم التي يخضع لها التلميذ، بُغية الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة، سواء على المستوى العقلي أو الحسي، كما تتضمن البحث في المسائل التي يطرحها تعليم مختلف المواد"²³ العلمية والإنسانية...

مفاهيم في الفاعل في اللغة العربية:

للفاعل في اللغة العربية تعريفات عديدة وكثيرة نوجزها فيما يأتي:

الفاعل: "هو مَنْ قام بالحدث أو اتصف به، أو هو اسم أسند إليه فعلٌ تام مبني للمعلوم أو ما جرى مجراه"²⁴.

ويُعرّف على أنّه "اسم أو ما في تأويله، أسند إليه فعل أو ما في تأويله، مُقدّم، أصليّ المحلي والصيغة"²⁵، ومعنى اسم خروج الفعل والحرف، ولشرح هذا التعريف بالتمثيل يُقال: "فالاسم نحو "تبارك الله" والمؤول به نحو (أو لم يكفهم أنا نزلنا) [من الآية 51 من سورة العنكبوت]، والفعل كما مثلنا، ومنه "أتى زيد" و"نعم الفتى"، ولا فرق بين المتصرف والجامد، والمؤول بالفعل نحو (مُختلف ألوانه) [من الآية 69 من سورة النحل]، ونحو "وجّهه" في قوله [أي قول ابن مالك في الألفية] "أتى زيدٌ مُنيراً وجّههُ" و"مُقدّم" رافع لتوهم دخول نحو "زيدٌ قام" و"أصليّ المحلّ" مُخرَج لنحو "قائمٌ زيد" فإن المسند - وهو قائم - أصلُهُ التأخير لأنّه خبر، وذكر الصيغة مُخرج لنحو "ضرب زيد" - بضم أول الفعل وكسر ثانيه - فإنّها مُفرّعة عن صيغة ضَرَبَ - بفتحهما - أي بفتح الضاد والراء من الفعل ضرب، كما أنّ هناك مَنْ يعرب في المثال السابق "زيدٌ قام" على أنّ زيدٌ ليس بفاعل مقدّم وإنما هو مبتدأ حقه الرفع بالضم، وقام هي من فعل وفاعل مستتر يعود على زيد، والجملة الفعلية المكونة من المسند إليه المستتر العائد على زيد في محل رفع خبر.

د- أحكام الفاعل:

وهي خمسة وجوه، فالوجه الأول منها "الرفع، وقد يُجرُّ لفظاً بإضافة المصدر، نحو (ولولا دفعُ الله النَّاس) [من الآية 251 من سورة البقرة]. أو اسمه "من قبلة الرجل تخرج امرأته الوضوء"، أو بمن أو الباء الزائدتين نحو: (أن تقولوا ما جاءنا من بشير) [من الآية 19 من سورة المائدة]، (كفى بالله شهيداً) [من الآية 38 من سورة الفتح]، ثم اعلم أنّ جرَّ الفاعل بالباء الزائدة

على ثلاثة أضرب: واجب، وجائز كثير، وشاذ. وَقَدْ يُنصب الفاعل ويرفع المفعول إذا أمن اللبس: خَرَقَ الثوبُ المسمارَ، كَسَرَ الزُّجاجُ الحَجَرَ....²⁶.

الوجه الثاني: وقوع الفاعل بعد المُسند، وإنْ تقدَّم عليه فهذا جائز عند أهل الكوفة، أمَّا البصرة فلا يُجيزونه، وجاز الأمران في مثل (أبشِرُ يهدوننا) و(أأنتم تخلفونَه) [من الآيتين 6 و59 من سُورَتَي التغابن والواقعة على التوالي] والأرجحُ **الفاعلية**.

الوجه الثالث: لا بُدَّ من وجود **الفاعل**: إمَّا ظاهرًا في اللفظ أو مستترا كقول القائل: "قام زيدٌ، والزيدان قاما"، أو كقوله: "زيدٌ قام" هذا من جهة عود الضمير عليه، وقد تدلُّ عليه الحال المشاهدة أو موقف الكلام كقوله تعالى: (كلا إذا بلغت التراقي) [من الآية 26 من سورة القيامة]، ومعناها إذا بلغت الروح، وفيه وجوه عند النحاة في بعض الأمثلة²⁷.

الوجه الرابع: يصحَّ في الفاعل "**حذِفُ فعلة**، إن أُجيبَ به نفي، كقولك "بلى زيدٌ" لمن قال: ما قام أحدٌ؟ أي بلى قام زيدٌ، أو استفهام مُحقق، نحو: "نعم زيدٌ" جوابًا لمن قال: هل جاءك أحدٌ؟... أو مُقدَّرٌ (يُسبَّحُ له فيها بالغدو والأصل رجالٌ) [من الآية 36 من سورة النور]... وكأنه لما قيل: (يسبَّحُ له فيها بالغدو والأصل) قال قائل: مَنْ المسبَّح؟ فأجيب (رجالٌ) أي يُسبَّحُه رجالٌ، أو استلزمه ما قبله كقوله - وهو من كلام الفرزدق -

غداة أحتلت لابن أصرم طغنة

حُصَيْنٌ عَبيطَاتِ السدائفِ والخمرُ

أي "وحتلت له الخمرُ"، لأنَّ "أحتلت" يستلزم "حلت" أو فسره ما بعده نحو (وإن أحد من المشركين استجارك) [من الآية 6 من سورة التوبة] والحذف في هذه واجب على مذهب البصريين، فأما الكوفيون فليس عندهم في هذه الآية حذف²⁸.

الوجه الخامس: "أنَّ فعلة يُوحَّد مع تثنيته وجمعه، كما يُوحَّد مع إفراده فكما تقول: "قام أخوك"، كذلك تقول: "قام أخواك" و"قام إخوانك" و"قام نسوتك" وحكى البصريون عن طيء وبعضهم عن أزد شذوذهُ نحو "ضربوني قومك" و"ضربني نسوتك" و"ضربان أخواك"...²⁹.

تخطيطة تعليمية باب الفاعل في الكلام العربي:

توطئة: وعلى ما سبق يُقال إنَّ تقديم درس الفاعل للمتعلِّم لا يكون مبتورًا وبذكر أمثلة مترسِّخة له في ذهن الجمعي فحسب، بل يجب إحاطته بكل جوانب الفاعل، ذلك أننا لا نُعلِّم حركة إعرابية وموقعها بعد الفعل، بل نُعلِّم نحوًا يقدِّمنا إلى سليقة سبقتنيها العربُ في كلامها، كما نُعلِّم معنى بُغية تحقيق التواصل والفهم لمعرفة الخطاب والنص المبتوث إلينا عبر رموز اللغة التي تواضع عليها أبناء المجتمع الواحد، ولا يجوز المساسُ بها وخرمها، إذ بها يُعلَّلُ كلامنا ويُستدلُّ على صحته واستقامته وأنه ذو قصدٍ ودلالةٍ.

وفي هذه العُرْفية اللغوية (التعارف والاصطلاح وما تداوله اللسان) ما هو نسقي داخلي لغوي، وما هو غير ذلك (سياقي، مقامي، حال مشاهدة كما عبَّر عنه ابن جني)، لذا فحسب تصوري- لتعليمية الفاعل لا بُدَّ أن نسير على النهج الآتي، وهو المزوجة بين النحو والإعراب والسياق والسيماء وحركات الجسم والمواقف الكلامية... وأن ندمج النحو والإعراب من جهة، ومن

جهة أخرى دمجها بعلم البلاغة والمعنى داخل السياق بنوعيه المقالي والمقامي ومعرفة الاختلاف القبلي في استعمالات اللغة العربية، ويكون كلّ هذا بطريقة التدرج من الأيسر ثمّ إلى الذي يليه...

والسبب الذي جعلني أنتهج هذه الطريقة هو حصر الباب النحوي أيّ كان في قواعد وقوالب معينة دون مراعاة المعنى المتولد عن ذلك في بعض التراكيب اللسانية التي لا تحتكم إلى تلك القاعدة المقنّنة كالفاعل مثلاً هذا من ناحية، وهناك سبب آخر -أعدّه من اللطائف والنكت، التي تُضحك حيناً وتدعو لإعمال العقل والتساؤل العلمي حيناً آخر وفي الوقت نفسه، ومدار هذه اللطيفة أنّ معلماً يدرس درس الفاعل فقال لمتعلميه: سافر أحمد، وأعرّب (أحمد): فاعلاً مرفوعاً بعلامة الضمة، وتعليقه أنّه (قام بالفعل) أي (سافر) وفي حصة التمرين/ التدريب كان أنّ أعطى لهم مثلاً مشابها ولكن بالنفي فحواه: لم يسافر أحمد، وأعرّب (أحمد): فاعلاً مرفوعاً، فسأله أحد التلاميذ في ثوب ردّ يا سيدي/ يا معلمي/ أحمد ليس بفاعل! لماذا في رأيك أيها القارئ، السبب والحجة أنّ أحمد لم يسافر؟! فكيف يكون فاعلاً؟!!

والسؤال المطروح هو كيف نُعلّل للتلميذ المتعلم بأنّ (أحمد) هو الفاعل، وإنّ لم يسافر؟ فذاك هو سؤال المعلم لي، حيث قال: كيف أقنعه بأنّ (أحمد) فاعلاً في تركيب: لم يسافر أحمد، فأجيبته في - حدود ما أعلم- هناك عدّة طرق وطرائق لإقناعه ومنها: الحركة الجسمية والإسناد مثلاً:

الحركة الجسمية: أي تطلب من بعض التلاميذ أن يخرجوا أي يسافروا وتطلب من أحدهم أن يبقَى داخل القسم وليكن اسمه (أحمد) مثلاً ما الشيء الذي فعله التلاميذ الخروج.

وماذا فعل أحمد _____ لم يخرج ←

وبعد السؤال تعلّل: ما دام أنّ أحمد لم يخرج فماذا فعل، طبعاً أنّه لم يخرج وبالتالي فعل فعلاً وهو عدم الخروج.

أمّا طريقة الإسناد فهي: أن يأتي المعلم بالتعريف الآخر للفاعل كأن يقول ما أسند إليه الفعل إثباتاً أو نفياً (إيجاباً أو سلبيّاً). فسافر مسند (فعل) وأحمد مسند إليه (فاعل)، وهاهي إليك خطة تعليمية باب الفاعل في الكلام العربي.

ألماً يكتمل الدرس (باب الفاعل) تُعطى أمثلة فيها الفاعل بكل الحالات والأحكام ونبدأ بحالة الرفع والرتبة الأصلية والمعنى العقلي السليم.

ب- ثم نجر الفاعل بحرف الجر الزائد _____ ونُعلّل، وهو غير كثير في كلام العرب ومثاله: قوله تعالى: (ما جاءنا من بشير) [من الآية 19 من سورة المائدة]

وكذلك قول القائل: أجمل بالغيث!

ويقول تعالى: "كفى بالله شهيداً..." [من الآية 38 من سورة الفتح].

ج- ثمّ نؤخره على المفعول _____ ونُعلّل، بالأمر النفسية والدلالية والمشاعرية وأساليب القصر وما إلى ذلك.

ويأتي التمثيل: قال الله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)، ويقول تعالى: (وإذا ابتلى إبراهيم ربه).

د- ثم نُقَدِّمُ الفاعل على الفعل ونُعَلِّلُ، بمذهب البصرة ومذهب الكوفة مثال: قام زيدٌ، زيدٌ قام، ونُعطي الوجوه والترجيحات.

هـ- ثم نذكر إذا كان الفاعل لغير فعل وإنما لمشتق ونذكر جواز الوجهين مثال: (أبشُرْ يَهُودِنَا) [من الآية 6 من سورة التغابن].

و- ثم نقدم الفاعل على الفعل والمفعول معاً ونُعَلِّلُ، للاهتمام أو التنويه... مثال زيدٌ كتب الدرس.

ز- ثم نُعطي فاعلاً غير حقيقي ونُعَلِّلُ بالاتصاف أو الإسناد مثلاً مثال: مات الرجلُ.

ح- ثم نُعطي فاعلاً بالنفي للفعل ونُعَلِّلُ، بالإسناد أو الحركة الجسمية مثال: لم يكتب خالدٌ درسه، لم يكتب الدرس خالدٌ.

كما قد نُعَلِّلُ هنا بالعقل أو الضدية كتب = فعل الكتابة (لم يكتب = فعل عدم الكتابة).

ط- ثم نُعطي فاعلاً بحركة غير ظاهرة، مع مفعول بغير حركة ظاهرة كذلك، ونُعَلِّلُ وجوب الأول للفاعلية والثاني للمفعولية.

ك- ثم نعطي تقديم المفعول وتأخير الفاعل في غير المنطق، ونُعَلِّلُ بالعقل بقرينة الإسناد مثلاً: مثال خرق الثوب المسمارَ، كسر الزجاج الحجرَ.

فالثوب: مفعول به مقدم مرفوع، أمّا المسمارَ ففاعل منصوب مؤخر، والزجاج: مفعول به مقدم مرفوع، وأما الحجرَ ففاعل منصوب مؤخر.

لأنَّ الخرق والانكسار تُنسب وتُسند إلى المسمار والحجر لا إلى الثوب والزجاج.

ل- ثم نُعطي مثالاً لا يُفهم إلاً بالحال المشاهدة والموقف.

مثال: كَلَّمَ هَذَا هَذَا فكلّهما يصح فاعلاً ويصح كذلك مفعولاً، غير أنّ الحال المشاهدة والموقف الكلامي يُبين المُكَلِّمَ والمُكَلَّم.

ملاحظة: وهي الإشارة إلى أنّ الفاعل لا بدّ منه في الكلام الذي يشتمل على فعل أو في موطن المشتق العامل، وقد يحضر الفعل ويغيب الفاعل، وبعبارة أخرى هناك فعل لا فاعل له مثل لطلما أعجبتني دروسك.

ملاحظة: يستحسن حوصلة الأمثلة المدروسة وغيرها من إنشاء المعلم، ووضعها تبعاً في اللوح (الصبورة) ثم مطالبة التلميذ/ المعلم بهندستها في جدول مع التعليل، وإعطائه الاختيار في الجدول أو نرسمه له فارغاً وعليه متعلقات الفاعل فقط، وهو الذي يملؤه بنفسه ومعارفه.

مثال:

رقم المثال	الجملة (التركيب)	أين الفاعل؟	علامته؟	التعليل لماذا هو فاعل؟

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث تمّ التوصل إلى نتائج منها:

- أنّ طريقة التدريس/ التعليم للغة العربية في مدارسنا ليست بمعيبية، وإنّما نحن نعلم إعراباً لا لغة ولا نحواً، فنعلم قواعد مسكوكة بدل معانٍ مرجوة.

- النحو والإعراب هما علاقة عموم بخصوص ، فالأول الأعم والثاني الأخص، أو هما علاقة تضمن فالأول يتضمن الثاني _ **على حد قول ابن جني في تعريفه النحو**_

_ الفاعل حقه الرفع دوماً محلاً، أما لفظاً فقد يجر أو ينصب .

_ علاقة الفاعل بالفعل متعددة رأس أمرها الإسناد ، ووجود الفعل يستوجب وجود فاعله.

_ الفاعل ليس حقيقة من قام بالفعل فحسب ، بل تنضاف إليه الإسنادية أو الاتصافية أو دخول القرينة أو الحال المشاهدة وغير ذلك .

_ الفاعل في تراكيب العرب لا يحتاج إلى الفعل فحسب ، بل قد يغيب الفعل ويوجد الفاعل وذلك في المشتق العامل كاسم الفاعل واسم المفعول مثلاً، وقد يوجد الفعل ولا فاعل له.

_ يستحسن في تعليمنا للغة العربية في باب الفاعل أن نعلم الفاعل ونعلم إعراب الفاعل معاً، فتعلم الفاعل لصحة المعاني ، وتعلم إعرابه للمباني، وهما غاية اللسان في العربية وممرها ، وغاية توخي معاني نحوه .

_ المتتبع أكثر لعزوف الطلبة / التلاميذ عن النحو ليراه في جفاف المادة المقدمة ، فبدل أن ننطلق من المعنى ونضبط الحركات ، انطلقنا رأساً على عقب _ وإن لم أقل خطأ _ فلكذلك الحركات الإعرابية تبين المعاني، لكن لأهل الاختصاص واختصاص الاختصاص.

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج1، مادة (ع، ر، ب)، ص 687.

- ² ينظر : ابن الأنباري، أسرار العربية، تح: بركات يوسف هبوط، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1979م، ص 44 وما بعدها.
- ³ الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994م، مادة (ع، ر، ب)، ص 185.
- ⁴ ينظر، أحمد شقرون، الروضة الندية في شرح الأجرومية، ط1، دار الحمراء للطباعة والتوزيع والإعلام، سيدي بلعباس، الجزائر، 2010م، ص 31.
- ⁵ ابن هشام الأنصاري، قطر اللّدى وبل الصدى، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الإيمان، المنصورة، (د ت)، ص 708، ص 861.
- ⁶ محمود مطرجي، في النحو وتطبيقاته، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 25.
- ⁷ عبد الراجحي، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 03.
- ⁸ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، العوامل المنة النحوية في أصول العربية- تح: البدرأوي زهران، ط1، دار المعارف، مصر (د ت)، ص 84، وينظر: ابن جنّي، الخصائص: ج1 تح: محمد علي النجار، الدار المصرية، مصر، (د ت)، ص 109، 110.
- ⁹ ينظر : علي بهاء الدين بوخود، المدخل النحوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، (د ت)، ص 14.
- ¹⁰ جميل علوش، الإعراب والبناء، دراسة في نظرية النحو العربي، ط1، دار النشر، بيروت، لبنان، 1997م، ص 160.
- ¹¹ ينظر : المرجع نفسه، ص 160.
- ¹² محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة إرسال بيروت، دار الثقافة، الجزائر، قصر الكتاب، البليدة، (د ت)، ص 149.
- ¹³ ابن جنّي، الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار، ص 34.
- ¹⁴ عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ط1، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 2007م، ص 62.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 62.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص 62.
- ¹⁷ ينظر : حبيب مُونسي، مراجعات في الفكر والأدب والنقد، ط1، دار التنوير، الجزائر، 2013م، ص 77.
- ¹⁸ ابن جنّي، الخصائص، تح، محمد علي النجار، ج1، ص 35.
- ¹⁹ عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 63.
- ²⁰ ينظر، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994م، ص 205.
- ²¹ ابن جنّي، الخصائص، ج1، تح، محمد علي النجار، ص 34.
- ²² أحمد حسّاني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، جفل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000م، ص 35.
- ²³ بشير إيرير وآخرون، مفاهيم تعليمية بين التراث والدراسة اللسانية الحديثة، مَخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2009م، ص 84.
- ²⁴ هادي نهر، الإتقان في النحو وإعراب القرآن، مج2، ط1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2010م، ص 455.
- ²⁵ ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج2، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د ت)، ص 83.
- ²⁶ المرجع نفسه، ص 84، 85.
- ²⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص 85 وما بعدها.
- ²⁸ المرجع نفسه، ص 91 وما بعدها.
- ²⁹ المرجع نفسه، ص 98.

المناص في الأدب التفاعلي رواية " شات الرقمية " لمحمد سناجلة أنموذجا.

أ - بوزيد مولود

جامعة مولود معمري - تيزي وزو- الجزائر.

Résumé: L'étude vise à identifier le rôle important des paratextes éditorails dans la compréhension du texte numérique et l'orientation de la lecture. A cette fin, notre étude se base sur les paratextes éditorails dans la littérature interactive, en prenant le roman "chat" de "Mohamed SANAJLEH" comme modèle. Les résultats d'étude ont révélés que les paratextes éditorails étaient une des clés les plus importantes qui ont contribué à la compréhension de cette version de ce roman numérique. C'est ainsi que ces seuils ont pu divulguer beaucoup de choses avant l'accès au bord de ce roman.

أدى التطور في عمليات " فهم النص "، تطورا مماثلا في طرق تنظيمه، وإمكانية أن يصنع من نفسه عالما خاصا، تتفاعل فيه بنايات مختلفة، يجمعها النص، هذا الأخير الذي يحاول القارئ ملامسة سحره، ومقاربة خياله والدخول إلى عالمه، والبدء في هذه المحاولة يمثلها عالم وفضاء البداية في النص، أي ما يصل النصوص بعضها ببعض من أجل التعرف على مختلف جزئياتها وتفاصيلها، وهو أهم هذه الجزئيات والعلاقات في البناء النصي، يمثل بعمق ودقة علاقات التفاعل وتعالیه بين دفتي غلاف نص ما، سمي " المناص " أو النصوص المصاحبة "، فما كان لمثل هذه النصوص أن تثير الاهتمام لولا توسيع مفهوم النص، فأثرنا إثارها في سبيل تعميق " فهم النص الروائي الرقمي وتأويله.

لهذا سيكون مقالنا في الأساس منصبا على دراسة المناص الخارجي في الأدب التفاعلي : «من خلال تسليط الضوء على رواية "رواية شات الرقمية" لـ"محمد سناجلة" أنموذجا. محاولين من خلال هذا العنوان الإجابة عن الإشكاليات التي يطرحها هذا الموضوع وهي كالتالي: ما مفهوم مصطلح التفاعل؟ ما معنى الأدب التفاعلي؟ وخصائصه؟ كيف ساهمت التكنولوجيا في التحول على مستويات التفاعل النصي؟ ما دور العتبات الخارجية (الغلاف، العنوان، الألوان) في بناء رواية (شات) الرقمية؟ إلى أي مدى تؤثر هذه العتبات على المتلقي؟.

I. مفهوم مصطلح التفاعلية:

قبل التطرق إلى مفهوم هذا الجنس الأدبي، وشروط إنتاجه وتلقيه، لا بد من إطلالة سريعة على لفظة "التفاعلية" لتتضح الصورة وترفع اللبس لأنه لا يمكن فهم الأدب التفاعلي إلا على ضوء تحليل لفظة (التفاعلية).

1- التفاعلية: (interactivity) تعريف وتأسيس:

يكمن معنى التفاعلية في التبادل والتشارك بين طرفين؛ ذلك أنّ كلمة " interactivity " مركبة من كلمتين في أصلها اللاتيني، «أي من كلمة السابقة (inter) وتعني بين أو فيما بين، ومن الكلمة (actives) وتقيد الممارسة في مقابل النظرية...»¹ فتصبح معنى "التفاعلية" ممارسة بين اثنين؛ أي تبادل وتفاعل فيما بينهما.

أما في معجم الوسيط: وردت صيغة تفاعل في نطاق ضيق لتشير إلى ما هو كيميائي فيقال «تفاعل المواد الكيميائية»،² فهذه الصيغة (تفاعل) لم تستخدم بمفهومها المعاصر.

أما "سعيد يقطين" فيعرف التفاعل قائلا: «هو ما يتمثل في العمليات التي يقوم بها المستعمل وهو ينتقل بين الروابط لتشكيل النص بالطريقة التي تفيد. وهو بذلك يتجاوز القراءة الخطية التي يقوم بها قارئ الكتاب المطبوع».³ ولقد ظهرت أعمال أدبية، الرواية مثلاً؛ أو فنية (الألعاب، أو الدراما) تقوم على الترابط بين مختلف مكوناتها، وهي تنهض على أساس التفاعل أو القراءة التفاعلية.

بناءً على ما سبق فالتفاعلية «أصبحت في الثقافة المعاصرة مصطلحاً دارجاً، يستخدم بكثرة، ودون اضطراب غالباً، في الكتابة الأدبية النقدية التي تتخذ من التقاطع بين الأدب والتكنولوجيا محوراً لها».⁴

II. الأدب التفاعلي:

يُعرف (الأدب التفاعلي) بأنه الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة، خصوصاً المعطيات التي يتيحها نظام (النص المتفرع - Hypertexte) ، في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية. ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء. ويكتسب هذا النوع من الكتابة الأدبية صفة التفاعلية بناءً على المساحة التي يمنحها للمتلقى، والتي يجب أن تعادل، وربما تزيد عن، مساحة المبدع الأصلي للنص، مما يعني قدرة المتلقي على التفاعل مع النص بأي صورة من صور التفاعل الممكنة.

فالدكتور "مشتاق عباس معين" وهو رائد القصيدة التفاعلية في العالم العربي: يعرفه بأنه «النص الذي يستعين بالتقنيات التي وفرتها تكنولوجيا المعلومات وبرمجيات الحاسب الإلكتروني لصياغة هيكلته الخارجية والداخلية، والذي لا يمكن عرضه إلا من خلال الوسائط التفاعلية الإلكترونية كالقرص المدمج والحاسب الإلكتروني أو الشبكة العنكبوتية الانترنيت».⁵

أما "فاطمة البريكي" فتعرف "الأدب التفاعلي" بأنه «الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة، خصوصاً المعطيات التي ينتجها النظام في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء. ولا يكون هذا الأدب تفاعلياً إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل، أو تزيد عن، مساحة المبدع الأصلي للنص».⁶

ويعرفه "سعيد يقطين" بأنه «مجموع الإبداعات و(الأدب من أبرزها) التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صوراً جديدة في الإنتاج والتلقي».⁷ إذ لا يكتسب النص الأدبي وجوده إلا بتفاعل المتلقي معه، فإن هذه الصفة كانت موجودة بالإدراك، ولم يُنص عليها أو تصبح صفة ملازمة للنص الأدبي إلا بانتقاله من طوره الورقي التقليدي إلى طوره الإلكتروني الجديد.

لقد عرف الأدب العربي نماذج مختلفة من (الأدب التفاعلي)، تنتمي لأجناس مختلفة، منها (القصيدة التفاعلية - Interactive Poem)، التي تنتمي إلى جنس (الشعر التفاعلي - Interactive Poetry)، ومنها (المسرحية التفاعلية - Interactive Drama)، التي تنتمي إلى جنس (المسرح التفاعلي - Interactive Theatre)، بالإضافة إلى (الرواية التفاعلية - Interactive Novel). والتي يمكن التوقف، في هذه المداخل، عند نموذج جنسي أدبي تفاعلي.. ألا وهي الرواية التفاعلية الجديدة (شات) الرقمية، التي طرحها "محمد سناجلة" من خلال موقع (اتحاد كتاب الإنترنت العرب) الذي يترأسه. فما مفهوم الرواية التفاعلية؟

III. الرواية التفاعلية:

يبدأ التاريخ " للرواية التفاعلية من منتصف الثمانينات، حيث أصدر "مايكل جويس" Michael Joyce أول رواية تفاعلية بعنوان " الظهيرة، قصة " Afternoon, a story " عام 1986، وقد قام بتأليفها مستخدماً برنامج المسرد "Story pace"⁸. ثم توالى بعد ذلك الروايات التفاعلية في الأدب الغربي والعربي.

الرواية التفاعلية «هي نمط من الفن الروائي يقوم فيه المؤلف بتوظيف الخصائص التي تتيحها تقنية (النص المتفرغ)، والتي تسمح بالربط بين النصوص سواءً أكانت نصًا كتابيًا، أو صورًا ثابتة أو متحركة، أو صوتًا حيا أو موسيقى، أم أشكالاً جرافيكية متحركة، أم خرائط، أم رسوماً توضيحية، أم جداول، أم غير ذلك، باستخدام وصلات تكون دائماً باللون الأزرق، وتقوم إلى ما يمكن اعتبار هوامش على المتن، أو إلى ما يرتبط بالموضوع نفسه، أو ما يمكن أن يقدم إضافة لفهم النص بالاعتماد على تلك الوصلات»⁹.

إنّ الرواية التفاعلية تعبر عن عالم جديد، خليط بين المفهوم الخيال الرابط ووجهة النظر الخاصة بالروائي، مع استخدام تقنيات أخرى تضيف المعنى وتبرز وجهة نظر للرواية وللروائي، هذه الإمكانيات المتاحة. ورغم افتقار الوعي التكنولوجي العربي، لم يُغيب الإبداع التفاعلي تمامًا لتظهر أول "رواية تفاعلية" عربية لـ "محمد سناجلة" عام 2001 بعنوان " ظلال الواحد، نشرت على موقعه الخاص مستخدمًا في بنائها تقنية "Links" المستعملة في بناء صفحات "Web".

IV. المناص في الرواية التفاعلية (شات) *:

لكل بناء مدخل، ولكل مدخل عتبة، ولكل عتبة هيئة، ولأن العتبات همسات البداية، فالمناص يمثل العتبات أو البوابات أو المداخل، التي تجعل المتلقي يمسك بالخطوط الأساسية التي تمكنه من قراءة النص وتأويله؛ لأنها تربط علاقة جدلية مع النص بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. فالنص بناء لا يمكننا الانتقال بين فضاءاته المختلفة دون المرور من عتباته، ومن لا ينتبه إلى طبيعة ونوع العتبات يتعثر بها، ومن لا يحسن التمييز بينها، من حيث أنواعها وطبائعها ووظائفها سيثبه داخل العالم النصي.¹⁰

لقد قدم " جيرار جنيت " المناص كنوع ثان من أنواع التّعليق النصي الخمسة... فالنص في الواقع لا يمكننا معرفته، وتسميته إلا بمناصه...¹¹ للعتبات إذن أهمية كبرى في فهم النص وتفسيره في جميع تفصيلاته من الداخل والخارج، ويتوسع "جنيت" في تقسيم المناص إلى نوعين:

- **النص المحيط (péritexte):** عبارة عن ملحقات تصية تتصل بالنص مباشرة كالغلاف والمؤلف، والعنوان، والإهداء، والمقتبسات، والمقدمات، والهوامش (...).

- **النص الفوقي (epitexte):** تندرج تحته كل الخطابات الموجودة خارج الكتاب فتكون متعلقة في فلكه، كالاستجابات، المراسلات الخاصة، والتعليقات، والمؤتمرات، والندوات.¹²

لأنّ المقام لا يسعف للإمام بجميع التّفصّلات، سنقف في هذه المداخل على دراسة الجانب الأول (النص المحيط)، الذي تندرج تحت هذا النوع نصوص ثوان هي:

1- **النص المحيط النشرّي: (Editorial Pérítex te):** يشمل (الغلاف، الجلادة، كلمة الناشر، السلسلة...).

2- **النص المحيط التاليفي: (Auctorial pérítex te)** يشمل (اسم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي، العناوين الداخلية، الاستهلاك، التصدير، التمهيد...)¹³.

سنستع في هذه الدراسة التّمظهرات المناصية من خلال هذا النوع (النص المحيط) فستتخلص طريقة العمل في النّظر إلى الرواية الرّقمية (شات)، وكيف يتحقق التّرابط أو التّعلق من خلال الالتفات إلى عتباتها.

إنّ تسارع تكنولوجيا المعلومات قد خلق صدمة تحول في الإبداع الأدبي، وعليه فلا نستغرب إنّ ظهر التّحول كذلك على مستويات التّفاعل النصّي من تناص، ومناص، وتعلق نصّي...، ناهيك عن «استخدام التّقنيات الرّقمية المختلفة المستخدمة في بناء صفحات الويب وبالذات تقنية النص المترابط (هابرتكست)، ومؤثرات (المالتي ميديا) المختلفة من صور وصوت وحركة وفن الجرافيك والانيميشن المختلفة»¹⁴، إضافة إلى برامج أخرى معدة مثل برنامج ماكروميديا (Macro media flash).

إنّ إدماج هذه التّقنيات في النصّ الرّقمي لها دلالات موحية بواقعية الحدث الروائي «فمثلما نتواصل مع النصّ الأدبي من خلال العبارة وبلاغتها، نتواصل مع اللوحة أو المنحوتة بالعبارة

وبلاغتها»¹⁵ وتتواصل كذلك بالصورة، والصوت، والحركة بالعبارة وبلاغتها، وبالتالي من الطبيعي أن تترابط، وتتعلق هذه الفنون بمضمون النص، ليخلق تفاعلاً نصياً جديداً في ظل الوسائط التكنولوجية وعند «العودة إلى الأدب يكون طبيعياً أن يتقبل تأثير العلوم والأفكار والفنون بخصائصها وآلياتها ووسائلها وأدواتها»¹⁶. بما أن العتبة النصية والفنية في رواية (شات) ذات شكل سمعي بصري وحركي فذلك يوحي إلى رقمية الرواية، وجنسها الفني فإن أول عتبة مقابلة لزاوية القراءة في هذا النص الروائي هو الغلاف.

V. الغلاف:

الغلاف أول ما نقف عنده، وهو الشيء الذي يلفت انتباهنا بمجرد حملنا ورؤيتنا للرواية، لأنه العتبة الأولى من عتبات النص الهامة، تدخلنا إشارته إلى اكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص¹⁷ المصاحبة له؛ صورة، ألوان، تجنيس، موقع اسم المؤلف، دار النشر، مستوى الخط...؛ إذ يعتبر جميعها أيقونا علاماتيًا يوحي بكثير من الدلالات والإيحاءات، وتعمل بشكل متكامل متناعم، لتشكيل لوحة فنية جمالية تعرض نفسها على قارئ مبدع، وتمارس عليه سلطتها في الإغراء والإغواء، ليتسنى لها إثارة التشويش على هذا المتلقي، أو تكون المؤشر الدال على الأبعاد الإيحائية للنص؛¹⁸ فالغلاف - أحد المناصات البارزة - «فضاء مكاني؛ لأنه لا يتشكل إلا عبر المساحة؛ مساحة الكتاب وأبعاده، غير أنه مكان محدود ولا علاقة له بالمكان، الذي يتحرك فيه الأبطال، فهو مكان تتحرك - على الأصح - عين القارئ، إنه بساطة فضاء الكتابة باعتبارها طباعة»¹⁹.

غلاف هذه الرواية يتكون من أربعة وحدات غرافيكية، تحمل عدة إشارات دالة، الأولى هي الصورة، والوحدة الثانية هي اللون الذي ميز الغلاف، والثالثة هي التجنيس، أما الأخيرة فهي عنوان الذي يعد وحدة كبرى مستقلة بذاتها.

VI. الصورة:

يعتبر ماتز (Christian Metz) الرسالة البصرية مثل الكلمات، وكل الأشياء الأخرى، لا يمكن أن تنفصل من تورطها في لعبة المعنى؛²⁰ فالصورة علامة أيقونية خطاب مشكل كمتالية غير قابلة للتقطيع، لأنها المتتالية التي تسعى إلى تحريك الدواخل والانفعالات للروائي (القارئ) وهذا ما يبرز جمالية المرئي، الذي تتضافر عناصره من أجل تأكيد المكتوب.

إن اللغة البصرية، التي يتم عبرها توليد مجمل الدلالات داخل الصورة، هي لغة بالغة التركيب كما أنها لغة تعمل على نقل الأفكار والدلالات من لغة إلى لغة أخرى؛ لأنها تحكي الفكرة بلغة الشكل - الخط - اللون - الظل - الملامح - والاتساق البصري، والتنوع لتضعها في سلم القراءة، وتنتهي بها إلى الفهم والإدراك، عبر تحريك وإعمال العقل ومهاراته.

تعتبر رواية " شات " من الأعمال الرائدة لـ "محمد سناجلة" *، التي لاقت تفاعلاً وتجاوباً من طرفهم باعتبارها تشكل نقلة أخرى في عالم الأدب والإبداع على مستوى الكتابة؛ من خلال ربطها بالتكنولوجيا. فبمغايرة واضحة عن المؤلف الدخول ندخل إلى رواية "محمد سناجلة" الرقمية بالنقر على الماوس، فأول ما سيشاهده المستخدم أو القارئ هو ظهور مشهدين متتاليين على الغلاف، فالمشهد الأول هو ظهور صفحة يشغل كل حيزها باللون الأسود كما يبينه الشكل التالي:



ليظهر أمانا عنوانها ذو الشكل المتحرك الموحى برقمية الرواية وجنسها الفني. فالشآت هو أحد الاصطلاحات المتخصصة في عالم النيت، وهو شائع ومعروف من لدن مستخدمي الشبكة العنكبوتية. وما تسمية سناجلة للرواية الجديدة المحدثه بهذا الاسم "شآت" إلا ليجعل القارئ، منذ اللحظة الأولى، يشعر أنه إزاء عمل روائي مختلف تتركز موضوعيته في الكشف عن الهموم الجديدة التي تشكلت جراء استخدام طرق الاتصال المبتكرة على هذه الشبكة. لقد جسد تصميم العنونة رقمية الرواية من خلال الحركة الدائبة لهطول الرقمين $(1,0)$ ، متوهجة ومضيئة باللون الأخضر، محتلة كل واجهة الغلاف الأسود العلوي، اللذين يشكلان أساس الشبكة العنكبوتية، من الأعلى إلى الأسفل. ويتضمن صفحات `*html` ثابتة ونادرا ما حدثت. بعد ذلك جاء ويب 1.5، وهي عبارة عن "ويب الديناميكية" والتي تنشأ فيها صفحات شبكة الانترنت فوراً من محتويات قواعد البيانات باستخدام نظم إدارة المحتويات. ثم ويب 2.0 هي أكثر من مجرد صفحات ويب ديناميكية، فهي تمثل شبكة اجتماعية وذات اعتمادية أكبر على المستخدمين، والمستخدمين هنا هم مستخدمي خدمات ويب الجديدة المتطورة والتي أنشأها خبراء الشبكة.

هذا كله ترك فينا انطباعاً أولياً عن ماهية أدوات الرواية التي تبين لنا بما لا يقبل الشك اعتمادها على الصور المرئية كبنية أساسية أو أداة رئيسية من أدوات التعبيرية. ثم سرعان ما نصل إلى الأسفل لنرى انصهار هذه الأرقام داخل اللون الأسود، وكأنها تدوب كما يدوب الثلج في التراب، كما سنراه في هذا الشكل:



ثم يلي في أعلى العنوان من اليمين ظهور جملة مكتوبة باللون الأبيض تحمل اسم صاحب الرواية "محمد سناجلة" تليها مباشرة جملة أخرى مكتوبة بنفس اللون في أسفل العنوان من اليسار بعنوان تحدد جنس العمل الرقمي: "رواية واقعية رقمية" بالإضافة إلى تاريخ الإصدار والنشر: منشورات اتحاد كتاب الإنترنت العرب - 2007. مصاحبة لهذا الإخراج الفني صوت موسيقي مشوش وغير واضح، يذكرنا بالإخراج الفني للأفلام السينمائية، ثم تنفتح الصفحة تلقائياً على (العتبة الثانية). والشكل الآتي سيوضح كل واجهة غلاف الرواية الرقمية (شآت).²¹



نلاحظ من هذا الإبداع الفني الرقمي، أنّ المبدع قد نجح في الإخراج الفني للرواية، وذلك عبر الوسائط التكنولوجية، كما أنّه نجح في تنسيق مشاهد الصّفحة الخارجية مع أحداث الرواية الرقمية نصًّا، وصورة، وصوتًا، ولونًا، وحركةً، وشكلًا...، حيث إنّ السّواد الذي يعم الغلاف كله، والأرقام الخضراء التي تهطل بغزارة ثم تذوب في هذا الفضاء الأسود؛ إلى جانب العنوان الهندسي المتوهج وكذلك العنوانين الفرعيين اللذين يحملان الاسم الحقيقي لصاحب الرواية ونوعيتها، فهذه كلها دلالات لم توضع عبثًا، أو لم تجمع لتزيين الغلاف وإنما هي عتبة مفتاحية توحى للقارئ بأنّ يجعل بصره حديد، ليدرك هدف تصميم هذا الغلاف.

1- العنوان الرئيسي:

يعد العنوان من بين أهم عناصر (النص الموازي) لهذا فإنّ تعريفه يطرح بعض الأسئلة ويلح علينا في التحليل، كعنصر مهم، كونه مجموع معقد أحيانًا أو مركب/ وهذا التعقيد ليس لطوله أو قصره، ولكن مرده مدى قدرتنا على تحليله وتأويله؛ فيرى "جنيت" أنّ في المستوى العملي للعنوان، تتجاوز وظيفة المطابقة (Identification) بقية الوظائف، باعتبارها أهم الوظائف؛ لأنّها تريد أن تطابق بين عناوينها ونصوصها، غير أنّنا نجد بعض العناوين المراوغة خاصة السريالية منها، التي لا تطابق نصوصها تمامًا، فتحتاج إلى تأويل وحفر في طبقاتها قصد قراءة وفهم إحياءاتها وتلميحاتها. ومدّ صفة موضوعاتي (thématique) للعنوان تعبير عن اعتماد العناوين وصف "مضمون" النص. أما العنوان في مستواه التداولي/ النفعي، فتبرز "الوظيفة الاغرائية، التي لها وزنها في إحداث إستراتيجية العنوان تأطير النص، فهي المعول عليها كثيرًا على الرّغم من صعوبة القبض عليها، وهي تغرر بالقارئ المستهل بتنشيطها لقدرة الشراء عنده، وتحريكها لفضول القراءة فيه، والقاعدة المنظمة لهذه الوظيفة قد وضعت منذ قرون في مقولة " (Uretère): «العنوان الجيد هو أحسن سمسار للكتاب»: (Beau titre est le vrai proxène d'un livre)، فيرد " john Barth / جون بارث " على أولئك يلهثون وراء العناوين الرنانة دون وعي بجماليتها، والتي تكون في الأغلب بلا معنى «فإن يكون الكتاب أغرى من عنوانه، أحسن من أن يكون العنوان أغرى من كتابه»²² وهذا لكي لا نسوق القراء لعماء لا مرئي، ونبقى على ذلك الميثاق الأخلاقي للقراءة.

2- العنوان كدرس دلالي رئيس: يعتبر العنوان في الدرس المعاصر المدخل الرئيس للعمارة النصية، إنّهُ إضاءة بارعة وغامضة؛ باعتباره سؤالاً إشكاليًا، يتكفل النص بالإجابة عنه؛²³ فالعنوان يعلن عن طبيعة النص، ومن ثمة يعلن على نوع القراءة التي يتطلبها هذا النص، إنّهُ البهو الذي ندلف من خلاله إلى النص،²⁴ ودونه لا يمكننا الدخول إلى حجرة النص لغموضه وتشابكه، ولتتم عملية الولوج إلى هذه العمارة النصية، والتّقرب من حجراتها، وملامسة اتجاهاتها وحركتها في ثنايا النسيج النصي وتشظياته.

جاء عنوان النص كلمة مفردة "شات"، شغلت مكاناً على ظهر الغلاف؛ فجاءت بين الصورة والتّجنيس وطغى عليها اللون الأحمر، وقد أراد "محمد سناجلة" أن يكون عنوان روايته تفسيرياً، يجسد معنى الرواية ويختصر حكمتها لشدة التّحامها بها، ما جعله نصّاً قادراً على توجيه القارئ واقتراح الدّلالة الممكنة للرواية ومع حيوية العنوان ومباشرته واتصاله بجوهر النصّ، فإنّ الروائي يعمق من هذه الصلة (صلة الرواية بالعنان) عن طريق صورة الغلاف والنّص. ومنه نتساءل لماذا شات؟

شات المستقيم من بين المفردات المستعملة على شبكة ليكون علامة دالة على الأجواء المسيطرة على الرواية والتي مهدت للتحوّل الذي عرفه البطل في مساره الانتقالي من واقع إلى آخر والذي فجّره دخوله فضاءات "الشات".

إذن فكلمة الشات (Chat) وهي كلمة إنجليزية مختصرة لكلمة (Chating) وقد جاءت في القاموس الفرنسي Larousse* بـ (Chat ou tchat) بمعنى: «الثرثرة أو المحادثة كلمة إنجليزية تعني للاتصال: عملية تبادل متزامنة وتفاعلية الرسائل نصية، وتكون عادة قصيرة، مع شخص لآخر».²⁵

إذن فكلمة (شات) تعني المحادثة الإلكترونية و«المحادثة في العربية مشتقة من الفعل حادث يحدث محادثة، بمعنى كلم، درّش، أو تبادل أطراف الحديث».²⁶ وحسب معجم "مصطلحات المعلومات" فإنّ: «المحادثة هي اتصال متزامن مع مستخدم آخر على الشبكة يحدث في الوقت الفعلي مثل المحادثة الإلكترونية»²⁷، وتعتبر هذه التّقنية الاتصالية الرّقمية من أحدث الوسائل الموجودة حالياً على الوسائل التكنولوجية الإعلامية الاتصالية (الانترنت).

إذن كلمة (شات) أو (Chat) تعني المحادثة الإلكترونية التي تقوم على الحوار أو النقاش أو الدردشة بين شخصين ومجموعة من الأشخاص بواسطة التّقنيات الإلكترونية المختلفة عبر شبكة الانترنت إما بالنّص وإما بالصوت أو الصورة، أو كليهما معاً.

تعني لفظة "الشات" وفق ترجمة المبدع أنّ هذه العبارة، تستخدم خصيصاً في الوسائط التكنولوجية وتعني المحادثة الإلكترونية الجامعة بين شخصين أو أكثر داخل غرف المخصصة لذلك، سواءً في موقع مكتوب أو "ياهو" "مسنجر" Yahoo التي مكنت شخصيات الرواية من التّعبير عن مواقفها السّياسية ورؤيتها للحب، الحياة والموت بحرية كاملة يضمنها لها اسمها المستعار (صدام، جيفارا، ليليان، نزار...) المعبر عن طبيعتها الرّقمية. وعلى ضوء هذا يفسر اختيار "محمد سناجلة" لكلمة "شات" كعنوان رئيسي للرواية لأنّها رواية ارتبطت بالواقع المعاصر والواقع الافتراضي كما يقول: «هذه الرواية مغامرة في الزمن الرقمي الافتراضي، وفي المكان الرقمي الافتراضي، وفي الواقع الرقمي الافتراضي»²⁸ مما سيجعل عامل التّشويق حاضرًا لكل من يلقي أول نظرة إلى هذه الرواية المبدعة في وسط تكنولوجي محظ.

وبفضل المحادثة التي جمعت بين منال والبطل، تمكن هذا الأخير من اكتشاف الكائن المحب للحياة وللجمال والباحث عن الحب، الذي يعيش بداخله؛ الأمر الذي دفعه إلى بناء غرفة خاصة بالعشق والعشاق سماها: وطن العشاق وكتب على بابها "وطن الحب والحرية"، وجعل شعارها أبيات ادونيس:

الحب نبيل الكون
وهذا العالم دن
والأيام كؤوس

داخل هذه الغرفة بالإضافة إلى الغرفة السّياسية بمكتوب، جرت محادثات كثيرة غطت مساحة كبيرة من الرواية، إذ بلغ عدد العقد السردية التي جاءت عبارة عن محادثات حوالي عشرين عقدة، سواء تلك التي يقود

إليها رابط: مكتوب أو ياهو مسنجر أو رابط: بأسمائهم المستعارة، أو التي يمكن قراءتها من خلال: " ليلة حب". أو " ثورة العشاق". الأمر الذي يعطي لهذا العنوان مشروعية كبيرة يستمدّها من طبيعته الإحالية المرهضة على طابع الرواية الحوارية على اعتبار أنّ هذه المحادثات هي حوارات مباشرة تجمع بين الشخصيات ضمن حيز ينتمي فيه المكان بمحدداته الجغرافية المعهودة، ف"نزار" أو "محمد" يوجد في صحراء سلطنة عمان في حين أنّ منال أو ليليان تعيش بأمريكا. ومع ذلك فهما يلتقيان ويتحدثان داخل الغرف المتواجدة على شبكة والمخصصة للدردشة.²⁹

3- العناوين الفرعية الخارجية:

جاءت العناوين الفرعية على الصفحة الرقمية الخارجية على شكل كتابة سردية كتبت باللون الأبيض وهما جملتان:

- الجملة الأولى تحمل عنوان: " محمد سناجلة " وتقع في أعلى العنوان الرئيسي على الجهة اليمنى للصفحة، وهذه الجملة تحمل الاسم الحقيقي للمبدع.

يعد اسم الكاتب من بين العناصر المناسية المهمة، فلا يمكننا تجاهله أو مجاوزته لأنّه العلامة الفارقة بين كاتب وآخر، فيه تثبت هوية الكاتب لصاحبه، ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية على عمله دون النظر للاسم إن كان حقيقياً أو مستعاراً. ولما كان اسم المؤلف أحد النصوص المصاحبة شد انتباهنا - في الغلاف- اسم المؤلف يعلو الصورة، وكانّ سناجلة - هنا - يشير إلى حياده فيما يحدث في العالم الرقمي، فما هو إلا شاهد على هذا المشهد الظلامي، يرصد بالملاحظة ويعبر بالأسلوب الذي يراه مناسباً (فني، رمزي، سريالي...).

VII. التّجنيس:

يعتبر التّجنيس وحدة من الوحدات الجرافيكية، أو مسلكاً من بين المسالك الأولى في عملية الولوج في نص ما؛ فهو يساعد القارئ على استحضار أفق انتظاره، كما يهيئه لتقبل أفق النص، وإن كان هذا التّجنيس يفيد عملية التّلقي بتحديد استراتيجيات آليات التّلقي وربط هذا النصّ المجنس بالنّصوص الأخرى التي من نوعه في ذاكرتنا النصية، لأننا نتلقي النصّ من خلال التّجنيس، ونعقد معه عقداً للقراءة، كما بين ذلك "جيرار جنيت" وإنّ تلقي أي جنس أدبي - قصصياً كان أو غير قصصي - يتألف من اتفاق معقود بين المؤلف والقارئ، الذي يرتبط بنوعية هذا " لهذا يعد نظاماً رسمياً يعبر عن مقصدية كل من الكاتب والناشر لما يريدان نسبته للنص، في حالة لا يستطيع القارئ تجاهل أو إهمال هذه النسبة، وإن لم يستطع تصديقها أو إقرارها، فهي باقية كموجة قرائية لهذا العمل.³⁰

تجنيس هذا النصّ تكرر مرة واحدة: " رواية الواقعية الرقمية " مكتوبة كذلك باللون الأبيض، وتقع في أسفل العنوان الرئيسي على الجهة اليسرى للصفحة وهي جملة تعني بنوع الرواية المبدعة فهي علامة ومؤشر تكويني يدرجها بشكل صريح وملموس ضمن منطق الجنس الروائي، فالكاتب لم يخترق الميثاق الروائي الجنس على وجه التحديد. فالمؤشر الجنسي (Indication Générique) - على ذلك- نظام ملحق بالعنوان المؤلف. فهذا الشيء الذي ساعد القراء على تقبل- إلى حد ما - شات، على الرّغم من كونها تأتي شكلاً وبناءً خارج عن النظام المؤلف في المتلقي، وفي ثقافة القراءة والكتابة المعروفتين. وما يشد الانتباه في العناوين الفرعيين هو: أنّ المبدع سرد اسماً حقيقياً، ورواية واقعية، وهذا يعني أنّ أحداث الرواية قد وقعت حقا لشخص خاض تجربة في العالمين (الواقعي والافتراضي)، وبالتالي لم يأت المبدع "محمد سناجلة" بهذه الرواية إلا لتعبر عن هذا العالم الواقعي المعاصر سواء رفضاً أو إيجاباً، فسماها برواية واقعية رقمية، ويصرح قائلاً: «ألا يعني أنّ العالم القديم قد انتهى، وأنّ هناك عالماً جديداً، ومختلفاً تماماً أخذ بالتشكل. لقد جاءت الرواية لتعبر عن العالم سواء رفضاً أو إيجاباً ولتستغرق المستقبل، والروائي مكتشف قبل كل شيء لأنّ له عينا ثانية ليست لدى الآخرين...»³¹ ويقول أيضاً: «الشخص الذي يجلس أمام الكمبيوتر لمدة خمس أو ست ساعات غارقاً في عوالم الإنترنت، فهذا الشخص موجود في العالمين في ذات اللحظة، فهو لا موجود ولا معدوم ولا مجهول، ولا منفي ولا مثبت، وربما كان الشخص الموجود في العالم الافتراضي أكثر حضوراً وحقيقةً من ذات الشخص الموجود في العالم الواقعي

المتصل يذهب بذهاب المتخيل، والمنفصل حضرة ذاتية دائماً للمعاني وهذا القابل دائماً للمعاني بحاجة إلى رواية أخرى جديدة، وهذه الرواية هي رواية الواقعية الرقمية»³² فقد أثارت في نفسية المبدع شعوراً عميقاً سبق أن جربه، فسعى إلى نقل هذا الشعور بواسطة الحركات، أو الألوان، الأصوات، أو الأشكال المعبر عنها بالكلمات. أما بخصوص مصطلح "الواقعية الرقمية" فيعود فضل السبق في سبكه للروائي الأردني "محمد سناجلة" الذي يعرفه قائلاً «هي تلك الرواية التي تستخدم الأشكال الجديدة التي أنتجها العصر الرقمي، وبالذات تقنية النص المترابط (هايبيرتكتست) ومؤثرات المالتيميديا المختلفة، صورة وصوت وحركة وفن الجرافيك، وتدخلها ضمن البنية السردية نفسها لتعبر عن العصر الرقمي والمجتمع الذي أنتج هذا العصر، وإنسان هذا العصر، الإنسان الرقمي الافتراضي الذي يعيش ضمن المجتمع الرقمي الافتراضي، ورواية الواقعية الرقمية هي أيضا تلك الرواية التي تعبر عن التحولات التي ترافق الإنسان بانتقاله من كينونته الأولى كإنسان واقعي إلى كينونة الجديدة كإنسان رقمي افتراضي»³³.

"محمد سناجلة" استخدام مصطلح " رواية الواقعية الرقمية " لتمييز الخلط الحاصل بين المصطلحين الرواية التفاعلية Interactive Novel، والرواية الترابطية Hypertext Novel على الرغم من أن كلاهما يوظف تقنية النص المترابط ويستفيد من نظام الوسائط المتفاعلة. وتأسيساً على ذلك يقول: (سناجلة)«مع هذا التشابه الكلي بين النوعين، فكلاهما يستخدم التقنيات الرقمية المختلفة في الفعل الإبداعي مثل تقنية "الهايبيرتكتست" وتقنيات "المالتيميديا" المختلفة لكن الفرق بينهما ليس في الشكل بقدر ما هو في المضمون والمحتوى. ذلك أن أدب "الواقعية الرقمية" عموماً "رواية الواقعية الرقمية" على وجه الخصوص هي رواية شكل ومضمون»³⁴.

إذا فالنوعان يتفقان في الشكل السردية أي يستخدمان تقنية النص المترابط أما الاختلاف فيقع في المضمون. فالموضوع في رواية الواقعية الرقمية محصور في زاوية محددة، هي زاوية المجتمع الرقمي الموجود في ذاكرة الإنسان الافتراضي، ويتشكل عبر شبكة الانترنت، وبطل هذا المجتمع/الرواية هو الإنسان الافتراضي الذي يعيش في المجتمع الرقمي وفي شبكة العلاقات الافتراضية التي يبنها، ومنظومة القيم الأخلاقية التي يتصرف من خلالها،³⁵ بالمقارنة مع موضوع الرواية التفاعلية فهي أكثر سعة ورحابة من هذا المدى الضيق الذي ينطوي عليه مفهوم (الرواية الواقعية)، فالرواية التفاعلية تفتح على كل ما يعن للإنسان للكتابة عنه، فيستطيع توظيف الأساليب الجديدة في الكتابة الإبداعية المعتمدة على الوسائط المتعددة في النصوص المتفرعة، والتقنيات الحديثة بمختلف أشكالها ومستوياتها، دون أن يشترط فيها الكتابة عن الفضاء الافتراضي بالتحديد.

أما الموسيقى الرقمية التي رافقت مشاهد عتبات الغلاف منذ البداية حتى النهاية فهي موسيقى تعبيرية، أو موسيقى مصاحبة musique de font، «في ذات السياق تلعب الموسيقى دوراً متزايداً في تشكيل خلفية الأحداث فهي قادرة مع التحكم في مساراتها كي تكون مقبضة أو حزينة، ستلعب الموسيقى دوراً مهماً في تجيش المشاعر مع تنامي الصراع»³⁶ فبفضل تقنية الحاسوب والإنترنت لن تقتصر العتبات النصية على الكتابة، والصورة فحسب، وإنما أدمجت السمع والحركة «بحيث لا يقرأ النص فقط، إنما يسمع ويروي ويشاهد أيضاً...؛ حيث قام المبدع بضبط الإيقاع الصوتي بين الصورة والصوت، وقام بدعم الخلفية بمقطع موسيقى مشوش يعكس الأرقام المتهاطقة، فاستخدام المؤثرات الصوتية كوحدة رابطة لها دلالات موحية بواقعية المكان والحدث فـ"الموسيقى (...) تابعة للغرض المرجو منها، ومن استخدامها، حيث إن توظيف الموسيقى وبشكل عام يتحدد من خلال مضمون ومواصفات الصورة التي تقوم الموسيقى بتغطيتها أو مرافقتها...»³⁷.

VIII. دلالة الألوان على الواجهة:

1- اللون: لقد اتخذ اللون وظيفة تكنولوجية عندما حل محل اللغة، ومحل الكتابة ولهذا وجب ربط اللون بنفسية المتحدث ونفسية المتلقي، ثم بالوسط الاجتماعي والبيئة المحيطة بالفنان، فتساهم دلالات اللون في

نقل الدلالات الخفية والأبعاد المستترة في النفس البشرية؛³⁸ باعتبار الصورة واللون جزء منها لغة عالمية تفهمها كل الشعوب.

1- 2 - دلالة اللون الأسود: يحتل اللون الأسود على كل حيز الغلاف الرقمي، فهذا اللون ذو دلالة خاصة في الجانب النفسي والاجتماعي وغيرها. فالسواد «رمز الحزن والألم والموت، كما أنه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتّم وكونه سلب اللون يدل على العدائية والفناء»³⁹ فالنص يسرد قصة شخص عانى الكثير من الاضطراب، والقلق، وفقد الثقة والحيرة والكآبة..، فعلى الرغم من أنّ السارد متزوج ويعمل في شركة متعددة الجنسيات، إلا أنه يعيش حالة نفسية سيئة وحادة في بلاده، وذاقته البيئة الصحراوية العسيرة المرة، لقد صدمته الحياة الواقعية، مما جعلته لا يحس لمباهج الحياة الواقعية، فذهب الألم بنومه وعكر صفوة حياته، وحرّم عليه الطعام... وأصبح تفاعله مع الماضي لا ينقطع، وهذا ما نلمسه في العديد من المقاطع الواردة في الرواية:

- « الملل والصدفة كانا هما السبب في كل ما جرى ».
- مللنا من وجودك... مللت من رؤيتكما... مللت من هذا الروتين... مللت من العالم...
- هاربا من جحيم حب مجنون.
- أنا الوحيد الضائع المشتت في سراب الملكوت....
- سادت العتمة كل شيء.

- بقيت وحدي...وحتي تماما»⁴⁰.

فالمتمعن في هذه العبارات يلاحظ أنها تنم عن حالة القنوط التي يعيشها البطل في الحياة الواقعية. على الرغم من أنه تقمص شخصية جديدة في عالم جديد، إلا أنه لم يسلم من تلك الصفات السوداوية فضلت تلاحقه كظله. فلم يذق البطل الراحة سواء في العالم الواقعي، أو العالم الافتراضي، فقد سادت العتمة كل شيء. إنّ اللون الأسود الذي وصغه المبدع على غلافه كان لغرض مقصود، حيث ساهم في التعبير عن موضوع الرواية، وأحداثها نصًا، وصورة... فالعبارات والجمل المتعلقة بهذا اللون عبرت أكثر على العالم الواقعي قبل انتقال البطل إلى العالم الافتراضي. وهذا دليل على أنّ الإنسان لا يستطيع أن يفر بواقعه المعاش، فهو تحت سلطة قدر مكتوب لا مفر منه.

1- 3 - دلالة اللون الأخضر:

إنّ اللون الأخضر هو لون سحري جذاب ومريح للنفوس: فهو يمثل «التجدد والنمو والأيام الحافلة للشباب...»⁴¹ فبعدما أغلت الأبواب في وجه البطل، وضافت به السبل، وفقد الأمل، تصله رسالة (sms) جديدة من فتات (منال). من تلك اللحظة تبدأ رواية (شات) في التحول التدريجي من واقع مرير ونفس حزينة، إلى واقع مريح، مسل تكثر فيه الملذات، جعلت السارد يتفاعل بالعالم الجديد ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

- استسلمت تماما لها وهي تلوني.

- نزار كان يوما جميلا عانقت فيه البحر وعانقتني..

- مازلنا في أول الرقص والشمس...لم تنتصب في سيمتها...⁴²

كما يرمز اللون الأخضر إلى إرادة الإنسان من «أن يزيد ثقته في قيمته الذاتية ويبرز تعاليه على من يتعامل معهم، أو من هم في مستواه»⁴³ فهو لون يدل على حب السيادة وعلو الشأن وهذا ما نلمس في العديد من العبارات والجمل الواردة في الرواية:

- سأبني غرفة لي، لا كهذه الغرفة، غرفة أخرى لم تكن من قبل.

- ودخلت تربعت على عرشها وحيدا والتاج على رأسي، وعرسي تحتي.

- سأقيم مملكتي، ومملكتي ليست من هذا العالم...⁴⁴

فالسارد وجد مكانًا جديدًا، فعليه أن يخطط كيف سيعيش فيه، وكيف سيبنى علاقات جديدة في هذا العالم...

لم يرد اللون الأخضر في مجال الذّم والهجاء إلا نادراً، أو حين يراد اللون الأسود كقولهم: الزرع أخضر والنّاس أخبر، وهو مثل يضرب لمن يظهر في غير حقيقته مع علم النّاس به. فنلاحظ على الواجهة الرّئيسية للرّواية هطول الأرقام الخضراء المتوهجة على الغلاف الأسود مع انصهارها في هذا اللون هذا من جهة، كما أنّ العنوان الرّئيسي للرّواية (شات) الملون باللون الأخضر المتوهج كذلك يتخلله لون أسود.

فهذا يعني أنّ الدّردشة ساهمت في انحراف سلوك البطل الرّواية، وفساد أخلاقه، وأدى الإدمان عليها إلى الشّعور بالإحباط، والانعزال عن المجتمع من جديد، فالهروب من الواقع الأسود إلى الجنة الخيالية الافتراضية، لم يكن سوى هباءً منثوراً. فحتى يستطيع الإنسان إدراك واقعه، وفهمه لا بد له من إدراك ظروفه الحالية وإعمال عقله ليذكر حقائقها ومن ثمّ معالجتها وإصلاحها.

مما تقدم نصل إلى أنّ المناص في الرّواية التفاعلية الرقمية (شات) لـ"محمد سناجلة" كان من أهمّ المفاتيح التي ساهمت في فهم الرّواية. وبذلك استطاعت هذه العتبة السّحرية أن تبوح بالكثير من الأشياء قبل الولوج إلى متن الرّواية، ومن ثمّ نستطيع القول أنّ للمناص فعلاً أهمّية بالغة في فهم ما يرمي إليه الكاتب من أفكار ومشاعر وانفعالات.

- 1 - فطيمة ميحي: البنية الدلالية للشعر التفاعلي الرقمي- تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق- أنموذجا- مقارنة سيميودلالية، مذكرة ماجستير، إشراف: محمد بوعمامة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013، ص 24.
- 2 - ينظر: جمال مراد حلمي وآخرون: معجم الوسيط، معجم اللغة العربية، ط4، مكتبة الشرق الدولية، مصر، 2004، ص 808.
- 3 - سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، 2006، ص 19.
- 4 - فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 62.
- 5 - إيد إبراهيم فليح الباوي، حافظ محمد عباس الشمري، الأدب التفاعلي الرقمي، الولادة وتغيير الوسيط، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط1، 2012، ص 19.
- 6 - فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 49.
- 7 - سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، ص 09، 10.
- 8 - فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 112.
- 9 - المرجع نفسه، ص 112.
- * - ملخص الرواية: تدور أحداث الرواية في الواقعين الحقيقي والافتراضي وترصد الرواية لحظة تحول الإنسان الواقعي من كينونته الواقعية إلى كينونته الجديدة كإنسان رقمي افتراضي يعيش ضمن المجتمع الرقمي بتجلياته المختلفة، تبدأ أحداث الرواية في العالم الواقعي وفي صحراء سلطنة عمان تحديدا حيث يعمل بطل الرواية في إحدى الشركات متعددة الجنسيات وتصور الرواية جذب هذا الواقع وفقره ووحدة الإنسان المفزعة فيه ويعزز هذا الشعور حركة الرمال والكتبان الرملية التي تأتي كخلفية للإحداث مع صوت صفير ريح الصحراء وليلها المدقع وكأنما يريد أن يقول "سناجلة" إن هذا الواقع لا يمكن عيشه أو الاستمرار فيه، هو رعب الوجود الإنساني في العالم الواقعي.
- تنتقل الأحداث إلى العالم الافتراضي بانتقال بطل الرواية من وجوده في العالم الواقعي إلى كينونته الرقمية وولادة الإنسان الافتراضي الذي يعيش في المجتمع الرقمي، وتأتي الرؤية الخلفية البصرية للمشاهد باللوحات الجميلة والمصحوبة بالموسيقى التي يعلو صوتها تدريجيا.. للتعبير عن الوجود الافتراضي الجديد والجميل، الوجود البديل.. عن لحظة الانتقال هذه من الوجود الواقعي إلى الوجود الرقمي/الافتراضي، فبذل الصحراء المجدبة وحركة كتبان الرمال وأنين الريح تأتي المشاهد كلوحات مبهجة مع صوت الموسيقى، وكأنما يريد أن يقول الروائي إن العالم الافتراضي هو الحقيقي الذي يجب أن يكون. كما ويتم استخدام مقاطع من أفلام سينمائية لتعميق الأفكار المطروحة حيث نشاهد مقاطع من فيلمي American Beauty & The Matrix واستخدام هذه المقاطع بذكاء في الرواية، وهو ما أضاف متعة جديدة على الرؤية البصرية الحركية للرواية الجديدة.
- 10 - عبد الحق بلعابد: عتبات (جيران جنيت من النص إلى المناص)، ترجمة: سعيد يقطين، ط1، منشورات الإختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص 15.
- 11 - المرجع نفسه: ص 43، 44.
- 12 - ينظر: المرجع نفسه: ص 49.
- 13 - ينظر: المرجع نفسه، ص 49.
- 14 - صالح أبو إصبع، محمد عبدي وآخرون: ثقافة الصورة في الأدب والنقد، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 321.
- 15 - فرانسيس ادلين وآخرون: بحث في العلامة المرئية من أجل بلاغة الصورة، تر: سعد محمد سعد، مراجعة: خالد ميلاد، ط1، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، 2012، ص 11.
- 16 - صالح أبو إصبع، محمد عبدي وآخرون: ثقافة الصورة في الأدب والنقد، ص 244.
- 17 - حسن محمد حماد: تداخل النصوص في الرواية العربية (بحث في نماذج مختارة)، دراسات أدبية، مطابع الهيئة المصرية العامة، ص 56.
- 18 - مراد عبد الرحمان مبروك: جيوبوتيكيا النص الأدبي - تضاريس الفضاء الروائي، دار الوفاء، الإسكندرية، ط6، 2002، ص 124.
- 19 - حميد لحداني: بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1991، ص 56.
- 20 - قدور عبد الرحمان مبروك: سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2005، ص 22.
- *- محمد سناجلة: كاتب أردني، ولد عام 1968 في قرية دير السعنة في شمال الأردن، فدرس الطب في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية وتخصص في مجال صحة البيئة. بعد نشرها على الإنترنت عام 2001 صدرت طبعة من رواية ظلال الواحد عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت _ 2002) فازت بجائزة المبدعون العرب في الرواية 2002. من أعمال الكاتب الأخرى: وجوه العروس السبعة - قصص 1995 ودعمتان على خد القمر - رواية 1996 و رواية الواقعية الرقمية - تنظير نقدي 2004. "شات" عام 2005. على الرابط:
- http://www.diwanalrab.com/spip.php?page=article&id_article=4009
- *- دلالة (0،1) : فهي تعني اللغة التي يفهمها جهاز الكمبيوتر وما شابه، حيث إن كل المعلومات المخزنة فيه مشكلة من الأصفار والأحاد هذه الصيغة (010110011...)، أما الصفر (0) يعني التوقف (off) والواحد (1) يعني بالتشغيل (on) ويطلق على

زوج من هذه الأرقام اسم البت (bit)، فكل المجموعات المعلوماتية تحفظ داخل وحدات الذاكرة على شكل ملفات، وهذه الملفات تحتوي على رموز وصور وصوت ومقاطع فيديو، أو برامج إعلامية فكلها تخزن في الكمبيوتر بلغة رقمية ثنائية الصفر (0) والواحد (1).

Voir ; Benzine Hakima: résumé théorique et guide de travaux pratique, office de la formation professionnelle et de la promotion du travail, royaume du Maroc, p16. www.coursfppt.com

* - **تعد لغة/ صيغة الـ html**: التي تأتي اختصارا hypertext Markup Language وتعني لغة رقم النص الفائق، أو لغة النصوص المتشعبة، إحدى أقدم لغات البرمجة الخاصة بتصميم وعرض الصفحات على الإنترنت، فالقسم الأول من الكلمة hypertext يعني الطريقة التي تربط بها الصفحات مع بعضها البعض، والقسم الأخير Markup Language يعني كيفية عمل هذه اللغة. ينظر: عصام منصور، يعقوب ملا يوسف، النشر الإلكتروني في المكتبات ومراكز المعلومات مفاهيم نظرية وتطبيقية عملية، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2011، ص 165، 344.

21 - لبيبة خمار: شعرية النص التفاعلي، آليات السرد وسحر القراءة، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، 2014، ص 247.

22 - جبرار جنيت: مدخل إلى جامع النص، ص 97.

23 - جميل حمداوي: السميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد 03، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس 1998، ص 108.

24 - فاطمة كدو: أدب. Com، مقارنة للدرس الأدبي الرقمي بالجامعة، دار الأمان، الرباط، 2014، ص 88.

25 - Dictionnaire: Le petit Larousse illustré, imp. France, paris 2015 p 234.

• - Chat ou tchat bavardage mot angl. : informe échange synchrone et interactif de messages textuel, généralement courts, avec d'autre internautes

26 - المنجد في اللغة العربية المعاصرة: ط1، دار المشرق زيان الصلح، بيروت، لبنان، 2001، ص 02.

27 - عبد الحسن الحسني: معجم مصطلحات المعلومات، دار العلوم، بيروت، 1987، نقلا عن: إبراهيم بعزیز، منتديات المحادثة

والدردشة الإلكترونية دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، بن يوسف بن خدة، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الاعلام والاتصال، الجزائر، 2008، ص 20.

28 - محمد سناجلة: رواية الواقعية الرقمية، تنظير نقدي، عمان، ص 32.

29 - شعرية النص التفاعلي، 247.

30 - جبرار جنيت: مدخل إلى جامع النص، تر: عبد الرحمن أيوب، ط2، دار توبقال، المغرب، 1986، ص 91.

31 - محمد سناجلة: رواية الواقعية الرقمية، تنظير نقدي، ص 59.

32 - المرجع نفسه، ص 51.

33 - محمد سناجلة: ردا على ما جاء في أخبار الادب على لسان الوكيل على الرابط: sanajleh@yahoo.com.

34 - وليد الزريبي: الكاتب الرقمي الذي يختلف تماما عن الكاتب الورقي، سناجلة يؤسس لرواية جديدة في الادب العربي، على

الرابط: <http://www.abdyat.com>

35 - فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي ص 127.

36 - سمير الفيل: الرواية الرقمية : تصورات وتنبؤات حول صورتها في المستقبل، منتديات القصة العربية،

<http://www.arabicstory.net/forum/index.php?showtopic=10779> تاريخ التنزيل، 2015 /12 /24.

37 - علاء عبد العزيز السيد: الفيلم بين اللغة والنص مقارنة في إنتاج المعنى والدلالة السينمائية، ص 174.

38 - عبد الفتاح نافع: جمالية اللون في شعر ابن المعتز، مجلة التواصل، العدد الصادر في 04 /06 /1999، ص 125.

39 - أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 186.

40 - رواية شات.

41 - أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 185.

42 - رواية شات.

43 - أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 191.

44 - رواية شات.

الحركات الإسلامية في المغرب والمشاركة السياسية:
جماعة العدل والإحسان وحزب العدالة والتنمية نموذجا

**The Islamic Movements and Political Participation
in Morocco: Case Study of the Justice and Benevolence
Movement and the Justice and Development Party**

نادية لهديلي
مركز دراسات الشرق الأوسط، جامعة سكاريا

ملخص الدراسة

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الحركات الإسلامية في المغرب ومسألة المشاركة السياسية. تدرس هذه الورقة حاليًا جماعة العدل والإحسان وحزب العدالة والتنمية، والفترة الزمنية التي تركز عليها هي فترة الحراك العربي أو ما يعرف اصطلاحًا بالربيع العربي. هذه الفترة خولت لأحزاب سياسية ذات مرجعية إسلامية من الصعود إلى سدة الحكم. شهد المغرب بدوره حراكًا شعبيًا. تمثل الاستثناء في مطالبات شعبية بالإصلاحات، وليس باسقاط النظام. سيطر حزب العدالة والتنمية على المشهد السياسي، وانتصر على خصومه في المعارضة خلال الانتخابات التشريعية لسنتي 2011 و 2016. خلفًا للحزب، تبنت حركة العدل والإحسان موقفًا واضحًا من المشاركة السياسية في المغرب، فهي ترفض الخوض في التجربة السياسية في غياب أرضية صالحة للعمل السياسي النزيه، ولعدم رغبتها الخضوع للخطوط الحمراء أو تقديم تنازلات. تبحث هذه الورقة فرضية مفادها أن قدرة الحركات الإسلامية على ترجمة مشروعها الفكري إلى عملي متمثل في مؤسسات سياسية وقاعدة حزبية فاعلة، ودخولها العمل السياسي برهاناته وتقلباته، من أبرز عوامل إنتشارها.

الكلمات المفتاحية: الحركات الإسلامية، جماعة العدل والإحسان، حزب العدالة والتنمية، الربيع العربي، المشاركة السياسية.

Abstract

Since the Arab uprising, the issue of Islamic movements and political participation has been of contentious debate. This period has allowed political parties with Islamic ideology to rise into power. This paper aims to approach the reasons why do some Islamic movements decide to enter party politics, and become actively involved in the political field, while others do not? For this purpose, the article has selected two Islamic movements in Morocco: The Justice and Benevolence Movement (JBM), and the Justice and Development Party (JDP). The JBM deliberately avoided party politics and limited its engagement to unpolitical activities, while the JDP, shifted from the religious circle to the political one, entered party politics, and won the legislative elections. The paper is based on qualitative material, and argues that the ability of Islamic movements to translate their intellectual project into a functional process i.e. representative political institutions, constitutes a factor of influence in the political scene.

Keywords: Islamic Movements, Justice and Benevolence Movement, Justice and Development Party, Arab Spring, Political Participation.

مقدمة:

تعد مسألة المشاركة السياسية لدى الحركات الإسلامية من المواضيع التي احتلت أهمية بارزة خلال فترة الربيع العربي. شهدت هذه المرحلة صعود أحزاب سياسية بمرجعية إسلامية إلى السلطة. في المغرب، اطلعت الحركات الإسلامية كأدوات بدور المقاومة للمستعمر والدفاع عن القضية الوطنية. خلال فترة الاستعمار الفرنسي للبلاد وبحكم متطلبات المرحلة وأولوياتها، كانت الحركات الإسلامية تتطلع بدور المقاومة والدفاع عن القضية الوطنية سواء عبر المناشط المتاحة أو عبر بث الحماسة في نفوس المغاربة. ولما تحقق مطلب الاستقلال سنة 1956، انقسمت الحركات الإسلامية في علاقتها مع الأنظمة الحاكمة بين مؤيد ومعارض للمشاركة في السلطة والانسياق في العمل المدني. وعلى الرغم من هذه الاختلافات بينها أزمعت الحركات الإسلامية على مرجعيتها الإسلامية وعلى سعيها نحو تحقيق الإصلاح المجتمعي.

تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة على التساؤل التالي: ما هي الأسباب والعوامل التي تحكم المشاركة السياسية للحركات الإسلامية في المغرب؟

إن قدرة الحركات الإسلامية على ترجمة مشروعها الفكري إلى عملي متمثل في مؤسسات سياسية وقاعدة حزبية فاعلة، ودخولها العمل السياسي برهاناته وتقلباته، كان من أبرز عوامل إنتشارها.

I. تعريف الحركات الإسلامية

يصف الكاتب عبد الوهاب الأفندي الحركات الإسلامية بأنها حركات تؤمن بشمولية الإسلام في نواحي الحياة الدنيوية، وحركات حديثة نشأت نتيجة لرهانات الحداثة، وبالتالي فهذه الخاصية تدحض فكرة أن الحركات الإسلامية معادية للحداثة لأنه تم احتواء هذه الحركات داخل الإطار العلماني.

كما تعد هذه الحركات إحدى أبرز قوات المعارضة في العالم العربي، فنشأتها وتطورها كان بفعل عوامل داخلية وخارجية من ذلك شكل انهيار الخلافة الإسلامية سنة 1924 عامل بارزا في التمهيد لتشكيل حركات ذي مرجعية إسلامية، بينما تمثل العامل الخارجي في السيطرة الغربية الاستعمارية للدول العربية والإسلامية، والتي خلفت تبعية وأزمة قيم وانحراف المجتمعات المسلمة عن القيم الدينية، وبروز مفاهيم حديثة كمفهوم الدولة القطرية ذات الحدود الجغرافية كما مهدت لمفاهيم اقتصادية وسياسية كالليبرالية والرأسمالية والديمقراطية والعلمانية وغيرها من المفاهيم الدخيلة على المجتمعات الإسلامية والعربية. من جانب آخر، هناك من يرى أن المفاهيم التي تروج لها الحركات الإسلامية مثل مفهوم الدولة الإسلامية، الأحزاب والتنظيمات هي مفاهيم مستحدثة ومبتدعة.

دخلت الدول الحديثة في صراع من أجل اكتساب الشرعية، كما اصطدمت مع الحركات في الجانبين النظري والعملي لمفاهيم مدنية للدولة الحديثة. خلف هذا الصراع مواقف متباينة حول العمل السياسي، فمن الحركات الإسلامية من يؤيد ويدعو إلى الانخراط في العمل السياسي مثل حركة الإخوان المسلمين في مصر، ومن ينتقد ويرفض العمل السياسي كما هو حال الحركة الإسلامية في باكستان. من جانب آخر، أثر الواقع السياسي والسوسيو اقتصادي على القراءات الإيديولوجية للحركات الإسلامية، واقتراح وسائل تتماشى ومتغيرات الواقع الراهن، وقد أشار الأفندي إلى وجود خلل في البنية الفكرية والتنظيمية لهذه الحركات، وقد استدلت في ذلك على حركة الإخوان المسلمين التي لم تنجح في تأسيس الدولة الإسلامية كما نظروا لها. رغم هذا، ظل الاهتمام الأبرز لهذه للحركات هو أحداث تغيير جذري في المجتمع، الإصلاح، استعادة مجد الأمة ومحاربة الهيمنة الغربية والتبعية.

II. جماعة العدل والإحسان

تعد جماعة العدل والإحسان من أكبر الحركات الإسلامية في المغرب وأبرزها تأثيرا، ويرجع تأسيسها إلى الشيخ عبد السلام ياسين،¹ كما تجمع الحركة الدعوية بين البعد الصوفي والسلف، وتبني المنهج

¹ نعم محمد صالح، الحركات الإسلامية في المغرب العربي: المغرب، تونس، الجزائر(عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، 2010)، ص 149

التربوي في الدعوة لبناء المجتمع. تظهر نفحات الصوفية في كتب الأب الروحي للحركة التي روجت لتصور تربوي قائم على الصحبة والجماعة والذكر.

عرفت الجماعة عند تأسيسها بأسرة الجماعة، أطلق عليها بعد ذلك جمعية الجماعة، وبعدها تمت تسميتها بجماعة العدل والإحسان، واستلهمت الجماعة تسميتها من الآية القرآنية: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون".²

يرى الباحث التركي، محمد زاهد جول، أن جماعة العدل والإحسان على أنها أحد حركات العمل الإسلامي الحديث في المغرب، وأهم مدارس التغيير والتجديد في المغرب وفي المجتمع العربي والعالم الإسلامي عامة. تميزت عن غيرها من الحركات والجماعات الإسلامية باعتمادها على بيان مناهج التغيير التأسيلي في القرآن الكريم والمنهاج النبوي العظيم، وإعطاء أجوبة شافية لأسئلة العصر مثل الحدأة والغزو العربي للمجتمعات الإسلامية.³ كما يمتاز تنظيم جماعة العدل والإحسان بالتأصيل الديني والفقهية على غرار طبيعة التنظيم الذي تطرق له كتاب "الهدى النبوي".⁴

بالنسبة إلى علاقة الحركة مع النظام الحاكم في المغرب ومواقفها منه، وصفت حركة العدل والإحسان بأنها حركة معارضة للنظام السياسي على غرار الحركات والأحزاب اليسارية الراديكالية.

هذا وقد شاركت الجماعة في احتجاجات حركة 20 فبراير المطالبة بالتغيير والإصلاح والتي انطلقت إبان موجة الحراك الشعبي في ما اصطلح عليه بالربيع العربي، لكن الجماعة انسحبت لاحقا من المظاهرات. تم قراءة مشاركة الحركة في هذه الاحتجاجات على أن الحركة تتبنى مواقف سياسية.

تشكل الجماعة حركة مضادة للتيار السلفي الجهادي الذي تنتسبه إليه بعض الحركات الجهادية أمثال جماعة الصراط المستقيم، والجماعة السلفية، وأهل السنة والجماعة، والتكفير والهجرة. وفي حوار مع السيدة نادية ياسين، المشرفة على العمل النسائي داخل الجماعة، أشارت إلى أن النظام الحاكم يستفيد من وجود جماعة كجماعة العدل والإحسان، فأعضاء الجماعة من الشباب الذين تتراوح معدلات أعمارهم بين ثلاثين وخمسة وثلاثين عاما عاشوا وضعا إقتصاديا حرجا، قد يولد بداخلهم غضبا قابلا للانفجار، والجماعة تحتوي هذا الغضب وتحاول توجيهه إلى العمل المنظم، وعليه: "النظام يرحب بنا كخصوم له بدلا من التيارات الأخرى التي لا تؤمن إلا بالعنف".⁵

البنية الفكرية لجماعة العدل والإحسان

يعتبر الموروث الفكري الذي ساهم فيه الشيخ عبد السلام ياسين مرجعية فكرية بارزة للجماعة. انطلق المشروع الفكري بكتابي "الإسلام بين الدعوة والدولة" 1972، و"الإسلام غدا" 1973 اللذين وضعنا أسس ومنطلقات مدرسة المنهاج النبوي، تلاه كتاب "المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا" 1982 الذي تضمن المعالم الكبرى لهذه المدرسة من خلال تقديم تصور تربوي وتنظيمي متكامل للعمل الدعوي الإسلامي، لذلك يعد هذا الكتاب الإطار الإيديولوجي لجماعة العدل والإحسان. جاءت كتب أخرى تفصل مفردات هذا التصور في مختلف المجالات، مثل كتاب "الإسلام والقومية العلمانية" 1989، الذي يتناول موقف الجماعة من العلمانية والنزعة القومية في المجتمعات المسلمة، وكتاب "نظرات في الفقه والتاريخ" 1990، وكتاب "تنوير المؤمنات" 1996 في جزأين، الذي يطرح فيه العلامة ياسين موقع المرأة المسلمة في معركة التغيير والبناء، وكتاب "الإحسان" في جزأين، 1998-1999 وهو عماد "مشروع المنهاج النبوي" بما تضمنه من تحليل عميق لما عرف بالتصوف، وتأكيد على محورية الأساس التربوي في العمل الإسلامي، وكتاب "العدل: الإسلاميون والحكم"، 2000 الذي يمثل تنظيرا شاملا للحكم الإسلامي وتحدياته.⁶ إن الإطلاع على هذا الموروث الفكري يمكن استخدامه كقاعدة لفهم آليات العمل والتنظيم المنهج للجماعة.

² سورة النحل، الآية 90.

³ محمد زاهد جول، "قراءة في جماعة العدل والإحسان المغربية"، الجماعة نت، 2015/02/03.

⁴ خالد بن الشريف، "أهم الحركات الإسلامية المتواجدة بالمغرب العربي"، ساسة بوست، 2015/06/01.

⁵ كايل ماكيني، "حوار مع نادية ياسين من جماعة العدل والإحسان بالمغرب"، صدى، 2008/09/10.

⁶ محمد زاهد جول، "قراءة في جماعة العدل والإحسان المغربية".

برز لدى حركة العدل والإحسان توجهها صوفيا، واختارت وسائل سلمية لتنتشر قيمها وأفكارها بما يخدم رسالتها وتوجهها. تركز ممارسة الجماعة على مرجعية فكرية وبناء نظري وفق المنهاج النبوي. ورغم علاقتها المعارضة للنظام الملكي بالمغرب، إلا أن جماعة العدل والإحسان اعتمدت على خطاب مدن رافض للعنف، إيمانا منها أن العنف لا يولد سوى العنف.

أكدت الجماعة في أهدافها ووسائلها أنها لا ترضى بهدف اجتماعي سياسي دون العدل على شريعة الله، ولا بغاية دون الإحسان.⁷ وفي سبيل تحقيق رؤيتها، تسعى الجماعة إلى خلق بينية مجتمعية بكيان تربوي منظم قابل للتغيير، وشامل لغايات الدين والدنيا، في الدعوة والدولة.⁸ كما تركز بينة الجماعة على وضع تصور مبني على نقد للتاريخ والرجوع إلى الأصل في سعيها إلى بناء الفرد والمجتمع علر أسس العدل والإستقامة⁹ وعليه، فالجماعة لا تسعى إلى الانقلاب على النظام الحاكم ولا إحداث فوضى في المجتمع، ولكن المشروع الإصلاحى للجماعة غايته توعية الأفراد بالقضايا الدينية.¹⁰

مراحل تطور جماعة العدل والإحسان وآليات عملها

مرت جماعة العدل والإحسان بسلسلة من الأطوار يمكن اختزالها في خمسة محطات كبرى.¹¹ تعتبر المرحلة الأولى مرحلة التأسيس والجهاد، إذ تأسست الجماعة على يد الشيخ عبد السلام ياسين،¹² وكان مرشدنا العام إلى غاية 2012، ليخلفه محمد عبادي أمينا عاما للحركة.¹³ اعتبر الشيخ عبد السلام ياسين المرحلة التأسيسية 1974 و1981 مرحلة "جهاد الكلمة ومحنة الإسلام أو الطوفان"، حيث ناضل الشيخ في سبيل الله وآثر السير على المنهاج النبوي. حمل الشيخ ياسين مسؤولية التبليغ وعمل جاهدا في النصح للأئمة المسلمين وعمامة المسلمين، أملا في تصالح والتقاء الدعوة بالدولة والنهوض بواجب النصر. مهد لهذه المرحلة إطار نظري تمثل في كتابي الإسلام بين الدعوة والدولة، والإسلام غدا.

أرسل عبد السلام ياسين نصيحة مفتوحة بعنوان "الإسلام أو الطوفان" للملك الحسن الثاني سنة 1974، سجن على إثرها الشيخ دون محاكمة. ومن بين ما جاء في الرسالة: "اعلموا أن صاحبكم (يقصد الملك) إن طرح النصيحة وماطل وراوغ ذاهب أمره وصائر إلى ما يصير إليه من أخذته العزة بالإثم حين قيل له: "اتق الله". شكل "الإسلام أو الطوفان" نقطة صراع بين النظام والجماعة، صراع استمر حتى بعد تولي الملك محمد السادس الحكم، الذي تلقى بدوره رسالة تحت عنوان "إلى من يهمل الأمر".¹⁴ تطرق المرشد على إثرها إلى نقاط حساسة من إقامة البيعة بناء على تعاقد بين الحاكم والمحكوم، ومحاربة الفساد لإعادة الثقة إلى الشعب، والبناء المشترك للبلاد. يتجلى الاختلاف بين المرحلتين في اتساع حرية التعبير والحديث عن مواضيع كانت محظورة. وبالرغم من ذلك، أصدرت السلطات بيانات للظعن في المذكرة، وخصصت العدد 910 من مجلة "ميثاق الرابطة" للرد على المذكرة والدفاع عن النظام.¹⁵ من جانب آخر، تم التضييق على الشيخ ياسين بعد خروجه من السجن، حيث منع من القاء دروسه والتحدث إلى العامة. في تلك الفترة، اتصل الشيخ بأقطاب الحركات الإسلامية بالمغرب لإنشاء جماعة إسلامية موحدة في إطار "حزب إسلامي" وتوسيع الدائرة الإسلامية، لكن دعوته قوبلت بالرفض بسبب مفهومه لتوحيد العمل الإسلامي.¹⁶ لم تمنع المضايقات الشيخ من المظي في مسيرته الدعوية، فقد أصدر مجلة "الجماعة" لنشر أفكاره، واعتبرت أداة عمل وتوعية، وتعارف بين الإسلاميين.¹⁷

⁷ "جماعة العدل والإحسان"، موسوعة الجزيرة، 2014/10/12.

⁸ "جماعة العدل والإحسان"، موقع الجماعة.

⁹ المرجع السابق.

¹⁰ "عبد السلام ياسين من رؤى القومة إلى رؤى الديموقراطية"، أصداء المغرب، 2011/07/13.

¹¹ "تاريخ جماعة العدل والإحسان بالمغرب"، الموسوعة إخوان ويكي.

¹² ولد سنة 1928 الذي تصادف مع تاريخ تأسيس الإخوان المسلمين، وتوفي سنة 2012، والذي تصادف مع وصول

الإخوان إلى الحكم.

¹³ رفض لقب المرشد العام احتراما لروح مؤسس الحركة ولهيئته التي ظلت حاضرة رغم رحيله.

¹⁴ "عبد السلام ياسين"، الجزيرة نت، 2012/02/15.

¹⁵ تاريخ جماعة العدل والإحسان بالمغرب، الموسوعة.

¹⁶ "جماعة العدل والإحسان"، موسوعة الجزيرة، 2014/10/12.

¹⁷ تاريخ جماعة العدل والإحسان بالمغرب، الموسوعة.

تميزت المرحلة الثانية بتأسيس العمل المنظم. كما أثر الشيخ ياسين العمل المنظم بعد مرحلة جهاد الكلمة، وهذا ما بينه في العدد السابع من "الجماعة" الذي صدر سنة 1981. في هذا العدد، أعلن الشيخ عن تأسيس الجماعة، ووضع الإطار النظري لعملها تمثل في "المنهاج النبوي تربية وتنظيمًا وزحفاً".¹⁸ تم مصادرة "الجماعة"، وقبل وقفها تماما كتب فيها مقالا تحت عنوان: "قول وفعل" رد فيه الشيخ على رسالة ملكية نشرها الحسن الثاني بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري، وقد كان هذا المقال السبب في اعتقاله الثاني سنة 1983.

تعتبر المرحلة الثالثة في تاريخ الجماعة مرحلة التنفيذ ومحنة الحصار ومحاولة الإحتواء.¹⁹ في هذه المرحلة، اعتقل الشيخ سنة 1983 وحكم عليه بالسجن عامين وغرامة مالية، كما تم اعتقال بعض المنتسبين للجماعة، ومن بينهم عبد الله أرسلان ومحمد بشيري وسعيد الغنيمي، كما صادرت السلطات العدد السادس عشر لمجلة "الجماعة". بدأت مرحلة التأسيس الفعلي للجماعة بعد خروج عبد السلام ياسين من السجن، وتميزت هذه المرحلة بتأسيس المجلس التنفيذي واللجان التنفيذية المقررة. في ظل هذه المرحلة والظروف المعادية والتضييق على الجماعة، ازداد تأثيرها بين المؤيدين لعملها. يرى الأفندي أنه كلما توسع تأثير الحركات الإسلامية في ظروف معادية، كلما أبانت على تأثيرها وفعاليتها، وزادت قاعدتها.²⁰

تميزت المرحلة الرابعة بالخروج القوي للجماعة، حيث قادت مسيرات واعتصامات دفاعا عن القضايا التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية. شمل تأثير الجماعة فئة الطلاب تمثل في فصيل طلبة العدل والإحسان، مما زاد من شعبيتها. نظمت قيادة طلبة العدل والإحسان مسيرات وتظاهرات في مختلف الجامعات المغربية تنديدا بالغزو الأمريكي للعراق. حاولت السلطات الدخول في مساومات مع الجماعة لاحتوائها واجهاض عملها الدعوي، كما شنت حملات واعتقالات متزايدة على خلفية تهمة من قبيل توزيع منشورات من شأنها الإخلال بالنظام والأمن العام، المساس بمقدسات الدولة، وعلى هذه الخلفية، نظمت الجماعة اعتصاما كبيرا أمام محكمة الاستئناف في الرباط عقب بدء المحاكمة الإستئنافية لأعضاء مجلس الإرشاد، للبحث في الحكم الابتدائي، وقد وافق هذا الاعتصام يوم الإعلان عن تأسيس "المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان" التابع للحكومة، كما استثنى أفراد الجماعة من العفو الملكي على خلفية ملف المعتقلين السياسيين، والذي تم اعتباره خطوة ممنهجة للتأمر على الجماعة. من جانب آخر، شكلت إصدارات هذه المرحلة وجها من أوجه الظهور الفكري الراسخ حيث غلب على أكثرها الطابع الحوارية ومعالجة قضايا الساحة الكبرى كما كانت تأسيسا نظريا للمرحلة القادمة.²¹

تميزت المرحلة الخامسة بالتوجه نحو فتح دور لحفظ القرآن والإعتناء به، وتأسيس مجالس النصيحة لتغذية إيمان الفرد على القيم الأخلاقية، وتقديم النصح في أموره الدينية، وإرشاده في الأمور الفقهية. وعملا بمبدأ الاعتدال، أسست الجماعة مؤسسة الدائرة السياسية التي ضمت فئة الشباب، النساء، الطلاب، والنقابات العمالية التي كانت تعمل تحت لواء "الرابطة النقابية لجماعة العدل والإحسان"، وكان الهدف من الدائرة الاهتمام بالشأن العام ومجالس النصيحة للتطلع للغاية الإحسانية. وقد ساهم في تأطير هذه المرحلة كتاب "الإحسان" و "الإسلام والحداثة"، و "العدل، الإسلاميون والحكم"، و "الخلافة والملك" و "رجال القومة والإصلاح".²²

¹⁸ المرجع السابق

¹⁹ عرفت سلسلة المضايقات والحصارات التي تعرض لها الشيخ ياسين بمحنة الحصار.

²⁰ عبد الوهاب الأفندي، الحركات الإسلامية: النشأة والمدلول وملابسات الواقع، في عبد الوهاب الأفندي ومجموعة مؤلفين الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي، الطبعة الأولى (أبو ظبي: مركز الإمارات للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 2002)، ص 45.

²¹ من أهم الإسهامات الفكرية التي تدعم هذه المرحلة: حوار مع الفضلاء الديمقراطيين (1994)، رسالة إلى الطالب والطالبة (1995)، الشورى والديمقراطية (1996)، حوار الماضي والمستقبل (1997).

²² جماعة العدل والإحسان، الموقع الرسمي للجماعة.

ومن الآليات الأخرى التي ساعدت الجماعة على نشر فكرها وقيمها المخيمات الصيفية والتي لقيت إقبالا قويا لحسن تنظيمها وتنوع برامجها وأنشطتها في جو تسوده الحشمة والمحبة والأمن والوقار. استطاعت الجماعة بعث مراكز دراسات وبحوث علمية، وهنا تكمن خصوصية آليات عمل الحركة عن باقي الحركات الإسلامية الأخرى. أصدرت الجماعة تقارير سنوية شاملة عن حالة المغرب على كافة الأصعدة، كما تصدر تقارير مختصة في كل شؤون المغرب والعالم الإسلامي وهو عامل مهم لزيادة الوعي لدى هيئات الجماعة. وعملت الحركة على تدشين مركز للدراسات في تركيا لنشر فكر الجماعة والتعريف بآلياتها العملية من تنظير وتأهيل والتنظيم. من جانب آخر، يعد المركز منبرا للتواصل مع الجماعات والحركات الإسلامية في العالم الإسلامي وللإنتشار على مستوى الخارج. هذا الحضور القوي للجماعة داخل وخارج المغرب رغم محاولات إضعافها منحها نوعا من الهيمنة مما اعتبرها البعض كيانا موازيا.²³

جماعة العدل والإحسان ومسألة المشاركة السياسية

إن مسألة المشاركة السياسية يعتمد بالأساس بمواقف الجماعة من السياسة و اختزالها في برنامج سياسي عملي. رغم أن جماعة العدل والإحسان تتبنى مواقف سياسية، إلا أنها ظلت غائبة عن المشاركة السياسية الفعلية. يمكن ارجاع ذلك إلى التوجس من التأثير السلبي للمواقف السياسية على مصداقية الخطاب الدعوي.

تعتبر الجماعة المشاركة في الاستحقاقات الانتخابية مرهونة بتوفر شروط النزاهة من آليات وقوانين منظمة للإطار العام للعمل السياسي، وضمانات المصداقية، ومخرجات من مؤسسات وهيئات منتخبة تمارس صلاحيات فعلية. في هذا الجانب، صرح فتح الله أرسلان، نائب الأمين العام والناطق الرسمي باسم جماعة العدل والإحسان، أن تحول الجماعة إلى حزب سياسي هي مشكلة الدولة التي لا ترخص لإنشاء حزب إلا لمن خضع للخطوط الحمراء الموضوعة سلفا، كما أن مشكلة العمل الحزبي بالمغرب ليست بالقانون أو الدستور، بل بالتعليمات التي يصدرها صانعوا القرار بالبلاد.²⁴ وعليه، فالمشاركة السياسية تحكمها قرارات وعراقيل نظامية، في ظل غياب نصوص قانونية تمنع الحركات باختلاف أطيافها الفكرية وتوجهاتها السياسية من المشاركة في الحياة العامة. من جانبه، يرى حسن بناجح أن المشاركة السياسية من داخل المؤسسات بالشكل الحالي توجه غير صائب في ظل انتخابات تفرز حكومة لا تحكم فعليا ونظام حاكم لا يخضع للمساءلة.²⁵

جماعة العدل والإحسان وقرار الإنسحاب من حركة 20 فبراير

انسحبت جماعة العدل والإحسان من المسيرات الاحتجاجية التي قادتها حركة 20 فبراير التي طالبت باصلاحات عقب موجة الحراك الشعبي على خلفية أحداث تونس. وعللت هذا الموقف بما وصفته بتحويل المظاهرات إلى وسيلة لتصفية حسابات مع خصوم وهميين، ومحاولة صبغ هذا الحراك بلون إيديولوجي أو سياسي دخيل على هوية الشعب المغربي المسلم في تناقض مع ما يميز حركة الشارع في باقي الدول العربية.²⁶

من جانبه، فسر القيادي في الجماعة، حسن بناجح، الإنسحاب من حركة 20 فبراير بأمرين: الأول تمثل في عدم الانضباط بالمنطلقات التي من أجلها خرجت الجماعة بفعل معيقات لإجهاض تجربتها النضالية، أما السبب الثاني فتمثل في فرض منحى معين؛ في البدئ، كان الجماعة مقتنعة أن الحركة حاضنة لمختلف

²³ محمد زاهد جول، "قراءة في جماعة العدل والإحسان المغربية".

²⁴ "جماعة العدل والإحسان تعلن تحولها لحزب سياسي بدون "خطوط حمراء"، "أصداء المغرب"، 2013/01/08.

²⁵ "بناجح: هذه حقيقة اختفاء جماعة العدل والإحسان"، "أصوات مغاربية"، 2017/10/23.

²⁶ "جماعة العدل والإحسان تعلن تحولها لحزب سياسي بدون "خطوط حمراء".

التيارات لإقتناعها بمشروعية مطالبها، وقدرتها على توحيد الغايات، غير أن الحركة اتجهت نحو مسار إيديولوجي لم ترضى به الجماعة.²⁷

من جانب آخر، قاطعت الجماعة الإنتخابات التشريعية (25 نونبر 2011)، على غرار اليسار الإشتراكي الموحد والبديل الحضاري وحزب الأمة، ودعا بيان للجماعة عقب انعقاد الدورة الإستثنائية للمجلس القطري للدائرة السياسية للجماعة النخبة المغربية (الدعوية والسياسية والعلمية والفكرية والجمعية والإقتصادية والرياضية والفنية) الإنضمام إلى حركة 20 فبراير، وطالبت بحق المراقبة، ومخاطبة الشعب عبر وسائل الإعلام العمومية.²⁸

ومن أبرز الإصلاحات التي قام بها النظام الحاكم عقب هذه الفترة هي التعديل الدستوري لتؤكد على تفعيل ملكية دستورية، وتقليص بعض من صلاحيات الملك.

صرحت جماعة العدل والإحسان أن الدستور الحالي غير ديمقراطي ولا يناسب المغرب المرغوب لأنه لا ينبع من إرادة الشعب، وإنما جاء فقط لاحتواء غضبه، كما تسائلت عن المساحة الفعلية لصلاحيات الملك.²⁹

السيناريوهات المرتقبة للجماعة

عن السيناريوهات المرتقبة للجماعة، ضمنت الباحثة فيش ساكتيفال في تقريرها المعنون ب "جماعة العدل والإحسان، في قلب التحدي الإسلامي بالمغرب" ثلاث سيناريوهات، وهي:³⁰
-أولاً، المصالحة مع القصر، والاندماج في الحقل السياسي السائد.
-ثانياً، التحالف مع قوى سياسية أخرى.

-ثالثاً، استمرار عدم المشاركة الرسمية، والتمسك بمواقفها.

ينطلق السيناريو الأول من فرضية أن هناك من ينتمي إلى الدائرة السياسية للجماعة الذين يميلون إلى اقتحام العمل السياسي، بما في ذلك المفاوضات مع النظام. وهذا ما يعبر عنه أرسلان حين صرح بأن تحول الجماعة إلى حزب سياسي ليس مشكلة الجماعة بل مشكلة النظام، الذي لا يزال لا يقبل إلا بالأحزاب التي ترسخ للخطوط الحمراء وتنصهر في اللعبة السياسية.

يختلف موقف أرسلان عن مواقف الشيخ عبد السلام ياسين، الذي يعتبر أن المشاركة السياسية ترتبط بنضج الظروف الإجتماعية وليس برغبة النظام.³¹ كذلك يختلف موقف أرسلان عن موقف العبادي حين يقول: "الحكم المعتمد في المغرب ليس من الإسلام في شيء... نظام الحكم في الإسلام محدد شرعاً، وهو نظام قائم على الشورى وليس على الوراثة... مشروعنا قائم على محاربة الإستنثار بالسلطة والمسؤولية دون إرادة الأمة... الشورى عندنا عقيدة وعبادة قبل أن تكون أسلوباً في التدبير والتسيير واختيار المسؤولين، وممارستها تقرب إلى الله تعالى وليست تسويقاً خارجياً، ومن ذلك أن الإنتخابات معتمدة داخل الجماعة على جميع المستويات والوظائف والمجالس المسؤولة".³²

من جهته، يرى الباحث فرانثيسكو كافاطورطا أن عدم دخول جماعة العدل والإحسان المعتزك السياسي قد يفسر ه وعيها بأن نجاحها مبني على رفضها الجلوس على نفس الطاولة مع فاعلين سياسيين آخرين، ورفضها التنازل على أسس ومبادئ إسلامية.³³ وهناك كذلك مسألة علاقة النظام بالجماعة مابعد

²⁷ 3 أسباب وراء التوقف المفاجئ للعدل والإحسان عن الخروج في مسيرات 20 فبراير"، *أصداء المغرب*، 2011/12/20.

²⁸ "جماعة العدل والإحسان تقاطع الإنتخابات التشريعية القادمة"، *أصداء المغرب*، 2011/10/11.

²⁹ "جماعة العدل والإحسان لن تنسحب من الشارع إلا بتغيير حقيقي"، *أصداء المغرب*، 2011/03/18.

³⁰ Vish Sakthivel. (2014). Al Adl wal Ihsan, Inside Morocco's Islamist Challenge. *The Washington Institute for Near East Policy*. Issue 135.

³¹ "حوار في المنهاج السياسي عند الأستاذ عبد السلام ياسين"، ياسين نت، 2012/05/07.

³² عبد السلام سكية، "نعاني من الملكية... ونتمنى زوالها"، *بوابة الشروق*، 2013/05/07.

³³ Sakthivel, V. Al Adl wal Ihsan, 21-22.

المصالحة، وصلاحيات وتنازلات كل طرف، ومدى تأثير دخول الجماعة إلى المعترك السياسية على الخطاب الدعوي والقاعدة الشعبية. كما قد يقرؤ نشاط جماعة العدل و الإحسان في الميدان الحزبي انتصارا للسلطة وخضوع الجماعة لشروطها.

السيناريو الثاني يرجح دخول الجماعة في تحالفات مع من همستهم السلطة. ويعتمد هذا السيناريو على ما قامت به الجماعة غداة الحراك الشعبي حينما أثرت شبيبة الجماعة الإنضمام إلى صفوف حركة 20 فبراير التي تلونت بتيارات مختلفة، ولكن الجماعة لم تستمر في المشاركة في التظاهرات الاحتجاجية للأسباب المذكورة سلفاً.

من جانب آخر، لا يستبعد هذا السيناريو تحالف الجماعة مع أحزاب وتجمعات ذات تجربة سياسة، مثل حزب العدالة والتنمية، الذي دعا الجماعة إلى العمل السياسي من داخل المؤسسات الرسمية. من جانبها، أبدت الجماعة ترحيبها بمبادرات الحوار الجماعي مع تيارات إسلامية وغير إسلامية (استناداً إلى المرجعيات الفكرية) على غرار التجربتين المصرية والتونسية. يركز هذا السيناريو على فكرة الخيار التشاركي الذي يعتمد على بناء حل جماعي لمشروع مجتمعي متكامل، وبحث الجماعة عن تيارات تتقاسم معها قيم مشتركة مثل العدالة الإجتماعية.

نظمت الجماعة في صيف 2014 لقاء تواصل مع أعضاء من حزب الاستقلال، وحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ويساريين آخرين، للتطرق إلى مواضيع آنية مثل الديمقراطية،³⁴ الإسلام السياسي، السلطة، العلمانية، والإرهاب. وخلاصة القول أن الجماعة قد تميل إلى التحالف كوسيلة ضد المؤسسات الصورية التي تحتكر السلطة.

يحتكم السيناريو الثالث إلى نظرية التربص، كما يستند إلى مواقف بعض أعضاء الجماعة من مؤسسة العمل السياسي. تتخذ الدائرة السياسية للجماعة الحيطة حتى لا تخسر شعبيتها وأدوات تأثيرها، فالخلط بين الدعوي والسياسي قد تنشأ عنه فرضية مفادها أن دخول الحركات الإسلامية المعترك السياسي قد يفقد الخطاب الدعوي مصداقيته. وقياساً على المعوقات التي تعيشها تيارات الإسلام السياسي مابعد الربيع العربي، فإنه من المستبعد أن تغامر الجماعة بالولوج للمعترك السياسي في غياب أرضية سليمة للمشروع الديمقراطي، لما له من تأثير مباشر على هوية الجماعة، أو انسحاق التطلع الإحسانى.

يطرح هذا السيناريو مسألة التنازلات التي يمكن للجماعة أن تقدمها في سبيل دخول المعترك السياسي ومأسسة العمل السياسي، وعن احتمال ظهور انقسامات داخل الجماعة بين من يندفع للعمل السياسي المقتن، وبين من يسعى للحفاظ على غاية الجماعة مستشهدين بالتاريخ النضالي والتضحيات التي قدمتها الجماعة في سبيل الدفاع عن مشروعها التجديدي.

وبالتالي، فمسألة المشاركة السياسية لجماعة العدل والإحسان رهين بعوامل نابعة من مواقف أعضاء الجهاز التنظيمي من العمل السياسي المؤسستى، المشروع السياسي الذي يؤسس لعلاقة الدعوة بالدولة، قراءة الجماعة للمشهد السياسي الراهن وآليات التأقلم مع الواقع، الرهانات التي يحملها فاعلون سياسيون وإجبار الجماعة الخضوع لقواعد اللعبة.

III. حزب العدالة والتنمية

نشأ حزب العدالة والتنمية كحركة تحررية، وقد غير تسميته سنة 1998 من حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية إلى حزب العدالة والتنمية.

هناك من يصل جذور الحزب بالشبيبة الإسلامية المعادية للنظام، والتي آمنت بفكرة الانقلاب على الحكم في فترة السبعينات.³⁵

³⁴ في كتاب الشورى والديمقراطية، عرف المرشد ياسين الديمقراطية بأنها نقيض الاستبداد، ورغم أنها تختلف مساقاً عن الشورى، إلا أنها تشترك مع المطالب الإسلامية في كونها تؤسس للحريات الفردية، والتداول على السلطة، والتعددية.

³⁵ Esen Kirdiş. (2015). Between Movement and Party: Islamic Movements in Morocco and the Decision to Enter Party Politics. *Politics, Religion & Ideology*. Issue 16 (1), 65-86.

في سنة 1967، قرر القيادي عبد الكريم الخطيب وابن عبد الله الكوتي وأعضاء آخرون الإنسحاب من حزب الحركة الشعبية، وتأسيس الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية بسبب المواقف السياسية للحزب. من جانب آخر، حصل تقارب فكري عقب لقاء الحزب بقيادة إسلامية من رابطة المستقبل الإسلامي، وحركة الإصلاح والتجديد. قدم الخطيب³⁶ سنة 1972 مذكرة إلى الملك طالبه فيها بالرجوع إلى الكتاب والسنة لإيجاد حلول لما تتخبط فيه البلاد من أزمت، والإهتمام بالثقافة الأمازيغية، وتدعيم الديمقراطية، وإجراء إنتخابات نزيهة، وتعيين حكومة منبثقة من أغلبية برلمانية، وإصلاح القضاء.³⁷

نظم حزب الحركة الشعبية الدستورية في يونيو 1996 مؤتمرا استثنائيا، شاركت فيه أطر من حركة التوحيد والإصلاح،³⁸ التي أصبحت إسما جديدا لإتحاد رابطة المستقبل، وحركة الإصلاح والتجديد، وأعاد هيكلته التنظيمية، وانتخب الخطيب أمينا عاما، والدكتور سعد الدين العثماني نائبا له. وتعد الولادة الفعلية للحزب حينما غير إسمه إلى حزب العدالة والتنمية في المجلس الوطني سنة 1998، واتخذ المصباح رمزاً له.³⁹

من جانب آخر، أوضح الباحث ماتييو بوهلر في دراسة قدمها بجامعة تكساس الأمريكية في مايو 2010، أن حزب العدالة والتنمية في المغرب والإخوان المسلمون في مصر يتقاسمان خصائص تنظيمية كالمعتقدات الإيديولوجية، والممارسات الديمقراطية الداخلية، ولكن رغم التقارب الفكري، فإن حزب العدالة والتنمية يعتبر أكثر اعتدالا،⁴⁰ في حين يتم التعامل مع الإخوان المسلمين على أنها حركة راديكالية. رصدت الدراسة كذلك لمسألة تمييزا حزب العدالة والتنمية عن التنظيمات المتطرفة الأخرى في المغرب.

كما أشارت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي سنة 2003 للمشاركة الإنتخابية، والذي على الرغم من خسارته للإنتخابات البرلمانية بسبب الخروقات، ظل يحتفظ بموقعه في المشهد السياسي الوطني، وذكر المعهد الوطني الديمقراطي في تقييمه لإنتخابات 2007 في المغرب، أن الحزب يعتمد على القيم الإسلامية المعتدلة، وخطابه السياسي القريب من الطبقة البسيطة.⁴¹

البنية الفكرية والمسار السياسي لحزب العدالة والتنمية

أكد الحزب في ورقته المذهبية، أنه حزب سياسي وطني يسعى انطلاقا من المرجعية الإسلامية وفي إطار الملكية الدستورية القائمة على إمارة المؤمنين إلى الإسهام في بناء مغرب ديموقراطي حديث، مزدهر ومتكافل، مغرب يعتز بأصالته التاريخية ويسهم إيجابا في مسيرة الحضارة الإنسانية.⁴² من هنا يتبين أن الحزب يدمج مفهومين جدليين وهما الملكية الدستورية والديمقراطية، في محاولته لتأطير المرجعية الإسلامية في بنيته الفكرية.

شارك حزب العدالة والتنمية في الإنتخابات التشريعية في نوفمبر 1997، وحصل على 9 مقاعد من أصل 325 مقعدا، وبعد إعادة الإقتراع في بعض الدوائر الإنتخابية تحصل على 3 مقاعد إضافية، كما التحق برلمانيين إثنين بصفوفه مما رفع عدد أعضاء فريقه البرلماني إلى 14 عضوا. وفي الإنتخابات التشريعية 27 سبتمبر 2002، حصل الحزب على 42 مقعدا بمجلس النواب، وبذلك حل في المرتبة الثالثة مشكلا بذلك أكبر كتلة برلمانية في المعارضة. وفي الإنتخابات التشريعية لسنة 2011، حاز الحزب على 107

³⁶ تقلد الخطيب مهام عدة، من أهمها رئيس البرلمان المغربي. مورست عليه طغوطات بحكم صلته بالإخوان المسلمين في ستينات القرن الماضي.

³⁷ حزب العدالة والتنمية المغربي، **موسوعة الجزيرة**.

³⁸ في مصادر عديدة، يتم النظر إلى هذه الحركة على أنها الذراع الدعوي لحزب العدالة والتنمية، وفرعا للإخوان المسلمين بالمغرب.

³⁹ اختار حزب العدالة والتنمية إسم "العدالة والتنمية" انطلاقا من الشعار الذي رفعه خلال الحملة الإنتخابية لإستحقاقات 1997 وهو "من أجل نهضة شاملة: أصالة، عدالة، تنمية".

⁴⁰ جاء هذا الوصف كذلك في خدمة أبحاث الكونغرس لسنة 2008 الذي وصف حزب العدالة والتنمية بالمعتدل.

⁴¹ "الإخوان المسلمون في المغرب... حزب العدالة والتنمية"، بوابة الحركات الإسلامية، 2014/05/28.

⁴² تعريف الحزب، الموقع الرسمي لحزب العدالة والتنمية.

مقعدا بمجلس النواب، أي بارتفاع يفوق 60 بالمئة، وعلى 125 مقعدا من أصل 395 في الإنتخابات التشريعية الأخيرة.

شكلت تفجيرات الدار البيضاء الإرهابية (16 ماي 2003) منعطفا حساسا إذ تم توظيف الأحداث في محاولة لإجهاض المشاركة السياسية وحضور الحزب في المشهد السياسي المغربي، فخصوم الحزب السياسيين اليساريين حاولوا إلقاء اللوم على ما يدعون أنه خلط بين الدعوة والسياسة، وتحمله المسؤولية المعنوية.

مقومات حزب العدالة والتنمية في المشاركة السياسية

إن التطرق إلى مقومات الحزب هو محاولة للإجابة على إشكالية هذه الورقة البحثية حول الأسباب التي ساعدته في الصعود إلى رئاسة الحكومة لولايتين متتاليتين، واستمراريته في صناعة المشهد السياسي والسياسات العامة للمغرب.

تتلخص هذه المقومات في ثلاث، كما وضعها الباحث في الشؤون السياسية، محمد شقير، في: البراغماتية، الشرعية الديمقراطية، والتوافق مع السلطة.

1. البراغماتية

نجاح تجربة العدالة والتنمية في اقتحام الساحة السياسية تكمن في تعامله البراغماتي مع المؤسسة الملكية، وعدم المساس بالخطوط الحمراء. خلق حزب العدالة والتنمية الحدث حينما فاز في الإنتخابات التشريعية لولايتين متتاليتين، كما دخل في مفاوضات لتشكيل ائتلاف حكومي مع أحزاب كانت إلى غاية 2011 تحتكر المشهد السياسي مثل حزب الإستقلال، واندمج حزب العدالة والتنمية في اللعبة الديمقراطية. كذلك، المعطيات الإقليمية لم تكن مواتية لإحتكار الحكومة كحزب وحيد مسيطر. من جانب آخر، هناك من يفسر هذا الائتلاف بقلة التجربة السياسية بحكم أن الحزب تصدر المشهد القيادي بمقومات غير كافية، وقيادته لوزارات حساسة.

2. الشرعية الديمقراطية

إن الشرعية الديمقراطية والخطاب الشعبي للحزب الذي يمس مختلف شرائح المجتمع ويعكس واقعهم، منحت حزب العدالة والتنمية بطاقة العبور، وزادت من شعبيته بعدما كان يحسب على صفوف المعارضة. هذه الشرعية ساعدته في قيادة ائتلاف في ظل المؤسسة الملكية. والأهم أن الخطاب الذي تبناه الحزب كان الأقرب إلى الواقع لأنه عكس الإرادة الشعبية للمجتمع المغربي الذي خرج في مسيرات شعبية للإصلاح عقب أحداث الربيع العربي.

3. التوافق مع السلطة

إن التنازلات التي قدمها الحزب، جعلته يفهم أن تصدر الحكومة ينبغي أن يتم عبر التوافق مع النظام الحاكم وليس معاداته، لأن بنية النظام تقوم قبل كل شيء على الصلاحيات الإستراتيجية للملك، فرئيس الحكومة السابق، عبد الإله بنكيران، صرح في أكثر من مناسبة أنه موظف لدى الملك، وأنه على الشعب الوقوف معه في مسيرة المغرب الإصلاحية. التوافق مع النظام هو ما حول للحزب أن يكون فاعلا سياسيا مرحبا به في الأوساط السياسية.⁴³ من جانب آخر، دعا بنكيران جماعة العدل والإحسان إلى عدم اللعب

⁴³ Julie E. Pruzan Jorgensen. (2010). The Islamists Movements in Morocco: Main actors and regime responses. *Danish Institute for International Studies*. Issue 5, 11.

بالنار⁴⁴، وصرح أن حزبه لم يأتي ليحكم رغما عن الإرادة الملكية، بل ليحكم معها مستخدما المنطق الديني في نبذ التنازع.

الاستنتاجات

خلصت هذه الورقة البحثية إلى أن قدرة الحركات الإسلامية على ترجمة البنية الفكرية إلى عملية تمثل في مؤسسات وقاعدة حزبية فاعلة، ودخولها العمل السياسي برهاناته وتقلباته، كان من أبرز عوامل إنتشارها. وعليه، فالمشاركة عامل أساسي في تقييم تجربة حزب العدالة والتنمية الذي ارتأى العمل من داخل المؤسسات الرسمية. فعلى الرغم من أن حزب العدل والتنمية وجماعة العدل والإحسان ينطلقان من مرجعية إسلامية، إلا أنه بين النظري والعملي تتجلى أوجه الاختلاف بين الإثنين.

تسعى حركة العدل والإحسان إلى إحداث تغيير جذري في بنية النظام، كما أنها تؤمن بتغيير هذه البنية ورفض تام للتنازل على قناعاتها أي كانت الظروف، ووعيا بعواقب دخول العمل السياسي ومدى تأثير الدائرة السياسية على الدائرة الدعوية للجماعة. من الجانب الآخر، يسعى حزب العدالة والتنمية الموالي للنظام الملكي إلى محاربة الفساد رغم قلة خبرته العملية. لكن رغم الوعود التي قطعها الحزب من إصلاحات وقطع أسدي المفسدين، هناك من يرى أن حصيلته كانت ضعيفة ولا ترقى إلى التطلعات العالية التي وضعها المغاربة. والحقيقة أن حزب العدالة والتنمية جرد من الصلاحيات⁴⁵ التي تخول له ملاحقة المفسدين. من جانب آخر، تتجلى مضامين الخطوط الحمراء في انحراف الأولويات التي يبني عليها الحزب برنامجه السياسي.⁴⁶

وخلاصة القول، أن جماعة العدل والإحسان وحزب العدالة والتنمية يحملان مشروعين مختلفين للإصلاح، فمشروع الجماعة قائم على التدين الصوفي، وتحقيق شروط القومة كأداة للفعل السياسي، وقد ينظر إلى هذا المشروع على أنه راديكالي، أما حزب العدالة والتنمية، فيدافع عن مشروع نظامي مؤسستي قائم على الفهم البرغماتي القريب من تجربة الإخوان المسلمين في مصر، والإيمان بفكرة الإصلاح من الداخل، والتناوب على القيادة، والأهم التوافق مع النظام الحاكم. وعليه، فالعمل داخل المؤسسات الرسمية المعترف بها من قبل النظام ساعدت الحزب على اكتساح الساحة السياسية المغربية، خلافا لجماعة العدل والإحسان. وعليه، فالإيديولوجية الإسلامية قد تنتشر بوجود بنية سياسية ومؤسسية فاعلة داعمة للتصور الفكري للحركات الإسلامية.

⁴⁴ "بنكيران: لم نأتي لنحكم رغما عن الإرادة الملكية، وأقول للجماعة أنه لا يجوز اللعب بالنار"، **أصداء المغرب**،

2012/02/09.

⁴⁵ لم يستفد رئيس الحكومة فعليا من الصلاحيات التي أتاحها له دستور 2011، إذ يستمر النظام في تفعيل صلاحياته.
⁴⁶ حسن الأشرف، "العدالة والتنمية: لن نغلق حانات الخمور والأولوية للشغل والتعليم"، **العربية نت**، 2011/11/29.

قائمة المصادر والمراجع

1. الكتب:

الأفندي، عبد الوهاب وآخرون، الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي. أبو ظبي: مركز الإمارات للأبحاث والدراسات الإستراتيجية، 2000.

أوريد، حسن، الإسلام السياسي في الميزان: حالة المغرب، ط 1، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2016.

محمد صالح، نعم الحركات الإسلامية في المغرب العربي: المغرب، تونس، الجزائر، ط 1، عمان: دار الجنان للنشر والتوزيع، 2010.

Roy, Olivier. *L'Echec de l'Islam Politique*, Paris: Seuil, 1992.

2. المقالات والدراسات العلمية:

عبد الحكيم، أبو اللوز. الحركات السلفية في المغرب (1974-2004)، بحث أنتروبولوجي سوسيوولوجي. مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.

القصير، كمال. جماعة العدل والإحسان: التحولات والإتجاهات الممكنة. مركز الجزيرة للدراسات، 2014.

موسى نافع، بشير، وعبد المولى ، عز الدين. الحواس تقية. الظاهرة السلفية: التعددية التنظيمية والسياسات. مركز الجزيرة للدراسات، 2014.

Pruzan Jorgensen, Julie E. "The Islamists Movements in Morocco: Main actors and regime responses". *Danish Institute for International Studies*. Issue 5 (2010).

Sakthivel, Vish. "Al Adl wal Ihsan, Inside Morocco's Islamist Challenge". *The Washigton Institute for Near East Policy*. Issue 135 (2014).

3. المواقع الإلكترونية:

المواقع الرسمية لجماعة العدل والإحسان:

<http://www.aljamaa.net/ar/index/index.shtml>

<http://www.yassine.net/ar/>

<http://aljamaaonline.blogspot.com>

الموقع الرسمي لحزب العدالة والتنمية: <http://www.pjd.ma>

الموقع الرسمي لحركة التوحيد والإصلاح: <http://www.alislah.ma>

الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين:

http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=جماعة_العدل_والإحسان

موسوعة الجزيرة:

<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2014/10/12/>-جماعة العدل-والإحسان

<http://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2014/11/11/>-حزب العدالة-والتنمية-المغرب

<http://www.aljazeera.net/programs/arab-present-situation/2015/8/27/>-ما-هي-وصفة-نجاح-العدالة-والتنمية-المغربي

بن الشريف، خالد. "أهم الحركات الإسلامية المتواجدة بالمغرب العربي"، ساسة بوست، 2015/06/01.

<https://www.sasapost.com/the-big-mouvement-islamique-in-magreb>

جول، محمد زاهد. "قراءة في جماعة العدل والإحسان المغربية"، الجماعة نت، 2015/02/03.
قراءة-في-جماعة-العدل-والإحسان-المغربية-2015/02/03/<https://www.aljamaa.net/ar/>
ماكنيني، كابل. "حوار مع نادية ياسين من جماعة العدل والإحسان بالمغرب"، صدي، 2008/09/10.

<http://carnegieendowment.org/sada/?fa=22037>

المودني، سعيد. الصراع على الإسلام السياسي: المغرب نموذجاً. إسلام مغربي، 2012/10/09.

<http://www.islammaghribi.com/>-جماعة-العدل-والإحسان/الصراع-على-الإسلام-السياسي-المغرب-نموذجاً

نظرية الظروف الطارئة

بوبكر نسرين طالبة دكتوراه سنة -3-
جامعة: الجزائر 1

الملخص باللغة الإنجليزية:

The contingency theory assumes that economic conditions change when the contract is executed because of an accident that was not expected, so that the execution of the contract, if not impossible, would be so burdensome to the debtor that it would be threatened with a loss beyond the customary limit. The price of this commodity increases to the extent that it was because of a war prevented from receiving from abroad for example, and then the implementation of the contract threatens the debtor with a heavy loss beyond the customary limit.

It is clear that justice requires a reduction of the burden of obligation on the debtor by distributing the liability of the emergency incident to the parties.

The contingency theory addresses the imbalance between the obligations of the parties in the execution of the contract and the function of the theory of independence and acquiescence in the formation of the contract

الملخص باللغة العربية:

تفترض نظرية الظروف الطارئة تغير الظروف الاقتصادية عند تنفيذ العقد بسبب حادث لم يكن متوقعا بحيث يصبح تنفيذ العقد وان لم يكن مستحيلا مرهقا للمدين الى حد يهدده بخسارة فادحة تفوق الحد المألوف مثال ذلك: ان تعهد شخص بتوريد سلعة بسعر معين ثم يحدث قبل حلول ميعاد التوريد ان يرتفع ثمن هذه السلعة الى اضعاف ما كانت عليه بسبب حرب منعت ورودها من الخارج مثلا وحينئذ تنفيذ العقد يهدد المدين بخسارة فادحة تجاوز الحد المألوف.

ومن الواضح ان العدالة تقتضي تخفيف عبئ الالتزام عن المدين وذلك بتوزيع تبعة الحادث الطارئ على الطرفين.

فنظرية الظروف الطارئة تعالج اختلال التوازن بين التزامات الطرفين عند تنفيذ العقد وتؤدي الوظيفة التي تقوم بها نظرية الاستقلال والاذعان عند تكوين العقد.

الكلمات المفتاحية: العقد، الظروف الطارئة، تنفيذ العقد، الدائن، المدين

المقدمة:

اختلفت زاوية الرؤية الى مشكلة الظروف بين كل من الأحناف والمالكية، فبينما اهتدى الأحناف الى نظرية خاصة بشأن العذر واخرى بشأن تغير القيمة الاقتصادية تمكن المالكية من تخريج نظرية ثالثة بشأن الجوائح اما بالنسبة لفقهاء المذاهب الاخرى فإننا نلاحظ تفاوتهم في الاتفاق والاختلاف مع نظريات الفقهاء الحنفي والمالكي.

يتسع تطبيق نظرية الظروف الطارئة على جميع العقود التي يفصل بين ابرامها وتنفيذها فترة من الزمن يطرأ خلالها حادث استثنائي غير متوقع يجعل تنفيذ الالتزام مرهقا للمدين ففي حالة تطبيق النظرية على العقود الملزمة للجانبين يستطيع اي من المتعاقدين الدائن والمدين ان يطالب بتطبيق النظرية اذا صار ما انيط به من التزام مرهقا بما يجاوز حدود السعة لتطبيق الموازنة بين مصلحة الطرفين استنادا الى الفقه الاسلامي تطبيقا للآية القرآنية الكريمة (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)⁽¹⁾

ولغرض تطبيق نظرية الظروف الطارئة يفترض ما يأتي:

- 1 - يقتصر مجال نظرية الظروف الطارئة على العقود المترخية التنفيذ.
- 2 - وقوع حادث استثنائي عام بعد ابرام العقد وقبل تنفيذه.
- 3 - يجب ان يكون الحادث غير متوقع ولا يمكن دفعه.

المبحث الأول

موقف الفقه الحنفي من الظروف الطارئة

سلم الفقه الحنفي بنظرية الظروف الطارئة في مجالين اختص المجال الاول بالأعذار، وهي الظروف التي قد تطرأ على العقد بعد ان يكون قد ابرم بينما اختص المجال الثاني بمشكلة تغير القيمة.

نظرية العذر:

العذر في الفقه الحنفي هو كل مالا يمكن معه استيفاء المعقود عليه الا بضرر يلحق المتعاقد في نفسه او ماله او لو لزم العقد عند تحقق العذر للزم صاحب العذر ضرر لم يلزمه بالعقد فكان الفسخ في الحقيقة امتناعا من التزام الضرر فالعقد إذا هو عجز المتعاقد عن المضي في موجهه الا بتحمل ضرر زائد لم يستحق بالعقد.

يتبين من العبارات التي وردت على السنة الفقهاء الاحناف ان العذر ما هو في حقيقة امره الا ظرف طارئ يحدث في الفترة اللاحقة على نشأة العقد، ويؤدي حدوثه الى الحاق ضرر بالمدين يصيبه في نفسه او في ماله ان هو أقدم على تنفيذ العقد.

ففكرة العذر في الفقه الحنفي لا تختلف كثيرا عن فكرة الظروف الطارئة غير ان الاحناف توسعوا في مضمون العذر توسعا شديدا⁽¹⁾ فالعذر كما يقول الفقيه الحنفي (الكاساني) قد يكون في جانب المؤجر وقد يكون في جانب المستأجر .

(1) النساء (59)

(1) حاشية ابن عابدين وهي الحاشية المسماة (رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الابصار) محمد امين الشهير بابن عابدين، مصطفى البابي الحلبي واولاده؛ مصر، ط 2، (1966)، ج 5، ص 76، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع علاء الدين الكاساني، مطبعة العاصمة مصر (1328 هـ)، ج 4، ص 197، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي ومجموعة الانهر في شرح ملتقى الابحر لعبد الرحمن ابن الشيخ محمد بن سلمان المشهور بشيخ زيادة، ج 2، ص 399

اما العذر الذي يكون في جانب المستأجر فكان يكون استأجر حانوتا فأفلس بحيث لم يعد في امكانية مواصلة نشاطه التجاري فتخلى عنه او يكون فشل فشلا ظاهرا في الحرفة التي يقوم بها فيتجه قصده الى الانتقال منها الى حرفة اخرى كأن ينتقل من حرفة الزراعة الى حرفة التجارة او العكس كما انه يعتزم السفر لمصلحة عاجلة يتدبرها فان ابقينا العقد مع وجود الاعذار السابقة فان ذلك معناه ابقاء العقد من غير استيفاء المنفعة وفي ذلك اضرار بالمستأجر على نحو لم يلتزمه بالعقد.

فكان للمستأجر الحق في فسخ العقد بسبب العذر وذلك دفعا لما قد ينزل به من ضرر والمرض الذي يصيب المستأجر يعد عذرا، إذا ترتب عليه عدم تمكنه من استيفاء المنفعة المعقود عليها. فموت المستأجر كمرضه يعتبر عذرا يجيز الفسخ فلو مات من استأجر دابة ليسافر عليها وكان الموت قد فاجأه في بعض الطريق إذا لتعين عليه وفاء الاجر بحساب ما سافر ويبطل بحساب ما يبقى. وقد اطلق فقهاء الحنفية في الموت فشمّل عندهم بالإضافة الى الموت الحقيقي الموت الحكمي ومن صورة الارتداد عن العقيدة الدينية، فقد كان الارتداد يعتبر عذرا في بعض الحالات⁽¹⁾.

ويعتبر عدول المستأجر عن العقد عذرا إذا قام على سبب يقدره هو تقديرا شخصيا بحيث لو اجبر على تنفيذه رغم عزوفه عنها فكأن في اجباره على اتلاف شيء من بدنه او ماله. فلو استأجر طبيبا يخلع له ضرسا موجعا. او ليبتز له ذراعا بسبب مرض كان يعرف قديما باسم (الاكل) او بسبب اي مرض اخر وكذلك لو استأجر شخص حائكا ليقص له حلة ، او ليخيط له رداء او ثوب او كان قد استأجر طباحا ليعده له وليمة بمناسبة زواج فاذا سكن الم الضرس او برأت الذراع مما اصابها من المرض او انتفت مناسبة الزواج لأي سبب من الاسباب فالمستأجر في هذه الحالات فسخ العقد وليس للطرف الاخر ان يجبره على خلع الضرس او بتر العضو او اقامت الوليمة اذا في ذلك اتلاف لشيء معين بدنه او ماله فجواز ان الفسخ للمستأجر انما لأنه هو الذي يقدر ما في عدوله عن العقد من مصلحة له ودفع للضرر عنه وخوف السوء من المنكر او من مخاطر الطريق قد يرقى في بعض الحالات الى مرتبة العذر الذي سيفسخ به العقد فقد عرضت مسألة على القاضي بديع الدين تخلص وقائعها في ان شخصا استأجر دار لغرض السكن بأجرة معينة مقبوضة وامضى فيها شطرا من مدة الايجار الى انه تركها خوفا من عسكر فاجرها المالك في غيبته الى شخص اخر وبعد زوال دواعي الخوف عاد المستأجر الاول وطالب المالك بتسليمه الدار المؤجرة قال (بديع الدين فيما قال - اما المستأجر الاول قد ترك الدار على وجه الفسخ بسبب الخوف فالإجارة الاولى تفسخ بهذا العذر فان لم يتركها على وجه الفسخ فصاحب الدار غاصب .

واما العذر الذي قد يكون في جانب المؤجر ، فنحو ان يلحقه دين فادح لا يجد قضاءه الا من ثمن المؤجر ، عقارا كان ذلك الشيء او منقولا ففي هذه الحالة يعتبر الدين الفادح بمنزلة العذر الذي تفسخ به الاجارة (لان ابقاء الاجارة مع لحوق الدين الفادح العاجل اضرار بالمؤجر لأنه بخيس ولا يجوز الجبر على تحمل ضرر غير مستحق بالعقد) فضلا عن الدين الفادح تعد النفقة عذرا مجيزا للفسخ فالمؤجر الذي يعجز عن مقابلة نفقته او نفقة اقاربه بسبب الاعسار حاجته الماسة الى ثمن العين المؤجرة لتغطية هذه النفقة واخيرا فان العذر قد

(1) احمد بن حسين بن علي المشهور بالطودي البحر الرائق ، شرح كنز الدقائق ، ط 1 ، المطبعة العلمية بمصر (1311 هـ) ، ج 8 ، ص 41 .

يكون في جانب المستأجر هو حدوث عيب فيه يخل بالانتفاع المعقود عليه وذلك كالدار المستأجرة اذا تهدمت كلياً او جزئياً كالدابة المستأجرة اذا ظلت او اصببت بالعرج او تقرح ظهرها او اصببت على اي نحو اخر كالأرض الزراعية المستأجرة اذا اغرقها مياه الفيضان او غطتها الرياح بطبقة من الرمال او كرحى الماء المستأجرة اذا تهشم حجرها او انقطع عنها الماء الذي يديرها .

ولكننا نلاحظ ان الخطة التي اتبعها الفقيه الحنفي الكاساني في تقسيم الاعذار هي ذات الخطة التي اتبعها بعض الفقهاء المحدثين تعتبر خطة قاصرة لأنها تغفل عن فئة رابعة من الاعذار لا تكون في جانب الفئات الثلاثة المذكورة وانما تكون في جانب الغير فاذا قامت امرأة بتأجير نفسها ظنرا اي مرضعة بمقابل وكان ذلك مما يחדش سمعة عائلتها او يجرح كبريائها كان لأهلها ان يفسخ عقد الاجارة بسبب هذا العذر⁽¹⁾.

نظرية تغير القيمة:

يندرج تحت دراسة نظرية تغير القيمة في الفقه الحنفي موضوعان يتعلق الاول منهما بتغير النقود بينما يختص الثاني بتغير القيمة الاجارية سواء بالنسبة للوقف او بالنسبة للحكر.
الموضوع الاول: (تغير قيمة النقود)

عالج الفقهاء الاحناف مشكلة تغير قيمة النقود معالجة جديده وقد انصب اهتمامهم بصفة خاصة على ظاهرتين هامتين كثيرة الوقوع في الحياة اليومية العملية وقتئذ.

اما الظاهرة الاولى: فهي تغير الظروف تلقائياً بما يؤدي الى انعدام القوة الشرائية للنقود واختفاءها عن الاسواق او ارتفاع قيمتها او انخفاضها حسب الاحوال.

اما الظاهرة الثانية: فهي صدور اوامر من قبل السلطان او الحاكم ينجم عنها اضطراب في سعر العملة الجارية في التداول فاما بخصوص تغير قيمة النقود بسبب تغير الظروف تلقائياً فهناك احتمالان لمثل هذا التغير على احداث نقص او زياد بحسب الحالة.
والاحتمال الاول: يتحقق اما بكساد النقود لترك الناس التعامل بها او بالتالي فقدانها لاية قيمة في التعامل واما باختفاءها عن الاسواق وانقطاعها كلية. وبالتالي يصبح من العسير الحصول عليها.

واما الاحتمال الثاني: فهو ان تنخفض قيمة النقود بحسب تغير الظروف، ولكنها تبقى في الحاليين متمتعة بقدر من القوة الشرائية ويذهب الامام (ابو حنيفة) الى انعدام قيمة النقود لكسادها او لانقطاعها يؤدي الى بطلان عقد البيع لانتفاء الثمن. اما (ابو يوسف) فينتجه وجهة اخرى حيث يرى ضرورة الزام المشتري وفاء قيمتها بحسب ما كانت عليه يوم ابرام

(1) الفتاوي الهندية مجموعة علماء الهند ، ج 4 ، ص 444 ، والدر المنتقى في شرح الملتقى على هامش مجمع الانهر ، محمد بن علاء الدين الامام دار الطباعة العامرة (1317 هـ) ، ج 2 ، ص 401 . بدائع الصنائع ، ص 198 .

عقد البيع بينما سلك محمد طريقا ثالثا فلزم المشتري بسداد اخر ما استقرت عليه قيمة هذه النقود قبل زوال قوتها الشرائية او اختفاءها⁽¹⁾.

اما الاحتمال الثاني: فهو ان يترتب على تغير الظروف انخفاض او ارتفاع في قيمة النقود وذلك دون ان تذهب قيمة تلك النقود ذهابا مطلقا بسبب الكساد او الانقطاع كما رأينا ذهب ابو حنيفة الى إلزام المقترض في عقد القرض رد ما قبض من عدد النقود ودون اي اعتبارا لما تكون عليه قيمتها اما ابو يوسف فقد ألزم المقترض برد قيمة النقود المقترضة بالذهب بحسب ما كانت عليه هذه القيمة يوم ابرام عقد القرض. اما محمد فقد اوجب على المقترض رد قيمة النقود يوم اختلال قيمتها. ويظهر من عرض هذه الآراء الفقهية ان ابا حنيفة ومحمدا وبخلاف ابو يوسف كما في المسألة السابقة يقتضيان بتعديل شروط العقد إذا ما تغيرت قيمة النقود.

بقي ان نشير ان الاحكام الناشئة بشأن الظروف الطارئة لا تنطبق على جميع الانواع من العملات ولكنها تنطبق فقط على العملات المسكوكة من معادن اخرى غير الذهب والفضة وذلك كالنحاس والبرونز والحديد وهي يسمونها (الفلوس والدرهم والقروش) وكان من اصنافها في الازمنة القديمة، البخارية والطبرية والايديدية.

اما العملات التي كانت تسك من معدن الذهب والفضة وهي التي يسمونها النقود فلم تخضع لأحكام الظروف الطارئة وكان من اصنافها قديما الشيريني والبندتي والمحمدي والكلبي والريال. وربما كان السبب في عدم خضوع العملات الذهبية والفضية لحكم الظروف الطارئة هو احتواءها على قيمة ذاتية تكاد تكون ثابتة من المعدن النفيس هذا فضلا عن قيمتها الرسمية بخلاف الحال بالنسبة للفلوس والدرهم والقروش والتي ليس لها هذه القيمة الذاتية الثابتة.

الظاهرة الثانية: اوامر وتوصيات السلطان او الحاكم:

تكلما حتى الان عن الظاهرة الاولى: وهي الخاصة بتغير قيمة النقود تبعا لتغير الظروف الاقتصادية اما الظاهرة الثانية فهي التي تتصل بما يصدره السلطان او الحاكم من اوامر او توجيهات يكون القصد منها تخفيض سعر بعض العملات التي تدخل في المبادلات ...

والحكم في هذه الصورة هو العملة إذا مانت معينة بنوعها باتفاق الطرفين المتعاقدين وصدر امر سلطاني بتخفيض قيمتها فليس للبائع او المقترض ان يرفض استلامها بحجة نقص قيمتها اما إذا لم تعين عملة بذاتها فانه بموجب الوفاء بأية عملة اخرى وبحسب القيمة المتفق عليها في العقد. وإذا حدث امر السلطان بالتخفيض ليشمل عدة انواع من العملات بحيث جاء التخفيض متفاوتا بين هذه الانواع فيبدو ان المشكلة في هذه الفرضية تأخذ طابعا معقدا فاذا أطلقنا يد البائع او المقرض في تحديد العملة التي يقبل التسوية على اساسها لما تردد في اختيار العملة الاقل تخفيضا وفي هذا ضرر بالمشتري او المقترض. وإذا نحن خيرنا المشتري او المقترض في تعيين العملة التي يفضل الوفاء بها لما كان امامه اختيار المهلة الاكثر تخفيضا وفي هذا ضرر بالبائع او المقرض.

(1) ويتضح من هذه الآراء ان ابا حنيفة ومحمد يقران ان للضرف المتغيرة بأثرها في انقضاء عقد البيع او تعديل شروطه بحسب (الاحوال بعكس ابو يوسف الذي لم يلتفت الى ما جد من الظروف وما طرأ من تغير في قيمة النقود. فقد نادى بإلزام المشتري الوفاء بالقيمة التي كانت لتلك النقود وقت العقد، مجموعة رسائل ابن عابدين، ج 2، رسالة تنبيه الرقود على مسائل النقود).

وكحل لهذا الاشكال يجب ان يتم التصالح على العملة التي تقع في مركز وسط منعاً للإجحاف والظلم وتوزيعاً للضرر بين المتعاقدين (يقول ابن عابدين اما إذا صار ما كان قيمته مائة من نوع يساوي تسعين ومن نوع آخر خمسة وتسعين ومن أخرى ثمانية وتسعين فان الزمنا البائع بأخذ ما يساوي التسعين بمائة فقد اختص الضرر به وان الزمنا المشتري بدفعه بتسعين اختص الضرر به فينبغي وقوع الصلح على الاوسط) فهذا الحكم يقيم نظاماً لتوزيع العبء الطارئ بين المتعاقدين لا يختلف عن النظام المقابل له في نظرية الظروف الطارئة الحديثة⁽¹⁾.

الموضوع الثاني: تغير القيمة الاجارية:

القاعدة العامة هي عدم امكان فسخ عقد الايجار او تعديل الاجرة لمجرد حدوث تغير في اجرة المثل زيادة او نقصا الا ان هذه القاعدة العامة يرد عليها استثناءان: الاول يتعلق بالوقف واما الثاني فيرتبط بالحكر.

الوقف: نظرا لأهمية نظام الوقف في الشريعة الاسلامية فقد احيط ببعض الاحكام المتعلقة بالظروف الطارئة فاذا حدث ان تغيرت الظروف الاقتصادية بمرور الزمن تغيرا افضى الى زيادة اجر المثل تعين العمل على زيادة اجرة الوقف تبعا لذلك ويشترط لتطبيق هذا الحكم ان تكون زيادة اجرة المثل عامة بحيث تغطي جانبا كبيرا من العقارات المماثلة للوقف تبعا لذلك فاذا تطوع شخص ما بزيادة الاجرة تعنتا على مستأجر الوقف لم ينطبق الحكم المذكور. كما يشترط ايضا لإجراء الحكم السابق ان يكون الفسخ فيما إذا اقتضته ظروف الحال ممكنا فاذا تصادف وجود مزروعات بأرض الوقف لم تحصد بعد لم يفسخ العقد وانما يستبقي باجر المثل حتى تستحصد تلك المزروعات هذا عن زيادة اجر المثل، اما في حال انخفاضها فالمتفق عليه بين الفقهاء هو عدم تأثر عقد الاجارة بذلك وبالتالي عدم فسخه وانما روعي هذا الحكم الاخير لمعنى النظر للوقف⁽¹⁾.

الحكر: يختلف الحكر عن الوقف في شأن الظروف الطارئة في انه بالإمكان زيادة اجرته او نقصانها تبعا لما قد تؤول اليه اجرة المثل من زيادة او نقصان وتسمى هذه العملية بتصنيع الحكر.

المبحث الثاني

موقف الفقه المالكي من الظروف الطارئة

كما ان الاحناف قد نجحوا في استخلاص الاحكام التي تنظم الحكم كذلك المالكية وفقوا في ابرز الاحكام التي تنظم الجوائح.

نظرية الجوائح:

تقوم فكرة الجوائح على بيع الثمار وهي ماتزال ملتصقة بأشجارها فتصيبها نازلة قبل قبضها فعليا فتؤدي الى تلفها ونقصان قيمتها. ويمكن تعريف الجائحة بانها كل نازلة او آفة تصيب الثمار المبيعة وهي على رؤوس الاشجار فيوضع عن المشتري من الثمر بقدر ما اصابته الجائحة وحول طبيعة الجائحة ونطاقها اختلف فقهاء المالكية وذهبوا في ذلك ثلاث مذاهب:

(1) حاشية ابن عابدين، ج 5، ص 76.

(1) بدائع الصنائع للكاساني، ص 200، مصادر الحق في الفقه الاسلامي، الدكتور عبد الرزاق السنهوري، 92، والغين اللاحق للدكتور محمد عبد الجواد، ص 168.

المذهب الاول : (ومنه مطرق) يرى ان للجائحة لا تكون الا في الحوادث او النازلات السماوية وهي التي لا ترجع في اصل الى فعل الأدميين ، مثال ذلك انحسار مياه العيون وانقطاع المطر وغارات الجراد واسراب الطير وهبوب الرياح وتقلبات الطقس ما بين حر لافح وبرد قارس وانتشار الديدان التي تتلف الثمر وحدث العفن الذي يحلل خلايا النبات الى غير ذلك من انواع الجوائح . اما المذهب الثاني (منه ابن نافع وابن قاسم) فيرى ان الجائحة تشمل بالإضافة الى الأفات السماوية افعال الادميين إذا كانت غالبية كاجتياز الجيش الجرار فمما لا ريب فيه ان المتعاقدين لا يستطيعان دفع هذا الجيش او رده، اما إذا كانت افعال الأدميين غير غالبية حتى وان حدثت بغتة وعلى حين غرة كالسرقة مثلا فإنها لا تعتبر في حكم الجائحة اذ من الممكن التحرز منها. اما المذهب الثالث: (وفيه رواية عن ابن القاسم) فقد توسع في معنى الجائحة بحيث جعلها تشمل كل الافعال سماوية كانت ام آدمية طالما انها لم تكن ترجع في مصدرها الى اي من المتعاقدين، وقد حاول أنصار كل المذاهب الثلاثة السابقة ان يوجدوا تبريرا لما ذهبوا اليه. الذين قالوا بقصر الجائحة على النازلة السماوية وحدها احتجوا بظاهر الحديث الشريف (أرأيت ان منع الله الثمرة) وقالوا ان المنع يرجي الى الله تعالى وليس الى فعل الانسان، والذين اضافوا فعل الأدمي إذا كان غالبا فقد وجه الشبه بين الحادثة السماوية والفعل الانساني الغالب من حيث الاستقصاء على الدفع والرد. اما الذين توسعوا في معنى الجائحة فشملت عندهم الحادثة السماوية والأدمية بخلاف الافعال التي تصدر عن المتعاقدين وبخاصة المشتري فيبدو انهم اخذوا بفكرة المسؤولية العقدية وهي الفكرة التي اقتربت بهم كثيرا من المفهوم الحديث للظروف الطارئة⁽¹⁾.

والقاعدة العامة في الفقه الاسلامي هي ان المشتري اذا تسلم الثمار المبيعة ثم اصابتها جائحة ونتج عن ذلك هلاكها كلياً او جزئياً فان تبعة هذا الهلاك انما تكون على المشتري الا ان فقهاء المالكية استثنوا هذه الحالة بسبب بقاء الثمار بملك البائع هو الشجر فقصوا بان تكون تبعة الهلاك على البائع وذلك لقيام مسؤوليته عن حفظ الثمرات وريها ، اذ ان هذه الثمرات ماتزال تعتمد في بقائها وحياتها على هذه الاشجار ، وهذه الصلة والعلاقة الخفية بين الثمار وهي على ملك المشتري والاشجار وهي على ملك البائع ، انما ينطوي على المعنى الحقيقي والحكمة الفريدة في تطبيق نظرية الجوائح على هذه الطائفة من البيوع .

وحتى يمكن تطبيق نظرية الجوائح يتعين البحث عن معيار للجائحة فليست كل جائحة تستوجب الحق من الثمن ولهذا يشترط فقهاء المالكية ان تؤثر الجائحة في الثمار بمقدار الثلث او تزيد وبالنسبة للبقول يرى جانب آخر من هذا الفقه، جواز تطبيق الجوائح عليها حتى وان تأثرت فما دون هذا المقدار⁽¹⁾

(1) ورد تفصيل هذه الآراء في المدونة الكبرى للإمام مالك بن انس، دار صادر بيروت، ج 12 كتاب الجوائح وبداية المجتهد ونهاية المقتصد ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد القرطبي، دار الفكر بيروت (565 هـ)، ج 2، ص 37.
(1) فاذا كانت الثمار التي تأثرت بالجائحة من نوع واحد انقص الثمن بمقدار التلف الذي احدثته الجائحة اي بمقدار الثلث او يزيد اما تقدر نوع الثمار بان اختلفت أحادها ثم اصابت الجائحة بعض هذه الانواع دون الانواع الاخرى فان مقدار التلف في البعض يقاس على الكل للوصول الى معرفة قدر الجائحة ثم ينقص الثمن في حدود الثلث او يزيد حسب ما تكون عليه نسبة التلف في الثمار ، المدونة الكبرى للإمام مالك .

المبحث الثالث آراء المذاهب الأخرى

أولا بالنسبة لنظرية الإعذار:

أخذت المذاهب الفقهية الأخرى بنظرية الإعذار إلا أنها تباينت في الأخذ بها ما بين قوة وضعف وضيق واتساع وذلك على النحو التالي:

المذهب الشافعي:

طبقت نظرية العذر في الفقه الشافعي تطبيقا واضحا غير أن مجال تطبيق هذه النظرية في الفقه الشافعي جاء في إطار اضيق مما هو عليه في الفقه الحنفي ، والسبب في ذلك يرجع أساسا الى تطوير الشافعية لعقد الاجارة فهم يرون ان المعقود في عقد الاجارة هو العين ذاتها وليس المنفعة ، ومن هذا نرى انهم قد عجزوا عن تطوير وجود اختلال في المنفعة بمعزل عن العين فنظريتهم للمنفعة تتحدد بحدود العين وتدور معها وجودا او عدما ومن هنا فقد جاء اعترافهم بالإعذار مقصورا على الحالات التي يكون فيها فوات المنفعة راجعا الى اخلال في العين ودون وسائل تحصيلها . فاذا استأجر شخص دارا ثم تهدمت هذه الدار كليا او جزئيا او استأجر دابة ليسافر على ظهرها، فمرضت هذه الدابة، او نفقت، او استأجر ارضا لزراعتها فأغرقها سيل او فيضان او انحسر عنها الماء الذي تعتمد عليه وحده في سقيها ففي جميع هذه الحالات فانتت المنفعة لحدوث خلل في العين المؤجرة فيثبت حق المستأجر حق الفسخ بسبب العذر. اما إذا فانتت المنفعة من غير حدوث خلل بالعين المؤجرة فان حق الفسخ لا يثبت بالعذر لبقاء العين مع امكان استيفاء المنفعة منها. فاذا قام شخص بزراعة ارض كان قد استأجرها لهذا الغرض ثم هلكت المزروعات او اصابها تلف بسبب غارات للجراد، او بسبب حريق، او استأجر ذلك الشخص دابة لينقل عليها بضاعة او امتهنة، فاحترقت تلك البضاعة او الامتهنة او سرقت، او كان قد اصاب هو نفسه بمرض اقعه عن السفر، او حتى اذا مات، ففي جميع هذه الفروض وما يماثلها لا يثبت حق الفسخ للمستأجر بسبب العذر (لان المعقود عليه باق وانما تعذر الانتفاع لمعنى في غيره) وكما يكون انذار حسيبا يمكن ايضا ان يكون شرعيا⁽¹⁾.

المذهب الحنبلي:

طبق فقهاء المذهب الحنبلي نظرية الإعذار ضمن حدود معينة الا انهم من الواضح ان هؤلاء الفقهاء لم يتوقفوا في تطبيق الإعذار توسع الاحناف كما انهم لم يضيقوا فيه تضيق الشافعية. فمن ناحية اولى نجدهم يقصرون تطبيق حكم الإعذار على الحالات التي تقوت فيها المنفعة نتيجة لحدوث خلل بالعين المؤجرة كانهدام الدار على سبيل المثال وهم يضيفون الى ما تقدم ايضا الحالات التي تعذر فيها استيفاء المنفعة تعذرا شرعيا ومن ناحية ثانية نجدهم يعترفون بالإعذار التي تحصل بمجرد عدم التمكن من استيفاء المنفعة ، حتى وان لم يحدث خلل في العين المؤجرة الا انهم اشترطوا لذلك ان يكون العذر عاما وليس فرديا كحدوث الخوف العام

(1) ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي ، دار المعرفة بيروت ، ط 2 ، (1393هـ) ، ص 224 ، والنظم المتعذب في شرح غريب المهذب ، محمد بن احمد بن بطلال الركبي ، لى هامش المهذب الشيرازي ، واسنى المطالب شرح روض الطالب للانصاري ، ج 2 ، ص 42.

الذي يمنع المستأجر من استيفاء منفعة الدار المستأجرة كالحصار الذي يفرضه الإعداء على احد المدن فيحول ذلك دون خروج المستأجر الى حيث يباشر زراعة الارض المستأجرة (1).
مذهب الشيعة الامامية:

طبق المذهب الامامي نظرية الاعذار في كل الاجارات فقد ورد عن الامام الطوسي قوله (كل ارض كان لها ماء قائم من نهر كبير او صغير مشتق من كبير او عين او بئر او مصنع فانه يجوز اكرؤها للزراعة فان ثبت الماء الى ان يستوفي الغلتين الصيفي والشتوي منها فقد استوفى حقه وان كان قد استوفى احدهما ثم انقطع الماء نظر فان قال المكري انا اجري اليها الماء من موضع اخر لان لي فيه حق الشرب لارضي لم يكن للمكثري الخيار لان العيب قد زال بذلك كما لو اصاب بالمبيع عيبا ثم زال قبل الرد فانه لايرد واما اذا تعذر اجراء الماء اليها من موضع اخر فان الخيار يثبت له في الفسخ . وكذلك القول في كل الاجارات . فان الاجارة تنفسخ لتعذر المقصود منها فإنها تبطل فيما بقي ولا تبطل فيما مضى اذا اكرت ارضا للزراعة وغرقت بعد ذلك نظر فان كانت غرقت عقيب العقد بطل العقد وان كان بعد مضي مدة انفسخ العقد فيما بقي ولا يفسخ فيما مضى) (1) .

ثانيا : بالنسبة الى نظرية الجوائح :

تجمع المذاهب الفقهية المختلفة على تطبيق نظرية الجوائح مثلما اجمعت على تطبيق نظرية العذر ولهذا فقد اختلفت مواقفها بشأنها ما بين الاخذ بها او رفضها .

المذهب الشافعي :

فقد اخذ الشافعية بمذهب اهل الكوفة في هذا الخصوص ومذهب اهل الكوفة يرفض تطبيق الجوائح في بيع الثمار ويجعل ضمانها على المشتري وليس على البائع لانها تلفت بعد القبض ويرى الكوفيون ان النسبة بين المشتري والثمار تعتبر في حكم القبض كما انهم لايجيزون للمشتري ابقاء الثمار على الاشجار لان بموجب العقد عندهم هو القبض الناجز (1)

المذهب الحنبلي :

اعترف المذهب الحنبلي باحكام الجوائح والتعريف الذي وضعه الحنبلية للجائحة هو انها (كل آفة لا صنع للأدمي فيها كالريح والبرد والجراد والعطش) ولم يتقيد ظاهر المذهب بمقدار الثلث ، اذ انه لا فرق فيه بين قليل الجائحة وكثيرها ففي الحاليين يتوجب تقدير حكم الجوائح غير ان فقهاء المذهب الحنبلي استبعدوا من حكم الجوائح الحالات التي تكون فيها الثمار قد تلفت بنسب ضئيلة ، لانتعدي مقدار ما ياكله الطير او يسقط من نفسه حسب المجرى العادي للامور فاذا اصابته الجائحة الثمار بتلف

(1) نيل المأرب بشرح دليل الطالب ، الشيخ عبد القادر بن عمر الشيباني ، مكتبة الفلاح ، ج 1 ، ص 133 ، ومغني المحتاج ، ابو محمد عبدالله بن احمد بن قدامة المقدسي ، دار الفكر بيروت ، ط 1 (1405 هـ) ج 5 ، ص 418 .

(1) المبسوط في فقه الامامية ، الشيخ الطوسي (460 هـ) ، تحقيق محمد الباقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية ، 1387 هـ ، ص 256 .

(1) الام للامام الشافعي ، ص 242 .

يجاوز هذه الحدود المألوفة او المعتادة وضع من الثمن بقدره اذا كان التلف جزئياً وفسخ العقد نهائياً ان كان التلف كلياً⁽¹⁾ .

مذهب الشيعة الامامية :

اخ ذ المذهب الامامي بنظرية الطواريء فقد ورد في شرح اللمعة الدمشقية للفقهاء مكي العاملي قوله (ولو طرأ المنع من الانتفاع بالعين المؤجرة فان كان المنع قبل القبض فله الفسخ لان العين قبل القبض مضمونة على المؤجر فللمستأجر الفسخ عند تعذرها ، وان كان المنع بعد القبض فان كان تلفا بطلت الاجارة لتعذر تحصيل منفعة المستأجر عليها وان كان غصبا لم تبطل لاستقرار العقد بالقبض وبراءة المؤجر والحال ان العين موجودة يمكن تحصيل المنفعة منها برجع المستأجر على الغاصب باجرة مثل المنفعة الفائتة في يده . ولا فرق حينئذ بين وقوع الغصب في ابتداء المدة وخلالها⁽¹⁾)

الاستنتاجات :

يمكن حصر النظريات التي انشأها فقهاء المذاهب الاسلامية لموجهة مشكلة تغيير الظروف في ثلاث نظريات رئيسية هي نظرية العذر ، نظرية تغيير القيمة ، ونظرية الجوائح . وتعتبر نظرية العذر من اكثر هذه النظريات شيوعاً .

التوصيات :

- 1 - يمكن تطبيق نظرية الظروف الطارئة وتوسيعها على جميع العقود التي يفصل بين ابرامها وتنفيذها فترة من الزمن يطرأ خلالها حادث استثنائي غير متوقع يجعل تنفيذ الالتزام مرهقا للمدين ، فعلى المتعاقدين المطالبة بتطبيق النظرية اذا صار ما انيط به من التزام مرهقا لما يجاوز حدود السعة لتطبيق الموازنة بين مصلحة الطرفين استنادا الى الفقه الاسلامي وعملا بالاية القرآنية الكريمة (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول)
- 2 - ان يجتهد القضاء في الدول الاسلامية لسن القوانين المستمدة من الفقه الاسلامي على حل النزاعات التي قد تحصل بين المتعاقدين نتيجة للظروف الطارئة .

(1) مجموعة فتاوي شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني ، ص 87 .

(1) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، محمد بن جمال الدين مكي العاملي ، دار التفسير للطباعة والنشر ، ج 2 ، ص 214 .

المصادر

- 1 - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ، علاء الدين ابو بكر بن مسعود ، مطبعة العاصمة مصر (1328 هـ)
- 2- البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، احمد بن حسين بن على المشهور بالطوري ، الطبعة العلمية بمصر (1311 هـ) .
- 3- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي ، ط 1 ، مطبعة الجمالية (1328 هـ) .
- 4- حاشية بن عابدين ، علي الدر المختار ، ط 2 ، مطبعة البابي مصر (1386 هـ)
- 5- رسالة تنبيه الرقود على مسائل النقود ، مجموعة رسائل ابن عابدين .
- 6- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، محمد بن جمال الدين مكيالعاملي ، دار التفسير للطباعة والنشر .
- 7 - الفتاوى الهندية ، تأليف جماعة من علماء الهند في القرن الحادي عشر للهجرة ، ط 2 ، بولاق (1310 هـ) .
- 8- الام ، ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي ، بيروت لبنان.
- 9- مجموعة الانهر في شرح ملتقى الابحر ، لعبد الرحمن ابن الشيخ محمد بن سلمان ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ، علاء الدين ابو بكر بن مسعود ، مطبعة العاصمة مصر (1328 هـ)
- 10- مصادر الحق في الفقه الاسلامي ، د . عبد الرزاق السنهوري . تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي ، ط 1 ، مطبعة الجمالية (1328 هـ) .
- 11- المبسوط في فقه الامامية ، الشيخ الطوسي (460 هـ) ، تحقيق محمد الباقر البهبودي ، المكتبة المرتضوية ، 1387 هـ .
- 12- المدونة الكبرى ، للامام مالك ، تحقيق المغربي ، مطبعة السعادة .
- 13- المغني ، موفق الدين ابي محمد عبدالله بن احمد بن محمود بن قدامة ، مطبعة المنار (1367) .
- 14 - المهذب للشيرازي ، مطبعة مصطفى الحلبي (1343 هـ)

مقاربة بين التداولية والبلاغة

أ.خويلد عبد العزيز

أ.د. ناصر اسطمبول

جامعة وهران 01 أحمد بن بلة

الملخص: أدرك الإنسان أنّ أعظم وسيلة تمكّنه من تحقيق أهدافه وتبليغ رسالته هي اللغة، لذا نجد نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يتوجّه إلى ربّه طالباً منه أن يشرح صدره ويحلّ عقدة لسانه قصد أن يفقه قومه قوله، كما نجد أنّ الله سبحانه وتعالى من خلال مدحه لنبيّه داوود عليه السلام وصفه بالحكمة وفصل الخطاب، إذ أنّ تلك هي اللغة بما اشتملت عليه من أساليب فنيّة وتركيبية وصرفيّة واعتبارات أداء المتكلم وحالات السّامع النفسيّة.

وعليه فمِمّا لا شكّ فيه أنّ اللغة ما هي إلاّ أصوات ومفردات وجمل ونصوص وإيماءات وإشارات، كلّها تُستغلّ في التفاهم والتواصل بين أفراد المتكلمين بتلك اللغة، ومن خلال الممارسة لهذه المكونات يتّضح أنّ الأسلوب الأفضل في استغلالها هو ما يُعبّرُ به عن المقصود بأسلوب لا يُخلُّ بغرض المتكلم ولا يجعلُ السّامعَ منتظراً لشيءٍ آخر، وأحسن ما يُعبّرُ به عن هذا الأسلوب هو النص أو الخطاب أو الكلام الذي يتألّف من مجموع مكونات اللغة المذكورة آنفاً وأساليبها البلاغية، الذي يُدرس ضمن علمي البلاغة واللسانيات التداولية - باعتباره أحد عناصر الدورة التخاطبية (المتكلم/الرسالة/المستمع) - ويمكن أن نعتبر هذا الأخير ما هي إلاّ نتاج وخلاصة عدّة مناهج لسانية وتعريفاتها حتّى استقرّ أو برزَ بصفة واضحة ما يُسمّى باللسانيات التداولية في العقد السّابع من القرن العشرين كنظرية لسانية حديثة.

الكلمات المفتاحية: اللغة-التداولية-البلاغة-المتكلم-السامع

Summary:

Man has understood the importance of language since ancient times. The language is a group of voices, vocabulary, sentences, texts, gestures and signs, all of which are used to understand and communicate among the speakers of that language. The best expression of this method is the text, speech or speech which consists of the components of the language mentioned above and its rhetorical methods, (The speaker / message /

listener) - and we can consider it the result of a series of Sunni curricula until the so-called linguistic language of the decade of the twentieth century was shown as a modern linguistic theory.

Keywords: language-deliberative-rhetoric-speaker-hearer

تمهيد:

مما لا شك فيه أنّ اللغة تتكون من أصوات ومفرداتٍ وجملٍ ونصوصٍ، كلّها تُستغلّ في التفاهم بين أفراد المتكلمين بتلك اللغة، بمعنى أنها "ألفاظٌ يُعبّرُ بها كلّ قومٍ عن مقاصدِهِم"¹، ومن ذلك لغتنا العربية "فهي أصوات محتوية على بعض الحروف الهجائية وعددها تسعةٌ وعشرون حرفاً من الهمزة إلى الياء"²، حتّى قال فيها قائل: "والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهّمها من الدّيانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقّه في الدّين"³، واللغة "فعل لساني، أو ألفاظٌ يأتي بها المتكلم ليُعرّفَ غيره ما في نفسه من المقاصد والمعاني"⁴، وبمعنى مختصر أنّ اللغة هي الجانب العملي فعلاً للسان الذي هو عمليةٌ تصويريةٌ تُصعّبُ الإحاطةُ بها عند الاستعمال، "فاللغةُ إذاً هي المجال الذي تنكشفُ فيه القصديةُ المقرونةُ بالتواصل بأعلى مظاهرها"⁵.

ومن خلال الممارسة لهذه المكونات يتّضح أنّ الأسلوبَ الأفضلَ في استغلالها هو ما يُعبّرُ به عن المقصود بأسلوب لا يُخلُّ بغرض المتكلم ولا يجعلُ السّامعَ منتظراً لشيءٍ آخرَ كالشرح مثلاً وأحسنُ ما يُعبّرُ به عن هذا الأسلوب هو الخطابُ الذي يتألّفُ من مجموع مكونات اللغة المذكورة آنفاً وأساليبها البلاغية، الذي يُدرس ضمن اللسانيات التداولية - باعتباره أحدُ عناصر الدورة التخاطبية (المتكلم/الرسالة/المستمع) - التي هي نتاجٌ وخلاصةٌ عدّةٌ مناهجٍ لسانيةٍ وتعريفاتها حتّى استقرّ أو برزَ بصفةٍ واضحةٍ ما يُسمّى باللسانيات التداولية في العقد السّابع من القرن العشرين كنظريةٍ لسانيةٍ حديثة، فماذا يُعنى بالتداولية؟

مفهوم التداولية: نظراً لاشتراك عدّة مناهج ومدارس وعلوم في إنتاج نظرية عامّة للنشاط اللساني تسمّى بالتداولية، ومن هذا المنطلق فتعريف التداولية تتجاذبه عدّة جهات وتيارات يصعب معها في الوقت الحالي إعطاء تعريف شامل وكامل للتداولية، فـ"مانقونو" D.Mangounau يُردف حديثه عن التداولية بقوله: "إنّه من الصعب الحديث عن التداولية لأنّ هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة، تتقاسم عددًا من الأفكار... واللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية، بل تعني الكثير من علماء الاجتماع إلى المناطق؛ وتتجاوز اهتماماتها بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى والتواصل، وتطغى على موضوع الخطاب لتصبح نظرية عامّة للنشاط الإنساني"⁶، ذلك لأن لغة الفكر أوسع من لغة اللسان، لذا يضطرّ الإنسان أحياناً للتعبير عمّا يجول في خاطره باستقطاب الحاجبين وتغيير قسّمات الوجه وحركات بعض الأعضاء ... إلخ.

فمن هذا الكلام ندرك أنّ أقرب حقل معرفي للتداولية هو اللسانيات⁷، وعلى هذا الأساس يُمكن تحديّد تعريف للتداولية "بأنّها ذلك المصطلح العربي الموافق لـ pragmatics الأجنبية"⁸ التي تدلّ في الغالب على "ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية"⁹؛ أي التعبير عن نشاط الإنسان من حيث هو، والذي كان الفضل في وضع هذا المصطلح الأستاذ المنطقي والفيلسوف المغربي الدكتور طه عبد الرحمن سنة 1970¹⁰ كمفهوم اصطلاحي، بمعنى أنّه بلورة ما توصل إليه العلماء في هذا الميدان، وإلا فإنّ التداولية بمفهوم أو بأخر له علاقة باللغة قد أشار إليها القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً وبالضبط من ذلك قوله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) آل عمران الآية 140 أي نصرفها بين الناس، إذ تُعدّ اللسانيات التداولية linguistique pragmatique من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر¹¹، بمعنى أنّه جمع فيه النشاطات الفكرية للأقدمين في موضوع وسيلة التواصل وخالصة ما توصل إليه من اطلع على أقوالهم في الموضوع من المحدثين.

ويعرف بهاء الدين مزيد التداولية بـ "دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو في تراكيبها النحوية"¹²، وهنا يشير إلى عدم التقيد بالصيغ والتراكيب والألفاظ بمعانيها المعجمية في تعريف التداولية بل هناك ما تضيق عنه هذه الأمور ويُعبّر عنه بحركات وإشارات ونبرات صوتية، ويعرّفها "ليفنسون" بقوله: "إنّ التداولية هي دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات واقتضاءات أو ما يسمّى بأفعال اللغة speech acts"¹³، وهذا التعريف يقترب ويُنْفِقُ جدّاً مع التعريفات السالفة الذكر أو بعبارة أخرى فكل منها يُكْمَلُ الآخر، وتُعرّفها "فرانسواز ريكاناتي" François recanati بأنّها "بحث يهتم بدراسة استعمال اللغة داخل الخطاب وإبراز السّمات التي تميّزه"¹⁴، وهذا يميل أكثر إلى الجانب النظري منه إلى الجانب العملي، أي هو منهج بحث أكثر منه وصفاً للتداولية الفعلية، وعبارة أخرى فبالاعتماد على وسائل وطرق البحث المعتمدة لدى صاحبة

التعريف يُكشَفُ عن ميزاتِ الخطابِ من حيثِ السهولةِ والصعوبةِ والتعقيدِ والبساطةِ والإحاطةِ أو القُصورِ عن توصيلِ المُرادِ.

إذًا من هذا المنظور "فالتداوليةُ ليست علمًا لغويًا محضًا، بالمعنى التقليدي، علمًا يكتفي بوصفِ وتفسيرِ البنى اللغويةِ ويتوقَّفُ عند حدودِها وأشكالِها الظاهرةِ، ولكنها علمٌ جديدٌ للتواصلِ يدرُسُ الظواهرَ اللغويةَ في مجالِ الاستعمالِ؛ ويُدمجُ من ثَمَّ مشاريعَ معرفيةَ متعددةَ في دراسةَ ظاهرةِ "التواصلِ اللغويِ وتفسيره"¹⁵، أي باعتبارِ مراعاةِ علاقاتِ الظاهرةِ التواصليةِ بشتّى العلومِ والمعارفِ، كالفلسفةِ وعلمِ النفسِ المعرفيِ وعلومِ التواصلِ ... الخ، "وتسهم في حلِّ مشاكلِ التواصلِ ومَعوقَاتِهِ"¹⁶، وذلك بإدخالِها في التَّعريفِ السَّالفِ الذِّكْرِ ما يُكَمِّلُ رسالةَ الوسائلِ اللسانيةِ قصدَ التعبيرِ عن المقصودِ أو ما يَجُولُ في الذَّهنِ بوسائلٍ غيرِ الكلاميةِ؛ أي كلُّ ما يمكنُ أن يُوصَلَ الأفكارَ بين أفرادِ المجتمعِ.

أهم آليات اللسانيات التداولية: إنَّ اتساعَ مجالِ اللسانياتِ التداوليةِ وتعدُّدِ بيئةِ نشأتها وتقاطعها مع كثيرٍ من العلوم يجعلُ رسمها وتحديدِها من الصعوبةِ بمكان، وعلى هذا الأساس استقطب بعض أهل هذا الميدان خمسةَ موضوعاتٍ تكاد تكون أساسيةً فيها وهي¹⁷:

1- أفعال الكلام: تُعدُّ "ترجمةً للعبارة الإنجليزية *Speech act theory* أو العبارة الفرنسية *La théorie des actes de parole* ولهذه النظرية ترجمات أخرى في اللغة العربية مثل نظرية الحدث اللغوي، والنظرية الإنجازية وغيرها من الصيغ والعبارات هي جزء من اللسانيات التداولية *Linguistique pragmatique*"¹⁸، وتُعتبرُ "نظرية أفعال الكلام هي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية؛ وهي تسمية اقترحت في سنوات الستينيات من القرن العشرين من طرف أوستن ويعني بها ارتباط اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع"¹⁹، أي النشاط الإنساني التواصلية.

2- الملفوظية: هي اتجاه جديد في دراسة اللغة، يوسِّعُ من مجالِ اللسانيات السوسيرية وتطوَّرت مع "بنفست"* وتابعيه منطلقاً من ثنائية (لسان-كلام)، ومستندةً إلى المفاهيم التداولية الجديدة في شرح علاقة اللُّغة بالمتكلم²⁰ من حيثُ أن اللفظ هو الصوتُ المُشتمَلُ على بعضِ الحرفِ ومن ثَمَّ تتمثَّلُ علاقةُ اللُّغة بالمتكلم من حيثُ قُدْرَاتِهِ اللغوية وإمكانياته العقلية التي يعبرُ عنها بألفاظٍ وتراكيبٍ وأساليبِ اللُّغة؛ أي يتدخَّلُ التلقُّظُ باعتباره إجراءً للغة بمقتضى فعلٍ فردي في الاستعمال في مصطلح التداولية كمفهوم للممارسة والتفاعل مع الآخر، فالتداولية تنطلق من فكرة جريان الكلام على الألسن، أي من التلفظ ذاته كعملية خاصة بالفرد²¹، و"لذلك عُدَّت الملفوظية تيارًا موازيًا في نشأته للتداولية، إن لم

يكن مندمجا فيها"²²، والمستفاد من كثير من التحاليل وتعريف مصطلح التداولية فإنها تشمل على الملفوظية أو أن الملفوظية جزءاً لا يتجزأ من التداولية.

3- الحجاج: إن أخذ الحجاج في الاعتبار في الدراسات التداولية هي خصيصة للسنوات الثمانين من القرن العشرين²³، و"لأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحجاج ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال المنطقي"²⁴ باعتبارهما وسيلة إقناع للسامع بما يُعرضُ عليه ولهذا فإن الحجاج ركنٌ مُعتَبَرٌ في التداولية، ويمكن التمثيل للحجاج والبرهنة بالمثالين الآتيين:

المثال الأول: كلّ اللغويين علماء.

- زيد لغوي.

- إذن زيد عالمٌ.

المثال الثاني: انخفض ميزان الحرارة.

- إذن سينزل المطر.

فاستنتاج أن زيدا عالمٌ حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما استنتاج احتمال نزول المطر فهو يقوم على معرفة العالم وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، فالأول برهنة والثاني حجاج.

فالحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة²⁵، وهو ما ورد في المعجم الفلسفي باعتبار أن "الحجاج سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة، أو هو طريقة عرض الأدلة وتقديمها"²⁶.

4- التفاعل والسياق: التفاعل "هو أحد قضايا الفلسفة اللغوية الحديثة التي أنشأت التداولية"²⁷، فالذي يميّز السلوك الإنساني عن غيره ليس الحدث فقط بل الحدث الاجتماعي بوجه خاص الذي هو التفاعل، وحدده "فان دايك" بقوله "هو سلسلة من الأحداث يكون فيها عدّة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين"²⁸. ويشمل بحثُ التفاعل قضايا عدّة منها: دراسة القدرة التواصلية، وشروط فعل التواصل، ودراسة السياق والمقام، وغير ذلك²⁹.

وذلك لأن نشاطات الإنسان الفكرية والعملية تختلف عن غيره من الكائنات حيث إنه يُؤثّر في غيره ويتأثّر به ولو اختلف معه في الزمان والمكان، ولهذا يُعتَبَرُ التفاعل والسياق من أهم أسس التداولية.

5- **الوظائف التداولية:** لقد "عُرِفَتِ الوَظَائِفُ التداوِليةُ ضمن المدوِّنة الاصطلاحية للدرس التداولي عمومًا، وهي تعني تحديدُ مكوِّناتِ الجملة" ³⁰ التي ذكرها أحمد المتوكل المكونة من " تراكيبَ نحويةٍ وصيغَ صرفيةٍ وألفاظٍ سليمةٍ، المرتبطة بالمقام أي بمختلف الظروف المقامية التي تُنَجَزُ فيها" ³¹، فهي إذاً "وظائف مرتبطة بالسِّياقِ والمَقَامِ ومَدَى إنجازية اللُّغةِ في واقع التواصُلِ" ³²، فبقدر تمكُّنِ المستعملِ لوسيلة التواصُلِ من استغلالِ مكوِّناتِ الجملةِ وصياغَتِها بأسلوبٍ يُراعي قُدْرَاتِ وظُرُوفِ المستقبِلِ لها بقدرِ ما يُقيِّمُ تحقيقَهُ للوظائفِ التداوِليةِ الحديثة.

من خلال ما سبق ذكره تَتَضَيِّحُ الآنَ أهميةُ التداوِليةِ من حيثُ إنَّها مشروعٌ شاسعٌ في اللسانيات النصيَّة، فهي "تسعى إلى أن تكون مندمجة في اللسانيات لا كتكملة لها، بل كجزء لا يتجزأ منها" ³³، وبقدرِ حُسْنِ استغلالِها يتطوَّرُ استغلالُ اللسانياتِ، بل الأهمُّ من ذلك أنَّ هذا العملَ ينعكسُ على تطوُّرِ المجتمعِ وازدهاره كما "أنَّها تُساهمُ في حلِّ مشاكل التواصُلِ ومعوقاته" ³⁴، وكذلك في "شرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات" ³⁵.

وتأتي أهمية التداوِلية كذلك في كونها "تهتمُّ بمختلف الأسئلة الهامَّة والإشكاليات الجوهرية في النصِّ الأدبي المعاصر، لأنَّها تحاول الإلمامَ بعدد من الأسئلة، من قبيل: من يتكلَّم وإلى من يتكلَّم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلَّم؟ ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ كيف نتكلَّم بشيءٍ ونريد قول شيءٍ آخر؟" ³⁶ أو ما يُعبَّرُ عنه قديمًا بحسن مراعاة المقال المقام أو بعبارة أخرى حسن استعمال الأساليب البلاغية.

على هذا الأساس تعتبر التداوِلية وسيلة أساسية للاتصال بين أفراد المجتمع الواحد، وتشتمل على عدد من المكونات تجعلها تشترك مع البلاغة، كاعتبار مقام السَّامع وحُجَّة الإقناع ومُطابَقة الكلام لمقتضى الحال وغير ذلك.

وبما أنَّ من تعريفات التداوِلية: دراسة اللغة في طور استعمالها أي الكلام، فمن هذا المنظور فإنَّ التداوِلية أو "علمُ الاستعمال اللغوي" ³⁷ أو الكلامُ وُجِدَ بالطَّبع قبل أن تُعرف البلاغة كعلم، سواءً تعلَّق الأمرُ بالمتكلِّم أو الكلام، فما هي البلاغة وماذا يمكن أن نقول عن العناصر التي تدور حولها أو التي تكوِّنها؟ وما علاقتها بالتداوِلية؟

لقد عُنِيَ الباحثون بدراسة اللُّغةِ وُقفاً لاتجاهين رئيسيين: **الاتجاه الشكلي**؛ الذي قَعَدَ العربُ من خلاله لعلمي النحو والصرف، **والاتجاه التواصلي** الذي يدرسُ اللغة من خلال المنجز اللفظي في سياقٍ معيَّن ³⁸، وهذا الأخير هو الذي تندرج ضمنه البلاغة والتي تُعبَّرُ من أهمِّ العلوم المكتملة في الدرس العربي القديم، إذ "تمثَّلَ علمًا للاتصال، يتناول كلَّ ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها، من دون أن تستثني في ذلك شيئًا ممَّا له علاقة بالتواصُلِ" ³⁹.

وإذا كانت التداولية في أبسط تعريف لها، هي دراسة مناحي الكلام أو دراسة اللغة حين الاستعمال، فإنّ البلاغة هي المعرفة باللُّغة أثناء استعمالها إلاّ أنه هناك من الدارسين المحدثين من لم يفرّق بين البلاغة والتداولية فمحمد العمري مثلاً يقول: "وحديثاً، يعاد الاعتبار إلى البلاغة العربية في الدراسات السِّيميائية تحت عنوان جديد هو التداولية"⁴⁰.

مفهوم البلاغة لغةً: إن مصطلح البلاغة عند أهل اللغة له ارتباط "بالدلالة على حسن الكلام مع فصاحته، وأدائه للغاية المرادة منه (القصد)، فهي مأخوذة من قولنا: بلغ الشيء منتهاه وأدرك أقصاه"⁴¹، من خلال هذا المفهوم نجد أنّ "الدلالة العامّة لها هي الانتهاء، والوصول، والبلوغ؛ وهي بهذه الدلالة لا تختلف عن مفهوم الاتصال والإبلاغ، بل إنها تقتضي مفهوم التواصل ذاته"⁴².

مفهوم البلاغة اصطلاحاً: يقول أبو هلال العسكري: "البلاغة كلّ ما تَبَلُّغ به المعنى قلب السامع، فتمكُّنه في نفسه لتمكُّنه في نفسك مع صورة مقبولةٍ ومعرضٍ حسنٍ"⁴³، فهي إذاً "تقوم على مبدأ الاتصال واستخدام اللغة استخداماً سليماً، يضمنُ وصولَ المعاني إلى المخاطَبين كما هي في نفوس المتكلمين؛ بحسب اختلاف أحوالهم ومقاماتهم"⁴⁴؛ حيث يقول عبد القاهر الجرجاني بأنه لا يكفي أن نقول في مزيّة الكلام "إنه خصوصية في كيفية النظم، وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض، حتّى تصفوا تلك الخصوصية وتبيئوها..."⁴⁵، وهذا ما يُفسِّره أبو الهلال العسكري حيثُ يقول: "ينبغي أن تعرف أقدار المعاني فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاماً، ولكلّ حال مقاماً"⁴⁶، فالكلام الذي يُخاطَبُ به الطبقةُ المثقَّفةُ من النَّاس لا يُمكن أن يُخاطَبَ به عامّة النَّاس وسُوقَتُهُم، ويقول ابنُ خلدون في فصل علم البيان: "... فاشتمل هذا العلم المسمّى بالبيان على البحث عن هذه الدلالة التي للهيآت والأحوال والمقامات وجُعِل على ثلاثة أصناف الصنف الأول يُبحثُ فيه عن هذه الهيآت والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مُقتضيات الحال ويُسمّى علم البلاغة..."⁴⁷.

فمما ورد من البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني وأبي هلال العسكري وابن خلدون نجده متمثلاً في قول جلال الدين القزويني باعتبار أن "البلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب"⁴⁸ وذلك باعتباره "عاملاً مشتركاً بين البلاغة والدلالة خاصة في علمي البيان والبديع بشقّيهِ المحسنات اللفظية والمعنوية"⁴⁹ وكثيراً ما يسمّى ذلك فصاحة أيضاً.

الفارق بين البلاغة والفصاحة: الفصاحة هي مصطلح يُطلق على عدّة معانٍ في اللغة، كالبيان والظهور، وحسن النطق، وحسن الأداء، ويقال أفصح الصبيُّ في منطقه: إذا أبان

وظهر كلامه، وأفصح الصبح: إذا أضاء الدنيا، وأفصح الأعجمي: إذا أبان كلامه وأفهمه بعد أن كان لا يحسن الإفصاح⁵⁰.

وبهذه المعاني يصعب التفريق بينها وبين البلاغة حيث يقول جلال الدين القزويني: "للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد فيما بلغني منها ما يصلح لتعريفها به، ولا ما يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما المتكلم"⁵¹، من خلال كلام القزويني نفهم أن البلاغة تكون وصفاً للكلام والمتكلم، ولم يُسمع وصف الكلمة بها، فـ "الفرق بينها وبين الفصاحة هو أنها لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب؛ فإن اللفظة الواحدة لا يُطلق عليها اسم البلاغة، ويطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة، وهو الحسن؛ وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً"⁵².

أركان البلاغة:

بلاغة الكلام: هو "مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه"⁵³، ولا يُطابق الكلام مقتضى الحال إلا إذا كان وفق عقول مخاطبين واعتبار طبقاتهم في الفهم، كما ذكرنا سابقاً أن أسلوب الكلام أمام الطبقة المثقفة لا يصلح أن يُخاطب به عامة الناس وسوقتهم، وعليه، "يجب على البليغ أن يُوظف في كلامه طائفة من الأدوات البلاغية نحو التشبيه وأنواعه والمجاز والكناية والاستعارة بأنواعها كي يكون كلامه (خطابه) بليغاً، في صورة تأسر المتلقي وتؤثر فيه، وبذلك يضمن المتلفظ بالخطاب تلقي سامعه لخطابه على النحو الذي يرمي إليه، وهو لا يتوفر عند كل الناس فيقتصر على طبقة البلغاء منهم فقط"⁵⁴، إذا "فالكلام البليغ هو الذي يُصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال مخاطبين"⁵⁵، وملخص القول أن "الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى، يُسمى "حالاً"، وإلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمى "مقتضى"، والبلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال"⁵⁶.

ولقد أفصح عن ذلك الحطبيُّ حين قال لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

تحنن عليَّ هداك المليك *** فإن لكل مقام مقالاً

بلاغة المتكلم: هي ملكة يقتدر بها على التصرف في فنون الكلام وأغراضه، ببديع القول وساحر البيان، مما يأخذ بألباب السامعين، ويوقفهم على غاية ما يريد بجلاء ووضوح⁵⁷، بمعنى "أن المتكلم يجب أن يبلغ في استعماله الكلام الحد الذي يمكنه من توفية تراكيب الكلام حقها، فيكون فصيحاً"⁵⁸، مما ينبغي تحاشيه "من مخالفة القياس وضعف التأليف والغرابية والتعقيد في اللفظ والمعنى"⁵⁹، وعليه "فمدار بلاغة المتكلم قائم على حسن التأليف، وسلامة الأداء، وإدراك المقاصد، ومطابقة مقالته للمقام"⁶⁰، لذا وجب على

طالب البلاغة معرفة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع، مع سلامة الذوق، وكثرة الاطلاع على كلام العرب، حتى يتمكن إلى قلب السامع وجذبه إلى ما يرمي إليه المتكلم بسهولة ووضوح دون أي تعقيد وهذا ما يُعبّر عنه بمطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ومن هذا المنظور فالبلاغة تقوم على دعائم⁶¹:

- أولها: اختيار اللفظة.
- وثانيها: حسن التركيب وصحته.
- وثالثها: اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين، مع حسن ابتداء وحسن انتهاء.

بين التداولية الحديثة والبلاغة العربية القديمة:

مما سبق ذكره نجد أنّ "المتكلم دورا بارزا سواء في البلاغة العربية أو في اللسانيات التداولية بعدّه مُنتج الخطاب والمتلفظ به، فالمتكلم أساس فهم المعنى وتحديد الدلالات ومقاصدها، لأنّه يرتبط بما ينويه من كلامه وما يروم تحقيقه"⁶²، دون أن ننسى السامع الذي يقوم بدور كبير في العملية التواصلية لأن الهدف الأساس من استعمال الكلام هو إيصال رسالة إلى شخص معيّن أو إلى مجموعة من الأشخاص، ولذلك فإنّ استعمال الكلام يستوجب وجود عنصرين هما المتكلم الذي يؤلّف الرسالة تبعاً لأهوائه ورغباته، والمخاطب الذي يقوم بفك رموز هذه الرسالة لفهمها، فلا بدّ إذاً من أن تكون هناك رسالة يبنيها المتكلم ليتلقاها المستمع الذي قد يكون شخصا حقيقيا أو وهميا متخيلا من قبل المتكلم؛ فهذا التواصل الخارجي لا يقوم إلا بوجود قطبي الحديث (المرسل والمرسل إليه)، بالإضافة إلى وجود رسالة تنتمي إلى نظام مشترك بين طرفي التواصل ليتمكن كل منهما من فهم الآخر وإفهامه⁶³.

فينبغي للمتكلم إذاً "أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاما، حتّى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، ويقسم أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"⁶⁴، يعني أن على المتكلم أن يبني كلامه وفق عقول المخاطبين، أي وفق مقتضى حال السامعين طبقاً للمقولة الشهيرة لكل مقام مقال، فمن هذا المنطلق نجد أن المتكلم والسامع هما رائدا العملية التواصلية ومن خلال هذا الطرف الأخير تُبنى عليه الرسالة أو اللغة المتداولة التي يفهمها الطرفان ويتواصل بها.

وعموما "فإن الغرض الأساس من الكلام هو التعبير عمّا في الفكر ومشاعر النفس وأحاسيسها بألفاظ دالة على ما يريد المتكلم التعبير عنه"⁶⁵.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا المداخلة أقول الحمد لله الذي علّم آدم الأسماء كلّها، فعبر عمّا حوله بلسانٍ مبيّنٍ بلّغ من خلاله الملائكة ما علّمه الله من الأمور المتعلقة بأداء رسالته في الحياة، ومنذ ذلك الحين واللغة تقوم بدور هام في التواصل بين أفراد المجتمعات، وهي في هذا المسار تتطوّر وتتشعب وتتوّع اختصاصاتها، ومن ثمّ ظهر تسابق العلماء في تحديد اللسان ومكوّناته، إلى أن وصلوا إلى تعريفٍ يُعتبَرُ لحدّ الساعة جامعاً مانعاً؛ جامعاً لكلّ التعاريف المبنية على مقاييس معلومة لدى العلماء، مانعاً لكلّ ما لا يتلاءم مع هذه التعاريف ألا وهي التداولية اللسانية الحديثة وما يندرج تحتها من أفعال الكلام وسياقاته وعلاقة ذلك بالمتكلم والسامع ومدى مساهمة البلاغة العربية في هذا المجال كاعتبار مقام السامع وحجّة الإقناع ومطابفة الكلام لمقتضى الحال إلى غير ذلك...

- ¹مصطفى الغلاييني: **جامع الدروس العربية**، تنقيح عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية، بيروت، ط16، 1986، ج1، ص4.
- ²أحمد الهاشمي: **القواعد الأساسية للغة العربية**، دار الكتب العلمية، لبنان، 1354، ص7.
- ³محمد علي عبد الكريم الرديني: **فصول في علم اللغة العام**، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص4.
- ⁴أحمد الهاشمي: **القواعد الأساسية للغة العربية**، ص7.
- ⁵شيتير رحيمة: **تداولية النص الشعري**، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب، إشراف عبد القادر دامخي، جامعة باتنة، 2009، ص63.
- ⁶خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية**، بيت الحكمة، الجزائر، ط2، 2012، ص52.
- ⁷ينظر: مسعود صحراوي: **التداولية عند العلماء العرب**، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005، ص15.
- ⁸إدريس مقبول: **الأسس القواعد الإستمولوجية والتداولية**، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2006، ص262.
- ⁹فيليب بلانشيه: **التداولية من أوستن إلى غوفمان**، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص17.
- ¹⁰ينظر: إدريس مقبول: **الأسس القواعد الإستمولوجية والتداولية**، ص262.
- ¹¹ينظر: باديس لهويل: **التداولية والبلاغة العربية**، مجلة المخبر، بسكرة، العدد السابع، 2011، ص155.
- ¹²بهاء الدين محمّد مزيد: **تبسيط التداولية**، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010، ص18.
- ¹³إدريس مقبول: **الأسس القواعد الإستمولوجية والتداولية**، ص264.
- ¹⁴www.Kenanaonline.Com/usors/mektaba/posts/513901 (تاريخ الاطلاع يوم 2018/02/25)
- ¹⁵مسعود صحراوي: **التداولية عند العلماء العرب**، ص16.
- ¹⁶باديس لهويل: **التداولية والبلاغة العربية**، ص155.
- ¹⁷ينظر: خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية**، ص70.
- ¹⁸العبد جولي: **نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل**، مجلة الأثر، العدد الخاص أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، الجزائر، ص56.
- ¹⁹خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية**، ص70.
- ²⁰ينظر: خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية**، ص70 وما بعدها.
- ²¹ينظر: حمو الحاج ذهبية: **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب**، الأمل، الجزائر، ط2، ص129.
- ²²خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية**، ص71.
- ²³ينظر: صابر حباشة: **التداولية والحجاج**، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط1، 2008، ص16.
- ²⁴أبو بكر العزاوي: **اللغة والحجاج**، العمدة في الطبع، ط1، 2006، ص14-15.
- ²⁵المرجع نفسه، ص15-16.
- ²⁶خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية**، ص71.
- ²⁷المرجع السابق، ص71.
- ²⁸فان دايك: **علم النص؛ مدخل متداخل الاختصاصات**، ترجمة وتحقيق سعيد حسن البحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص128.
- ²⁹ينظر: خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية**، ص71.
- ³⁰المرجع نفسه، ص72.
- ³¹أحمد المتوكل: **الوظائف التداولية في اللغة العربية**، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1985، ص9.
- ³²خليفة بوجادي: **في اللسانيات التداولية**، ص72.
- ³³أن روبول وجاك موشلار: **التداولية علم جديد في التواصل**، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2003، ص47.
- ³⁴باديس لهويل: **التداولية والبلاغة العربية**، ص155.

- ³⁵ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص27.
- ³⁶ فرانسوا أرمينكو: المقارنة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، المغرب، 1986، ص5.
- ³⁷ مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص25.
- ³⁸ ينظر: سليم حمدان: أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في لسانيات الخطاب، إشراف محمد بوعمامة، جامعة باتنة، 2009، ص أ.
- ³⁹ خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص126.
- ⁴⁰ المرجع نفسه، ص126-127.
- ⁴¹ باديس لهويل: التداولية والبلاغة العربية، ص165.
- ⁴² خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص130.
- ⁴³ أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ط2، ص19.
- ⁴⁴ خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص130.
- ⁴⁵ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، لبنان، 1981، ص30.
- ⁴⁶ أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، ص135.
- ⁴⁷ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون المسماة: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، دار الجيل، بيروت، ج1، ص610.
- ⁴⁸ جلال الدين القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ص20.
- ⁴⁹ عبد الواحد حسن الشيخ: العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ط1، 1999، ص10.
- ⁵⁰ محمد التونجي: الجامع في علوم البلاغة، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر، ط1، 2012، ص11.
- ⁵¹ جلال الدين القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص13.
- ⁵² كرم البستاني: المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ج4، ص339.
- ⁵³ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، تحقيق محمد التونجي، مؤسسة المعارف، لبنان، ط2، 2004، ص43.
- ⁵⁴ باديس لهويل: التداولية والبلاغة العربية، ص167.
- ⁵⁵ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص43.
- ⁵⁶ المرجع نفسه، ص45.
- ⁵⁷ محمد طاهر اللادقي: المبسط في علوم البلاغة، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط2، 1963، ص20.
- ⁵⁸ باديس لهويل: التداولية والبلاغة العربية، ص166.
- ⁵⁹ محمد طاهر اللادقي: المبسط في علوم البلاغة، ص20.
- ⁶⁰ خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص131.
- ⁶¹ محمد كريم الكواز: البلاغة والنقد، المصطلح والنشأة والتجديد، الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2006، ص17.
- ⁶² باديس لهويل: التداولية والبلاغة العربية، ص166.
- ⁶³ نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، الأردن، 2009، ط1، ص14.
- ⁶⁴ كرم البستاني: المجاني الحديثة عن مجاني الأب شيخو، ص87.
- ⁶⁵ عبد الرحمان حسن حبتك الميداني: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، 2010، ج1، ط3، ص13.

أسس تحليل الكفاءة التسويقية

في المؤسسة الاقتصادية

د. خويلد عفاف

مخبر الجامعة والمؤسسة الاقتصادية

ودورها في التنمية المحلية المستدامة

جامعة قاصدي مرباح ورقلة _ الجزائر

ملخص:

تعتبر الكفاءة بشكل عام عن العلاقة بين المدخلات والمخرجات، كما تعبر عن زيادة الإنتاجية التسويقية، وتعمل على تخفيض التكاليف التسويقية للمنتج دون المساس بدرجة الجودة والإشباع الذي يحصل عليه المستهلك، بحيث تعتمد الكفاءة التسويقية في تحقيق مكاسبها على تأثير الإدارة الإيجابي في عمليات الإنتاج والتسعير، وعمليات ترويج وتوزيع المنتجات، ويعتمد قياس الكفاءة التسويقية على تحديد مجموعة من المقاييس أو المؤشرات التي يمكن من خلالها الحكم على كفاءة النظام التسويقي، بالتعرف على العوامل المؤثرة عليها وتحديد العوامل المسؤولة عن انحراف النظام التسويقي القائم عن النظام التسويقي الأمثل، ثم وضع برامج تسويقية مناسبة في ظل الظروف والمتغيرات القائمة.

الكلمات المفتاحية: كفاءة، أداء، كفاءة تسويقية، قياس، فعالية.

Abstract: Broadly speaking, efficiency expresses the relationship between inputs and outputs. It also reflects increased marketing productivity and reduces the marketing costs of the product without compromising the quality and satisfaction of the consumer. Marketing efficiency depends on the impact of positive management in production and pricing processes, the measurement of marketing efficiency depends on the identification of a set of measures or indicators by which the efficiency of the marketing system can be judged by identifying the factors influencing it and determining the factors responsible for the deviation System-based catalog for marketing system optimization, and then develop appropriate marketing programs under the circumstances and variables list.

Keywords: efficiency, performance, marketing efficiency, measurement, effectiveness

تمهيد:

أدركت المؤسسات المعاصرة ما ستؤول إليه الأوضاع المستقبلية فسعت جاهدة إلى تطوير أساليب وطرق أداء أعمالها ومحاولة تحديثها باستمرار، كما سعت للبحث عن كل ما هو جديد ومبتكر سواء على الصعيد المحلي أو الدولي، ومحاولة إدخاله من أجل الحفاظ على زبائنها والمتعاملين معها، والبحث عن زبائن جدد ومنافسة المؤسسات المماثلة لضمان

القدرة على النمو والبقاء في السوق، ويسمح تحليل كفاءة أنشطتها التسويقية بضمان ذلك ويوجد العديد من مقاييس التي تسمح للمؤسسات بتحليل وقياس هذه الكفاءة التسويقية، وتجدر الإشارة هنا لضرورة أن تكون هذه المقاييس شاملة بما فيه الكفاية، حيث تعد الكفاءة التسويقية احد أهم المعايير الاقتصادية المستخدمة في قياس أداء التسويق للمؤسسة، وتمثل هدفا لكل من مقدمي الخدمات، المسوقون، المستهلكون والمنتجون والمجتمع عموما، والسؤال الجوهرى في هذه الورقة البحثية يتمثل في: **كيف يمكن تحليل الكفاءة التسويقية في ظل المتغيرات الداخلية والخارجية المنظمة للنشاط التسويقي في المؤسسة؟** فما المقصود بالكفاءة التسويقية، وما هي مؤشرات تحليل الكفاءة التسويقية وهل التسويق الأكثر كفاءة هو الأحسن أداء؟ لذلك سنحاول الإجابة على هذا السؤال من خلال العناصر التالية:

I. مفهوم الكفاءة التسويقية:

يتميز مصطلح الكفاءة التسويقية شأنه شأن اغلب المصطلحات في العلوم الاجتماعية بعدم الاتفاق بين الباحثين، هذا لأنه يتداخل مع مفاهيم أخرى أهمها الفعالية والأداء، وقبل التعرف على الكفاءة التسويقية وجب توضيح مفهوم الكفاءة، حيث عرفها Malo et Mathe أنها: " العلاقة الاقتصادية بين الموارد المتاحة والنتائج المحققة من خلال تعظيم المخرجات على أساس كمية معينة من المدخلات، أو تخفيض الكمية المستخدمة من المدخلات للوصول إلى حجم معين من المخرجات، وبالتالي يفهم من الكفاءة غياب الإسراف في توظيف الموارد المادية والمالية والبشرية المتاحة"¹، بمعنى أن الكفاءة هي عمل الأشياء بطريقة صحيحة، كما يتمثل جوهر الكفاءة في تعظيم الناتج وتدنية التكاليف بمعنى آخر يمكن تمثيل الكفاءة بمعادلة يحتوي احد طرفيها على بلوغ أقصى ناتج بتكاليف محدودة ومعينة بينما يحتوي الطرف الأخر على بلوغ الحد المقرر من الناتج بأقل تكلفة²، يمكن القول أن عملية الإنتاج تعتبر غير كفاءة لو تطلبت استعمال كمية اكبر من المدخلات مقارنة بكمية اقل للمدخلات لإنتاج نفس الكمية من الناتج، وهنا ينبغي الإشارة إلى أن الكفاءة في المؤسسة تتأثر بحجم مدخلاتها بالإضافة إلى عوامل أخرى أهمها المحيط، جودة تسييرها وتنظيمها(...)³.

وتعرف الكفاءة التسويقية بأنها : "تنظيم النسبة بين المدخلات والمخرجات"⁴، حيث تمثل المخرجات الإشباع أو الرضا المتحقق للمستهلك من السلع والخدمات التي دفع لاقتناها، صورة المؤسسة، القيمة المدركة، الحصة السوقية، المركز التنافسي، درجة الرضا والولاء... ، أما المدخلات تمثل في الاستثمارات التسويقية المخصصة للوصول لتلك المخرجات، وينظر إليها على أنها تكاليف العوامل والعناصر المختلفة الداخلة في مختلف الأنشطة التسويقية من عمل ورأس مال وتنظيم، تكاليف البيع الشراء، تكاليف البيع والتطوير...، مما سبق نستنتج أن الكفاءة التسويقية تشير إلى العلاقة بين الموارد والنتائج من خلال احتساب نسبة المدخلات إلى المخرجات المستخدمة في تحقيق الأهداف مع ضرورة موازنة البرنامج التسويقي مع الهياكل التسويقية بالمؤسسة، وتعكس هذه النسبة مدى نجاح

المؤسسة وقدرتها على تحقيق أهدافها، وتشمل المدخلات كل من الموارد المالية والبشرية والمعلوماتية والأنشطة والإجراءات التي تعتمد عليها المؤسسة لتحقيق أعلى أداء تسويقي لها، فيمكن الاعتماد على التكاليف، فقد تترجم الكفاءة بتحقيق أعلى منفعة مقابل اقل تكاليف ويزداد مستوى الكفاءة بتخفيض التكاليف شرط عدم المساس بجودة المخرجات، ويمكن زيادة الكفاءة عن طريق أي بديل من البدائل التالية⁵:

- زيادة كمية المخرجات مع بقاء كمية المدخلات ثابتة؛
- زيادة كمية المخرجات بنسبة أعلى من نسبة زيادة كمية المدخلات؛
- انخفاض كمية المدخلات مع بقاء كمية المخرجات ثابتة؛
- انخفاض كمية المدخلات بنسبة أعلى من نسبة انخفاض كمية المخرجات.

II. قياس الكفاءة التسويقية:

يتم التركيز هنا على أنشطة المؤسسة التسويقية الداخلية التي تميزها عن غيرها من المؤسسات المنافسة وتحسب كما يلي: الإنتاجية الكلية = إيرادات النشاط / مصروفات النشاط، يمدنا هذا البعد بالعديد من الأدوات التي تمكننا من الحكم على مدى كفاءة الأداء في الجوانب التسويقية المختلفة حيث تعبر عن النسبة بين قيمة المخرجات إلى قيمة المدخلات، فإذا أمكن تحقيق قدر ثابت من قيمة المخرجات بتكاليف أقل، فإن هذا يعني زيادة في العائد الصافي للنشاط التسويقي، إذ تضمن المنافسة أن يستفيد المستهلك بجزء من التكاليف التسويقية المخفضة في صورة أسعار أقل، كما تستفيد المؤسسة بجزء من التكاليف التسويقية المخفضة في صورة أسعار أعلى لمنتجاتها، كما تعكس درجة التقدم التقني كفاءة النشاط التسويقي، فالتقنية الحديثة تسمح بتحسين الكفاءة العملية للتسويق، فمن المعروف أن الكفاءة العملية ترتفع لخدمة تسويقية معينة عند تخفيض تكلفة أداء تلك الخدمة التسويقية (مع بقاء نوعية مخرجاتها ووقت الإنجاز ثابت)، وتتحصر في تقليل تكاليف أداء العمليات التسويقية وتحسن الكفاءة العملية للنظام التسويقي حينما يحدث اكتشاف أساليب جديدة تقلل من العمالة اللازمة للنقل والتخزين، تتضمن قياس الكفاءة التسويقية العملية من خلال مقارنة المخرجات " السلع والخدمات" بالمدخلات " الموارد المستخدمة" خلال مدة زمنية معينة و تشمل مجموعة المقاييس الكلية للكفاءة مثل (الريح الصافي قياسا بمجموع الموجودات أو حق الملكية)، المقاييس الجزئية للكفاءة مثل (المبيعات المحققة قياسا بعدد العاملين في قسم المبيعات)، المقاييس النوعية للكفاءة⁶ مثل (الارتفاع بمستوى جودة المنتج باستخدام الموارد ذاتها)، وتتمثل مجالات تحقيق الكفاءة التسويقية فيما يلي:

1. كفاءة المنتج: يعد المنتج العنصر الحاسم بين عناصر المزيج التسويقي إذ تعتمد عليه عناصر المزيج التسويقي الأخرى (السعر والترويج والتوزيع) وبما أن نجاح المنتج يعتمد على الزبون لذا فان على المؤسسة أن تسعى إلى تصميم المنتجات التي تضمن تحقيق رغبات ومتطلبات الزبائن، وترتبط كفاءة المنتج بالعديد من الاعتبارات التي يقوم

بتقييمها الزبون والمفاضلة بينها كالجودة العالية وملائمة السعر لقدراته الشرائية والمكانة الذهنية للمنتج، حجم المنفعة المتحققة، سهولة الاستخدام، إن الاهتمام بهذه الحلقة الرئيسية (المنتج) من قبل المنتج أو البائع ستساهم بلا شك في زيادة مكانة وموقع المؤسسة في السوق وزيادة مستوى أرباحها، حيث يساهم المنتج إلى حد كبير في خلق حالة تطور اجتماعي لدى الأفراد، ويتم قياس كفاءة المنتج باحتساب العلاقة بين مدخلات الإنتاج ومخرجاته.

2. الكفاءة السعرية: يعد التسعير أصعب القرارات التسويقية التي تتخذها المؤسسة نظراً لارتباطه المباشر بالمنتج والمستهلك لذلك يعتبر السعر مولد للإيرادات والأرباح حيث يعد عاملاً فاعلاً في تغطية التكاليف المترتبة على قيام المؤسسة بالأنشطة المختلفة لتحقيق إجمالي العائد وبالتالي احتساب الأرباح المتحققة، ويعد أكثر عناصر المزيج التسويقي مرونة واستجابة للتغير تبعاً لأي طارئ في البيئة المحيطة بالمؤسسة، وتتحقق الكفاءة السعرية باستخدام العلاقة بين عمليات البيع والشراء؛ لأنها تهتم بتحسين فعالية النواحي الشرائية والبيعية والتسعيرية للعملية التسويقية حتى تظل مرآة تعكس رغبات المستهلكين، يجب التنويه إلى أن تحليل الكفاءة السعرية التي ينجزها أي نظام تسويقي يحتاج إلى قدر من التنسيق بين مختلف المراحل فلا يمكن أن يكون مستوى الكفاءة السعرية عالياً إلا إذا كان مستوى التنسيق بين مختلف المراحل عالياً أيضاً، فمن الممكن وتحت ظروف معينة أن يؤدي رفع الكفاءة العملية لمؤسسة معينة من خلال أحد المخترعات التقنية إلى توسعها على حساب غيرها من المؤسسات، وقد ينعكس ذلك في تقليل عدد المؤسسات في هذا النشاط، ومن ثم تقليل فرص الاختيار أمام المستهلك وهذا بالطبع يؤدي إلى تقليل الكفاءة السعرية.

3. كفاءة التوزيع: يضم التوزيع جميع النشاطات التي تتخذها المؤسسة والمتعلقة بإيصال المنتجات إلى المستهلك لغرض إشباع حاجاته ورغباته من خلال منافذ التوزيع المختلفة، إن إتباع المؤسسة لسياسة توزيع معينة لا يعني الاحتفاظ بها لمدة طويلة فالمؤسسة تعمل في بيئة تسويقية تتسم بالتغير المستمر كتغير ظروف السوق، المنافسة، التطور التكنولوجي وكذا طرق وأساليب التوزيع، وفي ظل هذه التغيرات يجب على إدارة المؤسسة تقييم سياسة التوزيع من خلال تقييم فعالية قنوات التوزيع من جهة، وتقييم أداء القوى البيعية من جهة أخرى، ويتحقق باستخدام معدل تكلفة التوزيع والنقل للوحدة الواحدة وعدد الموزعين وحجم الطلبات؛ ويجري في الغالب تقييم كفاءة قنوات التوزيع بإتباع جملة من الخطوات الموضحة كما يلي :

• **الخطوة الأولى:** تبدأ بتقدير وتحديد حاجات ورغبات السوق المستهدف وتتطلب عملية التقدير القيام بأبحاث ودراسات حديثة ومستمرة نظراً للتغير المستمر في أذواق المستهلكين؛

● **الخطوة الثانية:** تحديد القنوات التي تكون مسؤولة عن تلبية حاجيات ورغبات السوق المستهدف؛

● **الخطوة الثالثة:** تلبية حاجات ورغبات السوق المستهدف من قبل كل قناة وتتطلب هذه الخطوة بشكل خاص القيام بدراسات بحوث التسويق من اجل تحديد ومعرفة كيف تنجز كل قناة الخدمات الموكلة إليها؛

● **الخطوة الرابعة:** اتخاذ الإجراءات التصحيحية كلما دعت الضرورة لذلك للتأكد من أن الخدمة التسويقية المطلوبة قد تم إيصالها إلى السوق المستهدف بشكل ملائم؛

● **الخطوة الخامسة:** تعزيز القناة بناء على التحسينات أو التعديلات التي تم إحداثها في القناة.

4. كفاءة الترويج: يعتبر الترويج أهم الأنشطة التسويقية التي تساعد على ترسيخ الصورة الذهنية لمنتجات المؤسسة عند الزبون، وله دور فاعل في تعزيز علاقة الزبون وولائه لمنتجات المؤسسة، ويمكن قياس كفاءة الترويج من خلال معرفة النسب المئوية لكمية المبيعات وتكاليف ترويج المبيعات، ويتم حساب كفاءة كادر المبيعات باحتساب عدد الزيارات، وقت الزيارة، الإيرادات المحققة، عدد الزبائن الجدد والمفقودين.

إضافة للمجالات السابقة توجد مجموعة مؤشرات لقياس الكفاءة التسويقية يمكن الاعتماد على بعض المؤشرات تمثل أهمها في⁷:

● **القيمة المضافة للتسويق :** والتي يمكن أن تقاس بالفرق بين الأسعار التي يتسلمها المنتج الأول والأسعار التي يدفعها المستهلك النهائي، أو بصورة عامة لهامش سعري الذي يغطي العمليات موضع التحليل، وبهذه الطريقة يمكن تكوين مجموعة من الأرقام الجزئية للكفاءة في صورة المخرجات لكل ساعة/رجل عمل أو لكل وحدة من الموارد الأخرى، ويمكن المقارنة أيضاً بين تسويق سلعتين مختلفتين.

● **معدل التكاليف التسويقية للتكاليف الكلية:** تحاول بعض الدراسات قياس كفاءة النظام التسويقي من خلال مقارنات تعكس النسبة بين جملة التكاليف التسويقية، والتكاليف الكلية (الإنتاجية والتسويقية) للمحصول المسوق باستخدام المقياس التالي:

الكفاءة التسويقية = 100 - (جملة التكاليف التسويقية/ التكاليف الكلية (التسويقية والإنتاجية) للسلعة المسوقة) × 100

● **التركيب الاقتصادي للسوق:** يتحدد التركيب الاقتصادي للسوق في ضوء ما قد يتمتع به المتعاملون فيه من قدرة على التحكم في الكميات أو الأسعار، فإذا كان هذا التحكم معدوماً سادت حالة المنافسة الكاملة، وإذا كان هذا التحكم غير محدود أو لا نهائي ساد ما يعرف بحالة الاحتكار المطلق، وتوجد في الحياة العملية بعض الحالات الأخرى الشبيهة بحالة الاحتكار المطلق، أي أن الأوضاع الموجودة فعلاً

في الحياة العملية هي درجات متفاوتة من المنافسة الاحتكارية التي تقترب أحياناً من حالة الاحتكار المطلق، وتقترب أحياناً أخرى من حالة المنافسة الكاملة.

● مقارنة النظام التسويقي في أوقات مختلفة: يمكن إجراء المقارنة لنظام

تسويقي واحد ولكن في أوقات مختلفة، وهنا يجب اختيار الأوزان السعرية المناسبة، إلا أنه في حالة المقارنة عبر الوقت فإنّ التغيرات في نوعية السلع وأنواع المستهلكين يمكن أن تقلل من دقة استخدام الكميات لقياس المخرجات، وتكون المقارنة أكثر صحة في الفترات القصيرة من الزمن والتي لا يحدث فيها تغيرات جوهرية في معاملة السلعة وبالرغم من ذلك فإنّ السلاسل الزمنية يمكن أن تعطي مؤشرات موجبة لاتجاهات الكفاءة التسويقية لكثير من السلع بدرجة من الدقة، وقد لوحظ تفاوت كفاءة النظام التسويقي وفقاً للمقاييس المختلفة مع الزمن.

قد تواجه المؤسسة بعض المعوقات في تحقيق الكفاءة التسويقية أو القياس الأمثل لها وذلك للأسباب الآتية:

● عدم دقة البيانات المتعلقة بالمدخلات و المخرجات بالمقارنة مع متطلبات تحقيق سبل القياس المطلوبة للكفاءة.

● عدم دقة المقارنات التي تعد محور قياس الكفاءة، و كذلك صعوبة إجرائها بين الوحدات و الأقسام المختلفة للمنظمة.

وقد تعجز مثل هذه المؤشرات عن توفير المقاييس الدقيقة خصوصاً في بعض الأنشطة الخدمية التي يتعذر فيها استخدام مثل هذه المقاييس، لذلك وجب تحقيق التكامل بين مقاييس الكفاءة التسويقية إضافة إلى قياس الرغبة في العمل، والتعرف على درجات رضا الأفراد العاملين⁸، والروح المعنوية، هذا إضافة إلى دراسة وتحليل إمكانية الاستثمار الرشيد للموارد البشرية والمادية والمالية والمعلومات المتاحة .

III. التكامل بين الكفاءة والفعالية:

يعد مفهوم الفعالية من ابرز المؤشرات المعتمدة لقياس مدى تحقيق المؤسسة لأهدافها المخططة مسبقاً ومدى انسجامها وتكيفها مع البيئة التي تعمل بها من حيث استثمارها للموارد المتاحة وصولاً إلى ما خطط له، فالفعالية تعبر عن الوسائل المختارة في ظل الظروف الموجودة ككل لتحقيق الهدف النهائي، هذا يشير إلى الدرجة التي تستطيع فيها المؤسسة تحقيق أهدافها عبر أنشطة تمارسها، فأشار Alvar إلى الفاعلية على أنها: "قدرة المؤسسة على البقاء والتكيف والنمو بغض النظر عن الأهداف التي تحققها"⁹، يعطي هذا التعريف مفهوماً للفعالية يرتبط بالتكيف البيئي والنمو والبقاء، وهو يعتمد على اعتبار المؤسسة نظاماً مفتوحاً، ينطبق هذا التعريف على المؤسسات التي تعتمد على الأنشطة التسويقية في عملها اليومي بكونها نظاماً مفتوحاً، تسعى لخلق التأثير الإيجابي بالمجتمع وإيصال رسالتها المخطط لها إليه، وطريقة تقييم الفعالية هي إيجاد مقاييس مقننة لتقييم كيف

تم تحقيق الهدف، ومن الضروري عدم إغفال دور الموارد البشرية المدربة التي تعظم فعالية المؤسسة فالاهتمام بإيجاد كوادر بشرية مدربة على تكنولوجيا المعلومات يعظم فعالية المؤسسة¹⁰، والبعد التكنولوجي لا بد أن يقترن بالبعد السلوكي والتنظيمي والاداري لإفراد المؤسسة في آن واحد للحصول على أقصى فعالية¹¹.

فالفعالية هي استغلال الموارد المتاحة في تحقيق الأهداف المسطرة، والمحددة، أي أنها تختص ببلوغ النتائج، بينما **الكفاءة** ترتبط بالوسيلة التي اتبعت في الوصول إلى هذه النتائج، في حين الأداء يرتبط بين الفعالية من ناحية تحقيق الأهداف والكفاءة من حيث الاستخدام الأمثل للموارد الإنتاجية، بمعنى آخر تحقيق الأهداف، من خلال حسن استخدام الموارد والعناصر الإنتاجية المتاحة، ومنه يمكن القول أن الفعالية أوسع نطاق من الإنتاجية والكفاءة، في حين تعتبر الكفاءة، احد العناصر الداخلة فيها¹²، وتعد العلاقة بين الكفاءة والفعالية علاقة ايجابية إلا أنها تتداخل مع بعضها في الواقع العملي نتيجة التأثيرات المتبادلة بينهما داخل المؤسسة، فقد تتحقق الفعالية بدون كفاءة، فمثلا بما أن الفعالية تعني الوصول إلى أهداف فقد تصل المؤسسة لتحقيق أهدافها بتكلفة مرتفعة لعدم الاستخدام الرشيد والعقلاني لمواردها بالتالي نقول أنها بكفاءة منخفضة بالرغم من فاعليتها، وعدم كفاءة المؤسسة يؤثر سلبا على فعاليتها، ويمكن الاستعانة بالفعالية كونها مقياس طويل الأمد، بينما تستخدم الكفاءة بوصفها مقياسا قصير الأمد.

خلاصة:

يتطلب تحسين الكفاءة التسويقية أداء الوظائف التسويقية بشكل جيد، بما يحقق أكبر قيمة مضافة ممكنة للمنتجات نتيجة العمليات التسويقية التي تجرى عليها، وذلك بأقل التكاليف الممكنة، وتتمثل القيمة المضافة للمنتج في قيمة المنافع الزمنية والمكانية والشكلية التي تضاف للسلعة نتيجة أداء العمليات التسويقية المختلفة، ويمكن تحسين الكفاءة التسويقية من خلال معرفة العوامل التي تؤثر عليها، والعمل على معالجة السلبيات التي تؤثر على هذه العوامل، ولا تعنى الكفاءة التسويقية مجرد حصول المؤسسة على الربح وحصول المستهلك على المنتجات بأسعار مقبولة، لكن يجب أن يتم ذلك دون حدوث أضرار بيئية تنعكس على كل من المنتج والمستهلك، فعملية قياس الكفاءة التسويقية عملية دقيقة مستمرة وشاملة تجريها المؤسسة على أنشطتها للتأكد من كون المؤسسة تسيير بالشكل الصحيح الذي يحقق أهدافها المستقبلية ويرفع من مستويات أدائها، ولكي تبقى المؤسسات في سوق العمل وترفع من مستوى أدائها يجب أن تدرج الاعتبارات البيئية في إستراتيجيتها المؤسسة، ويعتبر ذلك أساسا للبقاء في بيئة العمل والقدرة على مواجهة المنافسة.

قائمة المراجع والإحالات:

- ¹ Malo j-l et Math J-C, l'essentiel du contrôle de gestion, Edition d'organisation, 2^{ème} édition, paris, 2000, p 106.
- ² الداوي الشيخ، تحليل الأسس النظرية لمفهوم الأداء، مجلة الباحث، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر: العدد 07، 2010، ص 219.
- ³ الداوي الشيخ، نحو تسيير استراتيجي فعال بالكفاءة لمؤسسات الاسمنت في الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الاقتصادية، تخصص تسيير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير جامعة الجزائر: الجزائر، 1999، ص 04.
- ⁴ عبد الغفار حنفي، أساسيات إدارة منظمات الأعمال، الدار الجامعية، الإسكندرية: 2006، ص 24.
- ⁵ ثابت عبد الرحمان إدريس، كفاءة وجودة الخدمات اللوجيستية، الدار الجامعية، الإسكندرية: 2002، ص 146.
- ⁶ علاء الغرباوي، محمد عبد العظيم، إيمان الشقير، التسويق المعاصر، الدار الجامعية، الإسكندرية: 2007، ص 269.
- ⁷ احمد محمد احمد الفراجي، غسان هاشم ثامر، محمد عبد الكريم منيل، الكفاءة التسويقية لبعض محاصيل الخضر في محافظة بغداد للموسم الزراعي الصيفي 2014، مجلة العلوم الزراعية العراقية، العدد 47 المجلد 03، 2016، ص 840.
- ⁸ خليل محمد محسن الشماع، خيضر كاظم حمود، نظرية المنظمة، دار المسيرة، عمان: 2000، ص 331.
- ⁹ ثامر البكري، الاتصالات التسويقية والترويج، ط01، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان: 2005، ص 330.
- ¹⁰ هدى على محمد على، تكنولوجيا المعلومات وآثارها على فعالية إدارة الأفراد بالمؤسسة مع التطبيق على شركات صناعة الأدوية بجمهورية مصر العربية، أطروحة دكتوراه إدارة الأعمال، أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، القاهرة، 1993: ص 12.
- ¹¹ سهام محمد رمضان، نموذج مقترح لزيادة فعالية المؤسسات، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التجارة، جامعة عين شمس القاهرة، 2002: ص 60.
- ¹² سمير رمزي عطية، قياس فعالية دور المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات وأثرها على بناء صورتها الذهنية، دراسة ميدانية بالتطبيق على شركات المشروبات الغازية بمصر، أطروحة دكتوراه الفلسفة، إدارة الأعمال، كلية التجارة جامعة عين شمس، 2007: ص 10.

الإحالة في التراث العربي

أ/ مصطفى زماش
جامعة محمد خيضر - بسكرة

Abstract :

This article attempts to investigate the phenomenon of anaphoric reference within the framework of linguistic studies of texts. It also seeks to trace it in Arabic literary heritage and find out how this phenomenon manifests itself through pronouns, demonstrative pronouns, and relative pronouns, which could be found in studies conducted by scholars in the course of their explication of Arabic prose poetry, as well as of Quranic texts .

Keywords: reference, linguistic studies of texts, Arabic literary heritage,...

ملخص :

يبحث هذا المقال في ظاهرة الإحالة ضمن الدراسات النصية؛ إذ يسعى إلى تتبع الإحالة في التراث العربي وتحليلاتها فيه، وكيف تناول علماءنا وسائلها من ضمائر وأسماء الإشارة وأسماء الموصول أثناء دراستهم لكلام العرب من شعر ونثر، وللنصوص القرآنية وتفسيرها.
الكلمات المفتاحية: الإحالة؛ الدراسات النصية؛ التراث العربي؛ ...

1- تمهيد:

إن للإحالة معانٍ كثيرة مختلفة بحسب المجال المستعمل فيه، وللتغيب الدلالي ملمس فيه كذلك؛ فالإحالة في استعمالات الأقدمين من "حال، يحول" الفعل المجرد، و"أحال"، "يُحيل" وكذا "استحال"، "يستحيل" الفعلين المزيدين. والفعل "حال" يدلّ على التحول والتبدل في ذاته، ومزيده بهمزة التعديّة "أحال" يدلّ تعدي فعل التحول، وأما "استحال" فهو بمعنى "حال" لا فرق، قال الشافعي (رحمه الله):

وَمَا هِيَ إِلَّا جَيْفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ

عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّنٌ اجْتَدَابُهَا⁽¹⁾

وبهذا المعنى جاء الفعل (أحال) في كلام سيبويه (ت183هـ) في معرض ذكره لأقسام الكلام، وهي: مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح ومحال كذب؛ وذلك في باب "حسن الاستقامة من الكلام والإحالة"⁽²⁾، وأما الإحالة في الدراسات النصية فالمراد بها على وجه الإجمال: إشارة عنصر لغوي إلى عنصر آخر لغوي أو غير لغوي، محدثاً في النص الواقع فيه ترابطاً على المستوى الظاهر له، إذ لها بالغ الأثر في تماسك النصوص من طريق آلياتها المختلفة، التي تتجلى خصوصاً في الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وغيرها.

الإحالة هي علاقة معنوية يستخدمها المتكلم وذلك باستعماله ألفاظاً في نص ما ليشير بها إلى أشياء أو مواقف أو أشخاص أو عبارات أو ألفاظ خارج النص أو داخله سابقة عليها أو لاحقة، وتعطي هذه الألفاظ المحيلة معناها عن طريق قصد المتكلم، وذلك لتحقيق الترابط والاستمرارية في النصوص. وكما عرفها "دي جراندا" بأنها: «العلاقة القائمة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات»⁽³⁾؛ إذ لا يمكن تفسيرها إلا بالرجوع إلى ما تحيل إليه سواء أكان هذا داخل النص أو خارجه، فيوضح دلالاته ومعناه شريطة أن يكون هناك تطابق دلالي بينهما. وهناك نوعين من الإحالة؛ إحالة خارجية (مقامية) تفهم من السياق وإحالة داخلية (مقالية) تكون داخل النص إما سابقة أو لاحقة.

2- الإحالة في الموروث العربي:

إنّ المتتبع للتراث العربي يجد أنّ النحاة القدامى قد تناولوا الإحالة في بعض القضايا النحوية، فقد اهتموا بقضايا الإسناد، والابتداء والفاعلية وغيرها مما يتعلق بالجملة، ونَبهوا على ضرورة وجود التماسك والترابط في النصوص⁽⁴⁾. وكذلك اهتمام المفسرين بالسياق القرآني للسور والنظر إلى أسباب نزولها.

لقد استحوذت دراسة الضمائر العربية على مساحة كبيرة من الدرس النحوي القديم، واستقطبت اهتمام النحويين القدامى، فتجلى ذلك في مباحثهم النحوية، فتكلموا عن الضمير في مصنفاتهم وتحدثوا عن أحكامه ومواضعه ومفسره، فتبلورت هذه المعالجات في إشارتهم إلى مرجعية هذه الضمائر، أهي إلى مذكور في النص صراحة؟ وهل هذا المذكور سابق أم لاحق؟ أم هو غير مذكور في النص وهناك ما يدلّ عليه.

1-2 الإحالة المقالية (الداخلية):

درس العلماء القدامى "الإحالة المقالية" بنوعها القبلية والبعدية، حين تكلموا عن الضمير وعائده، وعن قرائن الرتبة في تحديد عائده على متقدم أم متأخر، واشتروا كذلك في جملة صلة الموصول ضميراً عائداً تفسره جملة الصلة التي ينبغي أن تكون معلومة لدى السامع، وكذلك حديثهم عن ضمير الفصل والشأن.

وفي هذا السياق تحدث "سيبويه" عن العمل الذي تؤديه المعوضات أو الأسماء المبهمة التي تمتلك سمة الإحالة، «ففي قولك: "هذا عبد الله منطلقاً" اسم مبتدأ يبنى عليه ما بعده (عبد الله)، ولم يكن ليكون هذا كلاماً حتى يُبنى عليه أو يُبنى على ما قبله»⁽⁵⁾، وكذلك نجدده يبنّى على

مرجعية الضمير في مثل قولنا: "رجل حسن وجهه"، حيث ذكر أن الهاء هي إضمار الرجل، غير أنّها هنا على مستوى الجملة لا النص. وتحدّث كذلك عن أهمية الضمير الذي يحيل على السابق، في قوله: «[قولك] يومُ الجمعة ألقاك فيه، وأقلُّ يوم لا ألقاك فيه، وأقلُّ يوم لا أصوم فيه، ويومُ الجمعة صمته...، حيث كان المضمّر (الهاء) هو الأول (يوم الجمعة)، ولا يحسن في الكلام أن يجعل الفعل مبنيًا على الاسم (السابق) ولا يذكر علاقة إضمار الأول حتى يخرج من لفظ الأعمال في الأول ومن حال بناء الاسم عليه وتشغله بغير الأول...»⁽⁶⁾.

هذا وقد تحدّث "الفراء" (ت207هـ) عن مرجعية الضمير على امتداد النص، كقوله معلقًا على قوله تعالى: (مَنْ إلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ)⁽⁷⁾: «يقال: إنَّ الهاء التي في (به) كناية عن الهدى»⁽⁸⁾، التي ذكرت في الآية (35) من السورة نفسها، ثم ذكر الضمير الذي يحيل إليها (الهدى) في قوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى)⁽⁹⁾.

إنَّ إرجاع "الفراء" العنصر الإحالي إلى مرجعه المفسر له لم يكن اعتباطيًا، بل استند إلى دلالات الآيات السابقة كلها حتى إذا ما عثر على العنصر الإشاري المطابق في سماته الدلالية للضمير أو العنصر الإحالي فسره به، وهي بذلك إحالة نصية سابقة⁽¹⁰⁾.

ونجد أيضًا "الزمخشري" (ت538هـ) يتكلم عن الموصول ويشترط وجود ضمير عائد تفسره صلة الموصول، حيث يقول: «ما لا بدَّ له في تمامه اسما من جملة ترد فيه من الجمل التي تقع صفات، ومن ضمير فيها يرجع إليه»⁽¹¹⁾، وعليه تكون وظيفة الضمير هنا الإحالة إلى شيء سابق (الإحالة القبلية)، فيحدث الربط بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري عن طريق الإحالة القبلية.

وفصل "ابن يعيش" (ت634هـ) وباقي النحاة في ضمير الفصل وشروطه، وضمير الشأن واختلاف تسميتهما بين البصريين والكوفيين، فالأول ضمير منفصل يقع بين المبتدأ وخبره ويبيّن أنّ الذي بعده خبر ليس بصفة بشرط أن يكون المبتدأ والخبر معرفين أو يقارب ذلك، كقولك: زيد هو المنطلق⁽¹²⁾، وقد وضح ابن عصفور حقيقته بقوله: «والفصل هو وضع الضمائر المنفصلة بين المبتدأ والخبر بشرط أن يكون المبتدأ والخبر معرفتين، أو يكونا مقاربتين للمعرفتين»⁽¹³⁾، والثاني ضمير الشأن؛ إذ يقدمون ضميرا قبل الجملة الاسمية أو الفعلية، فيكون كناية عن تلك الجملة وتكون الجملة خبرا عن ذلك الضمير وتفسيرا له⁽¹⁴⁾، كقوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)⁽¹⁵⁾، وبهذا برزت لنا ظاهرة الإحالة بنوعها القبلية والبعديّة لدى النحاة العرب القدامى عند دراستهم لهذين الضميرين بالتفصيل.

وقد تحدّث "الرضي الأسترابادي" (ت688هـ) عن الضمير وعن عائده وعن قرينة الرتبة في تحديد عائده المتقدم أو المتأخر عنه، حيث يقول عند الكلام عن الضمير في "ضرب غلامه زيد": «(لا بدّ من متقدم يرجع إليه هذا الضمير تقدما لفظيا، أو معنويا وهو راجع إلى زيد وهو متأخر لفظا، فلولا أنّه متقدم عليه من حيث المعنى لم يجز؛ فجعله من باب المتقدم معنى لا لفظا»⁽¹⁶⁾.

وبرزت فكرة الإحالة عند "ابن هشام الأنصاري" (ت761هـ) وذلك من خلال التركيز على أهمية الضمير وأثره في الربط، حيث نجده قد أنتج مادة غنية بشأن ذلك كله تسهم في تحقيق التماسك الشكلي والدلالي بين الجمل. فقد ذكر تحت عنوان "روابط الجملة بما هي خبر

عنه⁽¹⁷⁾ عدة روابط تشتمل على أغلب الروابط التي ذكرها علماء النص المعاصرون، منها الضمير واسم الإشارة والعطف، والتكرار... إلخ، وعدّ الضمير الأصل من بين تلك الروابط لما له من أهمية كبرى في الكلام.

فالجدير بالذكر أنّ "ابن هشام" لم يقف تحليله عند ذكر هذه الأنواع من الروابط، بل نراه يتحدّث عن الإحالة اللاحقة (الإحالة البعدية)، وذلك في «المواضع التي يعود الضمير فيها على متأخر لفظاً ورتبةً»⁽¹⁸⁾.

وتجلت الإحالة المقالية كذلك عند "بدر الدين الزركشي" (ت794هـ) أثناء حديثه عن الضمائر وأقسامها وعن ترابط الآيات والسور وتناسبها في ذلك؛ إذ يرجع صور تناسب الآيات في السورة إلى دور الضمائر وإحالتها إلى ما هو سابق أو لاحق، مركزاً على دور المتلقي في تفسير ذلك، فيبحث عن مرجعية الضمائر طلباً لدلالاتها، وهذا ما يجعله ينسج خيوط النص بإحكام ليخرج مخرجا واحدا منتظما⁽¹⁹⁾.

2-2 الإحالة المقامية (الخارجية):

لم يغفل علماؤنا القدامى القسم الثاني من الإحالة، وهو "الإحالة المقامية"، فقد اعتنوا بالمقام (سياق الحال)، وذلك عند دراستهم للنص القرآني في ضوء العودة إلى السياق المتمثل في أسباب النزول كلما اقتضت الضرورة، ذلك بسبب الغموض الذي يكتنف بعض الآيات لاحتوائها على مرجعها في السياق.

ف نجد "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) تحدّث عن المعنى ومعنى المعنى، فالذي يُوصَل إليه بظاهر اللفظ هو المعنى. نحو: (خرج زيد)، فإذا لم يُوصَل به إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، بل وجد لذلك المعنى دلالة ثانية يُوصَل بها إلى الغرض، كان ذلك معنى المعنى، نحو: (كثير الرماد)، والمقصود من (المعنى) المفهوم من ظاهر اللفظ والذي يُوصَل إليه بغير وساطة وهو (معنى المعنى)؛ أي أن يعقل من اللفظ معنى ثم يفرض ذلك المعنى إلى معنى آخر بدلالة الحال عليه⁽²⁰⁾، وكذلك حديثه عن مواضع الوصل والوصل والإظهار والإضمار والتعريف والتكبير...، حيث فرق بين الإظهار والإضمار بقوله: «الإظهار للقطع والاستئناف ووضع الكلام وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله، والإضمار وضع الكلام وضعاً يحتاج فيه إلى ما قبله»⁽²¹⁾، وبهذا بين لنا الجرجاني دور الإضمار في ربط الكلام ببعضه ببعض داخلياً وخارجياً.

إلى جانب ذلك تحدّث "الفراء" عن (الإحالة المقامية أو الخارجية) في تفسيره قوله تعالى: (وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِنِ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا)⁽²²⁾ قاتلاً: «المقسمون: الكفار، سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالآية التي نزلت في الشعراء: (إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)⁽²³⁾، فسألو رسول الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فأنزل الله تبارك وتعالى قل للذين آمنوا: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)⁽²⁴⁾»⁽²⁵⁾.

فالإحالة هنا للكفار وهي إحالة خارجية، لأنهم لم يُذكروا صراحة، واستند في ذلك إلى المقام الخارجي المتمثل في سبب النزول. وبهذا يكون علماء العربية ممن عكف على النص

القرآني دراسة وتحليلاً سابقين لعلماء النص المعاصرين عندما أكدوا على أثر السياق في تحديد دلالات بعض العناصر الإحالية⁽²⁶⁾.

وكما تكلم "الزمخشري" عن الموصول واشترط النحاة ضميراً عاندا يفسره، فإنه تكلم أيضاً عن الإحالة المقامية التي تستند إلى السياق المقامي؛ حيث يقول في تفسيره لقوله تعالى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»⁽²⁷⁾، «(الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى، (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته وبعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة، (كما يعرفون آبائهم) بحلّاهم وبعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم، وهذا استنشاء لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحّة نبوته»⁽²⁸⁾، فقد قرّر إذن رجوع الضمير (هم) إلى اليهود والنصارى، مع أنّه لم يجر لهم ذكر في النص. فمعرفة مرجعية الضمير (هم) لا يأتى إلاً بوسيط مقامي يؤدي إلى ربط النص بالمقام الخارجي المحيط به⁽²⁹⁾. فكانت هنا إحالة مقامية؛ إذ أحدث الضمير ترابطاً في ذهن المتلقي عن طريق ربطه بالسياق الخارجي للنص.

وكذلك اهتم "الزركشي" في برهانه بالإحالة المقامية، أثناء حديثه عن الضمائر؛ إذ تفهم من السياق النصي للآية وربطها بالمقام الخارجي، كحديثه عن إضمار القرآن في سورة القدر، قال الله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»⁽³⁰⁾، فالضمير يعود على القرآن لأن الإنزال يدل عليه، وقوله تعالى: «فَأَنْزَرْنَاهُ بِه نَقْعًا فَوْسَطُنَ بِه جَمْعًا»⁽³¹⁾ قيل: الضمير لمكان "الإغارة" بدلالة "والعاديات" عليه فهذه الأفعال إنما تكون لمكان. وفي قوله تعالى: «هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ»⁽³²⁾، فإن الضمير راجع إلى الله سبحانه وتعالى، بمعنى في الكتب المنزلة على الأنبياء من قبلكم وفي هذا الكتاب الذي أنزل عليكم وهو القرآن⁽³³⁾.

تلکم هي نماذج مختارة مما يزخر به تراثنا العربي من أمثلة كثيرة في هذا المجال سواء عند النحويين أو البلاغيين أو المفسرين أو غيرهم من العلماء العرب، فلا نجد مصنفًا إلا وتحدث عن الإحالة وذلك في معرض حديثه عن الضمائر ومرجعيتها والاسم والموصول ترابطه مع صلته وغيرها من الأمثلة التي لا يكفي المقام هنا لسردها كلها، فاكثفينا بذكر بعضها بتبع الإحالة والتمثيل لها وفق تسلسل زمني لدى العلماء.

3- خاتمة:

تكشّف مما تقدم اهتمام العلماء العرب القدماء بالإحالة بأشكالها المختلفة، فقد تناولوها من مختلف مستوياتها الداخلية والخارجية، والقبلية والبعديّة، وذلك أثناء دراستهم التحليلية للضمائر ووظائفها النصية وأهميتها الدلالية في ربط جمل النص بعضها ببعض داخله، وتفسيرها من منظور المقام الخارجي حين غياب مرجعية بعض الضمائر في بنية النص، ودرسوا أيضاً الاسم الموصول وصلته وغيرها من الأدوات التي تحقق الإحالة والربط. فهم بذلك كانوا قريبيين في دراستهم هذه من الدراسات النصية المعاصرة.

كما أنّهم لم يقفوا عند الضفاف وحسب، بل غاصوا بعيداً في حل مشكلاتها في الكلام القديم، وهذا ما حسم البرزخ الشاسع بين التنظير والتطبيق، وفسح مجال البصر على منهج علمي عملي تستثمر فيه الكليات والنظريات لحل مستشكلات الإحالات في المنقول من

النصوص ولا سيما القرآن الكريم، الذي حفل بالإحالة واستعملها بمراتبها المتباينة على المعهود من كلام العرب وعلى غير المعهود، فكان هذا أحد وجوه الإعجاز وميدانا رحبا للتفكير والتدبر والتحليل والتعليل، وملحظا من ملاحظ تميز الأسلوب القرآني، ومضمارا واسعا لاستنباط المعاني الغزار التي لايزال يفيض بها كلام الله جلّ شأنه.

◀ الهوامش والإحالات:

- (1) ديوان الإمام الشافعي، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (دط)، (دت)، ص37.
- (2) الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1408هـ-1988م، ج1 ص25.
- (3) النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ-1998م، ص172.
- (4) ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ-2000م، ص130.
- (5) الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1408هـ-1988م، ج2 ص78.
- (6) سيبويه، الكتاب، ج1، ص84-87. وصبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص130-131.
- (7) الأنعام: 46.
- (8) الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ-1984م، ج1، ص335.
- (9) الأنعام: 35.
- (10) ينظر: ميلود نزار، نحو نظرية للإحالة الضميرية، ص10.
- (11) المفصل في علم العربية، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، (دت)، ص142.
- (12) ينظر: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج3، ص109.
- (13) ابن عصفور، شرح الجمل، تحقيق صاحب أبو جناح، بغداد، العراق، (دط)، 1982م، ج2، ص65.

(14) ينظر: شرح المفصل، ج3، ص114.

(15) الإخلاص: 01.

(16) شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م، ج2، ص404.

(17) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (دط)، 1411هـ-1991م، ج2، ص573.

(18) نفسه، ص565 وما بعدها.

(19) ينظر: إبراهيم بشار، الخطاب الشعري من منظور لسانيات النص قصيدة عاشق من فلسطين لمحمود درويش أنموذجا، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2009/2008م، ص43-46. نقلًا عن: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، (دط)، (دت).

(20) ينظر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1428هـ-2008م، ص268-269.

(21) نفسه، ص183.

(22) الأنعام: 109.

(23) الشعراء: 04.

(24) الأنعام: 109.

(25) الفراء، معاني القرآن، ج1، ص349-350.

(26) ينظر: ميلود نزار، نحو نظرية للإحالة الضميرية، ص10.

(27) الأنعام: 20.

(28) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، مطبعة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ-1998م، مج2، ص331.

(29) ينظر: ميلود نزار، نحو نظرية للإحالة الضميرية، ص11.

(30) القدر: 01.

(31) العاديات: 04، 05.

(32) الحج: 78.

(33) ينظر: البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، (دط)، 1427هـ/2006م، 933، 935، 939.

◀ المصادر والمراجع:

● القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، دار العالمية للنشر والتوزيع، ش الأزهر، مصر.

● الأسترباذي (رضي الدين محمد ابن الحسن، ت688هـ)،

1- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط2، 1996م.

● الإمام الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس ت 204 هـ)،

2- الديوان، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (دط)، (دت).

● الجرجاني (عبد القاهر، ت471هـ)،

3- دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1428هـ-2008م.

● دي يوجراند،

4- النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1418هـ-1998م.

● الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت 794هـ)،

5- البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، (دط)، 1427هـ/2006م، 933، 935، 939.

● الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر، ت538هـ)،

6- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، مطبعة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ-1998م.

7- المفصل في علم العربية، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، (دت).

● سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت180هـ)،

8- الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1408هـ-1988م.

● صبحي إبراهيم الفقي،

9- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1431هـ-2000م.

● ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مومن بن علي ت669هـ)،

10- شرح الجمل، تحقيق صاحب أبو جناح، بغداد، العراق، (دط)، 1982م.

● الفراء (أبو زكرياء يحيى بن زياد، ت207هـ)،

11- معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ-1984م.

● ميلود نزار،

12- نحو نظرية للإحالة الضميرية دراسة تأصيلية تداولية، مجلة علوم إنسانية، السنة السابعة، العدد 42، جويلية 2009.

● ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد بن يوسف ت771هـ)،

13- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (دط)، 1411هـ-1991م.

مدى انعكاس أساليب تدريس النشاط الرياضي التربوي
على التعلم الحركي لدى تلاميذ التعليم الثانوي
- دراسة ميدانية بثانويات ولاية بسكرة -

د/ احمد يخلف

جامعة زيان عاشور- الجلفة - الجزائر-

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى معرفة مدى انعكاس أساليب تدريس النشاط الرياضي التربوي على التعلم الحركي لدى التلاميذ في التعليم الثانوي في ظل التعليم ببيداغوجية المقاربة بالكفاءات، و الأساليب التدريسية باختلاف أنواعها حيث تتعدد مهامها حسب و ضعيتها في المنهج التدريسي و كذا وفقا لشخصية المدرس و تجربته المهنية، و عليه ارتائنا ان ندرس هذه الظاهرة حتى نبين التباين في نجاعة الاستعمال لكل أسلوب من خلال انعكاسها على متغير واحد ألا و هو التعلم الحركي. كما نبين مميزات و عيوب كل منها. فعلى هذا قمنا بهذا البحث ببعض ثانويات ولاية بسكرة.

الكلمات المفتاحية: أساليب التدريس ؛ النشاط الرياضي التربوي ؛ التعلم الحركي ؛ المراهقة.

Abstract

The physical sports activity in its new image through the class of physical and sports education inside educational in situation, is com sided of very important field a many the field of education, throwing to Gath with the development of his society. -1

From this print the present study was made about what the styles of teaching reflects in motor learning in the secondary stag in biskra.

مقدمة:

تعمل التربية البدنية والرياضية كباقي المواد الأخرى على تنمية وبلورة شخصية الفرد ، من جميع النواحي الحركية منها والنفسية والاجتماعية ، معتمدة في ذلك على النشاط الحركي الذي يميزها ، والذي يأخذ مداه من الأنشطة البدنية والرياضية ، حيث يلعب هذا الأخير دورا هاما كوسيلة فعالة في تحقيق أهداف التربية الحديثة ، فاعتبر برنامجه امتدادا لدروس التربية الرياضية وان تميز بالمزيد من حرية اختيار الطالب لما يمارسه من أنواع الأنشطة والمهارات ، والمزيد من الوقت لممارسة أنواع النشاط ، وتدريب الطالب على تحمل المسؤوليات المناسبة بالاشتراك في التنظيم والإعداد والإعلام والتحكيم والتسجيل ويمكن اعتبار النشاط الرياضي التربوي ، كدعامة ثقافية واجتماعية ، فهي تمنح المتعلم رصيда صحيا يضمن له توازنا سليما ، وتعايشا منسجما مع المحيط الخارجي ، منبعه سلوكيات فاضلة تمنحه فرصة الاندماج الفعلي في المجتمع.

ونظرا لأن مجتمعنا يسعى إلى التقدم من خلال المؤسسات التربوية كإحدى وسائل التقدم ، فقد أصبحت المدرسة مطالبة أكثر من أي وقت مضى أن تبذل كل جهد ممكن لتربية الإنسان العصري القادر على التفكير السليم البناء ، والمزود بالمعارف والمهارات الأساسية ، والتكيف مع طبيعة عصره وخصائصه ، ويقع العبء الأكبر على عاتق المعلم باعتباره ركيزة نشاط المدرسة والمحرك الأساسي لجهودها ، فلم يعد التدريس مجرد نقل المعرفة ، وإنما يتطلب معرفة أصوله وقواعده ، والعمل على التوظيف الميداني لتلك المعارف فيما يخدم الأهداف العامة للمجتمع ، ولما كانت التربية البدنية والرياضية من أهم العناصر في المنظومة التربوية الوطنية ، فقد حظيت هي الأخرى بنفس الاهتمام من خلال قطعها أشواطاً هامة في مجال التكوين ، وخاصة من الجانب الكمي والدليل على ذلك التزايد المستمر في عدد المتخصصين لتدريس هذه المادة ، إلا أن الجانب الكيفي لم يحظ بنفس العناية ، هذا بالرغم من الكم المعنبر من المعلومات والبحوث التي تركها لنا المهتمون بطرائق التدريس ومناهج التربية البدنية والرياضية ، والتي تسعى جميعها إلى التوصل إلى أساليب تساعد المدرس على إدارة الموقف التعليمي بنجاح ، فبات لازماً على مدرس التربية البدنية والرياضية أن يراجع أساليب تدريسه ، لكي يكون التأثير فعال في المتعلمين ، إذ لم يعد نجاح المدرس مقصوراً على تحقيق طلابه لأهداف المادة الدراسية ، وإنما امتد نجاحه إلى نوعية ما يخرسه في طلابه ، وما ينمي لديهم من سلوكيات وقيم ومبادئ واتجاهات.

1- الإشكالية:

لقد حظيت التربية البدنية والرياضية باهتمام كبير بعد الاستقلال وصدرت مراسيم وأوامر بشأن تنظيمها وتسييرها وإدراجها ضمن البرنامج التربوي الشامل كمادة من المواد المقررة رسمياً في التعليم الثانوي ، حيث هذه الأخيرة تعد مرحلة هامة في حياة الفرد باعتبارها تواكب مرحلة المراهقة التي هي فترة انتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد ، حيث يصاحبها تنظيم جيد في كثير من الأمور وبصفتها مادة تعليمية فإنها تهدف لتعليم النشاطات البدنية والرياضية كقاعدة تربوية.

ولقد أولت الدولة الجزائرية اهتماماً متزايداً بالتربية البدنية والرياضية إلى أنها أدرجت في الكثير من القطاعات ، حيث سخرت الدولة إمكانيات كبيرة في سبيل الوصول بالنشاط الرياضي التربوي في مختلف المؤسسات التربوية إلى المستوى الذي يحقق ذلك النمو المتكامل لجميع التلاميذ كما قامت بالإصلاحات اللازمة لتطوير المناهج الدراسية ، فكونت العديد من الإطارات والأساتذة ليتم الاعتماد عليهم في تحقيق الأهداف التربوية المرجوة.

ومن الأهداف العامة لبرامج التربية البدنية والرياضية هو تعلم وإتقان المهارات الحركية الخاصة بأنشطة المنهج ، حيث أن هذه المهارات يتأسس عليها الوصول لأعلى المستويات الرياضية لأنه مهما بلغ مستوى الصفات البدنية للمتعلم ، ومهما اتصف به من سمات خلقية وإرادية فإنها لن تتحقق النتائج المرجوة ما لم يرتبط ذلك كله بالإتقان للمهارات الحركية الرياضية في نوع النشاط الذي يمارسه المتعلم.

ومن هذا المنطلق نجد أن معرفة المدرس لخطوات التعلم الحركي المتعلقة بأنشطة منهج التربية البدنية والرياضية تعتبر أساساً هاماً وحيوياً للمنهج ، كما أن تعلم المتعلمين بعض

المهارات الحركية ، تعتبر تحقيقا لهدف من أهداف منهج التربية البدنية والرياضية وبرامجه في مرحلة التعليم الثانوي.

والشيء المعروف عن التدريس هو أنه من ضروريات العمل التربوي ، وتعد أساليب التدريس إحدى المحاور الأساسية لعملية التدريس الفعال ، ومع ذلك فإنها تختلف من أستاذ إلى آخر ، لأن لكل أستاذ طريقته الخاصة ومنهجه وأسلوبه في التدريس ، وكما أن لكل مادة تعليمية من المواد التي تعتنى بالفرد عقلا وجسما وطرقا وأساليب للتدريس ، وهذه الأخيرة يكون استخدامها الأمثل يعد ضرورة ملحة لنجاحها ، ومع ذلك لا يوجد أسلوب محدد يمكن تفضيله عما سواه من الأساليب التدريسية على اعتبار أن مسألة تفضيل أسلوب تدريسي على آخر تظل مرهونة بالمدرس نفسه.

ولهذا ارتأينا طرح تساؤلنا على النحو التالي:

هل لأساليب تدريس النشاط الرياضي التربوي انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي؟

ويندرج تحت هذا السؤال تساؤلات جزئية:

✓ هل لأسلوب التدريس بالأمر انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي؟

✓ هل لأسلوب التدريس بالمهام انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي؟

✓ هل للأسلوب التدريبي انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي؟

✓ هل للأسلوب التبادلي انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي؟

2- فرضيات الدراسة :

الفرضية العامة:

- لأساليب التدريس في النشاط الرياضي التربوي انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي

الفرضيات الجزئية:

✓ لأسلوب التدريس بالأمر انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي.

✓ لأسلوب التدريس بالمهام انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي.

✓ للأسلوب التدريبي انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي.

✓ للأسلوب التبادلي انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي.

3- تحديد المفاهيم والمصطلحات:

● **أساليب التدريس:** هو الكيفية التي يتناول بها المعلم طريقة التدريس أثناء قيامه بعملية التدريس. (محسن محمد حمص، نوال إبراهيم شلتوت، 2008، 7)

التعريف الإجرائي: هي مختلف الأنماط التي يستخدمها الأستاذ أثناء حصة التربية البدنية والرياضية.

● **النشاط الرياضي التربوي:** ميدان تجريبي هدفه تكوين المواطن الصالح اللائق من الناحية البدنية والانفعالية والاجتماعية وذلك عن طريق ممارسة ألوان النشاط البدني ، اختيرت من أجل تحقيق هذه الأهداف. كما أنه مجموعة النشاطات البدنية المختارة التي يمارسها الأفراد وفقا لحالة كل واحد منهم. (بن قناب الحاج ، 2009 ، 256)

التعريف الإجرائي: هو نشاط مكيف للحقل التربوي.

● **التعلم الحركي:** تعلم الحركات والمهارات الرياضية والذي يكون مقترنا بمقدرة الفرد واستيعابه ويكون معتمدا على التجارب السابقة، بحيث أنها تعمل على الإسراع في عملية التعلم الحركي ودقتها. (عطا الله أحمد ، 2006 ، 32)

التعريف الإجرائي: هو تغير في الأداء نتيجة تكرار مهارة ما، ولا يمكن الحكم على الفرد بالتعلم ولكن يمكن ذلك من خلال ملاحظة تطور أداءه.

● **المراهقة:**

لغة: من فعل رهق ، بمعنى، "لحق" أو "دنى" والمراهقة من "الرهق" أي: الطفو والزيادة.

والمراهقة تعني: الاقتراب والنمو والنضج والاكتمال. (المنجد في اللغة والإعلام ، 1966 ، 273)

اصطلاحا: المراهقة من الناحية الاصطلاحية هي لفظ وصي يطلق على المرحلة التي يقترب فيها الطفل وهو الفرد الغير ناضج انفعاليا وجسميا وعقليا من مرحلة البلوغ إلى الرشد ثم الرجولة.

و بالمعنى العلمي الصحيح هي المرحلة التي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالرشد واكمال النضج ، فهي بهذا عملية بيولوجية عضوية في بدايتها وظاهرة اجتماعية في نهايتها. (محمد جاسم محمد ، 2004 ، 65)

إجرائيا: هي مرحلة انتقالية من الطفولة إلى الرشد تتميز بنمو ونضج في مختلف النواحي وتعتبر أصعب مرحلة يمر بها الإنسان وهي مرحلة مليئة بالتناقضات.

4- مفهوم التدريس:

4-1. لغة: كلمة التدريس مأخوذة من الفعل درس فيقال: "درس الشيء يدرس درسا ودراسة". ويقال "درست السورة أو الكتاب أي ذلته بكثرة القراءة حتى حفظته". وكلمة التدريس مشتق من الفعل درس، و"درس الكتاب: قام بتدريسه، وتدارس الشيء أي درسه وتعهده بالقراءة و الحفظ"، ومنه الدرس: وهو مقدار من العلم يدرس في وقت ما. (عفاف عثمان عثمان، 2008، 11)

4-2. اصطلاحا: يشير التدريس إلي تنظيم الخبرات التعليمية، فهو وسيلة اتصال تربوي هادف يقوم بها المدرس لتوصيل المعلومات والقيم والمهارات إلي التلاميذ بهدف إحداث تغيير في المتعلم، وتحقيق مخرجات تربوية من خلال الأنشطة والمهام الممارسة بين المدرس والتلاميذ. (زينب علي عمر، غادة جلال عبد الكريم، 2008 ، 114)

ويعرف أيضا: "إن عملية التدريس هي عبارة عن سلسلة من الإجراءات والترتيبات والأفعال المنظمة التي يقوم بها المدرس بدءا بالتخطيط حتى بداية التنفيذ للتدريس ويساهم فيها التلاميذ نظريا وعمليا حتى يمكن أن يتحقق له التعليم". (عصام الدين متولي عبد الله، بدوي عبد العال بدوي، 2006، 15)

ويرى J.BUMER، 1983 بأنه: "مسار التدعيم الذي يؤدي بالمبتدئ إلي القدرة على حل مشكلة ما للتحكم الجيد بالمهمة أو الوصول إلي الهدف المنشود الذي بدون هذه المساعدة يكون أبعد من أساطير تطاعته" (VICENTE LAMOTTE، 2005، 21)

5- مفهوم أساليب التدريس:

أسلوب التدريس هو الحصيلة الناتجة من تفاعل المعلم والمتعلم والمنهاج معا فالحصيلة هذه أو الناتج هذا، لا بد له من طريقة معينة تطبق وتنفذ الأحداث لإحداث التفاعل يطلق عليه "أسلوب التدريس". وهو بهذا المعنى الجزئي الإجرائي من طريقة التدريس التي يعتمدها المعلم لنقل أو إيصال مادته أو خبرات المنهاج إلي المتعلمين. (مصطفى السايح محمد، 2004، 67)

وأسلوب التدريس هو الكيفية التي يتناول بها المعلم طريقة التدريس أثناء قيامه بعملية التدريس، أو هو الأسلوب الذي يتبعه المعلم في تنفيذ طريقة التدريس بصورة تميزه عن غيره من المعلمين الذين يستخدمون نفس الطريقة، ومن ثمة يرتبط بصورة أساسية بالخصائص الشخصية للمعلم. (عفاف عثمان عثمان، 2008، 142)

وقد عرفت الجمعية الأمريكية البريطانية (1989) أسلوب التدريس بأنه: "هو الشكل العام الذي ينشأ عن استخدام مجموعة من الاستراتيجيات التدريسية". (زينب علي عمر، غادة جلال عبد الكريم، 2008، 122)

ويؤكد كثير من الباحثين أنه لا يوجد أسلوب واحد من أساليب التدريس يمكن أن يساهم في التنمية الكاملة للمتعم لذللك فإن المعلم الكفاء هو الذي يستطيع أن يقدم الجديد باستمرار ويعرف الكثير عن مداخل كل أسلوب مما ينتج عنه أن يكون موقف التلميذ إيجابيا لا مستقبلا لكل ما يلقي عليه. (عفاف عثمان عثمان، 2008، 142)

6- تطور أساليب التدريس:

لقد أثر تطور مختلف العلوم نتيجة لجهود الباحثين والعلماء في تطور التدريس، ظهرت نتيجة ذلك أساليب التدريس الحديثة بعدما كان في القديم ينظر إلي المدرس على أنه كل شيء وكان ملتزما بإتباع خطوات مضبوطة مفروضة عليه، يقول عباس أحمد صالح السامرائي: "كان زمان يلتزم فيه المدرس بإتباع أساليب تدريس معينة ولكن لا يصل إلي الأهداف المقصودة، إذا كانت عملية التدريس شكلية لا يمكن للمدرس خلالها أن يبدع في تدريسه، فقاد كان مجبرا على تنفيذ بنود الدرس حسب التسلسل المقترح".

ولقد بقيت عملية التدريس تعاني من عقم كبير مما أدى بالمهتمين بحقل التربية إلي التفكير في بدائل جديدة لسير الدرس، وقد أنتت الأساليب الحديثة التي ولدت ما يشبه بالثورة

على الأساليب القديمة، وبدأ يظهر هذا جليا في القرن العشرين بعد اكتشاف مجموعة أساليب تدريس حديثة أو ما تعرف بالأساليب الحديثة لموسكا موستن وسارة اشورث.

وتقول عفاف عبد الكريم: "لقد ظهرت مجموعة أساليب التدريس سنة 1966 وكان رائدها موسكا موستن، ولقد أطلق عليها اسم (طيف أساليب التدريس) بمعنى أنها سلسلة من أساليب التدريس المرتبطة ببعضها البعض، وقد طبقت هذه الأساليب بتوسع في مجال التربية البدنية والرياضية، ومنذ ذلك الوقت يعمل بها المدرسون بنجاح".

وعملية التدريس هي عملية هادفة تتسم بالحيوية عكس ما كانت عليه سابقا عندما كانت تعتمد على جهد المعلم ودوره المحوري في عملية التعلم، ودور المتعلم السلبي الذي كان يعتمد على الإنصات والتلقي دون أن يبذل جهد في الحصول على ما يريد الوصول إليه، وبالتالي فإننا نلاحظ عدم العناية بالمتعلم بعدم إعطائه الفرصة من أجل إبراز خصائصه كفرد. ولكن مع ظهور مجموعة أساليب التدريس الحديثة تم الاعتناء بهذا الجانب المهم بإعطاء المتعلم الدور الفعال في إبراز طاقته من ثقة بالنفس، وروح المبادرة، والقدرة على الإبداع، وتنمية القدرة على الفهم، وبروز ما يعرف بالاستقلالية في عملية التدريس. (عفا الله أحمد، 2006، 39-43)

7- العوامل التي تحدد اختيار نوع أسلوب التدريس:

تشير دائرة المعارف للبحوث التربوية 1912م إلي أن أسلوب التدريس يرتبط بالنمط الذي يفضله الأستاذ ويرتبط بخصائصه الشخصية، ومن العوامل المحددة لنوع أسلوب التدريس نذكر منها:

- خصائص الأستاذ الشخصية.
- البنية النفسية له بكل جوانبها.
- معرفته بالأساس النظري لطرق وأساليب التدريس المختلفة.
- خبراته السابقة في مجال تخصصه. (عقبة بورغداد، محمد بوتة، 2009، 56)
- طبيعة أهداف الدرس.
- طبيعة محتوى الدرس.
- المرحلة السنوية للتلاميذ.
- الزمن المتاح والإمكانات المتوفرة. (عفاف عثمان عثمان، 2008، 143)

8- أهداف أساليب تدريس التربية البدنية والرياضية:

إن عملية التدريس هي عمل علمي وتربوي يحتاج إلي وعي وإدراك مدرس التربية البدنية والرياضية لأهداف الأسلوب التربوي ويرجع تحقيق هذه الأهداف إلي قدرة المدرس ومدى مساهمته في الأنشطة الحركية لذلك تنوعت أهداف أساليب التدريس في التربية البدنية والرياضية لتتمثل فيما يلي:

- التعرف على أساليب التدريس بصفة عامة وخاصة.
- كيفية نقل المعلومات إلي التلاميذ حتى تؤدي إلي تحقيق الغايات التربوية التي تعمل من أجلها المدرسة.
- استخدام الوسائل العلمية فيما يتصل بتحقيق رغبات وحاجات التلاميذ.

- اختيار أنسب الأساليب لتدريس التربية البدنية والرياضية.
- مساعدة المدرس على فهم أوجه النشاط الحركي الخاصة بتعليم الحركات المختلفة.
- مساعدة المدرس على فهم مراحل النمو المختلفة وخصائص كل مرحلة.
- مساعدة المدرس على تحليل وتفسير السلوك التعليمي للتلاميذ. (إبراهيم محمد المحاسنة، 2006، 60)

9- أنواع أساليب التدريس:

9-1. أساليب التدريس المباشرة: يعرف أسلوب التدريس المباشر بأنه ذلك النوع من أساليب التدريس الذي يتكون من آراء وأفكار المعلم الذاتية (الخاصة) وهو يقوم توجيه عمل التلميذ ونقد سلوكه ، ويعد هذا الأسلوب من الأساليب التي تبرز استخدام المعلم للسلطة داخل الفصل الدراسي.

حيث نجد أن المعلم في هذا الأسلوب يسعى إلي تزويد المتعلمين بالخبرات والمهارات التعليمية التي يرى هو أنها مناسبة ، كما يقوم بتقويم مستويات تحصيلهم وفق الاختبارات محددة يستهدف منها التعرف على مدى تذكرهم للمعلومات التي قدمها لهم. (محسن محمد حمص ، نوال إبراهيم شلتوت ، 2008 ، 8)

9-2. أساليب التدريس غير المباشرة: يعرف أسلوب التدريس غير المباشر بأنه ذلك الأسلوب الذي يتمثل في امتصاص آراء وأفكار المتعلمين مع التشجيع الواضح من قبل المعلم لإشراكهم في العملية التعليمية وكذلك في قبول مشاعرهم.

وفي هذا الأسلوب يسعى المعلم إلي التعرف على آراء ومشكلات المتعلمين ، ويحاول تمثيلها ، ثم يدعوا إلي المشاركة في دراسة هذه الآراء والمشكلات ووضع الحلول المناسبة لها. (عفاف عثمان عثمان ، 2008 ، 143-144)

10- تحليل أساليب التدريس:

10-1 الأسلوب الأمري:

هو ذلك الأسلوب الذي يعرض محتواه الكلي في المادة المعروضة على المتعلم في صورة نهائية مكتملة إلي حد ما ، ويقتصر دور التلميذ على تلقي واستقبال المعارف والمهارات التي تعرض أمامه فقط. (زينب علي عمر ، غادة جلال عبد الكريم ، 2008 ، 122)

حيث يتميز هذا الأسلوب بقيام المعلم باتخاذ جميع القرارات في بنية وتركيب عملية التدريس بمعنى اتخاذ جميع القرارات المتعلقة بمختلف مراحل الدرس (التخطيط ، الأداء والتقويم) وبالتالي فالمعلم هو أحد المصادر الأساسية لتنظيم المعرفة ونقلها إلي التلاميذ ، ويقوم بدور الملقن للمعلومات ، بينما يكون التلميذ مستقبلاً لهذه المعلومات دون مناقشتها أو إبداء رأيه فيها. وبالتالي فالعلاقة بين المعلم والمتعلم في الأسلوب الأمري تبنى على أساس الأدوار المحددة لكل منهما ، فدور المعلم هو وضع الهدف ودور التلميذ هو تطبيق ما يريد وما يخططه المعلم ، بدون أي مناقشة أو سؤال للوصول إلي الأهداف المحددة. (أحمد جميل عايش ، 2008 ، 184)

1-1-10 البنية الأساسية للأسلوب الأمري:

يتخذ المعلم جميع قرارات الإعداد والتنفيذ والتقويم والمتعلم يؤدي فقط ما يطلب منه.
(مصطفى السايح محمد ، 2009 ، 80)

الأسلوب	القرارات	متخذ القرار
الأمر	الإعداد	المعلم
	التنفيذ	المعلم
	التقويم	المعلم

جدول (أ) يمثل البنية الأساسية للأسلوب الأمري

2-1-10 تطبيق الأسلوب الأمري:

خلال حصة التربية البدنية والرياضية بمراحلها الثلاثة تتباين أدوار كل من المعلم والمتعلم وفي هذا الأسلوب تكون الأدوار كمايلي:

- **مرحلة التخطيط:** وهي عملية الإعداد للتفاعل بين المعلم والمتعلم من خلال جملة من القرارات المتخذة من طرف المدرس ، كاختيار الأنشطة الرياضية ، اختيار المهارة ، تحديد الأهداف المراد تحقيقها من الدرس وكذا الزمن المخصص لكل جزء من أجزاء الدرس.
- **مرحلة التنفيذ:** ويتضمن هذا الجزء من الدرس كافة القرارات المتعلقة بتنفيذ وتطبيق المهارات المقصود تدريسها ومن هذه القرارات: مكان تنفيذ المهارة ، ترتيب تطبيق المهارات والظروف الملائمة لبدء تطبيق المهارة ، الوقت الفاصل بين مهارة وأخرى ، وقت بدء وانتهاء تطبيق المهارة وكذا الإيقاع الحركي المناسب للأداء.
- **مرحلة التقويم:** إن القرارات التي يتم اتخاذها في مرحلة ما بعد الدرس تتمثل في إعطاء التغذية الراجعة حول أداء المهارات ، وكذلك حول مستوى أداء التلميذ ودوره في الالتزام بالقرارات التي يتخذها المدرس.(أحمد جميل عايش ، 2008 ، 193 - 194)

3-1-10 خصائص الأسلوب الأمري:

- ✓ الموضوع الدراسي ثابت ويمثل مستوى واحد.
- ✓ يتعلم التلميذ بالاسترجاع المباشر وعن طريق تكرار الأداء.
- ✓ لا يراعي للفروق الفردية.
- ✓ يصل التلميذ بسرعة إلي التقدم في الأداء.

4- 1-10 دور المدرس في الأسلوب الأمري:

- ✓ تحديد الموضوع الدراسي الذي سوف يتم تنفيذه.
- ✓ توصيف النشاط الحركي من خلال الشرح اللفظي ، مستعينا بنموذج سواء من قبل المدرس أو من أحد التلاميذ الممتازين ، يوضح كيفية الأداء وخطوات تدرج المهارة.
- ✓ المدرس مسؤول عن اتخاذ جميع القرارات ، من حيث اختيار الموضوع الدراسي وتنفيذه واتخاذ قرار التقويم.

- ✓ المدرس مسؤول عن الإجراءات التنظيمية المستخدمة ، وتشتمل على ما يجب أن يكون عليه الملعب من إعداد وتنظيم.
- ✓ تقسيم التلاميذ وفقا للأشكال التنظيمية المستخدمة في الدرس.

1-10-5 دور التلميذ في الأسلوب الأمري:

- ✓ يؤدي جميع التلاميذ نفس التمرين في وقت واحد.
- ✓ الاستجابة لنداء المدرس وتعليماته وجميع قراراته.
- ✓ التقيد بالنموذج الذي يعرضه المدرس أو أحد التلاميذ.
- ✓ الالتزام بالوقت الذي يحدده المدرس عند تنفيذ الدرس. (زينب علي عمر ، عادة جلال عبد الكريم ، 2008 ، 125 - 126)

1-10-6 مميزات وعيوب الأسلوب الأمري: (مصطفى السايح محمد ، 2009 ، 81)

العيوب	المميزات
- عدم مراعاة الفروق الفردية.	- يستخدم مع المتعلمين الصغار .
- يجد من مشاركة المتعلمين في صنع القرارات.	- يستخدم مع المبتدئين في تعلم المهارة.
- لا يساهم في إبداع المتعلم في النشاط.	- يستخدم في الأنشطة الصعبة للسيطرة على مسار التعلم.

جدول (ب) يمثل مميزات وعيوب الأسلوب الأمري

1-10-7 درجة الاستقلالية في الأسلوب الأمري تبعا لعملية اتخاذ القرارات من قبل التلميذ:

- من الناحية البدنية: التلميذ لا يتخذ القرار حول تطويره البدني مادام دوره هو الإلتباع والتنفيذ.
- الناحية الاجتماعية: نفس الشيء بالنسبة للناحية الاجتماعية ، فالمعلم لا يترك الفرصة للتداخل والتعاون بين التلاميذ.
- الناحية السلوكية: وهنا يمكن التمييز بين حالتين : فهناك نوع من التلاميذ يحبون التطبيق عن طريق الأوامر ويشعرون بفرح كبير ، وبالتالي فموقعهم في هذه القناة يتجه للحد الأعلى ، أما الصنف الثاني فالعكس تماما فيكون موقعهم في الاتجاه السلبي.
- الناحية الذهنية: العمل الفكري الوحيد في هذا الأسلوب هو التذكر ، ولهذا فإن هناك أمور كثيرة لا يوفرها هذا الأسلوب فيكون موقع التلميذ في الاتجاه الأدنى. (عطا الله أحمد، 2006، 90)

1-10-8 مثال تطبيقي حول الأسلوب الأمري:

يحدد المدرس للتلاميذ مهارة التمريرة الصدرية في كرة السلة ، فيقوم بعمل نموذج لهذه المهارة ، والشرح للنقاط الفنية وطريقة الأداء الصحيحة المصاحبة للنموذج ، ثم يطلب المدرس من التلميذ أداء الحركة ككل، ويطلب منهم أن يكون الأداء الحركي مطابقا لما رأوه من نموذج ، ويترك للتلاميذ فرص التكرار على الأداء المهاري ومتابعته لهم ، مع إصلاح أخطائهم. (محسن محمد حمص ، 1997 ، 92)

10-2 أسلوب التدريس بالمهام:

ويتميز هذا الأسلوب بترك التلاميذ وتحفيزهم على القيام بالتمارين ، هذا ما ينمي الفرديات الخاصة بهم وهذا ما يؤدي أيضا إلى علاقة جيدة بين التلميذ والأستاذ ، وهذا الأسلوب يأخذ بعين الاعتبار وبشكل جيد الاختلاف الفردي لقدرات التلاميذ ، ليس في قدراتهم البدنية فحسب ، بل حتى سرعة استيعابهم للتمرين.

وقد يمر في هذا الأسلوب مراحل دون تدخل أي تدخل من الأستاذ ، حيث حين يتدخل هذا الأخير يكون واضحا ومدققا في تدخلاته وهذا لعدم اكتضاض المعلومات عند التلميذ وقد يكون تدخله من أجل تشجيع المجهودات المبذولة من طرف التلاميذ. وهذا ما يجعل العلاقة بين التلميذ والأستاذ علاقة فردية ويجعل الأستاذ يرتاح من عبئ برمجتها وتنظيمها.

وفي هذا الأسلوب يشعر التلميذ بمسؤولية على عاتقه من خلال جوانب تطبيق التمرين كالآتي:

- ✓ إيقاع التمرين
- ✓ وقت بداية التمرين
- ✓ وقت النهاية
- ✓ ترتيب التمارين
- ✓ وقت العمل و وقت الراحة
- ✓ حجم العمل (عدد التكرار و الشدة الخ) (Maurice pieron ، 1992 ، 64)

10-2-1 تنظيم هذا الأسلوب:

في هذا الأسلوب يبقى الاختيار للتلميذ لتنظيم عمله إما بالأفواج أو بالأجهزة، وهذا ما يخلق نوع من الحرية في التسيير للتلميذ إما من جانب التنظيم أو حجم العمل وهذا العمل ينقسم إلي عدة أنواع:

- ✓ عمل خاص بالفوج كله
- ✓ عمل خاص بالتلاميذ الذين لهم مستوى معين للقيام بتمارين معقدة
- ✓ عمل منقسم إلي مستويات والتلميذ يأخذ المستوى الذي يرى مستواه فيه ، حسب مستواه الشخصي.

والعمل الذي يتطلب استعمال أجهزة معينة يجب على الأستاذ أن يكون في وضع مناسب للملاحظة والاحتياط من الحوادث ، ومن الواجب على الأستاذ أن يلاحظ الصعوبات التي يواجهها التلاميذ ويساعدهم على تجاوزها سواء كانت صعوبات خاصة بكل الفوج أو خاصة ببعض التلاميذ.

ومن واجب الأستاذ أن يتعرف بسرعة على:

- ✓ الأخطاء التنظيمية من طرف التلاميذ.
- ✓ كل منبع خطأ للتلاميذ.
- ✓ الأخطاء الجماعية التي قد تصبح صعبة التصحيح إذا لم تصحح في وقتها.

وعلى الأستاذ أن يشرح التمرين الموالي بين كل تمرين وآخر بشكل مفصل ليسهل من تطبيقه.

وفي نهاية كل تمرين يقوم الأستاذ بإجراء امتحان صغير على ذلك التمرين لتبيين مستوى كل تلميذ وإلى أي فوج يصبح ينتمي في التمرين الموالي الذي يكون أكثر تعقيدا وصعوبة وهكذا دواليك بعد نهاية كل تمرين.

2-2-10 مثال تطبيقي حول أسلوب التدريس بالمهام:

ولإعطاء مثال على تنظيم الحصة في هذا الأسلوب ، نأخذ مثال كرة السلة على تقنية الخطوة المضعفة ورمي الكرة إلى السلة الموضح في الجدول: (99 - 98 ، 1986 ، Henri Lamour)

المستويات	المهام	الهدف العلمي
المستوى 1	القذف إلى السلة بخطوة مضعفة باليمنى	نجاح 8 محاولات من 10
المستوى 2	نفس التمرين	نجاح 6 محاولات من 10
المستوى 3	نفس التمرين	نجاح 4 محاولات من 10

جدول (ج) يوضح مثال تطبيقي حول أسلوب التدريس بالمهام

3-10 الأسلوب التبادلي:

في هذا الأسلوب يتعلم التلاميذ بقدر ما يتحملون من المسؤولية ، والاعتماد على النفس والعمل في مجموعات زوجية ، واستيعاب المعلومات وإيضاحها لزملائهم ، وهكذا بالتبادل حيث تقوى المهارات الاتصالية بين التلاميذ ، وهذا الأسلوب يفيد في تنمية المفاهيم البدنية والاجتماعية والعاطفية في حياة التلميذ ، وهذا يؤدي إلى تكوين علاقة ثلاثية على الشكل التالي: المؤدي المراقب المعلم (محمود عبد الحليم عبد الكريم ، 2006 ، 251)

3-10 1- البنية الأساسية للأسلوب التبادلي:

في هذا الأسلوب يتم تنظيم المتعلمين إلى مجموعات زوجية أو ثلاثية ويخصص لكل عضو في المجموعة دور محدد ، فيعطى الأول دور المؤدي والآخر دور الملاحظ والثالث إن وجد دور المساعد. (مصطفى السايح محمد ، 2009 ، 80)

الأسلوب	القرارات	متخذ القرار
التبادلي	الإعداد	المعلم
	التنفيذ	التلميذ المؤدي
	التقويم	التلميذ الملاحظ

جدول (د) يمثل البنية الأساسية للأسلوب التبادلي

3-10 2- تطبيق الأسلوب التبادلي:

ويمر بالمراحل التالية:

- **مرحلة التخطيط:** يقوم المدرس بتصميم ورقة المعيار أو أي وسيلة ممكنة لكي يستخدمها الملاحظ لتقييم الأداء أثناء تنفيذ الدرس بالإضافة إلي قرارات التخطيط التي تمت في الأسلوب الأمري. (زينب علي عمر ، غادة جلال عبد الكريم ، 2008 ، 134)

- **مرحلة التنفيذ:** وتتم كما يلي:

- ✓ يقوم المعلم بشرح المهارة شرحا وافيا.
- ✓ تقسيم التلاميذ إلي مجموعات زوجية وتوزع عليهم أوراق المعايير.
- ✓ يكون من حق كل مجموعة أن تختار المكان الذي تريد تطبيق المهارات فيه والسرعة اللازمة لأداء كل مهارة، فعلاقة المعلم بالتلميذ في هذا الأسلوب علاقة غير مباشرة، بمعنى له علاقة مباشرة بالتلميذ المشرف وليس بالتلميذ المطبق.

- **مرحلة التقييم:** وهي من اختصاص التلميذ المشرف قبل انتهاء الدرس أما بعد الانتهاء من التطبيق والتبادل فإن المعلم يقوم بعملية تصحيح الأخطاء وإعطاء الملاحظات وجمع أوراق المعايير أو أي وسيلة تعليمية أخرى. (أحمد جميل عايش ، 2008 ، 198 - 199)

3-10-3 خصائص الأسلوب التبادلي:

- ✓ يعمل المتعلم مع الزميل.
- ✓ يمارس المدرس سلوكا جديدا يتطلب عدم التوصيل المباشر للتلميذ.
- ✓ يستفيد المتعلم مباشرة من توجيه الزميل (تغذية راجعة فورية).
- ✓ يتابع المتعلم ورقة العمل (ورقة المعيار) مع الملاحظ من تصميم الدرس.
- ✓ يثق المدرس في التلميذ ليتخذ القرارات الإضافية المنقولة إليه.
- ✓ يمكن التلميذ من أن يتوسع في دوره الإيجابي.
- ✓ تنمية العلاقات الاجتماعية بين الملاحظ والمؤدي.
- ✓ ينشغل التلميذ في علاقة ثنائية باستخدام ورقة المعيار دون تواجد المدرس الدائم.

3-10-4 دور المدرس في أسلوب التعلم التبادلي:

- ✓ إعداد بطاقة العمل التي سوف يستخدمها التلميذ الملاحظ.
- ✓ تحديد الموضوع الدراسي.
- ✓ تحديد الهدف من الدرس.
- ✓ إعداد الملعب وتقسيم التلاميذ ثم توزيع بطاقة العمل على التلميذ الملاحظ.
- ✓ أن يوضح للتلاميذ النقاط الهامة في هذا الأسلوب وكيفية تنفيذه.
- ✓ الإجابة على أي استفسارات توجه له من التلميذ الملاحظ.

3-10-5 دور التلميذ في الأسلوب التبادلي:

- ✓ استلام ورقة العمل الخاصة بالأداء من المدرس.
- ✓ ملاحظة الأداء الحركي للزميل المؤدي.
- ✓ إعطاء التغذية الراجعة لتصحيح الأداء الحركي من خلال البيانات والمعلومات المدونة في ورقة العمل.

- ✓ الاتصال بالمدرس عند الضرورة.
- ✓ يتم تبديل العمل بين التلميذ المؤدي والملاحظ فيصبح التلميذ المؤدي ملاحظا والملاحظ مؤديا. (زينب علي عمر ، غادة جلال عبد الكريم ، 2008 ، 135 - 136)

6-3-10 مميزات وعيوب الأسلوب التبادلي: (مصطفى السايح محمد ، 2009 ، 89)

العيوب	المميزات
- صعوبة السيطرة على تنفيذ الواجب	- يفسح المجال أمام المتعلمين ليتولوا مهام التطبيق.
- يحتاج إلي أجهزة و أدوات كثيرة	- يفسح المجال للتعلم على كيفية إعطاء التغذية الراجعة
	- يساعد على تنمية القيادة الفاعلة.

جدول (هـ) يمثل مميزات وعيوب الأسلوب التبادلي

3-10-7 درجة الاستقلالية في الأسلوب التبادلي تبعا لعملية اتخاذ القرارات من قبل

التلميذ:

- من الناحية البدنية: موقع التلميذ يكون نحو الأعلى.
- من الناحية الاجتماعية: خلق حالة من العلاقات الاجتماعية المتداخلة وبالتالي هذا الأسلوب يحقق درجات قصوى للأهداف الاجتماعية خلال الحصة.
- من الناحية السلوكية: موقع التلميذ يتحرك من الأعلى لأن هناك شعور جيد تجاه الآخرين.
- من الناحية الذهنية: القيام بالمقارنة والتركيز على تنفيذ البيانات وإعطاء التغذية الراجعة تجعل موقع التلميذ يتجه نحو الأعلى. (عطا الله أحمد، 2006، 114 - 115)

3-10-8 مثال تطبيقي حول أسلوب التدريس التبادلي:

الاسم:.....	الأسلوب: التطبيق المتبادل
الزميل:.....	النشاط: جمباز أرضي
القسم:.....	المهارة المستخدمة: ميزان
المستوى:.....	

أمامي

مؤدي رقم (2)	مؤدي رقم (1)		تغذية راجعة للمؤدي	الخطوات الفنية للمهارة
	صحيح	خطأ		
			- حاول فرد رجل الوقوف تماما	1- من وضع الوقوف أماما الذراعان مائلان عاليا.
			- حاول أن تميل للأمام.	2- ميل الجذع للأمام مع المحافظة على تماسك عضلات الجسم.

				3- تقوس الرقبة ودفع الرأس للخلف.
			- ارفع الرجل الخلفية خلفا وعاليا وفردتها تماما.	4- رفع الرجل الخلفية خلفا عاليا مع تقوس الظهر قليلا.
			- رفع الرأس للخلف.	5- فرد رجل الوقوف وعدم لف الحوض.
				أداء ميزان أمامي 4 مرات ثم التبديل مع الزميل الملاحظ.

جدول (و) يمثل نموذج لورقة معيار في الجمباز الأرضي

4-10 الأسلوب التدريبي:

يستخدم هذا الأسلوب بعد الأسلوب الأمري مباشرة ، أي عند الانتهاء من عملية التعلم المهاري للمهارة المحددة ، بمعنى عند محاولة تحسين الأداء الفني للمهارة وإتقانها ، وفي هذا الأسلوب يتم تحويل قرارات التنفيذ من المدرس إلي التلميذ ، بحيث يكون دور المدرس في هذا الأسلوب هو اتخاذ جميع قرارات التخطيط والتقويم ، مع عدم إعطاء أي أوامر للتلميذ ، بحيث تترك له الفرصة ليتعلم كيف يتخذ قرارات التنفيذ. (زينب علي عمر ، عادة جلال عبد الكريم ، 2008 ، 137 - 128)

4-10-1 البنية الأساسية للأسلوب التدريبي:

في هذا الأسلوب يتم نقل القرارات التسع (سيتم ذكرها في دور المدرس في الأسلوب التدريبي) من قرارات التنفيذ إلي المتعلم. (مصطفى السايح محمد ، 2009 ، 82)

الأسلوب	القرارات	متخذ القرار
التدريبي	الإعداد	المعلم
	التنفيذ	المتعلم
	التقويم	المعلم

جدول (ز) يمثل البنية الأساسية للأسلوب التدريبي

4-10-2 تطبيق الأسلوب التدريبي:

- يتجسد هذا الأسلوب من خلال المراحل المختلفة للدرس كما يلي:
- **مرحلة التخطيط:** يتخذ المعلم جميع قرارات مرحلة التخطيط ، كما هو الحال بالنسبة لأسلوب الأمر والاختلاف يكمن في الإلمام بعملية انتقال القرارات التي سوف تتم خلال فترة الدرس ، وكذا اختيار المهارات التي تفضي إلي استخدام هذا الأسلوب.
- **مرحلة التنفيذ:** يصبح التلميذ مسؤولا عن أداء وتنفيذ أي قرار من القرارات الثمانية الخاصة بمرحلة التنفيذ ، والتي حددها موسكا موستن.

- **مرحلة التقييم:** تبقى هذه المرحلة من اختصاص المعلم وتشمل عموماً وتشمل إعطاء التغذية الراجعة لجميع التلاميذ. (أحمد جميل عايش ، 2008 ، 198 – 195 - 196)

10-4-3 خصائص الأسلوب التدريبي:

- ✓ إعطاء وقت كاف للتلميذ ليؤدي عملاً فردياً خاصاً.
- ✓ يضع المدرس ثقته في التلاميذ أثناء التنفيذ.
- ✓ يتحمل التلميذ مسؤولية التنفيذ بأكملها.
- ✓ يمارس التلميذ الاستقلالية في أول درجاتها.
- ✓ تستخدم ورقة العمل.
- ✓ الوقت الكاف للمعلم بحيث يوجه تغذية راجعة لكل تلميذ على حدة وبشكل خاص.

10-4-4 دور المدرس في الأسلوب التدريبي:

- ✓ المدرس مسؤول عن اتخاذ جميع قرارات التخطيط والتقويم.
- ✓ شرح كيفية التنفيذ وتحويل تسع قرارات تنفيذية للتلميذ وهم: (المكان – نظام العمل – وقت البداية – الأوضاع – التوقيت – الانتهاء – الراحة – المظهر – الأسئلة).
- ✓ عرض محتوى المادة والطريقة والوسيلة التعليمية المستخدمة إن وجدت.
- ✓ عدم إعطاء أي أوامر للمتعلم.
- ✓ ملاحظة الأداء وإعطاء التغذية الراجعة الخاصة بتصحيح الأخطاء لكل تلميذ على حدى.
- ✓ الإجابة على أي تساؤلات من قبل التلاميذ.

10-4-5 دور التلميذ في الأسلوب التدريبي:

- ✓ التلميذ مسؤول عن اتخاذ قرارات التنفيذ (القرارات التسعة المحولة من المعلم).
- ✓ التلميذ هو الذي يحدد مكان الأداء وبالتالي يختار المكان القريب من زملاء الذين يميل إليهم.
- ✓ كل تلميذ يعمل بمفرده.
- ✓ إلقاء أسئلة للتوضيح. (زينب علي عمر ، غادة جلال عبد الكريم ، 2008 ، 130 - 131)

10-4-6 مميزات وعيوب الأسلوب التدريبي: (مصطفى السايح محمد ، 2009 ، 84)

المميزات	العيوب
- يمكن استخدامه مع مجموعة كبيرة من المتعلمين.	- عدم السيطرة على الحركات ذات الأداء الدقيق .
- يساعد على إظهار المهارات الفردية.	- يأخذ وقتاً طويلاً من زمن الدرس.
- يمنح زمناً كافياً للمتعلمين للممارسة الفعالة.	- يحتاج إلي أدوات و أجهزة كثيرة
- يعلم المتعلمين كيفية اتخاذ القرارات الصحيحة.	

جدول (ك) يمثل مميزات وعيوب الأسلوب التدريبي

7-4-10 درجة الاستقلالية في الأسلوب التدريبي وفقا لعملية اتخاذ القرارات من قبل

التلميذ:

- من الناحية البدنية: موقع التلميذ يميل نحو الأعلى لأن التلميذ يتدرب بمفرده ويقوم بالتكرار.
- من الناحية الاجتماعية: إن هذا الأسلوب يعطي للتلميذ الحرية في اختيار مكان التنفيذ وبالتالي هذا سوف يؤدي إلي التفاعل الحر بين التلاميذ.
- من الناحية السلوكية: تؤثر الناحية الاجتماعية بصفة ايجابية على الناحية السلوكية وذلك يخلق مشاعر طيبة للتلاميذ ، وبالتالي فموقع التلميذ من هذه الناحية يميل نوعا ما للأعلى.
- من الناحية الذهنية: يشارك التلاميذ في عملية التذكر، تبعا للوصف الصادر من المعلم وبالتالي فهناك تحول قليل جدا إلي الحد الأدنى. (عطا الله أحمد، 2006، 114 - 105)

الاطار التطبيقي:

1- الدراسة الاستطلاعية:

في إطار تحديد موضوع الدراسة تحديدا دقيقا، وسعيا من جماعة البحث للانطلاق في دراسة موضوع ميداني قابل للبحث والتحليل تم صياغة استمارة الدراسة الاستطلاعية وقد تم التحديد النهائي لها يوم 02/05/2010 وبعد ذلك تم توزيعها على عينة عشوائية من 20 أستاذ في التربية البدنية والرياضية في الطور الثانوي من نفس مجتمع الدراسة عبر ثانويات ولاية بسكرة ، وقد تمت الدراسة ما بين (03/05/2010 و 05/05/2010) والهدف من هذه الدراسة هو التعرف على انعكاس أساليب التدريس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي ، وكذلك التأكد من ملائمة تطبيق إجراءات البحث في حدود الإمكانيات المتاحة، والتعرف على أهم الصعوبات المتوقعة مواجهتها عند تطبيق البحث و معرفة الزمن المناسب وأدوات القياس اللازمة لإجراء الدراسة

وبعد عملية استرجاع الاستمارات وجمع البيانات الإحصائية، تم تفرغ وتحليل نتائجها، وقد صممت الاستمارة بحيث تضم 24 عبارة.

2- المنهج المستخدم:

1-2 تعريف المنهج العلمي: يعتبر المنهج العلمي الوسيلة والسند الذي لا يمكن الاستغناء عنه في أي بحث علمي أو عمل ميداني في مختلف العلوم والمجالات فهو عبارة عن "مجموعة القواعد والعمليات الخاصة التي تتيح الحصول على المعرفة السليمة في طريق البحث عن الحقيقة كعلم من العلوم". (محمد عوض بيسيوني ، فيصل ياسين الشاطي ، 1992 ، 206)

2-2 تعريف المنهج الوصفي: نظرا لطبيعة موضوع البحث وسعيا من جماعة البحث إلى إيجاد حل علمي لمشكلة البحث المطروحة في الدراسة فقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي كمنهج مناسب وملائم لموضوع الدراسة الذي يعرف على أنه "أحد أشكال التحليل والتعبير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها كميا عن طريق

جمع بيانات ومعلومات مقننة عن الظاهرة أو المشكلة و تصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة". (سامي محمد ملحم ، 2006 ، 370)

وهو المنهج الذي يسعى إلى " دراسة الوقائع السائدة المرتبطة بظاهرة أو موقف معين أو مجموعة من الأفراد أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة معينة من الأوضاع ". (حسين عبد الحميد رشوان ، 2003 ، 66)

3- المجال المكاني و الزماني:

3-1 المجال المكاني: أجريت الدراسة الميدانية في منطقة بسكرة على أفراد العينة المختارة من أساتذة التربية البدنية والرياضية من مختلف ثانويات الولاية.

3-2 المجال الزماني: لقد كانت الانطلاقة في بحثنا هذا بدراسة الجانب النظري والذي امتد من شهر فيفري إلي منتصف شهر أفريل.

أما الجانب التطبيقي من الدراسة فقد كان في الفترة الزمنية من منتصف شهر أفريل إلي النصف الثاني من شهر ماي.

4-الشروط العلمية للأداة:

4-1 الصدق: بعد قيامنا بتحديد عبارات الاستبيان في ضوء الدراسات النظرية والمصادر والمراجع المتصلة بالبحث مع الاستعانة بمتخصصين في المجال، حاولنا التأكد من صدق الاستمارة ومدى تحقيقها للغرض الذي وضعت من أجله، قمنا بعرض عبارات الاستمارة على مجموعة من أساتذة القسم المتخصصين في مجال التربية البدنية والرياضية، وبناء على ذلك فقد قمنا بإجراء التعديلات في صياغة العبارات وفقا لأراء الأساتذة والأستاذ المشرف، و قمنا أخيرا بضبط عبارات الاستبيان.

5- مجتمع البحث:

إن موضوع الدراسة متعلق بأساليب التدريس ومدى انعكاسها على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي ، وبالتالي فإن مجتمع البحث يمثل جميع أساتذة التربية البدنية والرياضية في الطور الثانوي في ولاية بسكرة والذي يبلغ 71 أستاذا ، حسب المعلومات المتحصل عليها من مديرية التربية لولاية بسكرة.

6- عينة البحث وكيفية اختيارها:

يعتبر اختيار العينة الممثلة للمجتمع المبحوث من أصعب الأمور التي تواجه الباحثين والدارسين ، حيث يمكن تعريف العينة على أنها "المجموعة الجزئية التي يقوم الباحث بتطبيق دراسته عليها وهي تكون ممثلة لخصائص مجتمع الدراسة الكلي ، إذن هذه العينة تتوزع فيها خصائص المجتمع بنفس النسب الواردة في المجتمع". (سلاطنية بلقاسم ، حسان الجيلالي ، 2007 ، 128)

واستعمال العينة في البحوث يسمح بالاقتماد في الجهد والوقت معا ، كما أن هناك حد أدنى في البحوث الوصفية لاختيار العينة وهي 10% من المجتمع الكلي ، واقتصرت على أساتذة مدينة بسكرة ، حي العالية ، شتمة ، سيدي عقبة وطولقة ، نظرا لسهولة الاتصال بالأساتذة وضيق الوقت بالإضافة إلى التأخر في عملية توزيع الاستمارة وقد تزامنت هذه

العملية مع تفرغ الأساتذة لإجراء الامتحانات التقييمية بالنسبة لشهادة البكالوريا وهذا ما أدى إلى اختيار عينة تتضمن 20 أستاذ في التربية البدنية والرياضية في الطور الثانوي لإجراء الدراسة.

7- أدوات الدراسة: لقد اعتمدنا في دراستنا على أداة الاستبيان:

1-7 الاستبيان:

تمتاز هذه الطريقة بكونها تساعد على جمع المعلومات الجديدة المستمدة مباشرة من المصدر والمعلومات التي يتحصل عليها الباحث من خلال المقابلة، والتي لا يمكن أن نجدها في الكتب، إلا أن هذا الأسلوب الخاص بجمع المعلومات يتطلب إجراءات دقيقة منذ البداية ومنها:

- ✓ تحديد الهدف من الاستبيانات.
- ✓ تحديد وتنظيم الوقت المخصص للاستبيان.
- ✓ اختيار العينة التي يتم استجوابها.
- ✓ وضع عدد كاف من الاختيارات لكل سؤال .
- ✓ وجود خلاصة موجزة لأهداف الاستبيان .

و يتجلى الأسلوب المثالي في وجود الباحث بنفسه ليسجل الأجوبة والملاحظات التي تثري البحث .

و بما أن الاستبيان تقنية شائعة الاستعمال، ووسيلة علمية لجمع البيانات والمعلومات مباشرة من مصدرها الأصلي، والأسئلة هي استجابة للمحاور وبالتالي استجابة للفرضيات، فكل سؤال مطروح له علاقة بالفرضيات.

8- المعالجة الإحصائية:

بعد جمع كل الاستثمارات قمنا بتفريغ وفرز الاستبيانات، وتتم هذه العملية بحساب عدد تكرارات الأجوبة الخاصة بكل سؤال وبعدها يتم حساب النسب المئوية بالطريقة الإحصائية التالية:

$$\frac{\text{النسبة المئوية}}{\text{التكرار}} \times 100 = \frac{\text{النسبة المئوية}}{\text{مجموع}}$$

9- عرض وتحليل ومناقشة النتائج

1-9. استنتاج المحور الأول:

من خلال الجدول رقم 12 نلاحظ أن ما نسبته 30% من الأساتذة أي ما يعادل 06 أفراد من مجموع العينة يرون أن أسلوب التدريس بالمهام يسمح لأستاذ التربية البدنية والرياضية بتقييم التلاميذ عند نهاية كل تمرين وذلك بدرجة مهم جدا ، بينما ما نسبته 70% من الأساتذة أي ما يعادل 14 فردا من مجموع العينة يرونه مهم فقط في التعلم الحركي.

الاستنتاج:

من خلال تحليل نتائج الجدول رقم 06 نستنتج أن أسلوب التدريس بالمهام يسمح لأستاذ التربية البدنية والرياضية بتقييم تلاميذه عند نهاية كل تمرين لمعرفة إلي أي مستوى وصلوا إليه.

وهذا ما نجده في الجانب النظري في الفصل الثاني في عنصر "تنظيم هذا الأسلوب" في عبارة "وفي نهاية كل تمرين يقوم الأستاذ بإجراء امتحان صغير على ذلك التمرين لتبيين مستوى التلميذ" في الصفحة (31).

9-2. استنتاج المحور الثاني:

من خلال عرض نتائج المحور الثاني والذي يخدم لنا الفرضية الثانية والتي صيغت بأن لأسلوب التدريس بالمهام أثر على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي، وقد جاءت العبارات من "يساعد التلاميذ على تجاوز الصعوبات في تطبيق التمارين" إلى "أن يقوم بتقييم التلاميذ عند نهاية كل تمرين".

وكان عنوان المحور الثاني أسلوب التدريس بالمهام وأثره على التعلم الحركي.

ومن خلال النتائج المحصل عليها من الجداول نستنتج ما يلي:

- ✓ يتميز هذا الأسلوب بترك التلاميذ يعملون في أفواج، ويقوم الأستاذ بتحفيزهم على التطور أثناء القيام بالتمارين.
- ✓ ملاحظة الصعوبات التي تواجه التلاميذ ومساعدتهم في تخطيها وتشجيعهم على مجهوداتهم المبذولة.
- ✓ تقييم التلاميذ عند نهاية كل تمرين لمعرفة المستوى الذي أصبح ينتمي إليه كل تلميذ.

وعليه نستنتج مدى صحة الفرضية الثانية التي تقول "لأسلوب التدريس بالمهام أثر على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي".

9-3. استنتاج المحور الثالث:

من خلال عرض نتائج المحور الثالث والذي يخدم لنا الفرضية الثالثة والتي صيغت بأن للأسلوب التبادلي أثر على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي، وقد جاءت العبارات من "إعطاء النقاط الهامة لكل تمرين" إلى "ينمي روح المسؤولية عند التلاميذ".

وكان عنوان المحور الثاني الأسلوب التبادلي وأثره على التعلم الحركي.

ومن خلال النتائج المتحصل عليها من الجداول نستنتج ما يلي:

- ✓ يتميز هذا الأسلوب بتقوية المهارات الاتصالية بين التلاميذ والأستاذ وبين التلاميذ أنفسهم.
- ✓ تحميل التلاميذ مسؤولية التنفيذ بأكملها ذلك ما يؤدي إلى تنمية روح المسؤولية لديهم.
- ✓ تنمية روح الملاحظة لدى التلاميذ وذلك من خلال دورهم الأساسي في مرحلة التقويم.

وعليه نستنتج مدى صحة الفرضية الثالثة التي تقول " للأسلوب التبادلي أثر على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي ".

الاستنتاج:

نستنتج من خلال ما سبق أن الإجابة على أي تساؤلات من طرف التلاميذ مهم جدا لأستاذ التربية البدنية والرياضية خلال التعلم الحركي.

وهذا ما نلمسه في الجانب النظري في عنصر " دور المدرس في أسلوب التدريس التدريبي " في عبارة " الإجابة على أي استفسارات توجه له من التلميذ الملاحظ".

4-9. استنتاج المحور الرابع:

من خلال عرض نتائج المحور الرابع والذي يخدم لنا الفرضية الرابعة والتي صيغت بأن للأسلوب التدريبي أثر على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي، وقد جاءت العبارات من " إعطاء المتعلم فترة مناسبة للممارسة " إلى " الإجابة على أي تساؤلات من طرف التلاميذ".

وكان عنوان المحور الرابع الأسلوب التدريبي وأثره على التعلم الحركي.

ومن خلال النتائج المحصل عليها من الجداول نستنتج ما يلي:

✓ الأستاذ مسؤول عن اتخاذ جميع قرارات التخطيط والتقويم، فيما تترك الحرية للتلميذ في اتخاذ قرارات التنفيذ.

✓ إعطاء الوقت الكافي للتلاميذ لممارسة المهارات الحركية، وبذلك تتاح فرص الاعتماد على النفس ومحاولة اكتساب الأداء الفني للمهارة وإتقانها.

✓ التحرك بين التلاميذ لمتابعة الأداء وإعطاء التغذية الراجعة.

وعليه نستنتج مدى صحة الفرضية الرابعة التي تقول " للأسلوب التدريبي أثر على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي ".

الخلاصة:

من خلال ملاحظة وتحليل نتائج الاستبيان يتبين لنا بوضوح انعكاس أساليب تدريس النشاط الرياضي التربوي على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي حيث:

أن للأسلوب التدريسي الأمريكي أثر على التعلم الحركي يعد الأسلوب الأمريكي من بين الأساليب التي تعتمد على جهود الأستاذ وحده الذي يقوم باتخاذ جميع قرارات عملية التدريس ، فأثناء حصة التربية البدنية والرياضية يعطي الأستاذ كل الأوامر ، حيث يقوم المدرس باتخاذ جميع القرارات سواء من تخطيط ، تنفيذ وتقويم ، ويكثر من التصحيحات والأوامر للتطبيق الجيد لأداء المهارات الحركية ، هذا من ناحية الأستاذ أما من ناحية المتعلم فهو يؤدي ما عليه أي يتابع ويطيع وبالتالي فإن للأسلوب الأمريكي أثر على التعلم الحركي.

أن لأسلوب التدريس بالمهام أثر على التعلم الحركي كذلك من بين الأساليب التي يستعملها أستاذ التربية البدنية والرياضية أثناء النشاط الرياضي التربوي والتي تؤثر على التعلم الحركي ، أسلوب التدريس بالمهام هو أسلوب يعتمد على ترك التلاميذ وتحفيزهم وتشجيع مشاركتهم أثناء الحصة على القيام بالتمارين ، والتي تنمي الفرديات الخاصة بهم وهذا ما

يؤدي أيضا إلى علاقة جيدة بين التلميذ والأستاذ وكذلك إلى معرفة الفروق الفردية بين التلاميذ.

أن للأسلوب التدريبي أثر على التعلم الحركي بالإضافة إلى الأساليب التي يستعملها أستاذ التربية البدنية والرياضية أثناء التعلم الحركي الأسلوب التدريبي ، وهذا الأخير يسمح بانتقال جملة من القرارات في مراحل محددة من الدرس إلى التلميذ ، بالإضافة إلى أنه يتحرك بين التلاميذ لمتابعة الأداء وإعطاء التغذية الراجعة ، وبالتالي تنتج إليه "مواقف وعلاقات جديدة بين التلاميذ أنفسهم أو بين التلميذ والأعمال التي يؤديها ، أو بين المعلم والمتعلم".

أن للأسلوب التبادلي أثر على التعلم الحركي بالإضافة إلى الأساليب السابقة هناك أيضا الأسلوب التبادلي الذي يمكن استخدامه بصورة فعالة مع التلاميذ حيث يفتح المجال أمامهم في اخذ القرارات ، ويعتمد الأستاذ في هذا الأسلوب بالتغذية الراجعة بصورة واسعة وبالتالي يكون هناك تأثير مباشر على عملية التعلم وعملية تحقيق أفضل نتائج ، ومن مميزات هذا الأسلوب يؤدي إلى توطيد العلاقات بين التلاميذ والأستاذ وبين التلاميذ أنفسهم ، ويساعد على تحليل الحركة بشكل دقيق وملاحظتها عند المؤدي وبالتالي لهذا الأسلوب أثر على التعلم الحركي.

وأخيرا نستنتج أن لأساليب تدريس النشاط الرياضي التربوي انعكاس على التعلم الحركي لدى تلاميذ الطور الثانوي.

2- التوصيات و الاقتراحات:

إن هذه الدراسة ما هي إلا محاولة بسيطة ومحصورة في إمكانياتنا المتوفرة ، ورغم ذلك أردنا أن نعطي نقطة بداية لبحوث أخرى في هذا المجال بتوسع وتعمق أكثر، والتي نفتقر إليها خاصة باللغة العربية .

وعلى النتائج نتقدم ببعض الاقتراحات إلى كل من يهمه الأمر ، خاصة أساتذة التربية البدنية والرياضية ، والتي نأمل أن تكون بناءا مما تسهل عليهم تجنب العديد من المشاكل التي يجدونها خلال عملهم .

ونستطيع أن نتقدم بالاقتراحات التالية:

✓ يجب على أساتذة التربية البدنية والرياضية اختيار الأسلوب التدريسي المناسب لتحقيق الأهداف المرجوة وهذا الاختيار يكون على أساس الوسائل البيداغوجية المتوفرة ومستوى التلاميذ .

✓ ضرورة استخدام أساليب التدريس في جميع عمليات التعليم المهاري والحركي لما لها من فعالية وتأثير إيجابي على ذلك.

✓ العمل على وضع دليل لمدرسي التربية البدنية والرياضية يكون مرشدا له ويساعده على تنفيذ الأسلوب الأنسب لتحقيق الأهداف المسطرة .

✓ إلزامية تجهيز المؤسسات التعليمية بمتطلبات العمل الرياضي من أدوات وأجهزة ومنشآت ، وضرورة التأكيد على توفير الأجهزة البيداغوجية التي تؤدي إلى تحسين الممارسة الرياضية في المدارس.

✓ قلة الوسائل المستعملة هذا لا يعني أنه لا يحفز التلاميذ على الممارسة.

- ✓ تنظيم المنافسات داخل وخارج المؤسسات (بين الأقسام والمؤسسات) لها أثر إيجابي على التلاميذ.
- ✓ يجب على أساتذة التربية البدنية والرياضية ضرورة تنويع أساليب التدريس بتنوع الأنشطة الرياضية في حصة التربية البدنية والرياضية للحصول على نتائج تعليمية مختلفة.
- ✓ ضرورة الاهتمام أكثر بالتربية البدنية والرياضية لدورها الكبير في بلورة شخصية الفرد ، من جميع النواحي الحركية منها والنفسية والاجتماعية.

المراجع :

- 1 ابن منظور: "لسان العرب"، الجزء الأول، المطبعة الأميرية بولاق، القاهرة، 1300 هـ.
- 2- المنجد في اللغة والإعلام، ط30، دار المشرق، بيروت، 1966.
- 3- إبراهيم محمد المحاسنة: "تعليم التربية البدنية والرياضية"، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2006.
- 4- إبراهيم محمد المحاسنة: "تعليم التربية البدنية والرياضية"، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2006.
- 5- أحمد عطا الله: "أساليب وطرائق التدريس في التربية البدنية والرياضية"، بدون طبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
- 6- أحمد جميل عابش: "أساليب تدريس التربية الفنية والمهنية والرياضية"، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2008.
- 7- بوتة محمد، بورغداد عقبة: "علاقة الفروق الفردية بين التلاميذ باختيار أساليب التدريس في حصة التربية البدنية والرياضية"، قسم التربية البدنية والرياضية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، 2009/2008.
- 8- بن قناب الحاج: "دور النشاط الرياضي التربوي في بعث الحركة الرياضية الوطنية في الجزائر"، مجلة علوم الرياضة، الجزائر، 2009.
- 9- حسن عبد الحميد رشوان: "في مناهج العلوم"، بدون طبعة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003.
- 10- زينب علي عمر، غادة جلال عبد الكريم: "طرق تدري التربية الرياضية"، ط1، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008.
- 11- عصام عبد الخالق: "التدريب الرياضي"، ط2، دار الكتاب الجامعية، 1982.
- 12- عفاف عثمان عثمان: "استراتيجيات التدريس في التربية الرياضية"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008.
- 13- محسن محمد حمص، نوال إبراهيم الشلتوت: "طرق وأساليب التدريس في التربية البدنية والرياضية"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2008.
- 14- محسن محمد حمص: "المرشد في تدريس التربية الرياضية"، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997.
- 15- محمد جاسم محمد: "المدخل إلى علم النفس العام"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2004.
- 16- مصطفى السايح محمد: "أدبيات البحث في تدريس التربية الرياضية"، ط1، دار الوفاء لدنيا النشر والتوزيع، الإسكندرية، 2009.

المراجع الاجنبية:

- 01 - Henri Lamour : "Traite thématique de la pédagogie de l'EPS"، Edition vigot، 1986.
- 02- m. piéron. "Pédagogies des activités physi et du sports"، Edition revue e.p.s، 1992.
- 03 -Vicent Lamotte: "Lexique de l'enseignement de l'eps"، Presse univers de France، 2005.

الأبعاد التربوية للقيم بالأسرة الجزائرية في ظل التغير الاجتماعي -تحليل سوسيولوجي-

د /مهيري دنيلة
جامعة غرداية

ملخص:

تعتبر القيم التربوية عنصرا أساسيا في تشكيل هوية الفرد و ثقافته. تحدّد بذلك السلوك الإنساني، حيث يتمسك الناس بهذه القيم لما تعطيه لوجودهم الإنساني من معنى. إذ لا يستطيع الإنسان العيش دون قيم توجه سلوكه بما يتوافق و القيم التي يقرها مجتمعه الذي ينتمي إليه. التي تركز عليها عملية التفاعل الاجتماعي. لكن التغير الاجتماعي يؤثر على هذه القيم. مما تجده يؤثر على عدة أبعاد للقيم التربوية السائدة بالأسر الجزائرية.
-الكلمات المفتاحية: الأبعاد التربوية ; القيم; الأسرة ; التغير الاجتماعي.

Abstract:

Educational values are fundamental elements that form the identity and culture of an individual. Determines human behavior, People can not live without values that guide their behavior in accordance with the values that their community recognizes, on which social interaction depends. But the social change is affecting for these values. It is affect to different dimensions for the values prevail in Algerian families.

Keywords:

The Educational Dimensions ; The values ; Family ; Social Change.

1-المقدمة:

تعد القيم موروث ثقافي يميز المجتمعات عن بعضها البعض. و يعد من الموضوعات الهامة و الحساسة، لكونه يمس بثقافة المجتمع و حضارته. و الذي بموجبه يمكن فهم المجتمع. مما أعطية له أهمية بالغة في مجال الأبحاث و الدراسات العلمية من بينها العلوم السوسولوجية. إذ اهتم بعض العلماء والباحثين في مختلف التخصصات بدراسة القيم. لارتباطها بشتى مجالات الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الدينية و الأخلاقية. كونها تخص الفرد و الجماعات. لها دور مهم في تحديد السلوك الإنساني. حيث يتمسك الناس بالقيم لأنها تعطي لوجودهم الإنساني معنى. إذ لا يستطيع الإنسان العيش دون قيم توجه سلوكه بما يتوافق و القيم التي يقرها مجتمعه الذي ينتمي إليه. كما تعتبر القيم عنصرا أساسيا في تشكيل هوية الفرد و ثقافته، فهي المثالات العليا للأفراد و المجتمع. تعمل على جعل الفرد يدرك كثيرا من الأمور التي تدور من حوله، بحيث تركز عليها عملية التفاعل الاجتماعي. كما تخضع القيم للتغير الذي يطرأ على الأفراد. و هذا لمواكبة التركيب البنائي الجديد لأي مجتمع. تتضمن القيم عناصر الانتقاء، مما جعلها تختلف من مجتمع لآخر و تختلف عند الشخص الواحد تبعاً لرغباته و احتياجاته و تنشئته. " (1)

تزداد أهمية القيم في عالمنا المعاصر في ظل التقدم العلمي الذي يمس معظم جوانب الحياة الإنسانية و الذي لم يستطيع حل كافة مشكلات حياة الإنسان المعاصر المتعلقة بالمجالات الثقافية و المعرفية بما في ذلك النسق القيمي للفرد. فهذا التغير الحاصل على القيم أدى لإعادة تشكيل الكثير من المعرفة و المفاهيم عن الحياة و تفويض أغلب تصورات الإنسان عن ذاته و عالمه. مما أحدث عدم استقرار في القيم الموروثة و المكتسبة و أحدث بذلك عدم القدرة على الاختيار بين القيم المتصارعة و بين القيم التي يقرها المجتمع و القيم الوافدة من الخارج. كما أن بثها في النشء أمر ضروري، مما يبرز أهمية القيم هو أن الناس يحسون بالالتزام نحو أوضاع معينة و يحاولون الوصول إليها و الإبقاء عليها، و عند التقاء قيم الفرد مع رغباته يختفي الصراع هنا، و تبرز أهمية القيم عند الفرد. مما يتحقق لديه التوازن النفسي و تحقيق تكيفه مع الجماعة و فقدانها يؤدي الى فقدان هذا التوازن، فيصاحبه الخوف و القلق.

و لمعرفة الأسباب التي أحدثت على القيم داخل الأسرة الجزائرية من خلال التغير الاجتماعي الحاصل في المحيط الذي يحتك به هذا المجتمع. خاصة منه فئة الشباب الذي يعد أكثر الفئات تأثراً و استجابة للمؤثرات الخارجية خاصة منها ما تقدمه التقنيات الحديثة و تكنولوجيا المعلومات كوسائط إعلامية جد متطورة (كالفضائيات التلفزيونية و وسائل الإعلام الحديثة) من قيم جديدة تختلف عن القيم المحلية للأسرة الجزائرية. مما تشكل تغير اجتماعي بالأسرة الجزائرية، و التي قد يصعب مقاومتها أو مجابتهها من طرف هذه الأسر، و التي قد تأثر على الأبعاد التربوية للقيم الموروثة بالمجتمع الجزائري، و هي القيم التي تبنتها الأسر الجزائرية و لقتها للأجيال لها بعد تربوي و اجتماعي و أخلاقي لأجل تشكيل و

صنع مجتمع سليم بهدف إحداث التكامل بين مختلف أطيافه و فئاته باختلاف العادات و التقاليد التي يزخر بها هذا المجتمع و هذا للمحافظة على النسق الاجتماعي و توازنه لضمان استمراره. و للمحافظة على الهوية و ثقافة المجتمع الجزائري الذي يعد مجتمع عربي. طرحنا التساؤل التالي:

- كيف هي الأبعاد التربوية للقيم بالأسرة الجزائرية، و ما مدى تأثير هذه القيم في ظل التغيرات الاجتماعية؟

إن الدراسات في العلوم الاجتماعية تهتم بالدراسة و البحث في مفهوم القيم من أجل صياغة مفهوم يساعد من خلاله الى فهم المجتمع. هناك عدة تعاريف لمفهوم القيمة و هي كما يلي:

2-تعريف القيم:

تعرف القيم بأنها "مجموعة العادات والأعراف ومعايير السلوك والمبادئ المرغوبة التي تمثل ثقافة مجموعة من الناس أو جماعة أو فرد، وتعتبر عناصر بنائية مشتقة من التفاعل الاجتماعي وتعبّر عن مكونات أساسية للمجتمع الإنساني، كما أن دراستها تعتبر مهمة للبحث الاجتماعي".⁽²⁾ و هي أيضا "مجموعة من المبادئ التي يتمسك بها المجتمع صراحة أو ضمنا وهي معايير تعمل وفق مبادئ دينامية في التاريخ وتقدم معنى للإنجازات المجتمعية".⁽³⁾

فمفهوم القيمة عند علماء الاجتماع "هي مستوى أو معيار انتقاء من بين بدائل أو إمكانات اجتماعية متاحة أمام الشخص في الموقف الاجتماعي".⁽⁴⁾

3-وظائف القيم:

كما أن للقيم وظيفة هامة إذ تعطي معنى لحياة الناس سواء أفراد أو جماعات، فيسعى الفرد لتحقيق شيء ما يستوجب عليه بذل جهد ما يتناسب مع قيمة ذلك الشيء عنده. فهي مهمة للفرد لأنها تحقق له، مثل تهيئة للأفراد اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم. و بالتالي تلعب دورا مهما في تشكيل الشخصية الفردية. و أنها "تعمل على إصلاح الفرد نفسيا و تربويا و توجهه نحو الخير و الإحسان و الواجب. بالتالي تعطي للفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه، و تمنحه القدرة على التكيف و التوافق الايجابيين".⁽⁵⁾

4- أهمية القيم:

كما أن للقيم أهمية بالنسبة للجماعة فأى تنظيم اجتماعي في حاجة الى نسق القيم الذي يضمن له أهدافه و مثله العليا التي تقوم عليها حياته و نشاطه و علاقاته. فالاختلاف القائم حول هذه القيم بين الأفراد قد يحدث الصراع القيمي الاجتماعي. بحيث تضمن للجماعة روحها و تماسكها ضمن أهدافها التي وضعتها لنفسها، و هي تساعد المجتمع بأفراده و جماعته المختلفة على التمسك بمبادئ ثابتة و مستقرة، و تحفظ له هذا التماسك و الثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة و متكاملة بين أفراد جماعة الانتماء، و تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات الحاصلة من خلال اختيار البدائل الكفيلة التي تتوافق و قيمه المحلية من أجل إحداث تكيف مع هذه التغيرات للمحافظة على النسق الاجتماعي من التلاشي و الاندثار.

5-تصنيف القيمة:

صنف جملة من الباحثين و العلماء القيم لأهميتها و تعقدتها في مختلف المستويات كالقيم المحورية أو القيم الأم، أي تلك القيم الحاكمة الملزمة و التي ترتبط بالعقيدة و التي تستمد منها قوتها، و بالتالي تعتبر كمعايير محددة لتوجيه السلوك الإنساني في المجتمع. أما على مستوى آخر فتتمثل "في قيم العبادة اليومية المرتبطة بجميع مجالات النشاط و العمل و العلاقات الاجتماعية المختلفة، و هي التي تحدد أنماط السلوك المرغوب فيه في جميع هذه المواقف و يسترشد بها الأفراد. و هي التي تحدد شكل الحياة في مجتمع معين أو جماعة. لأنها تشمل كافة المجالات القيمية المختلفة، الاقتصادية منها و الاجتماعية و السياسية و التربوية و العلمية و غيرها"⁽⁶⁾. و يرجع كذلك البعض الى "تصنيف القيم وفق الغرض المحدد أو الهدف الخاص الذي يتحقق بوجودها مثل القيمة الغذائية للطعام و القيمة التبادلية للسلعة"⁽⁷⁾

6- خصائص القيم:

- إن القيم الشخصية و الاجتماعية هي مسألة شخصية، بمعنى أن كل منا يشعر ويحس بها على نحو خاص به. "فالإنسان هو الذي يحمل القيمة و يخضعها عن الأشياء"⁽⁸⁾ وهي اجتماعية لأنها تتطلب موافقة اجتماعية لإقرارها، و تعبر عن فعل اجتماعي سائد بين أفراد المجتمع.

- تتسم بالنسبية فهي نسبية من حيث الزمان و المكان.

- تتصف القيم بالقابلية للتغير، فبالرغم من أن القيم لها سمة الثبات النسبي. إلا أنها قابلة للتغير بتغير الظروف الاجتماعية، لأنها انعكاس لطبيعة العلاقات الاجتماعية و نتاج لها.⁽⁹⁾

- لا يمكن قياسها كما تقاس الموجودات الطبيعية و المادية، حيث لا يكون لها طول و عرض و عمق. ولهذا يصعب كشف عن طبيعة القيم المعقدة و عن صعوبة دراستها دراسة علمية. فنحن لا نقف على القيم عند دراستها كأشياء مادية، بل كأمر مجردة تكشف عنها اختيارات الأفراد في المواقف المختلفة، و السلوك الصادر عنهم في مواقف الحياة بوجه عام.

- تتضمن القيم نوعاً من الرأي أو الحكم على موقف ما أو شخص ما أو معنى معين.⁽¹⁰⁾

نستخلص بذلك أن القيم نتاج المجتمع الذي يحميها من خلال تنظيماتها وجماعتها المختلفة، كما أنها موضوعية. بحيث تؤثر في السلوك فتعمل على توجيهه، بما يتفق و السلوكيات الإيجابية التي تتقبلها الحتمية الأخلاقية الإنسانية. و القيم مترابطة تأخذ شكل البناء الهرمي أو ما يطلق عليه سلم القيم أو الإطار القيمي وهي تتحرك و تتغير ببطء نسبي عند إحداث التغيير في السلوك.

7- الاتجاهات النظرية لدراسة القيم:

تطرق علماء الاجتماع لدراسة القيم في المجتمعات، نستلها بأفكار **ماكس فيبر** الذي يعتبر من أهم المفكرين الذين أرسوا دعائم الاتجاه المثالي، في مجال دراسة القيم، جاء في مؤلفه "**الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية**" يبرز من خلال هذا الاتجاه، العلاقة بين **القيم و الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية**، مشيراً في ذلك اختبار الاتجاه الرئيسي للمدرسة الماركسية ذات الاتجاه المادي التي ترى أن كل الظواهر الثقافية بما فيها الدين و القيم و النظم السياسية، يمكن إرجاعها الى تطور القوى الاقتصادية، لدى **اهتم ماكس فيبر** بدراسة نفس الظاهرة التي تطرق لها **كارل ماركس** و هي ظهور النظام الرأسمالي. و هو اتجاه مادي يرى **ماركس** من خلاله أن **القيم** صفات الموضوعات المادية فإن كان **ماركس** يرى بأن النظام الرأسمالي نشأ نتيجة لتطور أسلوب الإنتاج، و أن القيم ذات طبيعة ديناميكية تتشكل و تتطور بتطور النسق الاقتصادي، و هذا لوجود تأثيرات تبادلية بين البناء التحتي و الفوقي، و أن العامل المتحكم في العالم ليس هو الفكر و إنما يعود الى الأحوال الاقتصادية

التي تسود أي مجتمع. بمعنى أن البناء التحتي يؤدي الى تغيرات في البناء الفوقي الذي يشمل القيم باعتبارها إحدى مكوناته. كما يؤدي البناء الفوقي بدوره الى حدوث تأثيرات على علاقات الإنتاج سواء كان هذا التأثير ايجابيا فيسرع في تغيير البناء الاقتصادي و إن كان سلبي فيعيق عملية التغيير في ذلك البناء. بمعنى انه بتغيير الأساس المادي يتحول البناء الأعلى من قيم و أفكار بدرجات متفاوتة فمجموع هذه الأفكار و القيم و الضوابط التي تعتنقها مجموعة ما أو طبقة تسمى بإيديولوجيتها و الوضع الطبقي هو الذي يبقى على القيم نسبيتها. بحيث تعمل كل طبقة في المحافظة على أفكارها و مصالحها. فالطبقة المستغلة قيمها مناهضة لقيم و إيديولوجية الطبقة الخاضعة (الطبقة العاملة) و لن تفنى هذه القيم النسبية حتى ينتهي صراع الصالح. حيث ينتهي عهد الطبقات و الاستغلال و تتحقق الشيوعية تحققا كاملا. (11) إذ يقول **ماكس فيبر** أن **ماركس** يرى بأن التغيرات التي تحدث في البناء الفوقي ما هي إلا انعكاس لما يحدث في البناء التحتي، فإن **ماكس فيبر** يرى أن النظام الرأسمالي نشأ في ضوء التغيرات المثالية، كالقيم و المعتقدات أي أن الرأسمالية نشأت من خلال العقيدة و الأخلاق البروتستانتية التي تطابق روحها للنظام الرأسمالي، لهذا اهتم **فيبر** بدراسة العلاقة بين الدين و الاقتصاد، أي إبراز دور الأفكار الدينية و القيم في النشاط الاقتصادي، و من ثم التوصل الى تحليل طبيعة هذه العلاقة قصد فهم المظاهر الأساسية للنظام الاجتماعي و الاقتصادي للعالم الغربي الحديث. (12)

فقد قدم **ماكس فيبر** نظرية تعارض النظرية الماركسية. أعطى **فيبر** أهمية لقيمة النظام الديني و ما يتمخض عنه من توجيهات قيمة كعامل فعال في تحديد طبيعة النظام الاقتصادي داخل المجتمع. كما يرى **فيبر** أن السلوك الذي تفرضه القيم هو سلوك يصدر أصلا لتحقيق قيمة اجتماعية معينة بالذات، حين يمارس الإنسان سلوكه بالتحامه بقيم جمالية و دينية مثل (الولاء و الوفاء). و حينما يسلك الفاعل الاجتماعي **social-actor** سلوكا وفقا لقيمة أو طبقا لمثل أعلى إنما تفرض عليه هذه القيمة أن يوجه نمط سلوكه وفقا لها. بمعنى أن هذه القيم هي الموجهات التي تفرض نمط أو شكل السلوك. بحيث يصنف **فيبر** الفعل الاجتماعي وفقا لتقسيم عقلي مجرد و هي الأفعال العقلية و الأفعال اللاعقلانية، فالنوع الأول للأفعال العقلية يستخدم الفاعل الوسائل الملائمة لتحقيق الأهداف العقلية المختارة. أما الأفعال اللاعقلانية فهي نوعان، أفعال تقليدية و التي تحددها العادات و التقاليد و المعتقدات المجتمعية. و أفعال عاطفية و هي التي تنشأ عن حالة عاطفية أو نفسية مباشرة لدى الفرد. (13) فالفعل الاجتماعي عند **فيبر** هو سلوك يقوم به الفاعل الاجتماعي داخل نظام اجتماعي معين في حدود معيارية تمكنه من السعي لتحقيق أهدافه، مستخدما الوسائل التي تتفق وطبيعة هذه الأهداف.

بينما يرى أصحاب الاتجاه البنائي الوظيفي في دراسة و تحليل القيم، من خلال دراسة المجتمع كنظام اجتماعي يجب أن يكون به وسائل ضبط اجتماعي في شكلها الرسمي و غير الرسمي و لها صفة الإلزام. بالتالي ينظر أصحاب هذا الاتجاه الى المجتمع كمنظومة من القيم و القواعد و الضوابط (الثقافة)، إذ تعتبر القيم و الضوابط الثقافية أساسية لحياة المجتمع، كما تعمل هذه القيم الثقافية عن طريق التنشئة الاجتماعية على توحيد الأفراد في المجتمع و حصول التوافق العام في المجتمع. "المجتمع". (14) و على رأسهم **إميل دوركايم Emile Durkheim** من أبرز علماء الاجتماع الوظيفيين الذين اهتموا بالقيم، حيث رفض أن تكون القيم في الذات الفردية، لأنها حسب رأيه قائمة في الذات الجمعية ملتفت بذلك لفكرة الضمير الجمعي، و اعتبر هذا الضمير مصدر للقيمة، و أن القيمة في رأيه لا تكون

موضوعية و عامة إلا إذا اعتبرت في ذاتها "قيمة جمعية" فالمجتمع أو الضمير الجمعي عند دوركايم هو المشرع الوحيد للقيم لأنه "موجدها و حافظها" (15) بحيث تظهر القيم عند دوركايم مثل كل الظواهر الاجتماعية و هي من صنع المجتمع، لها قوة الإلزام و أفراد المجتمع يشتركون في قيم واحدة و معايير متميزة يفرضها المجتمع بما له من قوة القهر، كما تتغير بتغير الظروف المحيطة بها. فإميل دوركايم "اعتبر المجتمع بمثابة واقع أو كيان أخلاقي، و هذا الواقع يشتمل على القيم الجمعية، التي يتوافق عليها أعضاء المجتمع." (16) نجد من خلال طرح دوركايم كل مجتمع لا يمكن أن يتخلى عن كل قيمه التي نشأ عنها رغم التغير الذي يحصل عليها. كما يحدث لحركة و ديناميكية القيم من المجتمع التقليدي الى مجتمع حديث. اذ يرى كذلك دوركايم حالة الديناميكا لعملية التضامن كقيمة اجتماعية تتم بين الأشخاص "هو انتقال من التضامن الآلي الى التضامن العضوي"، باعتبارها انتقالاً من قيم المجتمع التقليدي الى قيم المجتمع الصناعي." (17)

بينما تالكوت بارسونز أكد على أن القيمة هي التي تحدد إطارات بنية الفعل الاجتماعي و تفرض هيكله، و بنيانه، لذلك يشتمل الإطار المرجعي للفعل الاجتماعي، على ثلاثة ادوار هي الفاعل **actor** و دور الموقف **situation**، و دور الموجهات **orientation** (18) و عرف بارسونز القيمة في كتابه النسق الاجتماعي " بأنها عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معيار أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف." (19) يرى ماكس فيبر أن القيم عند بارسونز "توظف كموجهات للفعل الاجتماعي في المواقف الاجتماعية، أصبحت كعناصر ثقافية تعبر عن تصورات التفضيل الاجتماعي." (20) كما نظر بارسونز للقيم من خلال دراسته "لموجهات القيم و أنساق الفعل" باعتبارها معايير أو قواعد للاختيار بين عدد من الموجهات، و من هنا تؤدي وظائفها الاجتماعية باعتبارها أجزاء أساسية من الثقافة، حين تعبر عن الجوانب المقبولة اجتماعياً، و أنها من مكونات النسق و من المكونات التي تتوحد بها الشخصية، على اعتبار أنها عنصر مشترك في تكوين كل من نسق الشخصية و البناء الاجتماعي من حيث التضامن و التماسك." (21)

أما علماء النفس فيرجعون القيمة الى محتوى الوّعي، أو الوجدان النفسي، بما يضطرب به من رغبات و مشاعر، و الى الفروق المكتسبة من البيئة الاجتماعية (المهنة، الدين... الخ) التي ينشأ فيها، كما تستند الدراسة في علم النفس الاجتماعي، الذي يهتم بدراسة علاقة الفرد بالبيئة الاجتماعية المحيطة به، باعتبار أن البيئة تعتبر مصدراً لبعض المثيرات التي تؤثر في سلوك الفرد و توجهه، فليس ثمة قيمة إلا بما كان يرضي رغبة أو يثير انفعال أو يجسد دافعا و بذلك لا تكون القيمة صفة خاصة بالموضوعات بل تلحق بأنواع الذوات، فهي تتغلغل في حياة الناس أفراداً أو جماعات و ترتبط بدوافع السلوك و غاياته و تنشأ في مواقف معينة أثناء تفاعلنا مع المواضيع التي تعج بها الحياة اليومية." (22)

بينما معالجة مفهوم القيم من المنظور الإسلامي، فقد جاء الإسلام ليحث الإنسان و يخاطب الأنفس فراد و جماعة للاستجابة الربانية بعيدة عن كل ريب في اعتناق أي قيمة ينص عليها الدين الإسلامي و التخلي عن القيم التي ينهي عنها، فتعاليم الدين الإسلامي التي مصدرها نابع من المصدر الأول هو الله سبحانه و تعالى، تجعل القيم مهمة في حياة الأفراد في تعاملاتهم و سلوكياتهم و هي مرتبطة بالعبادة و المغفرة و الطاعة للخالق، و هي جزء لا يتجزأ بين العبادة و الطاعة، فيقول الشيخ يوسف القرضاوي "أن الإنسان ليس مجزئاً أو مشطوراً، و أنه كل متكامل و كيان واحد، و لا تنفصل فيه الروح عن المادة، إنه وحدة لا

تتجزأ عن الجسم و الروح و العقل و الضمير، فهذا يجب أن تكون وجهته واحدة و غايته واحدة، و هذا ما صنعه الإسلام فقد جعل الغاية هي الله و الوجهة هي الآخرة."

فبعد الحديث عن الاتجاهات النظرية لدراسة القيم، و مدى أهميتها في الحياة الإنسانية فهي ملزمة للإنسان مدى الحياة فهي جزء من شخصيته و تركيبته الاجتماعية، بحيث كل المجتمعات باختلاف طبائعها و تركيبتها فهي تكسب قيم تختلف من منطقة الى أخرى و من مجتمع الى آخر. يعد المجتمع الجزائري من بين المجتمعات التي عرفت تغير اجتماعي على مستوى مؤسساتها و نظمها الاجتماعية من بين هذه المؤسسات الاجتماعية الأسرة الجزائرية التي تحمل قيم أخلاقية بليغة الأهمية مستقاة من تعاليم الدين الإسلامي الذي يبني أسسها و يدعم ركائزها. تقبل هذه القيم الدينية و التكيف معها و المحافظة عليها، لكن التغيرات الحاصلة في البيئة الخارجية تجعل الأسر الجزائرية تتأثر بها يعرف **التغير الاجتماعي** **changement social** على "أنه العملية المستمرة و التي تمتد على فترات زمنية متعاقبة يتم خلالها حدوث اختلافات أو تعديلات عينة في العلاقات الإنسانية أو في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الاجتماعية." (23)، مما يجعل هذه القيم التي أصبحت في أصلها محلية تتراجع شيئاً فشيئاً بسبب التحولات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و ظهور التكنولوجيا الحديثة و الاستعمال المفرط لهذه الأخيرة. و ما تتيحه من وسائل إعلامية و تقنيات حديثة التي أثرت و لا تزال تؤثر على القيم التربوية التي كانت عليها الأسرة الجزائرية من قبل. فقد كانت التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الجزائرية تلزم تحمل المسؤولية للذكور خارج المنزل و الإناث الاهتمام بشؤون البيت، و الامتثال لأوامر الوالدين لكلتا الفئتين، قد نجد تراجعاً لهذه القيم التربوية و تفاوتت درجاتها بين الذكور و الإناث، حيث تسجل دراسة أقامت بها (سهام صوكو) حول واقع القيم لدى المراهقين في أوساط المجتمع الجزائري، بأن نسبة الإناث أكبر من نسبة الذكور في الامتثال لأوامر الوالدين، و هذا قد يعود لثقافة السائدة في المجتمع الجزائري هي أن أغلب الأحيان الإناث أكثر بقاء بالبيت، بالتالي تحب الإصغاء للوالدين و العمل على إرضائهم. فحدود الطاعة و الامتثال لأوامر الوالدين عند الشباب المراهق من الذكور تكون مثل القيود يؤكد ذلك الطبيب النفسي "كريستوفر داد" أنه لا غرابة في أن معظم المراهقين يتعرضون لمشكلة ضرورة فرض القيود عليهم من جانب الآباء. (24)

إن البعد الاجتماعي للقيم، يظهر جلياً في قيمة التماسك الاجتماعي التي تقر بها جميع الأديان السماوية و كل الشعوب بمختلف اتجاهاتها و معتقداتها، و هي محل دراسات و أبحاث في العلوم الاجتماعية – فالتماسك أو التضامن الاجتماعي المقصود به عملية التآزر أو الاعتماد المتبادل بين الأفراد و الجماعات، كما تظهر في الحياة الاجتماعية، و يستخدم هذا المصطلح للإشارة الى تضامن الفرد مع جماعته في المسؤولية التي تحتاج الى تعاون الأفراد فيما بينهم كما يشمل كذلك شبكة الروابط الاجتماعية التي تشد أفراد المجتمع الى بعضهم البعض، يعرف إميل دوركايم التضامن الاجتماعي بالتضامن الآلي أو الميكانيكي و التضامن العضوي.

فقد كانت الأسرة الجزائرية كغيرها من الأسر تحتّ أبناءها على التسامح و التآزر و التآخي فيما بين الأبناء و مع الأقارب و الجيران، كما أن أغلب الأسر الجزائرية كانت حاضنة لهذه القيمة الاجتماعية الهامة، حيث تراجع و ضعف قيمة التماسك الاجتماعي في أوساط الأسر الجزائرية، يظهر ذلك في رفض المشاركة في القضايا الأسرية و تفرد و انعزال و تشتت الأفراد داخل الأسرة الواحدة. و التقليل من الزيارات بين الأهل و الأقارب و

مساعدة بعضهم البعض في قضاء حوائجهم الضرورية. حيث تهتز عملية التكامل داخل النسق الاجتماعي (الأسرة الجزائرية) التي كانت تعتمد على الروابط الاجتماعية من خلال تغلغل القيم الوافدة و الأمراض الاجتماعية الجديدة، مثل اللامعيارية و الاغتراب.⁽²⁵⁾

أما **البعد الاقتصادي** للقيم، داخل الأسرة الجزائرية، يظهر من خلال تراجع قيمة التكافل الاجتماعي داخل الأسرة بين الأبناء العاملين و العاطلين، قد ينجم تصارع و تنافر داخل الأسرة الواحدة، برفض تحمل المسؤولية بين الأبناء في تقديم النفقات المعيشية داخل الأسرة، مما يقلل من قيمة التضامن و التماسك فيما بينهم.⁽²⁶⁾ حيث جاء في دراسة حول دور القنوات الفضائية في إحداث التغيير الاجتماعي للقيم عند الشباب المراهق، يظهر هذا في إحداث تغيير على الروابط الأسرية. **ومن أثار ذلك، ضعف تأثير الأسر في عملية التنشئة الاجتماعية، إذ أصبح الإعلام و التقنيات الحديثة مشاركة للأسرة في عملية التنشئة و تشكيل القيم و السلوك الاجتماعي.**

و عن **البعد الديني** للقيم، يتجسد في ضعف اهتمام الشباب بأداء شعائر الدين بسبب متابعة البرامج الفضائية المختلفة و أخطرها نشر العقائد الباطلة و الأفكار الخرافية و تسهيل الوقوع في شيراك التنصير.

بينما **البعد التربوي** للقيم، فقد عرف تأثير سلبي نتيجة المشاهدة المستمرة للفضائيات على اللغة العربية حيث أن معظم القنوات العربية تستخدم اللهجة المحلية في تقديم برامجها. مما أدى ذلك للإخلال بالنظام الزمني للشباب و الفتيات، فتجدهم يسهرون إلى وقت متأخر من الليل في متابعة الفضائيات، وهذا له الأثر الواضح على ضعف مستوى التحصيل للطالب و الطالبة و الخمول و الكسل و عدم الانتباه.⁽²⁷⁾ فالقنوات الفضائيات و وسائل التكنولوجيا الحديثة تعمل على إهدار أوقات فراغ الشباب فيما لا يعود عليهم بالنفع و الفائدة من البرامج و الأفلام و المسلسلات الفضائية.⁽²⁸⁾

بالتالي غرس الخمول و الإتكالية في أوساط المراهقين الذين يعدون أهم مرحلة ينبغي إعدادها لأجل تحقيق أهداف النسق الاجتماعي مستقبلا.

و نلاحظ في **البعد الأخلاقي** للقيم، يظهر في تراجع قيمة الاحتشام بين الشباب خاصة المراهقين و تغير طبيعة اللباس عندهم داخل و خارج الأسرة، كما يظهر الانحراف السلوكي لدى الشباب و الفتيات و ذلك من خلال المشاهدة المحرمة للسلوك الذي يجب أن يسلكه المراهق و أنه حتمي الحدوث. كما تكسب القنوات الفضائية المشاهد المراهق السلوك الإجرامي، من خلال ما تعرضه من أفلام تجسد تنفيذ الجريمة الكاملة. غرس ثقافة العنف من خلال كثرة تكرار المضامين التي تحث عن العنف و الجريمة و هذا ما تسعى اليه الصناعة الثقافية الغربية.

بالأخير نجد أن القيم التي تربي عليها النشء في أوساط الأسر الجزائرية على التثبث بالعادات و التقاليد العربية الأصيلة، أخذت منحى آخر و عرفت تغيير نسبي لتحل محلها قيم جديدة في أوساط الشباب خاصة المراهقين الذين هم أكثر فئة تبحث عن الجديد و التغيير. و هذه القيم دخيلة عن الأسرة الجزائرية نتيجة التقليد الحاصل من طرف المتلقين للقنوات الفضائية و ما تبثه من برامج قد لا تتماشى و معتقدات و العادات و التقاليد الأصلية للمجتمع الجزائري.

8-الخاتمة:

نستنتج أن القيم ضرورة اجتماعية في حياة الأشخاص، و لا يستطيع المجتمع العيش دونها أو العيش في فوضى و عشوائية دون مراقبة جمعية تحدد معاييرها و مدى قبولها و رفضها من جماعة الانتماء، و هذا لتقويم الأفراد بالخضوع للتنظيم و الضبط الاجتماعي من خلال القيم التي يقرها الضمير الجمعي، كما نستنتج هناك فئات من الشباب خاصة المراهق يحمل قيمتين متناقضتين، فمن جهة يخضع الشباب خاصة المراهقين لمرجعية إسلامية تحث عن طاعة الوالدين على أنها واجبة من خلال الامتثال لأوامر الوالدين بمعنى أن الأسر الجزائرية مازالت باقية و مستمرة كجماعة أولية تتمتع بأهميتها الاجتماعية، و احترام الشباب المراهق في تفاعله مع الآخرين، و من جهة أخرى يخضع لمرجعية غربية تظهر في الرغبة في التحرر عن سلطة الآباء تتجسد هذه الظاهرة في تراجع تدخل الآباء في انتقاء ملابس أبنائهم أو تقبل الآباء للزّي الذي يرغب أبنائهم دون معارضة ملحة لتفادي التصارع مع الأبناء، يظهر هذا في عدم الالتزام باللباس المحتشم لدى المراهقين و إقامة العلاقات الخاطئة. هذا يجعلنا نقر بوجود أشكال متعددة من القيم، بين المجابهة و القبول في أوساط الشباب المراهق الذي يعد أكثر الفئات العمرية يطمح للتجديد و للتغيير و العمل على التكيف بما يتلقاه من قيم وافدة من البيئة الخارجية المحيطة به، من أجل الإحساس بالاستقلالية و الحرية. لكن يجب أن يبقى دور الآباء و رجال الدين و الإصلاح مستمر في الحث على التثبّت بالقيم و الضوابط الاجتماعية التي تحث على التضامن و التماسك الاجتماعي، دون المساس بالثوابت الدينية التي تشكل هوية و مرجعية أخلاقية لكل فرد ينتمي لهذا النسق الاجتماعي.

9 المراجع:

- (1) كشيك منى، القيم الغائبة في الإعلام، دار فرحة للنشر و التوزيع، مصر، 2003، ص58. <https://khutabaa.com>
- (2) وكيفن رضوان، صراع القيم بين الإسلام والغرب، دار الفكر، (د.ذ.ب)، 2010، ص62. <https://khutabaa.com>
- (3) اللحياني خضر، أثر الفضائيات على المراهقين في المملكة العربية السعودية، مكة، جامعة أم القرى، م.ع. السعودية، 2008، ص61. <https://khutabaa.com>
- (4) محمد زكريا، القنوات الفضائية والقيم الاجتماعية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2002، ص29.
- (5) أبو العينين علي خليل مصطفى، القيم الإسلامية و التربية، ط1، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم علي نشر، (1988) ص ص36، 35. <https://khutabaa.com>
- (6) بالسويدي وضحة، تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الابتدائية، دار الثقافة، قطر، <https://khutabaa.com>
- (7) جلبي علي عبد الرزاق، المجتمع الثقافة و الشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص64.
- (8) إبراهيم حمد المبرز، القنوات الفضائية وتأثيرها على منظومة القيم الاجتماعية لدى طلاب الثانوية العامة بمدينة الرياض، دراسة مقدمة إلى قسم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية، بجامعة الإمام محمد بن سعود كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير، 1432هـ / 2011م، ص 17. <https://khutabaa.com>
- (9) <https://khutabaa.com>
- (10) <https://khutabaa.com>
- (11) <https://khutabaa.com>
- (12) <https://khutabaa.com>(بالصرف)
- (13) الحوت علي، النظرية الاجتماعية، مالطا، منشورات القا، 1998، ص122
- (14) المرجع نفسه، ص101
- (15) قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع و الايديولوجيات، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978، ص ص196، 197
- (16) جلبي علي عبد الرزاق، الاتجاهات الأساسية في علم الاجتماع، ط2، د.م.ن.، دار المعرفة الجامعية الأزاريطة، 2005، ص179
- (17) حميد الهاشمي، العراقيون في هولندا، نحو صياغة إطار نظري لدراسة الاندماج الاجتماعي للمهاجرين، مع دراسة تطبيقية ميدانية على المهاجرين العراقيين في هولندا، نشر و توزيع مسارات التنمية الثقافية و الإعلامية، 2012، ص42
- (18) قباري محمد إسماعيل، علم الاجتماع و الايديولوجيات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص213
- (19) إبراهيم حمد المبرز، مرجع سابق، عن عاطف غيث 1998، ص145 (بالصرف)
- (20) صوكو سهام، واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة التربوية، دراسة ميدانية بثانوية بوحنه مسعود، فرجوة ميله، مذكرة لنيل متطلبات شهادة الماجستير علم الاجتماع تخصص تنمية و تسيير الموارد البشرية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009/2008، ص55
- (21) قباري محمد إسماعيل، مرجع سابق، ص214
- (22) قنصوة صالح، نظرية القيم في الفكر المعاصر، د.م.ن.، دار الثقافة للطباعة و النشر، 1980، ص72 عن إبراهيم حمد المبرز، مرجع سابق.
- (23) از هية دباب، التغيير في قيم الزواج لدى الشباب الجزائري، مقال، مجلة التغيير الاجتماعي، العدد 2، جامعة بسكرة، ص96
- (24) سهام صوكو، مرجع سابق، ص121
- (25) حميد الهاشمي، مرجع سابق، ص31
- (26) إبراهيم حمد المبرز، مرجع سابق، ص2011. <https://khutabaa.com>
- (27) المرجع نفسه.
- (28) المرجع نفسه.

اللسانيات التطبيقية العربية غياب الرؤية والأبعاد

د. صالح غيلوس
جامعة محمد بوضياف المسيلة.

- الملخص:

الكثير من الباحثين العرب والأجانب المهتمين بدراسة اللغة العربية، حرصوا على تطبيق مفاهيم ومناهج اللسانيات الغربية، بغية حل المشاكل المتعددة التي ترتبط باللغة العربية، وقد أثبتت هذه المنهجية المتبعة فاعليتها في مجالات تطبيقية كثيرة مثل تعليم اللغة الأم، وصناعة المعاجم، والترجمة، وكذا تشخيص وعلاج أمراض الكلام، وقد أصبحت محاوراً أساسية تشكل مجالاً علمياً يتصل بالعمل الميداني (التجريبي). ومن هنا يجب أن نطرح الإشكالية: ماذا استفادت اللسانيات التطبيقية العربية من كل هذه الدراسات التطبيقية على اللغة العربية ؟

Résumé:

Beaucoup de chercheurs arabes et étrangers intéressés par l'étude de l'arabe ont appliqué les concepts et les méthodes de la linguistique occidentale pour résoudre les nombreux problèmes liés à la langue arabe, une méthodologie qui s'est révélée efficace dans de nombreux domaines tels que l'enseignement de la langue maternelle, lexicographie, la traduction, le diagnostic et le traitement. Discours maladies, elle est devenu un interlocuteur clé qui constitue un domaine scientifique lié au travail de terrain (expérimental). Par conséquent, nous devons nous poser la question suivante: Qu'est-ce que la linguistique appliquée arabe a bénéficié de toutes ces études appliquées sur la langue arabe. ?

توطئة:

الارهاصات الأولى لتأسيس اللسانيات التطبيقية باعتبارها علماً جديداً، كانت بعد الحرب العالمية مباشرة في الولايات المتحدة الأمريكية على يد فريز وروبرت Charles Freese et Robert، وسبب ظهورها، هو مشكلة تعليم اللغة للأجانب، وضمان نوعية تعليمها، ثم بفترة وجيزة بدأ نجم هذا العلم بالتموضع داخل فضاء الدرس اللساني، وفرض نفسه بعناية الدارسين به وتأسيسهم لعدة مجالات تهتم بتعليم اللغات، وما هي إلا فترة وجيزة حتى اعتبر علماً قائماً بذاته له مريديه، وانتشر شيئاً فشيئاً، وصار يدرس كمقياس أساسي في العديد من الجامعات الأمريكية، لأهمية القصوى في الحياة العلمية.

على كل هذا العلم حدد مجالاته العالم H. H. Stran، في قوله:
1 " أن العلوم الأساسية التي تعالج في نظرية تعليم اللغات، هي: اللسانيات، وعلم النفس، واللسانيات النفسية، وعلم الاجتماع، واللسانيات الاجتماعية، لتشمل الأنثروبولوجيا"، نظرا للتداخل المعرفي بينها.

اللسانيات التطبيقية تقوم على مبادئ اللسانيات النظرية، ويعني هذا أنها " علم تطبيقي يسعى لحل مشاكل قائمة على اللغة".² ويستمد منها الأوصاف اللسانية، ويعتبر يرى كراشن Krashen، العلاقة بين العلمين (النظري والتطبيقي). أنها علاقة تكاملية، فالباحث اللساني يجد حقل اللسانيات التطبيقية حقلًا خصبا لأجل تجريب النظريات اللسانية. غير أن بعض الدارسين لم تكن لهم القدرة على تحديد موضوع دراستها، فألتبس عليهم الأمر فيخلطونها بالتربية وبتدريس اللغة الثانية.

بيد أن سبو لسكي Spo Laski يرى أن هذا الحصر يعتبر مجحفاً و يضيق موضوع دراستها، وهذا ما لم يدركه بعض الدارسين، وبعضهم يذهب منحى آخر فيتوهم بحسب سبولسكي أن مهمة اللسانيات التطبيقية تتجلى في التطبيق المباشر للنظريات اللسانية، وخاصة في مجال التدريس اللغات، وبعد دراسة قام بها اللساني Corder والذي يقر فيها " بفشل هذا الرؤية عند تطبيقه الطريقة السمعية الشفهية".³

وبالتالي يقترح هذا الأخير تعريفين أحدهما، ضيق يرتبط بتعليم اللغة في علاقته بوصف اللسان من الجانب النظري، والثاني، يتجاوز إلى الترجمة، وصناعة المعاجم، وتخطيط السياسة اللغوية، وبحوث التواصل، والتطبيقات وبالأنثروبولوجيا اللغوية؛⁴ ومعنى هذا أنها استعمال ما توافر لدى الدارس اللساني عن طبيعة اللغة من أجل تحسين كفاءة عمل علمي ما، تكون اللغة العنصر الأساسي فيه.

وهي بذلك وتمثل خير وسيط بين اللسانيات النظرية وبقية العلوم، لكن اللساني بالمر Palmer وسع مجال الرؤية ورأى أنها علم يسعى إلى تحقيق وتطبيق نتائج اللسانيات النظرية من خلال الآتي:

- وضع القوانين العلمية موضع الاختبار والتجريب.
- استعمال القوانين العلمية والنظريات في ميادين أخرى، قصد الإفادة منها. وأنها تتميز ببعض الخصائص منها:

- البرجماتية: لأنها ترتبط بالحاجة إلى تعليم اللغات، وكذلك لنهلها من نتائج النظريات اللسانية.

- الانتقائية: يختار البحث ما يراه يناسب دراسته.

- الفعالية: هذا العلم يبحث الوسائل الفعالة والطرق الناجعة.

- الدراسة التقابلية بين اللغات.⁵

- العيوب النطقية.

يستثمر الباحث معطيات اللسانيات النظرية في التطبيقات الوظيفية في (الترجمة، التخطيط اللغوي، الإشهار، الاتصال...).

أمّا مجالاتها فقد تحددت بعد عقد عدة مؤتمرات قام بها الاتحاد الدولي لللسانيات التطبيقية، واتضحت كالتالي:

* تعلم اللغات الأولى وتعليمها، ويعتبر هذا المجال من أهم مجالات اللسانيات التطبيقية.

* التخطيط اللغوي.

* المعجمية وصناعة المعاجم.

* المصطلحية بفرعيها النظري والتطبيقي.

* اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات النفسية.

* علاج أمراض الكلام .

* الترجمة.

* علم اللسان التقابلي.

* الحاسوبية، أنظمة الكتابة⁶.

أولاً- الدراسات اللسانية التطبيقية الغربية والعربية.

1- الدراسات الغربية التطبيقية على اللغة العربية.

اللسانيات التطبيقية علم جامع يسعى للكشف عن حقائق اللسان البشري ومجال ممارسته، ولشأنه الكبير ألفينا العديد من الدارسين الذي تجاوز الحدود الغربية، وآثروا دراسة اللغة العربية من أجل التعرف على أسرارها.

- المجموعة الأولى:

نتيجة لهذا الاهتمام، أنشأت المجالات المتخصصة في الدراسات اللسانية عن اللغة العربية من بينها: Journal of Arabic Linguistics في عام 1978، وكذا تأسيس جمعية اللسانيات العربية Arabic Linguistic Society عام 1988 في مدينة سولت ليك بولاية يوتا Utah في أمريكا، وتطورت حتى شملت حركة تأليف ونشر الكتب، وبرزت إلى الوجود عناوين عديدة حول قضايا لغوية عربية، والتعامل معها من منظور علمي بحت، قصد الكشف عن حقيقتها.

في حين قامت بعض المجالات الدورية بتخصيص فضاءات للدراسات اللغوية العربية، مثل مجلة: Arabica في العدد الثاني 1981، و Historiographie و linguistic في العدد الثاني والثالث 1981، و Anthropological linguistics عام 1986، و International Journal of the Sociology of Language في العدد 61 1986.

وكتب الباحث الأمريكي تشارلز فرجسون Charles Ferguson مقالا عنونه بـ: "(فأتوا بسورة من مثله). للمجتمع العربي"⁷ حيث " يقارن فيه بين وضع الدراسة عن اللغة العربية قبل أربعين عاما، ووضعيتها سنة 1988، أحصى جملة من الدراسات والكتب التي نشرت عنها، وتحدث عن وضع الدراسات اللسانية العربية في الفترة المبكرة، التي يمكن وصفها بالقلّة، وبأنها كانت تهتم بالجانب التاريخي من ناحية الدراسة، ثم يشير فرجسون إلى بعض خصائص العربية المتفرّدة بها، والتي لفتت أنظار الدارسين اللسانيين.

وبعد تعمق في الدراسة أشار إلى التغير اللغوي في العالم العربي، الذي ينحو نحو خلق لغة نموذجية جديدة، خلافاً لوضع سابق قد وصفه في مقال له سنة 1959،

والموسوم بالازدواجية، تنبأ فيه باحتمال انفصال العالم العربي لغوياً إلى ثلاث مجموعات وهي: بلاد الشام والعراق ومصر والسودان، والمغرب العربي. وجاءت دراساته في تسع مقالات ناقشت ثلاثة مواضيع، هي: المنظور النحوي، ويضم خمس مقالات ناقشت بعض المسائل النحوية في العربية من خلال النظرية اللسانية التركيبية، ثم منظور تحليل النص، الذي جاء في مقالين ناقش فيهما مسائل ظاهرة الشفوية وتحليل اختفاء حركات الإعراب تاريخياً، معتمد على نموذج يعود إلى نصوص مسيحية من جنوب فلسطين، وكذلك المنظور اللغوي النفسي ناقش فيه ذاكرة ثنائي اللغة، وظاهرة سبق اللسان. ومنه المقالات بالرغم من تعددها إلا أنها لم تكن كافية.

- المجموعة الثانية:

قام بهذه الدراسات اللسانية الباحثة (مشيرة عيد وجون مكارثي John McCarthy)، تناولاً في مستويات اللغة: (المستوى الصوتي، والصرفي، والدلالي، والاجتماعي). وصدر لهذا العمل العلمي بميزة الحالات الكلاسيكية، والتي تحدث أحياناً " في لغة معينة أو عائلة لغوية ما، تتعدى الاهتمامات الضيقة (عن هذه اللغة أو العائلة اللغوية). وتدخل في الضمير الجمعي للمنظرين اللسانيين بصفة عامة. وتترسخ لتصبح جزءاً لا يتجزأ من اللغة، واللافت للنظر أن الدراسة قد أولتها اهتماماً، ونهت الدارسين إلى أخذها في الحسبان.

بالرغم من قلة هذه الحالات الكلاسيكية، لكن تسهم لغة واحدة بحالتين كلاسيكيتين في مجال نظري واحد، وهذا ما حدث فعلياً في الصرف العربي، والحالتان الكلاسيكيتان اللتان أسهم الصرف العربي بهما في التنظير الصرفي اللساني، هما: "الدورة التحويلية" Transformational cycle. والحالة الأخرى، هي أن الصرف العربي قدم دليلاً على ما أصبح يسمى بالنظرية الصوتية غير الخطية⁸. ومنه فإن الدراسات اللسانية التطبيقية الغربية على اللغة العربية كانت مجرد محاولات للكشف عن أسرار بنية اللغة العربية ودلالاتها، ويمكن القول عليها أنها عرفت الدارسين الغرب ببعض كنوز اللغة العربية وجماليتها.

2- الدراسات اللسانية التطبيقية العربية: وسنأخذ بعض الدراسات لباحثين جادين أسهموا بمجهوداتهم في ترقية علم اللغة التطبيقي في الوطن العربي، منهم:

- عبده الراجحي: يقع الكتاب في 130 صفحة، وقد قسمه إلى سبعة فصول، فخصص الفصل الأول والثاني لعلم اللغة التطبيقي وإشكالاته، ومصادره العلمية، أما في الفصول الثلاثة الموالية، تناول فيها أهم القضايا، ك: المقارنة الداخلية، والتحليل التقابلي، وتحليل الأخطاء، واختيار المحتوى وتنظيمه، وفي الفصلين الأخيرين، تحدث عن تعليم اللغة لأبنائها وللأجانب على ضوء ما قدمه في الفصول النظرية⁹.

وخلص في النهاية إلى أن تعليم اللغة العربية في الحقيقة، يرتبط بصورة وثيقة بتقنية عرض المادة التعليمية، ومدى تنمية كفاءة المتعلمين اللغوية في ما أعده المعلم من أهداف، وما توافر له من وسائل تقديم المادة العلمية بصورة هادفة، وهذه الغاية تتحقق بما يلي:

- إدراك الاصوات اللغوية والحروف.

- إدراك الكلمات.

- الفهم والتطبيق.

- انتقاء المحتوى المناسب للمتعلم.

- انتقاء البنية اللسانية.

- إتقان القراءة والكتابة، والتوصل الشفوي والكتابي.

وقد فصل عبده الراجحي في حديثه عن التمرين اللغوي، حيث يعتبره مصنعا من مصانع التوليد التناسلي في عملية التعلم، ويكون مشافهة أو كتابة، وهذه التمارين ممنهجة ونظامية *systematique*، في هيكل لساني متناسق، تؤدي وظيفة تسهيل كل تمرين ممكن *mécanisé*، في تعلم لغة أو لغات حية.

وفيه يستعمل المتعلم اللغة وينوع الأساليب التعبيرية، كما يلتمس تعدد الأساليب التي تندرج ضمنها المهارات اللغوية.

يقول عبده الراجحي في مقدمة الكتاب، "شهد علم اللغة التطبيقي في السنوات الأخيرة إضافات علمية جوهرية، فتحت آفاقاً كثيرة في تعليم اللغات، كان من الواجب أن أشير إلى بعضها في هذه الطبعة، غير أنني أثرت أن يظل الكتاب على الصورة التي صدر بها، شاهداً على ما ابتغيناه، وشاهداً على «التقاعس» الذي لا نزال ننعم فيه.¹⁰

- دراسة أحمد مصطفى أبو الخير: كتابه علم اللغة التطبيقي (بحوث ودراسات).
قام بتأليف كتاب في علم اللغة التطبيقي وسمه ب: علم اللغة التطبيقي، وقسمه إلى بابين: ففي الباب الأول تعرض الباحث أحمد مصطفى أبو الخير إلى علم اللغة، باعتباره الدراسة اللغوية النظرية وعلاقتها بعلوم أخرى، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، الجغرافيا والتاريخ...، وتحدث عن مجالات تطبيقه من خلال تعليمية اللغة الأم واللغة الأجنبية، وصناعة المعاجم، خاصة الثنائية والثلاثية، التي تتضمن لغتين أو أكثر، وأمراض الكلام.¹¹

بينما في الباب الثاني تناول مجالات أخرى ارتأى أن تكون فيه وهي: علم اللغة التقابلي وتحليل الأخطاء وليس القصد الأخطاء بعينها، بل هي دراسة ترصد الأخطاء لمعرفة الأسباب والعلاج.

وجاءت خطة الكتاب على المنوال التالي: حيث قدمه بمدخل عام تطرق فيه إلى الثنائية اللغوية محددًا أسبابها، وعواملها، ثم عرض مفهومًا جديدًا للصحة اللغوية، وركز أيضا على عنصرين هامين في دراسته هذه هما: (الاتقان المتوقع، والموقف التعليمي)، ومستعرضا نقطة الالتقاء بينهما، دون أن ينسى ماهية الفصحى المعاصرة، وأنهى عمله بخاتمة استعرض فيها أهم النتائج المتواصل إليها، والتي نتجت عن تجربة تحليلية للمادة اللغوية.¹²

- دراسة ميشال زكريا :

يعتبر هذا الكتاب (قضايا ألسنية تطبيقية) إسهاما نظريا وتطبيقيا جديدا في الألسنية العربية الحديثة، أكد فيه الباحث على المنهج الألسني، الذي يمكن تطبيقه

ليس فقط على الإنتاج المعاصر والحديث، بل كذلك على التراث العربي القديم، وضمن محتوياته يلتفت إلى التراث العربي ليستنتقه في محاولة جادة لربط الماضي بالحاضر العربي، وليثبت أن الفكر اللغوي العربي القديم، اهتدى إلى قناعات ألسنية سبقت عصرها.¹³

جاء هذا الكتاب في قسمين رئيسيين، القسم الأول يدعو فيه إلى ضرورة استثمار منهج اللسانيات في مجال تعليم اللغات واللغة الأجنبية، والأخذ بمبادئ وتوجيهات النظرية التوليدية التحويلية، التي تبناها وأخذت القسط الوافر من الدراسة، ثم انتقل إلى الحديث عن السياق والأسس المعرفية، التي يجب أن يعتمدها معلم اللغة من تخطيط، وتحضير الأنشطة التعليمية، وتوفير الوسائل البيداغوجية، حتى يؤدي الأستاذ مهمته التعليمية على أكمل وجه، وشكلت المحاور الآتية مفاصل هذا القسم حيث تتبدى فيما يلي:

- إمام و مدرسي اللغة باللسانيات وما تعرضه من مقولات.
- فعالية اللسانيات في مساعدة الأستاذ في تعليم اللغات.
- اكتساب اللغة عند الطفل.
- تداخل بين اللغة الأم والثانية.
- تعليم اللغة الثانية.

وفيه ركز على أهمية الربط بين الجزء النظري والتطبيقي، أثناء ممارسة التمارين اللغوية.

وتعتبر هذه المحاولة بالرغم ما يشوبها من هنات وقصور لاعتماده على النظرية التوليدية التحويلية، لكنها من ناحية الطرح يمكن القول عنها أنها جادة، فهو يضع القارئ العربي في محور الدرس اللساني الحديث، من أجل أن يعيه ويوظفه في حياته. دون أن ينسى واجبه التعليمي في اسداء رأيه، ويتمثل في ضرورة ربط اللسانيات التطبيقية بالتعليمية، حتى يتمكن المعلم من الاطلاع على مبادئها وإجراءاتها، ويكون قادرا على استثمارها في الميدان مع متعلميه.

- دراسة صالح بلعيد: كتاب دروس في اللسانيات التطبيقية. تناول البحث فيه جملة من المواضيع الهامة في مجال اللسانيات التطبيقية، شأنه شأن من سبقه من الدارسين. فقد أولى أهمية كبيرة للسانيات النظرية ثم عرج على الجانب الإجرائي محاولا المزج بين النظرية والإجراء، لتحديد نقاط الاتفاق والاختلاف مع بقية العلوم بغية إيجاد منطقة التلاقح الإيجابي (التأثير والتأثر).

أما في حديثه عن المناهج التعليمية وكيفية استعمالها أكد على ضرورة الاتكاء على المعايير العلمية المساهمة في بنائها، ونبه أيضا عدم جدوى الطرائق التعليمية الروتينية الميكانيكية القاتلة للإبداع.

وناقش بين طياته قضايا لا تقل أهمية على استراتيجيات تعلم اللغة الأم (الأصلية).⁹ وعلاقتها الوطيدة بتعلم اللغات الأجنبية، وهي تورق جل الأوطان العربية مثل ازدواجية اللغة والتعدد اللهجي. ثم تناول قضية التداخل اللغوي بإسهاب من خلال ثنائيتي (الأصل والدخيل).

وجره الحديث إلى قضية ثالثة والتي تتبدى في الأخطاء الشائعة في التداول اليومي عند (المختصين، وغير المختصين)، وما يصاحبها من اضطرابات اللغة والكلام، من مثل: (القلب العقلة، التمتمة، الهددة، الحبسة...). واخيرا تطرق في حديثه عن دور كل من الإعلان والإشهار وتأثيرهما على عملية الاكتساب اللغوي.¹⁴

- مصطفى غلفان: كتابه اللسانيات العربية الحديثة .

جاءت هذه الدراسة في المصادر والأسس النظرية والمنهجية لللسانيات العربية الحديثة ، فالأولى تهدف إلى الاشتغال باللغة العربية ووصفها في نسقها القديم أو الحديث أو الوسيط ، كما أنها لا تتحدد باللغة المكتوب بها ، بقدر ما تتحدد باللغة موضوع الوصف . أما اللسانيات العربية فمجالها أوسع إذ يمكن أن تشمل كل ما يكتب في اللسانيات باللغة العربية ، سواء تعلق الأمر باللسانيات العامة ، أو لسانیات العربية ، أو لسانیات أية لغة من اللغة الطبيعية .¹⁵ ينظر : المرجع نفسه.

- أبانت دراسته عن تتبع دقيق لبدایات اللسانية العربية وتطوراتها .

- إن مصطفى غلفان أتاح له الزمن أن يطلع على عدة محاولات نقدية لسانية ، ما يجعله يتخطى النقائص التي وردت فيها .

- لقد أظهر في دراسته السالفة الذكر تمكنا منهجيا في عرض القضايا وتحليلها .

- استفادة دراسته من علوم لها فائدة عظيمة في علمنة النقد ، ومنها الاستمولوجيا .

- جاءت دراسته مزوجة بين التنظير والتطبيق .

وقد تجلّى التطبيق النقدي عند غلفان في محاولته القيام بتصنيف للكتابات اللسانية العربية الحديثة منذ بداياتها الأولى إلى وقت كتابته للدراسة ، وحاول أن يجعل تصنيفه مستوعبا لمختلف أطياف وتيارات هذه البحوث اللسانية .

- عبد الجليل مرتاض: كتاب اللغة والتواصل، طرق الباحث باب وظيفه اللغة الأساسية في ضوء اللسانيات الحديثة في قالب لغوي دقيق، وفرق بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة،¹⁶ مبينا العلاقة الوطيدة التي تربط الكلام باللسان. وهو يرى أن " الكلام نوع من السلوك الفردي، يتجلّى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال ملفوظة أو مكتوبة، فإن اللسان يدل على النظام العام للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر، وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقسام".¹⁷

أما مفهوم التواصل في بعده الإنساني، يرتبط بالتخاطب بين شخصين فأكثر؛ بمعنى أنه يقتصر على الممارسة الفعلية الاجتماعية للغة، التي تتمثل في نقل الفائدة الإخبارية إلى المتلقي.¹⁸

والكتاب الثاني الموسوم بمباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، تناول الكاتب فيه مباحث متداخلة عن النظريات اللسانية الغربية، إذ قسمه قسمين رئيسيين، وسَمَّ القسم الأول بدراسات سانتنيكية للعربية القديمة، وفصله إلى ثلاثة، جاء الفصل الأول تحت عنوان شفوية السانتنيكية العربية القديمة، أما الفصل الثاني فعنونه بـ: بين السانتنيك التقليدي والمعاصر، وتناول في الفصل الثالث قضية السانتنيك العربي القديم. بينما الباب الثاني فجاء تحت عنوان وجهات نظر في الاكتساب اللغوي، وقسمه أيضا إلى ثلاثة فصول، أتى الفصل الأول تحت مسمى طرائق ومراحل الاكتساب اللغوي،

والفصل الثاني حمل عنوان الاكتساب اللغوي عند الفرد العربي و النظريات اللسانية، أما الفصل الأخير فعنوانه بتنظيرات لسانية للغة الإنسانية.¹⁹ ودعا إلى ضرورة العودة إلى التراث، وتبدت هذه الرؤية في أن " البذور و الجذور التي أسسها أولئك الفطاحل الأقدمين، تنم عن بنيات صحيحة و مناهج سليمة لا يشوبها وهن و لا خطل".²⁰ بالرغم على ما يحيط بلغتنا من أوهام ميتافيزيقية ونظريات بعضها خرافي، والآخر جزافي أكثر مما هو حقيقة علمية ملموسة أو محتملة ليست بالمعجزة العلمية، تبهر الإنسان في معرفة ما نطق به من أول صحيحة إلى آخر نفس، لكنها ستظل معرفة فكرية، ما دامت النظريات اللغوية تتباين أكثر مما تتقارب، وتتوازي أزيد مما تتقاطع حسب الذات العقلية الإنسانية وتصورها، والمتتبع للدراسات اللسانية التطبيقية العربية، يلاحظ من دون شك الكم الهائل من الدراسات والمؤلفات اللغوية، سواء في المشرق العربي أو المغرب العربي، فإنه لا يكاد يفرز عند الفحص المنهجي إلا حالات قليلة جدا، وتزداد الدراسات اللغوية العربية يوما بعد يوم، لكن دون فائدة تذكر، " فالنوعية ما يزال تطورها محدودة، ويكاد المرء يقول: أنه ينعدم أي تطور ملموس، يمكن أن نشتم منه رائحة الجدة العلمية، أو حتى أن نلمس فيه أن يكون تيارا أو حركة جديدة، أو معلما رائدا في حقل الدراسات اللغوية الحديثة".²¹

إذ أن البحث اللساني التطبيقي في عمومها، تساق فيه المعارف والآراء دون غرابة أو تمحيص، ومن يطالعها يحس وكأنها فقدت عنصر الإبداع، فيقف الدارس أما معارف مملوءة بالتعليقات المرهقة والألغاز والتمويه، وقد توصل منذر عياشي تحديد ثلاث حركات تسير معا في الآن نفسه وهما:

- الحركة الأولى: تتشبه بالتراث وتدافع عنه كأنه مقدس.
- الحركة الثانية: تعنى بترجمة ونقل المؤلفات الغربية إلى العربية، وتتبنى ما ورد فيها حرفيا، يحاول أصحابها زرع هذه المفاهيم المستوردة في حقل الذهنية العربية، مما أدى إلى تغريب الذهنية العربية لبعض البحاث العرب وبعض المثقفين، ونتج عن ذلك انفصال بين ذهنية هؤلاء والمجتمع الذي يعيشون فيه، ثم تطور الأمر إلى ميلاد شيئين خطيرين:

- **المسخ**: نقصد به الشخص الثقافي المتحول إلى شيء لا شكل له، ولا هوية، ولا انتماء.

- **التبعية**: بدأت هذه الظاهرة عند من رأى في ثقافة الغرب نموذجا له فتقمصه وعمل تحت اجنحته، ومن بين المغالطات التي لا تمت بصلة للبحث اللساني العلم يعلى حد سواء، هيمنة نحو اللغة الإنجليزية والفرنسية على التحليل اللساني العربي، مما أدى إلى استنتاجات في غير محلها، كالقول مثلا: بأن تطبيق النظريات المعاصرة على اللغة العربية، ليس أكثر من إسقاط نحو الإنجليزية على نحو العربية، فالنظرية التوليدية لم تطبق بعد على اللغة العربية، بشكل مستقل عن نظام اللغة الإنجليزية، ... فجاءت تحليلاتهم أنجلو عربية تبتعد عن روح النظام اللغوي، ولا تشير إلا إلى ماله مرادف في الإنجليزية.²²

- الحركة الثالثة: تحاول أن توفّق بين التراث والنظريات اللسانية الغربية، ولهذه المواقف الفكرية آثار واضحة على اللسانيات النظرية والتطبيقية على حد سواء على مستوى طبيعة الموضوعات المتناولة بالدراسة، وعلى مستوى المناهج المتبعة. بالإضافة لارتباطها بتعليم اللغة و اللغات الأجنبية. ونجدها في مجملها تركز على مجال التعليم واصطبغت بالصبغة التربوية، لأن جل القائمين عليها هم من رجال التربية والمناهج، دون تأثير يذكر بما يجري في اللسانيات النظرية والتطبيقية في العالم، وهذا ينطبق على دراسات تحليل الأخطاء اللغوية، التي غالبا ما تتم في كليات علم النفس والتربية.²³

بينما الدراسات الخاصة بالثنائية اللغوية و الازدواج اللهجي أو اللغوي، فهذه غالبا ما تتميز بالعاطفة.

- يبدو أن مرجع ضياع الجهود اللسانية التطبيقية إلى حد ما، يعود إلى أنها جهود فردية، ولم تكن جهودا جماعية لفرق عليمه أو مؤسساتية.
- عدم التنسيق بين الدارسين و مؤسساتهم التي يعملون بها.
- اعتماد ثلثة من العلماء على الترجمة دون التأليف في اللسانيات التطبيقية.
- الانبهار باللسانين الغربيين حتى وصل درجة التقديس.
- مشكلة التواصل بين القطرين العربيين المشرق والمغرب، أدت إلى بروز أزمة المصطلح .

- الصراع بين اللسانيين حتى في الجامعة نفسها ، إذا كان الواحد منهم قد تخرج من جامعة تختلف منجزاتها عن جامعة أخرى، وقد تصل الأمور إلى شخصنة اللسانيات. و" يحار المدقق في أي بحث أو كتاب لأي لساني في العالم العربي من ظاهرة إغفال الآخر، فنجد نسقا غريبا بين اللساني ومراجعته العلمية".²⁴
وبالنظر إلى المسار التاريخي، يمكن تحديد مشكلة الدراسات اللسانية التطبيقية، في أنها تكمن في الضبط والحصص.

- لاستحالة القيام بتصنيف تام لانعدام جرد شامل لكل ما كتب ومقالات.
- عدم استقرار الكتابات اللسانية التطبيقية على نهج واحد، فقد الباحث يتبنى قضية لسانية نظرية ، ثم يلجأ إلى التراث لتأصيلها، فيضحى موقفه تقليديا يجتر فيه آراء الأقدمين.²⁵

وتشكل اللغة الواصفة والموصفة في الآن ذاته فهي " تمزج بين معطيات تنتمي إلى عربيات متباينة؛ عربية كلاسيكية وأخرى حديثة، ظلت تراوح في دائرة المعطيات المكررة والمتداولة، ولم تستطع النفاذ إلى معطيات جديدة في التركيب، أو المعجم أو الدلالة في لسانيات المتون".²⁶

وبالتالي أضعنا فرصة اكتشاف تحولات النسق اللغوي العربي، وحصصنا تمثالاتنا عن اللغة العربية في لغة منسجمة أو منشطرة إلى نوعين، أو ثلاثة في أحسن الأحوال؛ لغة عربية كلاسيكية وأخرى حديثة ولغة وسطى، دون أن يكون هذا التقسيم مدعوما بدراسات سوسيو لسانية مدققة، وبمسح تقني مضبوط لمتون تداول هذه اللغات من إعلام وصحافة وكتابات علمية أو أدبية، كما أضعنا فرصة تطوير لسانيات الظواهر باكتشاف معطيات للوصف جديدة.

فالظواهر الموصوفة في التركيب أو الصرف أو المعجم أو الدلالة، باتت مكررة في مجموعة من الأعمال اللسانية، قد تتجدد آلة وصفها، لكن المعطيات الموصوفة تظل هي نفسها، وعندما يتم الالتفات إلى ظاهرة قد تبدو جديدة، فإن ذلك يحدث بإيعاز من سلطة النموذج اللساني الذي يتبناه الباحث، والذي يعالج ظواهر مماثلة في لغات أخرى يبحث لها اللساني العربي عن نظيرها في العربية.²⁷

إن تغيب هذه الجوانب يؤدي إلى عدم إدراك الأبعاد المختلفة لممارسة العلم، الذي له وجه فلسفي ووجه تقني؛ ويظهر وجهه التقني داخل المعرفة اللسانية في إطار النماذج الصورية التي تبنيتها اللسانيات، وتطورها بتعديلها وتكييفها مع أنظمة اللغة الطبيعية أو مع أنظمة الحواسيب. فهذا البعد يقرب العلم من مجالات تسعى في استثمار المعرفة استثماراً تطبيقياً ملموساً.²⁸

ولتطوير البحث اللساني العربي التطبيقي يجب الاحساس بالعوائق والتحديات الكبيرة التي تواجه الدرس اللساني العربي التطبيقي، التي تفرض على جميع الباحثين بمختلف مشاربهم ورؤاهم، إعادة النظر في المنهج والابتعاد عن الفردانية المتوقع في قطر بعينه، وهذا يفرض أيضاً ضرورة التواصل بين الباحثين والمؤسسات البحثية العربية خدمة للدرس اللساني العربي التطبيقي.

الهوامش:

- 1 - عبد الراجحي علم اللغة التطبيقية وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص 12
- 2 - محمد فتوح: في علم اللغة التطبيقي دار الفكر العربي، القاهرة، 1989: ص 19
- 3 - نفسه، ص 18
- 4 - ينظر، دوغلاس براون: أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر، عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1994، 173/174
- 5 - ينظر، صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط7، 2012، ص 13
- 6 - علم اللغة التطبيقي، وتعليم العربية، ص12
- 7- Charles A. Ferguson, "Come forth with a Surah Like it: Arabic as a measure of Arab Society," in M. Eid , PP. 39 - 51
- 8) M. Eid and J. Mc Carthy "Introduction", in M. Eid and J. McCarthy Perspectives on Arabic Linguistics. (Amsterdam II/ Philadelphia: John Benjamin's Publishing Co. 1990) PP. 211 -
- 9 - عبده الراجحي: علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، مصر، 1995، ص 2525-05
- 10 - عبده الراجحي : المقدمة.
- 11 - أحمد مصطفى أبو الخير: علم اللغة التطبيقي، بحوث ودراسات، الاسكندرية ، مصر، 2006، ص 12- 62
- 12 - نفسه، ص 247
- 13 - ميشال زكريا : قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية، مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، 1993. المقدمة.
- 14 - دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للنشر و الطباعة و التوزيع، الجزائر، 2003، ص39/34
- 15 - مصطفى غلفان : اللسانيات العربية الحديثة – دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشق ، رسائل و أطروحات ، رقم 4 ، 1991، ص 33 / 34
- 16 - عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل اقترايات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي، دار هومة، الجزائر، ص25
- 17 - عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3 ، 1980، ص : 29
- 18 - عبد الجليل مرتاض: اللغة العربية والاتصال ، ص : 15
- 19 - عبد الجليل مرتاض: مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، منشورات تالة، الجزائر، 2003.ص44
- 20 - بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب، مؤسسة الأشرف للتجارة و الطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ط 01، 1988، ص 05.
- 21 - مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث، منشورات تالة - الجزائر 2003 ، ص 137
- 22 - محمد الحناش: النحو التوليقي، مدخل نظري، مجلة دراسات أدبية، ولسانية ، ع1، 1975
- 23 - ينظر، مصطفى غلفان: اللسانيات العربية وأسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2013، ص 49
- 24 - ينظر، نفسه، ص 320
- 25 - ينظر، نفسه، ص 56
- 26 - الفاسي الفهري، ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب، ندوة اللغة العربية والنظريات اللسانية، كلية الآداب-فاس سايس، 2007، ص48/34
- 27 - نفسه، ص85
- 28 - نفسه، ص87

- & enchaînement rapide
- XXX accent d'insistance ; par exemple BON ALORS
- ↗ Intonation montante (flèche montante)
- ↘ Intonation descendante (flèche descendante)

- **Phénomènes paraverbaux et extralinguistiques :**

{sourire} phénomènes paraverbaux tels que rires, sourires, soupirs et toussotements

{ASP} reprise de souffle très audible

Bibliographie :

Charaudeau, Patrick. 2003. « *Les médias et l'information. L'impossible transparence du discours* », Louvain-la-Neuve, Editions de Boeck-Ina.

Charaudeau, Patrick. 2005. « *Le Discours politique : les masques du pouvoir* ». Paris : Vuibert.

Charaudeau, Patrick. 2014. « *Étude de la politesse entre communication et culture* », In Cozma A-M., Bellachhab A., Pescheux M. (dir.), *Du sens à la signification. De la signification aux sens. Mélanges offerts à Olga Galatanu*, Bruxelles, 2014, pp. 137-154., 2014, consulté le 23 avril 2017 sur le site de Patrick Charaudeau - Livres, articles, publications. URL: <http://www.patrick-charaudeau.com/Etude-de-la-politesse-entre.html>

Johansson, Marjut. 2000. « *Recontextualisation du discours d'autrui. Discours représenté dans l'interview politique médiatique* », thèse de doctorat en science du langage.

Maingueneau, Dominique. 2002. « *L'ethos, de la rhétorique à l'analyse du discours* », Version raccourcie et légèrement modifiée de "Problèmes d'ethos", In : *Pratiques* n° 113-114, juin 2002 : <http://dominique.maingueneau.pagesperso-orange.fr/pdf/Ethos.pdf>

238 KD : et dans les autres pays du monde la CIA par exemple est critiquée [tous les jours par les médias] américains sans qu'on trouve à être attristé

239 AO : [il n'y a pas de problèmes] quant à la critique. je vais vous dire vous me poussez loin dans l'attristement. j'invente un mot. quand on vient dire qu'il y a eu. Faillite. dans telle mission ou telle mission. c'est une question de PERSONNES ou c'est une question de PATRIE ? c'est une question de PERSONNES ou une question de CORPS ? nous pouvons être en désaccord\ . mais on n'a pas d'Algérie de rechange./

Conclusion :

Le discours du représentant Ahmed Ouyahia est un discours structurant qui a pour fin entrainer l'adhésion, maîtriser l'information pour assurer la reproduction du système politique. La légitimité de sa position est assurée par l'ancrage de son identité individuelle comme un des acteurs fondamentaux dans la réalité politique du pays. Il façonne le long de l'interview des figures d'ethos politique telles que le sérieux, l'avertu et la compétence pour assoir sa crédibilité et l'ethos d'intelligence pour séduire l'électorat. L'ethos de vertu et de sérieux sont identifiables principalement à travers les déclarations du protagoniste qui souligne son long parcours politique et l'expérience qu'il a acquise. Mais également par sa loyauté envers ses compagnons de route et le respect des valeurs qu'il partage avec ses compatriotes. L'ethos d'intelligence se manifeste via l'exposition de son capital culturel. En tant que représentant du président sortant, il met en scène ces figures de l'ethos au service du projet de réélection de son candidat. Il se veut ainsi digne de confiance et garant d'un crédit supplémentaire pour le candidat qu'il représente et de son programme.

Conventions de transcription :

[...] texte omis de la transcription

Dans l'explication suivante, x marque une lettre.

- **Faits de dialogue et mise en pages :**

- Interviewer et interviewés sont introduits avec leurs initiales en majuscules
- Les numéros renvoient aux tours de paroles.
- [xxx] les chevauchements sont marqués par des crochets

- **Pauses et interruptions :**

- . pause neutre
- .. pause moyenne
- ... pause longue
- / construction ou mot interrompu

- **Faits de prosodie et de prononciation :**

36 AO : de vous dire une chose. une vieille démocratie la France. a connu comme ça en soixante-huit un phénomène. qui était comme ça également et qui partait d'un continent à un autre ça avait commencé aux états unis puis ça a débarqué en Europe en France en Allemagne Mai soixante-huit... Mai soixante-huit a failli faire effondrer une démocratie de deux siècles...ensuite bon ça a été récupéré sous le front de la protestation sociale+...bon la suite vous la connaissez

Deuxième extrait :

Le protagoniste illustre les arguments qu'il a avancés pour justifier le retard en économie par l'exemple des citoyens japonais qui sont des partenaires à part entière dans la réussite de l'économie japonaise.

95 AO : [c'est pas pour faire] une dégression mais c'est une image & ..vous savez le patriotisme économique des japonais. je ne parle pas de leur compétitive tout le monde la connaît &. Ils n'arrivent/ des américains/.. bien sûr c'est des économies libres toutes les deux &. la voiture japonaise a envahi les Etats Unis d'Amérique dans le début des années quatre-vingt et :: les :: américains disaient mais on n'arrive pas à vendre chez vous :: qu'est-ce que vous nous faites? Ils disent non non mais allez y vendez. LE JAPONAIS avait une certaine culture comme quand il fait grève il met un bandeau. /enfin pe.. s. ce que je veux dire par là le pouvoir a BESOIN de faire des choses et il est entrain de les faire. de RASSEMBLER les algériens de les EMMENER d'étape à étape vers des sauts qualitatifs meilleurs..mais il faut aussi que nous allions tous ensemble

Troisième extrait :

Le protagoniste étale sa culture en donnant l'exemple du président de la Corée du nord « Kim Il- Sung » surnommé « président éternel » et ses convictions religieuses partagées par la majorité écrasante des algériens

103 AO : écoutez ! Je n'ai jamais été « Kim Il Sunguiste »..pour rester au niveau des humains. et je suis musulman et donc croyant d'une religion dans laquelle il y a eu le dernier des prophètes *Mohamed sala Allah aalayhiwasallame*. Nous ne déifions pas Bouteflika. Nous ne déifions pas sa période/

Quatrième extrait :

Là encore le protagoniste affiche ses connaissances sur les grands leaders des nations occidentales notamment la France et les États-Unis en (125) et (126).

125 AO : écoutez De Gaule a été le guide de la France Eisenhower a été le guide des Etats Unis Roosevelt a été le guide/

126 KD : mais De Gaule+ de Gaule a démissionné/

127 AO : De Gaule a démissionné mais De Gaule a fabriqué la France d'aujourd'hui. permettez-moi de le dire.il nous a MECHAMMENT combattu... en tant qu'algériens on a des raisons de :: ne pas oublier les DOULEURS de ce qu'a fait De Gaule dans notre pays mais en tant que dirigeant de son propre pays il a fait la France/

Cinquième extrait :

Le protagoniste apparemment très à l'aise dans son argumentation se permet même de l'humour en jouant à créer un néologisme « attristement » en (239)

privés, publiques, administration, économie d'emprunter et d'aller profiter de nos réserves maintenant si je parle de développement économique bien sûr il a fallu commencer avec la dèche si vous me permettez l'expression petit programme PSRE comme on l'appelle... spécial pour la relance économique et ensuite deux quinquennats deux programmes quinquennaux géants donc c'était booster la dépense publique pour refaire la base institution/. infra structurelle :: rattraper les retards sociaux économiques et les écoles les hôpitaux, etc. on est passé à un autre temps qui est le temps actuel et annonce le prochain le temps l'autre temps parce qu'on a récupéré notre souveraineté financière et notre indépendance financière on a pu se permettre tout ce qu'on a voulu chez nous dans l'intérêt de notre pays

Deuxième extrait :

Le protagoniste argumente en étalant son expérience professionnelle dans le domaine de la gestion des campagnes électorales. Il affiche également son intérêt pour tout ce qui préoccupe ses compatriotes.

195 A0 : premièrement ce pays qui est le mien j'ai eu l'IMMENSE privilège de faire/ avant cette campagne qui arrive/ de faire ONZE campagnes électorales. je connais l'Algérie profonde & J'AI des amis des relations j'ai quitté la direction d'un parti+ mais je compte beaucoup de de d'amis dans ses structures j' j'écoute je me renseigne les algériens pendant que certains étaient entrain de préparer ici euh je ne sais pas quelle contre danse politique les algériens étaient TRES TRESTRES inquiets quand leur président était malade les algériens ONT DEMANDE le retour de leur lele président se ...

L'ethos de compétence se construit à travers le discours mais également être le sourire, le regard franc qui traduisent l'aisance de la prestation et la confiance en soi.



Captures d'écran à différents moments de l'émission.

Ethos d'intelligence :

Cet ethos combine toutes les stratégies qui entraînent l'admiration et le respect. Notamment : exposer son capital culturel.

Premier extrait :

Le protagoniste étale ses connaissances en Histoire des vieilles démocraties comme argument pour ses commentaires sur le mouvement *Barakat*.

musulmane il faudrait parler des défunts que du bien. Cette référence est censée le placer en haute estime chez les citoyens téléspectateurs.

219 AO : [...] je l'ai dit la dernière fois en parlant sur une chaîne de de. Consœur+ à vous et j'ai cité un mort *Odokrouamwatkombelkheir*⁹ comme on dit *Allah yarehmouberahmetou*¹⁰ *Si Mohamed Elamari* on a dit qu'il était CONTRE la candidature de/

Deuxième exemple :

Ouyahia s'indigne en rapportant des propos arrogants de l'un des opposants. L'indignation est marquée envers le caractère immoral double de ces propos qui comporte une insulte du pays et de l'entité divine.

273 AO : ce n'est pas le fait que ce soit un homme politique ou un journaliste :: c'est le fait que la critique chez nous va :: en accompagnant la liberté d'expression il y a tellement de choses qui ont été dites+ une fois même *astghfirou Allah yarabiwehnamoumnine gal Rab edzair*¹¹ vrai ou nom ?vous l'avez vous avez /

Ethos de compétence :

L'ethos politique de compétence est révélateur de connaissances approfondies dans tout ce qui concerne les rouages de la politique. Ces connaissances doivent s'articuler à l'efficacité dans les actions. Les manifestations de cet ethos sont très difficiles à juger car elles apparaissent sur long terme ce qui explique que pour le faire valoir les politiciens font souvent des déclarations sur leur parcours, l'expérience qu'ils ont acquise.

Premier extrait :

Le protagoniste conjugue l'exposition de son savoir et de son savoir-faire. Il emploie l'argumentation par les chiffres qui relève du logos en raison de ses facultés démonstratives mais elle confère souvent un ethos de sérieux et de compétence. Il avance des chiffres relevant de l'historique économique du pays dans une démonstration de compétence.

63 AO : tout le monde le sait donc ce n'est pas parler du passé pour le critiquer. *Si Boumediene Allah yerahmou* quand il est mort il a laissé à l'Algérie une dette de dix douze milliards de dollars parce qu'il y avait les efforts de développement et il y avait un début de menace à nos frontières il fallait armer L'ANP. Lorsque monsieur Bouteflika est arrivé aux :: affaires en quatre-vingt-dix-neuf l'Algérie avait une dette de dette TRENTE CINQ MILLIARDS DE DOLLARS ET DEMI je profite ici parce que nous ne parlons pas autant que pouvoir comme on dit il y avait la dette connu il y avait quatre milliards et demi de dette quatre milliards et demi DE DOLLARS de dette avec la Russie... la vieille dette de :: ...essentiellement militaire. donc trente-sept milliard et demi de dollars aujourd'hui notre pays a une dette de trois milliards virgule trois. trois virgule trois milliards de dollars dont quatre cent millions à peu près est de dette publique parce qu'il y a eu une deux décisions de rembourser la dette par anticipation et D'INTERDIRE A TOUS LES ALGERIENS

⁹ « Odokrouamwatkombelkheir » (بالخير اذكروا موتاكم) « parlez des qualités des défunts »

¹⁰ «Allah yarehmouberahmetou » (اللهم رحمة) signifie « Puisse Allah lui accorder sa miséricorde ».

¹¹ « astghfirou Allah yarabiwehnamoumnine gal Rab edzair » (استغفر الله يا ربنا مومنين قال بالذراير) signifie je te demande pardon ô Seigneur, nous sommes croyants, il a dit « *Satanée* » Algérie. (il ne s'agit pas de la traduction intégrale mais de propos injuriant qui correspondent)

profondément ancré dans la culture algérienne. Il adresse des salutations à travers la tribune télévisuelle pour ceux qui se sont retirés de la scène politique après avoir longuement servi le pays. Il prie pour ceux qui sont morts. Ces manifestations discursives sont, pour la plupart formulées en arabe algérien ou arabe classique. Le changement de code est significatif dans l'entreprise persuasive car il souligne l'attachement aux valeurs ancestrales.

Premier exemple :

135 AO : non. on a dit que j'ai visé *Si MouLoud Hamrouche* non [et je tiens à le saluer]/

135 KD : [vous avez vi/ visé qui alors ?]&

136 AO : non il y a des gens qui ont carrément appelé à à la lala l'armée à intervenir ne me faites pas citer des noms/& j'ai tenu à préciser par rapport à *Si Mouloud* parce que *Si Mouloud* quand je suis venu la première fois à la présidence comme appelé faire mon service national je l'ai trouvé la bas comme officier euh :: dans l'administration et les services de la présidence

137 KD : [pardon hein]

138 AO : [j'ai même une si vous voulez] une raison humaine personnelle de lui manifester mon mon estime et mon respect en termes politiques/&[...]

Deuxième exemple :

Il manifeste son affection et son respect pour l'ex président Liamine Zerouel

187 AO: *Allah yedkrou bel kheir*⁶ avec le plus grand respect et la plus grande affection pour *Si Liamine Zeroual*.. [...]

Troisième exemple :

209 AO : [...]. TROIS corps de bataille. elle avait qu'il nous manquait malheureusement il nous a donné une armée L'ALN elle nous a donné deux services de renseignement *ALLah yarehnek⁷ya si bourtou/ bousouf*. et un appareil diplomatique ou les noyaux d'un appareil diplomatique. c'est ce qui fait que sur ce terrain+ on a+ euh pendant longtemps et jusqu'à ce jour +eu+ certains panages il a fallu construire une administration *ALLah yarhambirahmatiallah⁸ Si Houssine euh+ euh+... Ahmed Medegheri ...Si Houssine ...Si Le Houssine* c'est son nom de guerre une administration solide et/

Quatrième exemple :

Premier exemple :

Ouyahiaadopte un comportement exemplaire en parlant de l'un des opposants de son candidat. Il précède son nom de « *Si* » et rappelle au journaliste que dans la culture algérienne

⁶ « Allah yedkrou bel kheir » (الله يذكركم بالخير) signifie « Qu'Allah lui accorde sa bénédiction »

⁷ « Allah yarehnekya... » (الله يرحمكيا...) signifie « qu' Allah t'accorde sa miséricorde... »

⁸ « Allah yarham bi rahmatallah » (الله يرحمك رحمة الله) signifie « qu' Allah accorde sa miséricorde »

La politesse verbale, en plus d'être une valeur sociale, est très significative en argumentation car elle permet d'afficher un caractère moral digne de respect et par conséquent un ethos de sérieux et de vertu. Les manifestations les plus fréquentes dans les interactions institutionnelles sont les cas conventionnels. Par exemple les remerciements en début et en fin de l'interaction. D'autres manifestations sont exceptionnelles et servent à accentuer l'ethos de vertu dont par exemple les salutations à travers la tribune télévisuelle, les témoignages de respect et d'affection, ou même l'indignation exprimées contre certains propos jugés inacceptables comme le montre ces extraits.

Premier extrait : formules de politesse conventionnelle.

L'acte de remercier est le cas le plus courant de la politesse. Le protagoniste salue son interviewer et les téléspectateurs et remercie la chaîne pour son invitation. Il remercie également son interviewer encore une fois lorsqu'il lui accorde le mot de la fin et à la fin de l'émission.

Exemple 1 : lors de l'ouverture de l'émission

2 AO : bonsoir monsieur Drareni.et. également bonsoir aux téléspectateurs qui nous observent et merci à la chaîne Dzair TV de votre invitation.

Exemple 2 : lors de la clôture de l'émission

289 KD : Ahmed Ouyahia je vous laisse le mot de la fin

290 AO : le mot de la fin⁷merci⁷ il sera composé de deux segments. le premier segment c'est d'exprimer encore une fois sous votre plateau un espoir.[...]

Deuxième extrait :

Le protagoniste demande pardon pour pouvoir poursuivre son raisonnement

65 AO : [pardon.euh] euh...bien sûr ...enfin laissez-moi terminer ensuite je vous je reviendrai sur le Baril+.. et j'y arriverai chemin faisant au Baril.[...]

Troisième extrait :

Il formule une excuse en guise de politesse discursive et pour éviter les malentendus

69 AO : [non ! non ! non !]⁷ Et parce que les médias⁷/ parce que excusez-moi::ce n'est pas un procès que je fais aux médias⁷ mais ils ne vulgarisent pas les bonnes choses C'est vrai que les médias sont intéressés par les très... ne sont intéressés [par les très vieilles valeurs]/

Quatrième extrait : Formules de politesse exceptionnelle.

Chaque société possède dans sa culture des références étroitement liées à la notion de politesse. Le protagoniste précède les noms de ses aînés par « *SI* »⁵ signe de respect

⁵ « Si » (سي) abréviation de « sidi »(سيدي) qui signifie littéralement en arabe « mon maître » et qui est devenu une formule de respect pour les aînés dans la culture maghrébine.

se manifestent simultanément dans les extraits relevés à travers des déclarations du protagoniste.

Premier extrait :

Ce passage illustre que le protagoniste a suivi une seule ligne politique ce qui est signe de fidélité à ses engagements. Les propos en (4) consolident l'image de l'homme reconnaissant, engagé, responsable, fidèle à son pays et loyal envers ses compagnons de route.

3 KD : alors. depuis jeudi vous êtes ministre d'état. directeur de cabinet du président de la république euh. après avoir été plusieurs fois premier ministre on a envie de se poser une question. quel est le secret de votre longévité politique ?

4 AO : {sourire} ça le secret hein.. Je sais une chose...Et je l'ai dit en quatre-vingt-dix-huit. L'Algérie m'a tout donné. et je n'ai que des factures à lui régler. alors Quand le pays a besoin de moi. {ASP} quand des compagnons tels que le monsieur le président Abdelaziz Bouteflika avec lequel je travaille depuis plus de dix ans maintenant estime qu'il a besoin de mes services je suis tout à fait disponible.

5 KD : quand le pays a besoin de vous ou quand le président de la république a besoin de vous ?

6 AO : ben actuellement les deux vont ensemble.

Deuxième extrait :

Dans cette séquence le protagoniste en (18) revendique le patriotisme et un sens du devoir inconditionnel pour répondre à la question embarrassante de l'interviewer en (15). Ces déclarations affichent un ethos de vertu mais elles relèveraient également de l'ethos de l'intelligence.

13 KD : une dernière conce/ une dernière question concernant votre nomination de de jeudi monsieur Ahmed Ouyahia. Généralement une nomination comme directeur de cabinet se fait APRES l'élection. {ASP} LA elle se fait A QUELQUES JOURS DU DEBUT DE LA COMPAGNE ELECTORALE. est-ce que cela ne montre pas que les jeux sont faits [ou

14 AO : [non.non.non]

15 KD : est-ce que vous serez resté directeur de cabinet pour seulement un mois ?]

16 AO : non...ben si euh. Si mon... le président de la république venait {sourire} à ne pas être élu. ben son équipe partira [et l'équipe du successeur viendra !]

17 KD : [donc vous se/] donc vous seriez resté un seul mois comme [directeur de cabinet] ?

18 AO : [et alors?] et alors ? vous ne considérez pas que l'Algérie... la servir UN JOUR.. est un énorme honneur ?..Et euh..contribution qui est un devoir sacré je dirai

La politesse au service de l'ethos de vertu et de sérieux:

pour honorer sa mission. Le protagoniste façonne, tout au long de l'interview analysée, une image qu'il veut crédible, voire séduisante à fin d'ajouter une crédibilité supplémentaire pour son candidat. Je tenterai donc de relever quelques composantes de cette image à travers l'analyse des extraits qui m'ont semblé les plus représentatifs.

4. Analyse :

L'éthos est foncièrement lié à un processus interactif d'influence d'autrui (Maingueneau :2002). C'est une notion sociodiscursive, un comportement socialement évalué, qui ne peut être appréhendé hors d'une situation de communication précise, intégrée elle-même dans une conjoncture socio-historique déterminée. Dominique Maingueneau (1993 : 138), qui a repris et réadapté la notion au domaine de l'analyse du discours, décrit l'éthos comme étant :

« Ce que l'orateur prétend être, il le donne à entendre et à voir : il ne dit pas qu'il est simple et honnête, il le montre à travers sa manière de s'exprimer. L'éthos est ainsi attaché à l'exercice de la parole, au rôle qui correspond à son discours, et non à l'individu réel appréhendé indépendamment de sa prestation oratoire. »

Pour le discours politique, Patrick Charaudeau propose d'appréhender la notion d'éthos à partir de deux composantes qui s'emboîtent : l'image qu'a l'auditoire de l'orateur avant sa prise de parole (ethos pré discursif ou préalable) et ce que l'orateur dit lors de cette prise de parole (ethos discursif ou montré). Il regroupe les figures de l'éthos discursif en deux catégories : ethos de crédibilité (fondé sur un discours de raison) et ethos d'identification (fondé sur un discours d'affect). L'éthos de crédibilité est à la fois construit et préconstruit. Il combine ce que l'auditoire sait déjà sur l'orateur et ce que l'auditoire apprend sur l'orateur à travers son discours. En revanche l'éthos d'identification se fonde sur l'affect du citoyen qui s'identifie dans l'homme politique orateur. Il se compose de deux images, l'une tournée vers soi comme la puissance, l'humanité, l'intelligence, le caractère qui représente tout ce que le citoyen idéalise et voudrait être et la seconde tournée vers le citoyen. C'est l'éthos de chef (Charaudeau :2005). C'est à partir de ces considérations que je compte relever les preuves éthiques de crédibilité et d'intelligence qui attesteront la fiabilité de représentant qui soutient la candidature du président sortant.

Les images de l'Éthos de crédibilité:

Dans le discours politique la crédibilité est fondamentale. Elle se construit à travers le discours. Elle est liée à l'identité discursive. Elle est assurée par des manifestations d'images de vertu, de sérieux et de compétence.

L'éthos de vertu et de sérieux :

L'éthos de sérieux dépend des représentations de chaque groupe social. Il se construit parfois à travers des déclarations faites sur soi-même. Un ton ferme et mesuré. Tandis que l'éthos de vertu, qui peut également être explicité, se manifeste à travers des preuves de sincérité, de fidélité et d'honnêteté personnelle. Dans l'interview en question ces deux figures de l'éthos

dulogiciel *Transcriber Pro*² qui permet de ralentir le débit et rend la transcription moins difficile. La taille de la version transcrite de l'émission est 124 Ko. Cette version transcrite du corpus n'exclut pas la version vidéo enregistrée. Elles sont complémentaires vu le caractère multicanale et plurisémiotique de l'objet d'étude.

2. Présentation de l'émission :

En dépit de l'affichage auctorial de « débat » l'émission étudiée se présente sous la forme d'une interview politique. Mis à part son caractère médiatique, il s'agit d'une interaction institutionnelle aisément reconnaissable par ses traits caractéristiques : l'alternance des tours de paroles et la thématique globale. L'interviewer est légitimé dans le rôle de « questionneur » et gestionnaire du temps et des thématiques, et l'interviewé dans le rôle de « questionné ayant des raisons d'être questionné ». L'alternance de parole se trouve alors régulée et contrôlée par l'instance qui en a l'initiative et selon la finalité de celle-ci (Charaudeau : 2003, 181). L'interview politique assure l'accès à l'information d'une manière rapide et par des voix légitimes³. Elle constitue également un genre très convoité par les politiciens car ils la considèrent comme très fiable dans la communication politique (Johansson : 2000, 18). Elle s'inscrit dans une logique de révélation et de réédition de comptes car elle est censée mettre à la disposition de l'opinion publique un ensemble de jugements et d'analyses qui justifient l'engagement de l'homme politique interviewé (Charaudeau : 2003, 182). Dans ses questions, l'interviewer propose des tâches d'explication et d'argumentation au politicien. Ce dernier accepte de les effectuer ou non (Johansson : 2000, 18). Quand le politicien accepte, il a une certaine liberté de mener à sa guise une stratégie discursive et argumentative. Je m'intéresse particulièrement à ces stratégies argumentatives.

Le politicien interviewé n'est autre qu'Ahmed Ouyahia, chef du cabinet du président sortant et son représentant dans la campagne électorale⁴. Sa légitimité est attachée à l'identité sociale donc à son éthos pré discursif ou préalable.

3. Méthode :

Mon investigation s'inscrit dans l'analyse du discours politique et particulièrement dans une perspective de l'analyse argumentative dans la tendance représentée par les travaux de Patrick Charaudeau. Cette dernière puise ses outils dans la tradition aristotélicienne. Elle s'interroge sur les moyens employés par le sujet argumentant pour persuader son auditoire. Je m'intéresse particulièrement aux preuves éthiques mises en scène par le représentant du président sortant

²*Transcriber Pro* est un logiciel qui était mis à la disposition des professionnels et des chercheurs gratuitement sur le site <http://transcriber-pro.com>. Mais il ne l'est plus maintenant.

³Les médias, et les personnages publics invités

⁴Ahmed Ouyahia est un homme d'État et Haut fonctionnaire algérien. Diplômé de l'École nationale d'administration d'Alger et en sciences politiques. Plusieurs fois premier ministre de la justice (1999, 2000, 2001), chef du gouvernement (1995, 1998, 2003, 2004, 2005, 2008, 2009, 2010), il a également été nommé Ministre d'État, Représentant personnel du président de la République (2002) et chef de cabinet du président de la République en 2014. Ahmed Ouyahia est par ailleurs secrétaire général du Rassemblement national démocratique (RND) de 1999 à 2012.

L'argumentation politique est fondée sur la fameuse triade *éthos*, *pathos* et *logos* qui s'entremêlent fréquemment dans les entreprises de conquête de l'opinion publique. Pour Aristote, *l'éthos* renvoie à l'image de crédibilité que l'orateur donne de lui-même, le *pathos* aux émotions qu'il cherche à susciter chez les auditeurs et le *logos* à l'argumentation rationnelle qu'il avance. La rhétorique aristotélicienne insiste sur la supériorité de *l'éthos*. C'est « La plus efficace des preuves » (Maingueneau : 2002). Même dans les tendances contemporaines, l'image de l'orateur joue un rôle décisif dans l'entreprise de persuasion. En sciences du langage, la notion *d'éthos* est introduite par le linguiste Oswald Ducrot qui l'intègre dans sa théorie de la polyphonie énonciative (Ducrot, ...). Par la suite, Dominique Maingueneau la reprend et la développe dans le domaine de l'analyse du discours (Maingueneau : 2002). Dans cette perspective, *L'éthos* est véhiculé par des procédés linguistiques. Il se manifeste à travers l'activité langagière et à travers l'énonciation. *L'éthos* dans la présente réflexion est celui résultant d'une stratégie élaborée ou assumée par le locuteur pour influencer son allocataire ou son auditoire, afin d'obtenir son adhésion. Il apparaît comme le résultat de choix discursifs conscients et inconscients construisant une telle image. Quant à Patrick Charaudeau, il s'est particulièrement intéressé à *l'éthos politique* qu'il considère comme une stratégie du discours politique qui s'inspire d'une certaine demande sociale (Charaudeau 2005, 142). Dans cette optique ma réflexion a porté sur les manifestations de *l'éthos* dans le discours l'un des représentants du président sortant qui brigait son quatrième mandat : Ahmed Ouyahia. Dans le cadre de cette réflexion je me pose la question de savoir quelles stratégies argumentatives déploie-t-il dans son entreprise de persuasion ?

1. Corpus :

« Controverse » est une émission hebdomadaire de débats sociaux, économiques et politiques durant laquelle le journaliste Khaled Drareni et ses invités font la lumière sur des questions d'actualité, qui rythment le quotidien. L'émission est préparée par Khaled Drareni et la Rédaction de l'Information de *Dzair TV*. Elle est diffusée chaque mercredi à 20h30, heure de grande écoute, sur la chaîne de télévision privée *Dzair TV*. Durant les cinq mois qui ont précédé les élections présidentielles de 2014 l'émission s'est consacrée aux présidentielles en recevant les différents prétendants au pouvoir. Les activités préélectorales ont généralement lieu pendant une période plus longue que celle de la campagne officielle indiquée au calendrier électoral. Le numéro que je propose d'analyser est le quatrième du corpus de ma thèse de Doctorat en cours¹. L'invité est le représentant du président sortant Abdelaziz Bouteflika. Il s'agit de son chef de cabinet Ahmed Ouyahia. L'émission est intitulée « *Ahmed Ouyahia, le grand oral* » ou encore « *le comeback d'Ahmed Ouyahia* ». Elle a été diffusée le 15.03.2014, elle a duré 1h32s.

Dans un premier temps j'ai enregistré l'émission sous format numérique MP4. Puis dans un deuxième temps, j'ai effectué une transcription orthographique aménagée à l'aide

¹ « Stratégies discursives et argumentatives dans les interviews politiques télédiffusées durant la campagne électorale d'Avril 2014 en Algérie », Université de Université Abdelhamid Ibn Badis, Mostaganem.

L'éthos politique du représentant du président sortant dans la pré-campagne présidentielle algérienne d'avril 2014

Saliha Khaldi, Université Abdelhamid Ibn Badis, Mostaganem

Doctorante en sciences du langage.

Résumé :

Lors de la pré-campagne électorale des présidentielles algériennes du mois d'avril 2014. L'ex premier ministre algérien Ahmed Ouyahia, nommé tout juste chef de cabinet du président et co-directeur de la campagne électorale et représentant du président sortant Abdelaziz Bouteflika qui brigue un quatrième mandat, a été l'invité de l'émission de débats socio politiques et économiques « Controverse » diffusée sur la chaîne privée *Dzair TV*. Dans le présent article, je tente de présenter l'interview politique télédiffusée, forme sous laquelle se présente l'émission malgré l'affichage auctorial de « débat ». Ensuite je m'appliquerai à decerner de plus près l'éthos politique qu'affiche l'invité et qui est foncièrement lié à un processus interactif d'influence.

Mots clés : interview politique télédiffusée, controverse, *Dzair TV*, éthos politique, identité discursive, identité individuelle.

Introduction :

Dans sa quête d'audimat, la chaîne de télévision privée algérienne *Dzair TV*, ainsi que les politiciens aspirant au pouvoir, ont exploité l'aubaine des présidentielles du mois d'Avril 2014 en Algérie. Pour couvrir l'actualité particulière, *Dzair TV*, à travers son émission de débats sociopolitiques hebdomadaire phare de l'époque, « Controverse », s'est consacrée aux présidentielles du mois d'avril 2014. Les candidats ou leurs représentants ont défilé sur le plateau de l'émission pour mener leurs pré-campagnes et exposer leurs programmes. Le titre de l'émission est révélateur mais il me paraît nécessaire de signaler que le trait caractéristique de l'émission est que le journaliste n'hésite pas à bousculer ses invités s'engageant ainsi dans une dynamique conflictuelle dont le but est d'offrir au public le spectacle du politicien mettant en œuvre toutes ses compétences en communication politique à des fins de persuasion voire de séduction.

b. En arabe :

- أركان محمد ، الفكر الإسلامي : نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، 2012.
بن نبي مالك ، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 2000.
بن نبي مالك ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، 2002.
بن نبي مالك ، العفن (*Pourritures*)، ترجمة نور الدين خندودي، دار الأمة، الجزائر، 2007.

5. Notes de bas de page :

¹ Ibrahim SAAD EDDINE, *Almoudjtamaa waddawla filwatan alarabiyy* (La société et l'Etat dans le monde arabe), Centre d'études de l'unité arabe, Beyrouth, 1988.

² *Idem.*

³ *Ibid.*

⁴ *Ibid.*

⁵ L'indépendance de l'Algérie était revendiquée par le PPA au moins à partir de 1937.

⁶ Abdelkader YEFSAH, *La question du pouvoir en Algérie*, Editions ENAP, Algérie, 1990, p. 57.

⁷ A. FRANCOS et J.P. SERINI, *Un Algérien nommé Boumediene*, Editions Stock, Paris, 1976, p. 93, cité par Abdelkader YEFSAH, *op. cit.*, p. 58.

⁸ Abdelkader YEFSAH, *op. cit.*, p. 59.

⁹ Jacques SIMON, Dossier : « L'Algérie indépendante : économie, société et état (1962-1988) », CIRTA (Revue trimestrielle du CREAC), N° 15, octobre 1999, p. VIII.

¹⁰ Il ne faudrait pas perdre de vue la tentative avortée de Tahar ZBIRI, chef de l'état-major sous Boumediene, en décembre 1967.

¹¹ Jacques SIMON, *op. cit.*, p. IX.

¹² De 1980 à 1984, l'ANP augmente ses effectifs de plus de 66%, et dès le début de 1985, elle pouvait aligner 8 brigades entièrement mobiles : 2 blindées, 5 mécanisées et aéroportées, en plus de 6 brigades semi-mobiles et de 28 bataillons d'infanterie autonomes. Cf Jacques SIMON, *op. cit.*

¹³ Khaled NEZZAR, Hachemi HADJERES, Abdelkarim BELHAOUCHET, ABDERRAHIM et BOUADJADJ.

4. Références :

a. En français :

AUROUX S. & WEIL Y., *Dictionnaire des auteurs et des thèmes de la philosophie*, Hachette, 1991.

BENNABI Malek, *Les conditions de la Renaissance*, 1948.

HARBI Mohammed, 1975 : *Aux origines du FLN. Le populisme révolutionnaire en Algérie*, Christian Bourgeois, Paris.

HARBI Mohammed, 1980 : *Le FLN, mirage et réalité. Des origines à la prise de pouvoir 1945-1962*, Jeune-Afrique, Paris.

HARBI Mohammed, 1981 : *Les archives de la révolution algérienne*, Jeune-Afrique, Paris.

SAAD EDDINE Ibrahim, *Almoudjtamaa waddawla filwatan alarabiyy* (La société et l'Etat dans le monde arabe), Centre d'études de l'unité arabe, Beyrouth, 1988.

SIMON Jacques, Dossier : « L'Algérie indépendante : économie, société et état (1962-1988) », CIRTA (Revue trimestrielle du CREAC), N° 15, octobre 1999.

YEFSAH Abdelkader, *La question du pouvoir en Algérie*, Editions ENAP, Algérie, 1990.

3. Conclusion :

Nous avons essayé dans cet article d'insister sur le rôle qu'a joué l'armée aux côtés d'autres acteurs bien sûr dans la politique algérienne depuis les préparatifs de la révolution armée en 1954 passant par la phase de l'indépendance en 1962 et arrivant à la démocratisation constitutionnelle débutant avec les événements d'octobre 1988. Dans cette perspective historique, et dans un souci de modernité liant les faits historiques les uns aux autres pour une vue d'ensemble aidant à comprendre le présent à travers le passé, nous avons étudié ici seulement le volet historique non loin toutefois de la critique historique-contemporaine (passé & présent) où la situation actuelle (objet d'une autre étude prochaine) trouve ses racines sans aucun doute dans le passé pas si lointain de l'Algérie moderne.

jeunes officiers à des grades supérieurs moins élevés, c'est-à-dire ceux de lieutenant-colonel et colonel.

De plus, en pleine austérité économique de 1984 à 1987, le budget de l'armée a pris la part du lion, y compris pour les soldes des militaires, au point que les disparités entre les salaires militaires et civils étaient vraiment criardes au profit des premiers.

Sur le plan international, l'Algérie s'est engagée à nouer des liens avec l'Occident représenté principalement par les Etats-Unis et l'OTAN, sans pour autant rompre brutalement avec l'allié traditionnel, l'ex-URSS. En fait, ces pays occidentaux - et spécialement les USA - ont donné leur accord en 1985 pour équiper l'armée algérienne, chacun dans sa spécialité, à savoir la Grande-Bretagne pour la marine, la France pour les moyens de transport, les hélicoptères de combat, le matériel électronique et le contrôle du système de détection et de défense anti-aérienne. L'Italie, quant à elle, fournissait les transporteurs de troupes, de canons et des munitions, la Suède assurait pour sa part la réalisation de quelques projets militaires. Nonobstant ce processus de fortification intense du dispositif militaire, il n'en reste pas moins que, aux yeux de beaucoup d'observateurs, un faisceau de nuances latent commençait vraiment à se dessiner à l'intérieur même de l'armée. Ce climat d'intérêt pour l'armée est certainement une sorte de militarisation du pouvoir au sens où la mue de l'ALN en une armée de métier, d'un côté, et le courroux populaire subissant les restrictions multiples des libertés fondamentales et/ou des conditions matérielles, de l'autre, contribuèrent fortement à asseoir un système autoritaire et autocratique privilégiant pleinement et hautement la force au sens propre du terme afin de contrôler toute velléité de critique et de participation au pouvoir, en exploitant surtout la personnalité sans partage du colonel-président H. BOUMEDIENNE à travers le parti unique le FLN.

dans le Maghreb. De ce fait, le budget de l'armée verra son chiffre revu à la hausse d'année en année passant, ainsi de 2,2 % du PIB en 1975 à 3% en 1980.¹¹

Cette nouvelle tendance du régime sera confrontée à plusieurs problèmes : la formation de nouveaux cadres, la modernisation des équipements, l'adaptation de l'ANP aux besoins nouveaux et, surtout, le maintien et la défense du régime.

A l'aube des années quatre-vingts, agissements publics et contestations populaires n'ont cessé d'émerger en force, allant *crescendo* des manifestations « du printemps berbère » en 1980 aux événements violents de l'Est (Constantine et Sétif) en 1986, en passant par les émeutes de l'Ouest (Oran) en 1982.

Ainsi, l'armée se trouvait-elle, comme dans tout système basé sur le parti unique, obligée de se redresser en augmentant la mobilité de l'action afin de « corriger » la population et ses « dérives » tout en s'employant systématiquement à réprimer dans le sang et le feu toute contestation jugée subversive et portant « une atteinte à l'ordre public ». Au début des années 80, l'armée s'est renforcée en termes d'effectifs autant qu'en termes de logistique.¹² En effet, il a été mis en place un dispositif important de recrutement et de formation de jeunes diplômés des principales écoles militaires telles que l'Académie inter-armes de Cherchell, l'Ecole de l'air de Tafraoui à Oran, l'Ecole des blindés de Batna, l'Ecole des transmissions d'Alger et l'Ecole de la marine de Mers-El-Kebir, sans oublier l'étranger avec les écoles militaires de l'URSS et des pays socialistes, des Etats-Unis, de Grande Bretagne et surtout de France.

L'année 1984 restera marquée d'une part par les réductions du nombre des régions militaires de sept à six, et, d'autre part, par la recreation du poste du chef d'état-major de l'ANP sous la direction de Mustapha BELLOUCIF, notamment après la promotion des « révolutionnaires » aux grades de généraux¹³, et des

nombre des effectifs de l'ANP a atteint 65 000 hommes, débutant ainsi doucement mais sûrement une ère favorisant le militaire par rapport au civil en général et au politique en particulier. Quant à la logistique, le corps principal de la force terrestre était de 400 chars soviétiques (T-34) et de 400 véhicules blindés (Half-Track, etc.). L'aviation était composée en majorité de Mig-17 et Mig-21 et la marine ne comptait que des dragueurs de mines et quelques vedettes rapides lance-torpilles.⁹

La méfiance de BOUMEDIENNE à l'égard des militaires qui gravitaient autour de lui et d'un éventuel rôle prépondérant¹⁰ d'une armée renforcée et modernisée, pourrait expliquer en grande partie ce sous-financement de l'armée à cette période.

Cependant, tout en voulant s'inspirer de la révolution algérienne, et d'elle seule - du moins au début - Boumediene découpa le territoire national en sept zones ou régions militaires.

En somme, l'arsenal militaire algérien était jusqu'au début des années soixante-dix maigre et vétuste tout en souffrant de multiples déficiences techniques. En témoignent les pannes récurrentes des engins militaires et des chars durant les deux guerres qui opposèrent Arabes et Israéliens en juin 1967 -la Guerre des Six Jours- et en octobre 1973.

2.1.2.2. La grogne populaire : de 1974 à 1988

Après avoir conforté les bases politiques et militaires de son pouvoir en les confiant à des hommes fidèles, BOUMEDIENNE, chef suprême de l'Etat et de l'armée décida, les « nécessités » du conflit du Sahara occidental aidant, de moderniser à l'ANP et d'imposer le rôle d'une nation algérienne arabe puissante

supervision de KRIM, du cessez-le-feu bilatéral le 19 mars 1962 à midi. Mais il n'en était pas moins évident que la course au pouvoir et aux postes-clés commença avec véhémence et ruse.

2.1.2. Le renforcement de l'ALN au sein de l'appareil étatique : 1962 à 1988

Nous présentons dans ce qui vient la méthode du renforcement de l'ALN dans l'Etat en bâtissant un entourage militaire sur fond politique dans le but de pérenniser la domination de l'armée sur les institutions étatiques. Seulement, la grogne populaire n'était pas en reste puisqu'elle s'est exprimée violemment en 1988 traduisant pour ainsi dire la révolte du peuple contre la contrainte et le renfermement.

2.1.2.1. Jeter les bases d'un régime militaire : de 1962 à 1974

Sortis forts de la bataille politique et militaire sans merci qui les opposait à leurs frères d'armes, BEN BELLA président -même éphémère- et BOUMDIENNE, homme redoutable de l'état-major, étaient confrontés à de sérieux problèmes économiques et sociaux.

Concernant l'armée de libération, désormais appelée ANP juste après l'indépendance, il ne s'est pas produit de vraie modernisation ou de renouvellement, ni dans la structuration ni dans l'équipement - avec un budget annuel ne dépassant pas alors les 70 millions de dollars. Durant la période 1962-1964, les effectifs globaux de l'ANP étaient approximativement de 20 000 hommes, regroupés essentiellement dans quelques bataillons d'infanterie légère, avec peu de blindés soviétiques et quelques rares avions. Dix ans plus tard, le

en occultant les conflits graves et le fossé énorme qui se creusait entre les deux parties.⁶

En réponse à cette offensive audacieuse du GPRA, le colonel H. BOUMEDIENNE dépêcha Abdelaziz BOUTEFLIKA (lieutenant et responsable aux côtés de Cherif BELKACEM et Ahmed MENDJELI pour la région de l'Ouest) auprès des cinq chefs historiques, emprisonnés à Aulnoy, suite au détournement de leur avion avant d'atteindre Tunis en 1956, afin de les mettre au courant de sa vision de la révolution autant que celle de l'armée dans sa totalité.

Tandis que l'arrivée de BOUTEFLIKA à la prison d'Aulnoy dans le but de convaincre les « cinq », a enthousiasmé BEN BELLA adoptant inconditionnellement la vision de Boumediene quant à la révolution et à son projet politique, de leur côté AIT AHMED et BOUDIAF se sont montrés hautainement méfiants.⁷ Désormais, l'état-major puissant cherchait un allié civil pour se partager le pouvoir et faire barrage à leur ennemi commun - le GPRA – ce qui a fait que toute décision provenant de ce dernier devait absolument passer par les deux nouveaux alliés.

Enfin, les rivalités restées longtemps souterraines se manifestèrent au grand jour après la tenue du CNRA de Tripoli, du 22 au 27 février 1962, en vue de discuter des négociations de Rouse.⁸

Nous pourrions toutefois relever deux événements importants durant cette réunion de Tripoli :

Le premier était le remplacement de BEN KHEDDA à la tête du GPRA par BEN BELLA dès sa sortie de prison. Le second étant la proclamation, sous la

s'opposa farouchement Ramdane ABANE ayant une aversion pour les colonels en général, la crise entre hommes politiques et militaires -colonels puissants et sans pitié dont les dérives étaient monnaie courante- s'aggravait au fil du temps pour éclater au grand jour. Cette attitude ferme et déterminée d'ABANE lui coûtera la vie.

Le 19 septembre 1958, le GPRA (Gouvernement Provisoire de la République Algérienne) fut formé en regroupant toutes les tendances : centralistes (BEN KHEDDA, YAZID), Oulémas (Toufik EL MADANI), UDMA -Union Démocratique du Manifeste Algérien- (FERHAT Abbas et Ahmed FRANCIS) et activistes de l'OS/CRUA (Krim BELKACEM, BENTOBAL et BOUSSOUF). Le GPRA fut critiqué ouvertement par les « Trois B » qui faisaient fi des recommandations du Congrès de la Soummam, et convoquèrent ces haut gradés à « la réunion des dix colonels » en cooptant les membres du 3^{ème} CNRA, dont les deux tiers sont des militaires, au lieu d'être en principe élus.

A l'issue du Congrès de Tripoli en janvier 1960, et après des débats houleux, le colonel BOUMEDIENNE fut nommé chef d'état-major général des armées alors que Saïd MOHAMMEDI obtint le poste de chef d'état-major de l'Ouest et qui deviendra ministre par la suite. En parallèle, le GPRA décida dès le 16 janvier 1961 d'entrer en pourparlers avec la France, lesquels pourparlers commencèrent officiellement à Melun le 12 juin 1961 puis furent arrêtés le 24 juillet 1961, période durant laquelle les différends entre différents hommes du GPRA d'un côté et entre l'état-major de l'autre ne cessaient d'augmenter.

Le GPRA, déjà critiqué de manière acerbe par l'état-major, tenait une réunion à Mohammedia (Maroc) pour prendre des mesures contre H. BOUMEDIENNE, Ahmed KAID et Ali MENDJELI. Il n'en fut rien et le GPRA perdit ainsi toutes ses chances de mettre l'état-major en difficulté ou de prendre le pas sur lui, tout

Wilaya II Constantine : DIDOUCHE

Wilaya III Kabylie : KRIM (après maintes tractations et hésitations)

Wilaya IV Algérois : BITAT

Wilaya V Oranie : BEN M'HIDI

Wilaya VI Sahara : Sans responsable dans l'immédiat.

BOUDIAF fut le coordinateur entre l'intérieur et l'extérieur.

Ce conseil s'élargira aux « neuf historiques » avec l'intégration de KHIDER, AIT AHMED et BEN BELLA en leur qualité de membres de la Délégation extérieure représentant initialement le MTLD.

Le 22 août 1956 se tint le Congrès de la Soummam comme étant le premier congrès du FLN, qui concentra sa légitimité sur les maquisards authentiques de l'intérieur. Ce congrès sortait avec les résolutions suivantes :

- Primauté du politique sur le militaire et de l'intérieur sur l'extérieur.
- Modernisation de l'ALN (uniforme, armes, grades, tribunaux, etc.).
- Constitution du CNRA (Conseil National de la Révolution Algérienne) qui élit le CCE (Comité de Coordination et d'Exécution), dont faisaient partie Ramdane ABANE, BEN KHEDDA, BEN M'HIDI.
- Direction collégiale restreinte.

Toutefois, ces décisions -les mêmes que celles de la proclamation du 1^{er} novembre 1954- étaient contestées par MAHSAS, partisan de BEN BELLA, qui voulut soulever l'ALN à la frontière de la Tunisie.

Dans ce climat de conflits et de tumultes au sein de la famille nationale révolutionnaire, notamment après l'avènement, dès le début de l'année 1959 des « Trois B » influents - **BENTOBAL**, **BOUSSOUF** et **BELKACEM** - auxquels

Enfin, nous essayons de voir de près le renforcement de l'ANP et son rôle croissant dans la politique algérienne par la propulsion du colonel Haouari Boumediene au sommet de l'Etat. Nous y aborderons également la politique de Boumediene quant à l'armée et à son poids pesant dans la prise des décisions importantes dans le pays à travers le parti unique FLN (Front de Libération Nationale).

La révolution algérienne a été d'une part dure et longue, et, d'autre part, victorieuse et couronnée par l'indépendance après l'adhésion massive du peuple dans son ensemble à la cause nationale qui avait pour but, surtout dans les années cinquante, l'indépendance de l'Algérie⁵. Cependant, en raison de différentes tendances au sein du mouvement de libération, de multiples crises schismatiques ont fissuré, bien avant le déclenchement de l'Insurrection de novembre 1954, le tissu national et menacé l'intérêt général de tous les Algériens. Ainsi, commençaient-elles les différences au sein du PPA (Parti du Peuple Algérien)/MTLD (Mouvement pour le Triomphe des Libertés Démocratiques), essentiellement entre d'une part les Messalistes, soutenant MESSALI le chef du parti, qui organisaient en juillet 1954 un congrès en Belgique et, d'autre part, les centralistes du Comité central (BEN KHEDDA, LAHOUEL, etc.) qui tenaient leur propre congrès en août 1954 à Alger, sans pour autant oublier l'O.S (Organisation Spéciale) dont des membres rejoindront le futur CRUA (Comité Révolutionnaire de l'Unité et de l'Action) en mars 1954.

Homme fort de ce dernier organisme, Mohammed BOUDIAF réunit vingt-deux (22) anciens membres de l'OS, donnant ainsi naissance à la première direction du FLN qui fut composée de cinq chefs ayant chacun, pratiquement, une wilaya sous sa responsabilité :

Wilaya I Aurès : BEN BOULAID

qu'armée de métier, *secundo*, en renforçant l'emprise de l'armée sur l'appareil étatique jusqu'en 1988 avec l'étude de deux phases, en l'occurrence la préparation à un régime militaire et autoritaire, d'un côté, et la montée de la colère populaire éclatant au grand jour en 1988.

2.1. Aperçu historique : l'armée au pouvoir

En premier lieu, nous abordons la transformation voulue bien entendu de l'ALN d'une armée de libération en une armée de métier pour s'intéresser en second lieu à l'ancrage réel du militaire au pouvoir dans les entrailles du régime politique à partir de 1962 jusqu'en 1988.

.

2.1.1. D'une armée révolutionnaire vers une armée de métier : 1954-1962

Dans ce premier chapitre, nous parlerons de trois questions primordiales, en l'occurrence : la métamorphose de l'ALN (Armée de Libération Nationale) en ANP (Armée Nationale Populaire) entre 1954 et 1962, en essayant de différencier l'intérieur, c'est-à-dire les *Wilayas* II (Constantine), III (la Kabylie), IV (l'Algérois) avec la Z.A.A (Zone Autonome d'Alger), I (l'Aurès), V (l'Oranie), et VI (le Sahara), de l'extérieur, composé notamment de l'Armée des frontières stationnée en Tunisie et au Maroc, tout en s'appuyant sur les wilayas I, V et VI de l'intérieur.

Ensuite, nous étudierons l'ANP devenu une armée de métier et les moyens utilisés à cet effet ainsi que les changements sociaux internes jusqu'aux facteurs économiques sur lesquels l'Etat, incarné par l'ANP s'est appuyé.

de souveraineté, de sol et de peuple, d'autre part. Ce manque de responsabilité citoyenne est flagrant dans toutes les sociétés du tiers monde en général, et du monde arabo-musulman en particulier. Néanmoins, ce constat peut s'expliquer par des causes qui ont engendré cette confusion dans certains esprits, et ce désintéressement dans d'autres. Sans vouloir pousser le raisonnement plus loin, et laissant cette question à d'autres recherches, nous faisons remarquer que cette inertie largement répandue dans les sociétés des pays sous-développés est, à notre sens, le reflet pour l'essentiel de la décadence progressive et si longue, dans tous ses aspects politique, culturel et économique de ses sociétés ; de la mauvaise gouvernance qui, elle, a sa bonne part de responsabilité dans ce désert des idées et dans cette misère dans lesquels pataugent différentes nations.

Il ne faut en aucun cas négliger l'ordre mondial et les rapports de force internationaux qui pèsent de tout leur poids dans la détermination de la donne internationale et la problématique nationale. Les enjeux économiques et stratégiques jouent un rôle important dans l'évolution interne des pays, en fonction de circonstances en mouvements continuels. Cependant, bien que les rapports de force mondiaux méritent d'être largement pris en considération, le changement social n'en est pas moins prépondérant et crucial en ce sens qu'il représente le stimulus nécessaire à toute action de l'intérieur. Ceci étant, toute action endogène serait inefficace si elle ignorait totalement les données internationales et leurs répercussions pratiques, tout comme toute pression extérieure, si petite soit-elle, ne fait qu'exacerber les tensions et reléguer au dernier plan les plus belles initiatives bâties sur le plan intérieur.

2. Rapports armée-pouvoir : 1954-1988

Il suivra dans les lignes dessous un rappel historique de l'entrée de l'armée en scène *primo via* la guerre de libération puis après l'indépendance en tant

la gouvernance ou les gouvernants ; et "la collectivité", autrement dit la nation. Un lien de consultation directe ou indirecte s'établit entre les deux dans le cadre communément nommé "*la consultation, le pacte et l'allégeance*" (*ach-choura, al'aqd et al-bay'a*).

Pour sa part, l'historien et sociologue IBN KHALDOUN introduit, dans la définition de l'Etat, une composition de différents éléments entremêlés dont un mobile crucial, *'asabiyya* ou esprit de corps, qui sert de catalyseur dans la société en général et entre ce qu'il appelle "*les éléments matériels*" - *'anassir maddiyya* - et "*les éléments moraux*" - *'anassir ma'nawiyya*³. Ceci étant, les premiers représentent le caractère contraignant de l'Etat, dont les impôts, l'armée et les tributs qu'elle s'assurerait, les seconds constituant l'allégeance aux gouvernants légitimes par le libre choix, et laquelle s'articule autour de la justice au sens élargi du terme.

Par ailleurs, pour se maintenir, un Etat ne peut que s'appuyer sur la légitimité – ou la légalité – et sur la stabilité pour assurer pleinement son rôle social de redistribution des richesses, avec le maximum de justice, ainsi que sa fonction politique de régulation ou de "*contrainte légitime*", au sens entendu par Max WEBER⁴. C'est cet Etat, résultat de l'effort de la société civile et même de toute la société - conscience civile - qui donnera à la nation son caractère souverain sur le plan extérieur, en défendant les frontières et les intérêts de ses citoyens et, à l'échelle intérieure, en organisant, structurant et orientant ces mêmes citoyens par le biais des institutions législative, exécutive et judiciaire.

Ainsi, intervient-elle la question de la citoyenneté et sa place dans la pensée arabe ou tiers-mondiste en tant que personnalité juridique d'une part, et par rapport à une personnalité morale incarnée par un Etat avec tout ce qu'il englobe

forme l'essence même de la présence de l'armée et des lois prévoyant et précisant son domaine d'action et de manœuvre, bien délimité à travers des institutions politiques issues d'un climat libre et ouvert qui, à leur tour, inscrivent clairement la tâche de cette institution militaire dans la nation, telle qu'elle est bien définie dans la constitution. Celle-ci fonctionne comme un régulateur qui distribue les rôles selon la vocation de chaque institution et en fonction de la nature de chaque formation politique.

Un Etat est une entité politique juridique ayant un pouvoir reconnu de tous, qui s'exerce sur une population donnée et dans un endroit géographique déterminé.¹ Ce concept est, il est vrai, très flou dans les sociétés du tiers monde où la société ne jouit pas pleinement de son autonomie, condition essentielle pour la construction de tout regroupement organisé, et *a fortiori* d'une nation. Nous ne saurions toutefois parler de cette dernière entité politico-sociale sans évoquer les deux piliers sur lesquels elle s'érige : le sentiment de l'adhésion et du destin commun générant pour ainsi dire un travail collectif à dessein unique, qui prend corps et se solidifie au moyen d'un acquis commun que ce soit la langue, l'histoire ou la religion, très présente dans la pensée arabo-islamique.

Ce dénominateur commun a été bien mis en exergue par les théoriciens, jusqu'au Français Renan, du concept de « *nation* », de manière plus concrète à travers un J. LOCK² faisant l'apologie du « *contrat social* » où, théoriquement, se rejoignent l'Etat et la société civile qui représente la tête pensante et le facteur régulateur de la société en vue de servir l'intérêt général tout en faisant participer toutes les composantes sociales évitant ainsi toute velléité de dissension au sein du même groupe. C'est cette interaction entre l'Etat et son citoyen qui crée un cadre de règlements avec le consentement des deux parties concernées.

Dans la pensée islamique traditionnelle, il y a deux conceptions fondamentales concernant l'Etat : ce que l'on appelle "*la légitimité*" (*ach-char'iya*) c'est-à-dire

الجيش من مقاومة للاحتلال إلى جيش نظامي من 1954-1962، مع تعيين شأن توطيد الجيش في الدولة كعامل فعال في التحضير لدولة عسكرية 1962-1974 من جهة، واندلاع الغضب والحنق الشعبين بين 1974-1988 من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية : الجيش، الثورة، الامتعض الشعبي، السلطة.

0. Introduction :

Nous nous proposons dans cet essai de traiter de la question de l'influence militaire au pouvoir en Algérie entre 1954 jusqu'en 1988, c'est-à-dire depuis le tout début de la révolution armée finissant par les prémisses de l'ouverture démocratique au sein du pluralisme politique. Seront abordés alors les points suivants : en premier lieu la notion de l'Etat dans les pays du tiers monde, puis un aperçu historique montrant l'œuvre de l'armée au pouvoir avec la mue de l'ALN d'une armée révolutionnaire en une armée de métier de 54 jusqu'en 62, sans omettre son impact sur le terrain politique grâce à son renforcement au sein de l'appareil étatique : 1962 à 1988. En second lieu, nous poursuivons notre analyse en répartissant l'époque étudiée en deux, en l'occurrence de 1962 à 1974 où il sera question du fait de jeter les bases d'un régime militaire, d'une part, et de 1974 à 1988 période dans laquelle commence la grogne populaire à émerger et à pointer du nez, de l'autre.

1. La notion de l'Etat dans les pays du tiers monde :

Nous ne voulons pas entrer dans le débat, fort théorique, de la notion d'Etat et de nation, ni des différents concepts que ces phénomènes sociaux et politiques ont occupé dans la pensée mondiale en général et arabe en particulier, depuis de longs siècles. Ce rappel préliminaire est néanmoins d'autant plus important qu'il

Le rôle de l'armée en Algérie de 1954-1988

دور الجيش في الجزائر بين 1954-1988

Dr. Younes BENMAHAMMED
Université de M'sila

Résumé :

Nous nous proposons dans cet essai de traiter de la question de l'influence militaire au pouvoir en Algérie entre 1954 jusqu'en 1988, c'est-à-dire depuis le tout début de la révolution armée finissant par les prémises de l'ouverture démocratique au sein du pluralisme politique. Seront abordés alors les points suivants : en premier lieu la notion de l'Etat dans les pays du tiers monde, puis un aperçu historique montrant l'œuvre de l'armée au pouvoir avec la mue de l'ALN d'une armée révolutionnaire en une armée de métier de 54 à 62, sans omettre son impact sur le terrain politique grâce à son renforcement au sein de l'appareil étatique : 1962 à 1988. En second lieu, nous poursuivons notre analyse en répartissant l'époque étudiée en deux, en l'occurrence de 1962 à 1974 où il sera question du fait de jeter les bases d'un régime militaire, d'une part, et de 1974 à 1988 période dans laquelle commence la grogne populaire à émerger et à pointer du nez, d'autre part.

Les mots-clés : Armée, Révolution, Grogne populaire, Pouvoir.

الملخص :

نود في هذه الورقة أن نعالج قضية نفوذ الجيش في السلطة الجزائرية بين 1954 و1962 تاريخي الثورة المسلحة والاستقلال ترتيبا وانتهاء ببوادر الانفتاح الديمقراطي بالتعددية الحزبية عام 1988. فكانت بالتالي النقاط الآتية محل النقاش والطرح : التطرق لمفهوم الدولة في العالم الثالث كمدخل للمسألة العامة وإتباعها مباشرة بتحول